تاريخ اليمن

المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها

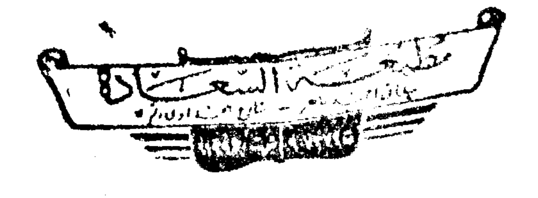
لنجم الدين عمارة بن علي اليمني الشاعر المشهور
المتوفى سنة ٥٦٩ هجرية

حققه وعلق عليه
محمد بن علي الأكوع الحوالي

الطبعة الثانية

١٣٩٦هـ - سنة ١٩٧٦م

٣٠٤٠
٢٠٢٩٥٠
١٩٨٥/٥/٢٥



المكتبة اليمنية

مشروع ثقافي لنشر ذخائر التراث اليمني

صدر منه :

١ — طبقات فقهاء اليمن لابن سمره الجندي

تحقيق الأستاذ فؤاد سيد

٢ — الجزء الأول من الاكليل الهمداني

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع الحوالي

٣ — الجزء الثاني من الأكليل للهمداني

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع الحوالي

٤ — قرة العيون في أخبار اليمن الميمون

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع الحوالي

٥ — صفة جزيرة العرب للهمداني

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع الحوالي

٦ — تفسير الدامغة الهمداني

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع الحوالي

٧ — الجزء الأول والثاني من السيل الجرار لمحمد بن علي الشوكاني

تحقيق الأستاذ قاسم غالب التعزي ومحمود زائد

٨ — الجزء الأول والثاني من شمس العلوم لنشوان الحميري

تحقيق الأستاذ عبد الكريم الجراني

٩ — المفيد في أخبار صنعاء وزبيد

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع

١٠ — السيرة الجامعة للملوك التابعة لنشوان الحميري

تحقيق الأستاذين اسماعيل الجرافي وعلي المؤيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

منذ فترة نفدت الطبعة الأولى من تاريخ المفيد فى اخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها للشاعر المشهور نجم الدين عمارة بن على الحكمى اليمنى رحمه الله ـ رغم رداءة طبعته الأولى التى لم اراجع ملازمها الأولى لغيابى فمنيت بأغلاط وهفوات مطبعية لا تقر عليها

وهذا النفاق ان دل على شيء فإنما يدل على انتشار الوعى اليمنى الذى احتجب عنه النور ردحاً من الزمن كما يبشر بطلائع نهضة علمية وفكرية تواكب الثورة السياسية التى تعتبر فى بداية الطريق لتعثرها وتأثرها بالطعنات النجلا القاتلة منذ اللحظات الأولى لقيام الثورة من قوى معادية أراقت دماء زكية وازهقت زهرة شبابنا المختارة فصعدت إلى باريها تشكو الاجرام الذى لا مبرر له غير السياسة الرعناء.

كما وان تعاقب الحكومات بعد الثورة بسرعة مما يؤسف له كان أحد العوامل المثبطة للمنطلق الذى كان من مفاهيم الثورة والمضى قدما ولم يتم الاستقرار كما يرام ويتوخى.

لهذا ولعوامل آخرة فلم تول الحكومة المتلاحقة الاهتمام اللازم للناحية العلمية والفكرية هذه من جهة ومن جهة أخرى حتى لأحياء التراث اليمنى الذى هو بحاجة إلى رعاية وتشجيع وما قد ظهر منه فإنما هو عمل فردى ضئيل جدا.

يضاف إلى ذلك ان تراكم الجهل عبر السنين والعزلة المفروضة على الشعب اليمنى فى الأونة الأخيرة والذى ضربت عليه الأمامة سياجا حديديا لحجز الأفكار والآراء فى بوتقة أضيق من سم الخياط لا سيما فيما يخص بتراثنا

اليمنى الخالص عن شوائب الدجل والتضليل كان عاملا أساسيا وعائقا كبيرا فى ركود الحركة الفكرية .

هذا ولما كانت الطبعة الأولى قد سلطت عليها أضواء كاشفة على الأخطاء التى وقع فيها عمارة للأسباب التى ذكرتها فى مقدمة الطبعة الأولى وجاءت تلك الأضواء فى الحز وطبقت المفصل الأمر الذى شجعنى على مزيد فى البحث والتفتيش فى بطون التواريخ المتقدمة على عصر « عمارة » اليمنى فقدمت لى المزيد من المعلومات خصوصا لفترة دولة بنى زياد . وانارت الطريق واضحا جلياً مما جعلنى اغسل يدى عن اخبار « عمارة » فى « مفيده » التى القاها على عواهنها بدون روية ولا تمحيص

وقد ادخرت هذه الفوائد الفرائد التى تفردت بها ولم يسبق إليها مؤرخ ممن جاء بعد « عمارة » فى كتابى « اليمن فى عهود استقلاله وملوك الطوائف » ، فى ضمن تاريخى الكبير وأوضحت هناك إيضاحا شافيا مدعوما بالبراهين الناصعة والأدلة القاطعة والمصادر الناصعة حرصاً منى على أن لا أحمل الكتاب « المفيد » فوق طاقته من الحواشي والتعاليق فيضيع الأصل فى هذه الزحمة .

ولم أجد بدا فى هذه الطبعة من أن الحق شذرات من تلك الفوائد حليت بها التعليق كضرورة ملحة والا ثلاث شذرات هى من الأهمية بمكان وفى صلب الموضوع أبرزتها هنا فيما يلى الا وهى :

١ ـ لا أصل لما ذكره « عمارة » فى صدر كتابه ـ ان آل زياد من أرومة أموية بل هم من « جذر يمنّى »

٢ ـ لا يمت إلى الحقيقة بصلة قوله ، إن الخليفة المأمون عبد الله بن هارون الرشيد أرسلهم من بغداد بعد الحادثة التى تلبسوا بها ـ ولاة على القطر التهامى فى سنة ٢٠٣ ثلاث ومائتين هجرية بل ظهروا فى تهامة كحكام ومنافسين لآل يوسف الشراحين الحميريين ملوك وصاب وتهامه وكان مقر عزهم

مدينة « العركبة » فى جبل جعر من وصاب المطل على مدينة زبيد من الشرق وظهور آل زيادبين حوالى سنة ٢٧٦ ست وسبعين ومائتين .

٣ — لم يمتد نفوذ آل زياد على مخلا فى نجران وبيحان ولا إلى حضرموت فقد كانت هذه الأصقاع كلها فى حوزة الدولة اليعفرية الحوالية بل كان تملك آل زياد للقطر التهامى فحسب كما بينا ذلك فى تاريخنا المذكور بجلاء وبرهان

وبعد فإليك أيها القارىء « كتاب المفيد » بحلة سيرا يمانية مهذبة منقحة مضيئة كأنها البدر فى ليال التمام والعروس بجلوة لفض الختام سائلا من الله أن يكون عملى خالصا لوجهه الكريم وأن يوفقنا لصالح الأعمال انه كريم مجيب الدعوات .

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم

وصلى الله على محمد النبى الأمى ومن اتبع هداه إلى يوم الدين

تحرر بمدينه ذمار ٢٠ جمادى الإخرة سنة ١٣٩٥ هـ

الموافق ٣٠ يوليو سنة ١٩٧٥ م

محمد بن على الاكوع الحوالى

مقـــدمة الطبعة الأولى

الحمد لله وحده وصلى الله على خيرة أنبيائه وأصفيائه .

وبعد فإن من أجمل الصدف ، والصدف كثيراً ما تواجه الإنسان فى حياته أن فى مطلع حياتى وريعان شبابى وسن الحداثة المبكر حانت منى التفاتة نحو مكتبة والدى رحمه الله المتواضعة والمحتوية على كتب خطية قديمة وحديثة أكثرها بخط يده الكريمة وكانت يومئذ مرصوفة على غير هدى ومتناثرة هنا وهناك بلا نظام حتى بين أجزاء الكتاب الواحد نفسه .

وبينما أنا أفتش فى تلك المكتبة الأثرية حقاً إذ ألفيت صدفة « كتاب » « المفيد » فى أخبار صنعاء وزبيد لنجم الدين عمارة اليمنى مزخرف الجلد أنيقاً نفيساً آية فى الفن فيه ظاهرة تستلفت النظر وتستوقف العقل ويبدو وكأنه تحفة من تحف الفن العربى الخالد .

والكتاب يعرف من عنوانه فما فتحت دفتيه إلا وشع من ثناياه خط جميل يأخذ بالأبصار بسحره الفنى مع دقة التنسيق المحكمة سطوره المسبوكة كلماته المنسجمة حروفه وكأنما أفرغ فى قالب الإبداع والحسن والجمال إفراغا وكلما زدته نظرا زادك حسنا .

ويعرف هذا الخط عندنا معاشر اليمنيين بالخط السندى والمعروف فى اصطلاح الخطاطين ورسم القلم بالخط النسخى .

والكتاب فى حد ذاته يشتمل على أخبار صنعاء وزبيد لفترة معينة وعلى تراجم أدباء اليمن وشعرائه فى تلك الحقبة .

ورغم أن الكتاب لم يكن معجما فقد دفعنى الإعجاب بحسن خطه الذى تمنيت محاكاته وأن يصبح خطى يوما على شاكلته أكثر مما دفعنى إلى الاستفادة منه ومعرفة أسراره واستنطاق معلوماته فأوسعته قراة وامعانا وكلما خرجت

عنه منهوك القوى منهزما عدت إليه بانشط مما كنت بنفس لا تعرف السآمة ولا يجد الملل إليها سبيلا حتى انتصرت عليه وذللت شموسه وألنت قناته نتيجة للمثابرة على قراءته وهكذا يصح قولهم . حاول وإن فشلت فكلما طعمت لذة المطالعة كلما طمعت فى المزيد من تفهم معانيه لأن المنتصر بطبيعة الحال يطلب المزيد من الانتصارات .

ومن يومئذ صار شغفى لمطالعة التاريخ طبيعة خاصة ، وتعلقى به صفة لازمة ومظهراً من مظاهر حياتى لا فرق بين تاريخ وطنى العزيز الذى أوليته مو العناية فيما بعد أكبر نصيب من حياتى والذى أنا مسئول عنه وكل حر غيور له وازع من نفسه وضميره ودينه ولا بين تواريخ الأقطار الإسلامية .

وكانت ثمرة الأنطباعات التى تركها « عمارة » فى نفسى بمثابة المادة الملحقة فقد فتحت لى آفاقا من المعرفة كانت منسدة أمام ناظرى فبينما كنت عائشا فى محيط ضيق يقتصر على علم الفقه والنحو والفرائض ونحو ذلك إذ بالآفاق الرحيبة الأرجاء تنير لى الطريق وتبلور فاكرتى الأمر الذى أعتبره مفتاح حياتى الفكرية والأدبية مضافا إلى ما جنيته من الثمار الدانية القطاف التى كان يزودنى بها والدى ويغذينى بها شيخى علامة اليمن يحيى بن محمد الأريانى اليحصبى الحميرى رضوان الله عليهما كما سلف التنويه بذلك فى مقدمة الجزء الأول من الأكليل .

وشعرت أيضاً أنى على عتبة دنيا جديدة ذات مفاهيم اتسمت بوفرة العقل وتربية النفس وصقل الروح بصقال عظة التاريخ وعبره وحكمه فبالتجارب والحوادث يستكمل بها العقـــل الغريزى لمن كان له لب بحسن تصريفه فيما خلق له .

ثم جاءت ظروف قاهرة وملابسات ما كانت بالحسبان ودعت فيها « عمارة » وكتابه « المفيد » فى مكتبة والدى ، وكأنما ودعت طيب الحياة وشبابى الفاتن وما كنت أدرى — علم الله — أنه وداعه الأخير وغبت عنه طويلا أنستق

عنه مشاغل الحياة التى أثقلت كاهلى فلا أذكره لا بلسانى ولا بجنانى وهكذا الحياة كل شىء فيها يتغير ويعتريه الزوال غير ربى وصالح الأعمال ،

وفى أقرب من لمح البصر هاجت ذكريات « عمارة ومفيده » والذكريات صدى السنين الحاكى — وكأنما مثل بين يدى بماضيه الحلو وصحبته غير المملة ولا أدرى ماهو الذى يحرك الذكريات بتلك السرعة الفائقة فإن فلسفتها عندى غير معروفة فأسرعت إلى تلك المكتبة أتلمس ذلك النور الذى أضاء لى الطريق والمؤدب الأول الذى شق معالم حياتى والصديق الوفى حقاً الذى لايمل الصحبة ولا يسأم الألفة ولا يستثقل ظلاك وإن جفيته أو انحرفت عنه لأجدد به العهد — فحفظ العهد من الإيمان ، وأستجر ذكر زمالتى معه ـ ولشد ما فجعت بفقدانه — وما أروع الفجيعة بالأصدقاء ومن يعز عليك — وبعد محاولة ذهبت سدى للتفتيش عنه فى زوايا المكتبة وخبايا الأرصفة لم أقف له لا على عين ولا أثر وكأنما غاص بين سمع الأرض وبصرها وكانت نهاية محزنة بحيث أختفى إلى الأبد تاركا فى نفسى مرارة أجد أثرها بين الحين والحين كما أنها تعتبر فى نظرى مأساة لأن ضياعه معناه ضياع تراث أثرى ومن ناحية أخرى أن ضياعه لم يكن نتيجة إهمال للمكتبة بل أن هناك يداً أثيمة أختطفته وكان آخر العهد به .

وبعد فترة من الزمن جادت لى الأيام بنسخة خطية حديثة الكتابة من تاريخ عمارة « المفيد » مذيلة بنبذة من تاريخ الجندى فى أخبار القرامطة ونبذة من تاريخ ابن خلدون ناقلا ذلك عن عمارة مع زيادة فى مواضع أخر .

وهى فى ذاتها بمراحل عن النسخة المفقودة إذ هى فاقدة قيمتها التاريخة بذلك الخط الرشيق ذى السلاسل الذهبيه وقدمها الأثرى كما أنها عاطلة عن تلك القلادة العصماء والدرة اليتيمية ألا وهى تراجم أدباء اليمن وكبرائه ـ والتى لا تزال مكنونة فى أصدافها مخبوءة فى أقفاصها إلا فى تلك النسخة المفقودة أو فيما أخرجه للناس اليوم . بثوبها القشيب مزادنا به جيد هذا السفر .

ولم تلبث هذه النسخة الجديدة عندى طويلا فقد منيت بمثل ما منى أخوها من قبل ولقيت مصرعها ولكن من نوع آخر — وهكذا الدهر يسترد ما يهب .

ذلك أنه استعارها مع كتب آخرى بعض الأخوان الذى يعز على رده وبقيت عنده ما شاء أن تبقى وعاجله الحمام وطوى بساط حياته كما رمانى بما هو أدهى وأمر من ذلك . وإن من أشد الموت ما يتمنى معه الموت بأن قذفتنا الأهوال إلى منفى حجه الرهيب وقعر نافع السحيق وزواياه المظلمه القذرة وطوانا الزمن فى خبر كان وضاع التفكير عن عمارة فى غمرة المآسى بل ونسينا أنفسنا كأنا من الأحياء .

وقد بلغ بنا قسوة الزمن أن سلبنا كل شىء إلا بقايا دموع فى مآقينا وإلا ذماء من الإيمان بالله كنا تتسلى به .

وبينما كنا غارقين فى بحر من الفجايع والآلام واليأس والقنوط إذ برحمة الله تدق على أبواب المحبوس أن هلم أخرجوا إلى دنيا النصر والفرح والظفر .

هنا وفى تلك اللحظة التاريخية تجلت عظمة الله العلى الأعلا وقدرته ورحمته التى وسعت كل شىء وانقلب كل شىء معنا كما مثل أمامنا صورة حية لإيماننا الراسخ بخالق الكائنات ومقلب القلوب وأنه جل شأنه وحده بيده تصاريف الأمور .

ومنحنا بما لم يخطر على بال أى إنسان مهما كانت تكهناته وإلهاماته الغيبية والمعيته ولو كان فوق مستوى البشر ، وما أروع لحظات الفرج فإنها أجمل ما فى الحياة ، كما حبانا بكل ما نتمناه ونرجوه وأسعفنا فى من نحب ونكرم فاستردينا حقوقنا كاملة غير منقوصة ورجعت الأمور إلى مجراها الطبيعى والمياه إلى مسافيها وعادت قسوة الزمن على من قسا علينا بأشد بطشا واسخف طيشا وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وحتى أعاضنا الزمن بنسخة قديمة أثرية من تاريخ عمارة « المفيد » على غرار النسخة الأثرية التى سطا عليها الآجرام فى تقادم عهدها ووضوح خطها اتحفنى بها السيد الاخ العلامة أحمد بن عبد الله الكمالى الرعينى الحميرى كثر الله فوائده وأجزل عوائده .

حقا إن العثور على نسخة بهذه الشكل الذى ذكرناه يعتبر انتصارا للتراث اليمنى — الذى ضيعه أهله — فى حقل الأدب والعلم وبعثا لذخائره وكنوزه الراقدة فى أحضان المكاتب المكدسة بالغبار وتحت أنقاض الماضى ومثار الحوادث المصاحبة للجهل والغواية .

وقد شجعنى بل وشحذ عزمى لان أضحى ، بأوقاتى الثمينة فى سبيل خدمة بلادى ما امتازت هذه النسخة التى هى بحق الفريدة العصما المكللة بتقصارها وعلى مفرقها الفارع الوضا والتى هى لم تر النور ، بالوصف الذى ذكرناه ولا أبصرت الحياة الجديدة الصاخبة ولاجليت من مخدراتها ولا كشف النقاب عنها ولا ظهرت على مسرح الفنون والعلوم فى عالم المطبوعات والزاخرة بالإنتاج لتراثنا العربى وبعث المخطوطات النادرة المثال من مراقدها التى طال عليها السبات فى أنحاء الوطن العربى إلى عالم الوجود ومن عالم الدثور إلى عالم الظهور — وفى الطليعة علماء الكنانة فى الجمهورية العربية المتحدة قلب العروبة النابض ومعقل الأحرار فإنهم جزاهم الله عن الأسلام والعروبة خيرا لم يدخروا الوسع فى إنارة هذا الطريق الذى كان اجتيازها صعب المراس وشق معالمه حتى زخرت المكتبة العربية بالتراث العربى القديم وبذلوا جهودا جبارة فى الحصول عليها فسلطوا عليها النور بالطبع والنشر وصارت فى متناول كل قارىء ومطلع ،

وبغية لاحياء تراثنا العزيز ونشره من رميم أجدائه على يد أحد أبنائه الخلص العارفين بما عون بيته إذ اصاحب البيت أدرى بالذى فيه — ومن المقدرين عظم مسئولية التاريخ والوطن والواجب الملقى على عاتقة للأجيال القادمة وللشباب المتطلع لمعرفة أجداده وأمجاده

وخوفاً من فلتات الزمن أن تحل به كارثة كما حلت بأخيه من قبل كما سلف وكما ضاع آلاف الذخائر والاعلاق النفيسة بجناية الدهر أو بخيانة أيد أثيمة أو لعت بأكل التراث اليمنى وابتلاعه فى دنيا الفنا .

ولحاقاً بركب الحضارة العربية فى إحياء التراث العربى والمساهمة فى هذا الميدان الذى هو جدير بالسباق لما يعود علينا نحن العرب بالفخر والاعتزاز وأننا أمة لها كيانها القوى ولها تاريخها المجيد .

وللمناسبة التاريخيه العظيمه فى تاريخ اليمن الحديث عهد الثورة السعيدة وفجرها الباسم الذى دخلت الخضرا من أعظم أبواب التاريخ للانطلاقة البناءة . فإخراج هذا السفر فى عهدها الزاهر يعتبر ثورة فى الثقافه والوعى وحدث هام له قيمته وله ما بعده فى إحيا التراث اليمنى ..

لهذا كله كان لزاما على أن أرفع الأصر وازيح العبء الثقيل على كاهلى وأبرى نفسى من وصمه العار ومن تبعة المسئولية التاريخية الكبيرة ، أن أقوم بتنقيح « المفيد » هذا الذى بين يدى القارىء وتهذيبه وتصحيحه والتعليق عليه وإن أكرس بعض الوقت لابراز تراثنا العظيم للقراء وأخرجه للناس بأبها حلة وأحسن بزة .

هذا ومن الدوافع التى حفزتنى لأخراج هذا السفر النادر الوجود أن دراستى الطويلة لتاريخ وطنى العزيز والتنقيب عن تواريخه الضالة التائهه فى مهاوى الكوارث أو التى لا تزال حبيسه فى مكانبها مكنتنى من العثور على معلومات ضافية تخص هذه الحقيقة بالذات التى أرخ لها « عمارة » التقطتها من عدة مصادر نوهت عليها فى فهرس المراجع .

وهذه المعلومات القيمة التى استقيتها هى من تواريخ معاصرة لزمن الأحداث التى تناولها « عمارة » فى « مفيدة » ، وهو منها بمرأى ومسمع والبعض معاصر لعمارة ولكنهم لم يفارقوا وطنهم من أجل طلاب العلا والمجد والسؤدد . وفراراً من أن تلسعه عقارب الأعدا وتلفحه نار الحقد والحسد والوقوع فى شبا كهم كما وقع لعمارة فى بعض من ذلك .

وبما أن هذه المعلومات لها قيمتها التاريخية وأهميتها العلمية فقد وضعتها في المقام اللائق بها ويبدو وكأنها شذرات ذهبية رصع بها جبينه المتلالى فزادته جمالا ونضارة لأنها منفردة غير قادرة أن تقـــوم بنفسها ولا تؤلف كتابا مستقلا ينتفع به وإلا لما بخلت في ذلك كما أنها لو تركت وشأنها لظلت في مكانها حبيسة معسولة الفائدة أو لضلت في متاهتها ضائعة فجاءت هذه المناسبة التي هي من أكبر الحوافز والتي كانت له بمثابة القلاده في جيد الحسنا والأمنية في قلب المتمني كما زادت في تاريخ عمارة وكسبته رونقا وبهجة .

ولم تقتصر هذه المعلومات على فوائد تاريخية وأدبية فحسب بل القت لنا ضوءاً على ما وقع لعمارة من أوهام وهفوات نتيجة شيئين اثنين أحدهما أن عمارة اعتمد في تأليفه « المفيد » على ما خزنه حفظه وأذكره ذهنه الوقاد . ثانيهما أنه جعل معتمد نقله على كتاب « مفيد » القائد جياش بن نجاح وذلك في الحقبة التي بين ظهور علي بن محمد الصليحي ملكا والأحداث التي جرت له منفرداً ومع القائد نجاح صاحب تهامه هذا من جهة ومن جهة أخرى فيما بين الملك المكرم الصليحي وأبناء نجاح الذين هما سعيد الاحول وجياش مؤلف المفيد الذي ينقل عنه عمارة .

وبما أن عمارة اعتمد على ذاكرته وحفظه اللذين خاناه وظهر فيه ضعف الإنسان اذ من الطبيعي أن الحافظة طالما تخون صاحبها ويطرأ عليه الخطأ والنسيان لا سيما الذي يبتعد عن وطنه وعن زمن الأحداث وهجم عليه النذير ـ الشيب ـ وصاح به غراب البين وصوح عنه شرخ الشباب وابيض جناح غرابه فضلا عما إذا صاحبته نكبات وتوالت عليه محن الزمن فإنها تضعف فيه حاسة الذاكرة إلى حد بعيد وربما يصبح كما قال الشاعر

قد أخذ النسيان مني فما ... أبقى لي النسيان لي حسا
فصرت مهما عرضت حاجة ... مهمة ضمنتها طرسا
وصرت أنسى الطرس في راحتي ... وصرت أنسا أنني أنسا

وعمارة رحمه الله قد منى بكل ذلك فابتعد عن وطنه لا حباً فى الاغتراب بل ابتغاء طلب المجد وابتعاداً عن الجو السياسى القاتم الذى كان يطارده لتوقع به فقد كان أهل زبيد بما فيهم الأحباش الذين بيدهم السلطة إلباً عليه فألف كتابه « المفيد » فى القاهرة المعزية وهو بعيد عن وطنه كما وأنه كان فى آخر مرحلة من مراحل حياته وفى جو سياسى مماثل للذى كان فى بلده متلبدا بالمخاوف مليئا بالدس والوشاية ولم يجد منه مفراً الأمر الذى تعرض لنهايته المحتومة المحزنة جزاء وفاته كما بينته فى ترجمته .

وبكل تقدير وإكبار لعمارة وجهوده لما أسداه لوطنه من يد بيضاء لا توازى ونعمة لا تجحد وشكر لا ينفد وثقتنا به التامة بأمانته ودقة نقله فإن هذه الأوهام العابرة والهفوات المتأثرة بالجو السياسى تعتبر أموراً عادية مرجعها إلى ما ذكرناه على أنها وايم الحق تغتفر بجانب حسناته التى قدمها لبلاده ولبنى جلدته ولعل مرجع الفضل لتأليف هذا هو البيئة التى تم حياته فيها .

وهنا تسلسل الغلط والأوهام إلى كتب المؤرخين الذين قفوا عمارة وجعلوه قدوة لهم وإماما لذلك كالعماد الكاتب فى خريدته وابن خلكان وياقوت والجندى والخزرجى والديبع وغيرهم لأن هؤلاء قلدوه تقليداً أعمى لما وضعوا فيه الثقة الكاملة شأن تلك العصور المؤمنة التى تتقبل الأشياء على علاتها بدون تمحيص أو تحليل وعلى الرغم إنهم وقفوا على تواريخ معاصرة لعمارة كما يدل على ذلك فى فصل المتغلبين الذى برهن ذلك النقل أنه مخالف عما نقلوه عن عمارة فى فصل ذكر على بن محمد الصليحى .

أما اعتماد عمارة فى النقل عن تاريخ « المفيد » القائد جياش بن نجاح الحبشى فمن غير شك إنه جعله المصدر الوحيد الذى استقى منه المعلومات والنصوص المذكورة فى متن الأصل لتلك الفترة التى ذكرناها آنفا .

وبداهة أنا لا نأخذ كل ما تحدث به « جياش » فى مفيده عن نفسه وأخيه

سعيد الاحول وأسرته كقضية مسلمة بدون مناقشة أو طرحها على بساط التمحيص والمقارنة بتواريخ آخرة معاصرة فالمرء بطبيعة الحال كثيراً ما يغتر بنفسه ويعجب بآرائه ويزهو بأقواله وأفعاله لا سيما الملوك الذين يحوطون أنفسهم بهالة من البطولة الخارقة والشجاعة النادرة ويكسون الاحداث نوعا من الخوارق والمبالغة كما تتغلب عليهم العواطف وحب الظهور فلا يرون أنفسهم إلا أنهم فى غير مستوى البشر ومن طينة غير طينتهم وفى نفس الوقت ليرهبوا بذلك السواد الأعظم ويضمن لهم البقاء على الدست .

وعلى سبيل المثال ما بالغ به « جياش فى رواية اغتيال الملك الكامل على محمد الصلحى فى المهجم فقد قفز جياش إلى ما وراء الخيال فصور نفسه وأخاه سعيد الاحول ومن معهما بصورة الأسود الضارية انقضت على فريستها بدون رحمة بينما صور خصمه الملك الكامل بصورة بشعة وكأنه ثعلب أدركه الوله والهلع خوفا وذعرا حتى أنه لم يتمالك أن يمد يده إلى قائم سيفه أو يذب عن نفسه بل كل ما فعله أن أدار رقبته للذبح فحسب فان هذا لايقبل من الخصم على خصمه ولا يتصور مثل ذلك فالتواريخ المعاصرة للحوادث تحكى خلاف ما ذكره عمارة فى « مفيده » كما ذكرناه فى موضعه .

كما أن الرواية تمثل لنا بدون ريب أن اغتيال الملك الكامل كانت عن مؤامرة محكمة الحلقات شديدة الأسر كانت بين السلاطين الذين كانوا يقيمون فى ذرى العاهل الملك الكامل وبين آل نجاح فمن غير المعقول أن يقذف البحر بأولئك النفر القليل إلى ساحل المهجم ليطيحوا براس على بن محمد الصليحى بتلك السهولة وبدون سابق علم ولا أسباب ولا مقدمات تهيء الجو لهم كما نوهنا ذلك فى التعليق .

وإن من أقوى الأسباب التى أثارت فى نفسى النشاط المتواصل المقرون بكل ألم وحزن إلى أن أبرز « مفيد عمارة » إلى الدنيا الجديدة أنه قبل أن أملك هذه النسخة التى فى طريقها إلى النور تحصلت على نسخة من تاريخ عمارة المطبوع بالقاهرة باخراج الأستاذ العلامة الفاضل حسن سليمان

محمود الجهنى دامت ديمة فوائده ولا عدمنا مزيد روافده بما فيه الملحقات التى هى نبذة فى أخبار القرامطه منتزعة من تاريخ الجندى وأخرى من تاريخ ابن خلدون ثم تعليقاته التى زادت فى حجم الكتاب ولم تكن من صلب ما يتعلق بتلك الفترة التى حواها تاريخ عمارة .

والأستاذ الجهنى قد عول فى كل ما أنتجه على من سبقه فى اخراجه وهو المستشرق « كى الألمانى » الذى شكر فضل سابقته وما بذله من جهود وعناية ودقة كما جعله أصلا له فى إخراج كتابه وعلى غراره وتصحيح إهابه .

ورغم ما أسداه الأستاذ العلامة حسن سليمان محمود الجهنى من الأيادى البيضا الباردة الظلال للتراث اليمنى الذى لا يجحد جميل معروفها ولا يخبو زكى شذاها كما سد ثغرة فى المكتبة العربية كانت بحاجة ماسة اليها فان كتابه محشو بالأوهام والهفوات المطبعية الواقعة عن غير قصد ولا يسعنى إلا أن أكرر شكرى للعلامة المذكور الذى ساهم مساهمة فعالة فى إحياء التراث اليمنى بل والعربى .

فاليك أيها القارئ هـذا السفر المبارك سائلا من الله الإنتفاع به والاقبال عليه وان من عثر على هفوة فيه أو زلة قلم أن يسحب على ذلك ذيل التجاوز والمعذرة وأن لا يؤاخذنى إلا بالتى هى أحسن فكل ابن آدم خطاؤون .

من الذى ماساقط ومن له الحسنا فقط

تحرر بالعاصمة « صنعاء » يوم الخميس جمادى الأولى سنة ١٣٨٥ خمس وثمانين وثلثمائة وألف هجرية على صاحبها الصلاة والتسليم .

محمد بن على بن الحسين الأكوع الحوالى

قيمة المفيد العلمية التاريخية

إن قيمة « المفيد » العلمية ضخمة وجسيمة فاذ يعتبر أستاذى والمعلم الأول لتاريخ حياتى الذى فتح لى أفقا كان عنى مقفلا وأفرغنى فى قالب الغرام بالتاريخ شغوفا به فانه يعتبر المعلم الأول وأستاذ المؤرخين الذين أعقبوه وجعلوه لهم مصدر إشعاع ووثيقة تاريخية هامة وعينا نميرة استقوا منه .

وهو بالنسبة إلى التراث اليمنى يبدو على مسرح التاريخ ولهذه الحقبة الغامضة من تاريخ اليمن وكأنه الجوهرة اللماعة والدرة اليتيمة المضيئة لتاريخ اليمن الذى احتفظت لنا به يد الزمن من الضياع من كوارث المحن وكنز من كنوزه الثمينة الذى القا ضوءا ساطعا لفتره معينة من أحداث اليمن التى قل أن تجدها فى غيره مما أبقته لنا الأيام لا لأن المؤرخين اليمنيين أهملوا تاريخهم لتلك الفترة أو غيره لا وألف لا بل هناك كثير من المؤرخين حريصون على تراثهم والاحتفاظ به وتسجيله وتقييده غير أن الأيدى الأثيمة التى أولعت أن تسطو على التراث اليمنى هى التى أخفت هذه الكنوز ودفنته إلى الأبد كما وأن جرائم الحوادث والكوارث شاركت هذه الأيادى الإجرامية فكانا عونا على حرب اليمن الذى لا يزال يعانى نفس المحنة إلى يوم الناس هذا .

٢ ويتجلى انفراد عمارة « فى مفيده » فى الومضات التاريخية التى أومأ إليها كروس أقلام حينما أبتدأ الطريق لافتتاح تاريخه بدخول محمد بن زيادة لمدينة « زبيد » وتسلسل الملك فى أحفاده ثم فى موالى مواليهم إلى أن بلغ عصره الذى أشبع القول فيه فان هذا التسلسل العجيب والربط الوثيق بين القائمين والحوادث لتشهد لعمارة بالذكاء وبراعة الأسلوب كما أنا لم نشاهدها فى أى تاريخ اللهم إلا نقولات عن عمارة بالنص والحرف أو بالايماو الاشارة والاقتضاب .

وكذا يتجلى فضل عمارة فى الكلام على دولة بنى ززيع ملوك لحج وعدن فإنه أفرغه فى قالب بديع سهل آخذاً بعضه برقاب بعض مما ليس له نظير ولا عثر على غيره إلا لمعاً حلينا به جيد المفيد .

ويا ليت أن عمارة رحمه الله ذكر لنا من سبقه من المؤرخين ليلق لنا بصيصاً من الأمل للتنقيب عليها والبحث عنها لكنه أهمل ذلك ولم يصرح إلا بمفيد « القائد جياش بن نجاح » الذى شكا عمارة أن نسخه قد قلت لسببه المذكور فى ص .

وفوق ما وصفناه فقد رزق « مفيد » عمارة حظوة لم تقدر لأحد من تواريخ المؤرخين ، ولعل مرجع ذلك لتفرده بالسودد بالتاريخ المذكور والذى جمدوا عليه ولم يكلفوا أنفسهم البحث عن تواريخ عائلة والكشف عن غيرها وبهذا طغت شهرة تاريخ عمارة على غيره من التواريخ لذلك الوقت المذكور بحيث لا يذكر تاريخ بجانبه إلا كما يذكر خيال الحبيب بطيف المنام والرسوم على الأطلال .

ولأول ظهور « المفيد » من معمل إنتاجه ومهد ولادته بالقاهرة المعزية التى كان وجوده بها السبب لتكليف عمارة بتأليف كتابه « المفيد » بإرشاد السيد الوزير القاضى الفاضل احتضنه المؤرخون وتناقلوه شغفاً به وحباً لمعرفة أخبار اليمن وكشف أسرار أحداثه وتسابقوا على اقتنائه والعزو إليه سيان فى ذلك المؤرخ اليمنى الذى هو جدير بالحرص على الاحتفاظ بهذا التراث القيم فقد لقى رواجاً ساحقاً ورعاية شاملة فى موطنه الأصلى الذى سجل فيه حوادثه وأخباره حينما كان الناس يعرفون قيمة الأوطان والواجبات نحوه فكان معتمد المؤرخين اليمنيين الذى كان من حسن الحظ لنا وتضافر القدر معنا بالحصول على تواريخهم وحيازتها ووضع اليد عليها كتاريخ الجندى « السلوك » و « كنز الأخبار » للشريف إدريس بن على بن عبد الله الحمزى وهو والجندى متعاصران وتواريخ أبى الحسن على بن الحسن

الخزرجي الثلاثة وتاريخ وصاب لعبد الرحمن بن محمد المذحجي وتواريخ عبد الرحمن الديبع قرة العيون وبغية المستفيد ومن حذى حذوهم واقتفى أثرهم من المتأخرين أو غير المؤرخ اليمني من الأقطار العربية الشقيقة وأول من خصه بالذكر العماد الكاتب الأصفهاني في خريدته فإنه خصص فصلا لأدباء اليمن انتزعه من «مفيد» عمارة وابن الأثير فيما أخال ثم تلاحق القوم تباعاً كابن القفطي وياقوت الحموي وابن سعد وابن خلكان وابن خلدون والمقريزي مقتطفين منه تلك الثمار الجنية والأزهار العبقة التي غرستها جهود عمارة ورواها قلمه السيال .

هذا كله بالنسبة إلى التاريخ أما بالنسبة إلى تلك القلادة العصماء وهي ذكر الشعراء من ملوك اليمن وعلمائها وأدبائها فإنها وايم الحق القلادة الثمينة حقاً التي لم يعثر عليها في غير عمارة الذي سجل له خلوداً في خلود ولم أقف إلا على شذرات نزرة نبهت عليها في تراجم أولئك الفطاحل عزوتها إلى مصادرها ، وإنه للأسف الشديد الذي يقض المضاجع أن التراث اليمني بما فيه الأدب القديم الذي هو كمعالم لنهضة الأمة وحياتها لا يزال في هجعته ونومته ينتظر اليوم الذي يستيقظ فيه نادباً حظه في ذعر وسخرية للأجيال التي هجرت هذا التراث التي بها عزتها وفخرها وانتفاضتها وولت عنه الأدبار إلى غيره أخذ الله بأيدي الجميع لما فيه الخير .

تحقيق الأصل

لم يكافئنى الأصل الذى جعلته معتمدى كبير عناء إذ ممارستى لتاريخ وطنى ودراستى الطويلة له سهلت على تحقيقه لإخراجه بهذه الصورة الممتازة وذللت كل الصعاب التي ربما كنت أجدها أحياناً لأسباب لا تذكر وتافهة وما كان يحصل من إشكال لبعض الألفاظ أو لكلمات رجعت إلى المصادر التى أحضرتها بين يدي والتى جعلت لها علامات رمزت إليها بالحروف التالية :

(ط) إشارة إلى النسخة المطبوعة بإخراج الأستاذ حسن سليمان محمود الجهينى .

(دِ) إشارة إلى تاريخ الديبع قرة العيون .

(خ) « « الخزرجى .

(ص) « « الوصابى .

(ن) « « الجندى .

وما عدا ذلك فقد نصيت على اسمه كما وأن الأصل الذى أعتمدته كان من حسن الحظ خطه واضح الكلمات بين الألفاظ إلا بعض كلمات كانت قد تخرق موضعها بحكم طول الزمن وانتشار الأرضة فيه ، فتاريخ الكتاب كما ذكرته فى آخر هذا هو يوم السبت وقت غروب الشمس لثمان بقين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة من الهجرة على صاحبها أفضل الصلوات والسلام .

ترجمة عمارة وحياته

إن حياة عمارة مليئة بالمفاجآت والأحداث التي استخلصت منها شخصية ممتازة بالمثل العليا وبالأخلاق الفاضلة والخلال الصافية الشفافة وكونت منه فقيهاً وشاعراً وسياسياً وجعلت منه رجلا مقدماً في معارفه وأفكاره ، لهذا فقد ترجم له كثير وأولهم فيما أعلم العماد الكاتب في خريدته وهو معاصر له وياقوت الحموي في معجمه وابن خلكان في وفياته والمقريزي في خططه والجندي في سلوكه والخزرجي في طرازه والسيوطي في طبقاته وغيرهم كثير ممن لم يحضرني ذكرهم .

وهذا التهافت على ذكره في مؤلفاتهم إن دل على شيء فإنما يدل على عظيم مكانته وجليل منزلته لديهم ، وأنه يحتل من قلوبهم الصدارة من بين زمرة العلماء الاماثل والأدبا والشعرا الذين بذوا أهل عصرهم في مواهبهم وقدرتهم وندرة شخصيتهم .

وعمارة أحد الشعرا المجيدين وأحد الكتاب المنشئين المترسلين وأحد مفاخر اليمن وأحد نوابغ الشعرا لأنه ما قال الشعر إلا وهو مناهز الأربعين سنة وأحد الذين لعبوا دوراً هاماً في سياسة القصور وخارجها وأحد الأوفيا الذين فضلوا الموت على الغدر ، فلا غرابة إذا سجلت أقلام الكتبة الكرام والمؤرخين اللاهاميم على صحايفهم البيضا شخصية عمارة وقرظوه بأطيب الثنا وأجمل التمجيد وخلدوه بين فطاحلة الشعرا النوابغ والأدبا النوادر .

ويلوح بمن ترجم لعمارة وهو متأخر في عصره أنه استقى ذلك من نفس كتبه التي تشير أحياناً إلى حياته وما جرى له فيها كما يحدثنا في كتابه هذا الذي نشير إلى صفحاته .

وأنا بدوري استنيت في هذا المضمار لحاقاً بالصالحين من الكرام الكاتبين لحدوت حذوهم أخذاً من الكتب المذكورة ومن نفس « المفيد » هذا الذي بين يدي القراء ثم صغت كل ذلك في قالب سهل راعيت فيه الايجاز وروح العصر .

اسمه ونسبه

هو أبو محمد عمارة بن أبي الحسن على بن محمد بن زيدان الحكمى اليمنى الملقب نجم الدين الشاعر المشهور فهو من قحطان ثم من قبيلة الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا .

وبهذا النسب الرفيع ظل عمارة مفتخراً به معتزاً حتى أنه هدد به الملك الصالح طلائع بن رزيك بانتقاله إلى ملك يمنى بقوله :

إلى الذى لولا سنى وجهه	أظلم فى عينى سنى الكوكب
من يعرب العربا حيث التقت	شعائب السؤدد من يعرب
قومى الأولى يرجح ميزانهم	إن فاضلوا أو ناضلوا الناس بى
أى مقام قمت فيه لهم	بحجة المجد فلم أغلب
إن ذكر الإسلام لم يفتخر	غيرهم حى بنصر النبى
أو ذكر الجود فمن طيء	أبو عدى نجعة المجدب
وهذه أفعال أبنائهم	حاضرة تشهد للغيب

وقبيلة الحكم قبيلة عزيزة الجانب شهيرة ذائعة الصيت جاهلية واسلاماومن ساهمت مساهمة تذكر بكل تقدير وإعجاب فى الفتوحات الأسلامية وأنجبت صفوة مختارة من القادة والرؤساء والفرسان والعلماء النبلا كانوا غرة فى جبين الدهر ومنهم فاتح أرمينية فى الدولة الأموية وهو الجراح بن عبد الله الحكمى ومنهم أبو نواس الشاعر المشهور ومنهم الوزراء آل الجراح فى الدولة العباسية الذين منهم على بن عيسى ابن داود بن الجراح الذى قال فى وصفه الصولى : لا أعلم أنه وزر لبنى العباس وزير يشبهه فى عفته وزهده وحفظه للقرآن وعلمه بمعانيه وكان يصوم النهار ويقوم ليله ولا أعرف أنى خاطبت أحداً أعرف منه بالشعر .

ولا زالت لهذه القبيلة بقية إلى هذه الغاية تسكن فى مخلافها ووطنها الأصلى مخلاف الحكم المسمى المخلاف السليمانى .

مولده ونشأته

لم تشر المصادر التى بين أيدينا إلى تحديد مولده لا باليوم ولا بالشهر ولا بالسنة ولكن المفهوم من كلامه فى مؤلفاته التى منها « المفيد » أن مولده فى حدود خمس عشر وخمسمائة بدليل قوله إنه بلغ الحلم فى سنة ٥٢٩ تسع وعشرين وخمسمائة ورحل إلى زبيد سنة واحد وثلاثين وخمسمائة وكانت ولادته فى قرية الزرائب ، التى تطل عليها العكوتان وعكاد كما حدثنا بذلك . بينما يقول ابن خلكان « ج ص ١٠٧ » أن ولادته فى المدينة « مرطان من وادى وساع » فلا أدرى ممن أخذا ابن خلكان لأنه ناقل بينما عمارة هنا فى الكتاب يتحدث عن نفسه بما يخالف ذلك إلا إذا نقل ابن خلكان ذلك من مصدر آخر .

وقد نشأ عمارة فى بيت علم وصلاح وفقه ورياسة وترعرع فى أحضان معرفة وغذى بلبان العرب العربا فجاء نظيفاً نقى النفس كريمة ذا ورع وعفة .

بيته وأسرته

سبق أن تحدثنا أنه من قبيلة حكم وهى ما هى كما سلف فلا شك أنه من بيت رفيع الدعائم عريق المجد معمور بالعلم والعرفان لهم مقام مرموق ورياسة متأثلة يشتم ذلك من شعره فى الفخر كما يحدثنا هو عن نفسه فى ص ١٢٢ عن جده أحمد محمد أنه كان فى حوزته العكوتان جبلان منيعان لا يطمع أحدهما فى حصارهما وجبل عكاد الذى أخرج من عمارة طفلاً ذلق اللسان يتكلم بسليقة عربية فصحى وأنه لما كانت موقعة الزرائب بين الملك الكامل على بن محمد الصليحى وبين الأحباش وكانت الدائره على السودان فلم يبق منهم إلا ألف رجل اجارهم جده المذكور فى حصنه فمن يملك هذه الحصون إلا من له سلطان نافذ عزيز فى قومه ولا يجير على الملوك كمثل ملك اليمن على بن محمد الصليحى

إلا إنسان له شأن عظيم وخطر كبير ويحدثنا أيضاً فى « ص ١٦٠ أن عمه إبراهيم بن محمد زيدان سمت نفسه على التغلب على حصن التعكر وكاد يسلب مملكة الملكة السيدة بنت أحمد الصليحى التى كان القائم بأعمالها الملك المفضل ابن أبى البركات الحميرى الذى قتل نفسه بالسم غيضاً وحنقا على جرأة الفقهاء المتآمرين برياسة إبراهيم المذكور ونفس تتطاب كهذا كبيرة جداً وأنها لتومىء بتحدرها من سلالة لها قديم بالرئاسة وعهد بالسياسة .

رحلته إلى زبيد لطلب العلم

كانت مدينة زبيد لذلك العهد وإلى ما بعده بزمن متراخى حاضرة تهامة واليمن الأسفل واحد أمهات المدن الكبرى وأفخمها ربة العرفان وكعبة القصاد والعفاة ومطمح أنظار العلما والمتعلمين ومعهد علمى الذى كان زخر بالعلوم والآداب وشتى الفنون ومتجراً رابحا لارباب الصنائع والحرف والباعة والتجار والأدبا والشعرا يرتادونها من كل صوب ويصدرون عنها رواء ملئة كما منحتها الطبيعه موقعا طيبا فواديها المسمى بالحصيب من شرقها يتدفق بالخيرات بأعظم محصولات الحبوب والثمار والفواكه والبحر من غربها يمخر بالجوارى المنقلات جائية ذاهبة تقذف بنفائس الهند والصين وتزودها أفريقيا السودا ومصر بكل ما تحتاج إليه وتعود منها بجر الحقائب من وشى صنعاء وزبيد وتحف اليمن وكانت مدعاة لسياح الأقطار فدخلها الرحاله البشارى فى القرن الرابع وابن بطوطة فى القرن الثامن وغيرهما واثنيا عليها ثناء حسناً .

لهذه الخصائص المغرية التى امتازت بها مدينة « زبيد فوجىء « عمارة » بسفره إليها لطلب العلم فى ريعان شبابه الذى لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره وهو عمر قل أن يفارق الإنسان فيه وطنه لذلك الغرض ويصبر على

ضنا الغربة ووعثاء السفر ومفارقة الأحباب والأتراب ومن يعز عليه كأبويه .

ويظهر أنه سافر إلى زبيد منفرداً لا يصحبه إلا مرافقه الذى وكل به أبوه ليوصله إلى مهجره كما أنه من المظنون بل من المتيقن أن أبا عمارة قد حمل ابنه رسالة لأحد أصدقائه بزبيد ليكفل له صبيه ويقوم بأوده ويوجهه ويرشده فى كل مناحى اتجاهاته نحو أى علم ينهل منه من أعلام زبيد ويرتشف بوجه خاص علم الفقه ولم يبد عمارة أى نفور أو امتناع أمام أبويه عن سفره هذا المفاجىء ما دل أن لدى عمارة صورة حية أخاذة بلبه عن مدينة زبيد ومحاسنها الأمر الذى دفعته إلى المضى قدماً وبدون تردد ، وشىء آخر هو أن ذكاء عمارة المبكر بما لمسه من أبويه وشاهده فى حياتهما البيتية من مدارسة العلم والمحافظة على الفرائض والسنن وآداب الإسلام كل ذلك أشرب فى روعه فى تلك الفترة الوجيزة واجبات كثيرة تجلت فى كثير من اتجاهاته التى منها امتثال أوامر والديه متجسداً فيه قول الشاعر .

وينشأ ناشىء الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

فما وصل زبيد إلا يعب من مناهلها النميرة ويعل حتى ارتوى .

مشيخته

يعتبر الفقيه أبو محمد بن أبى القاسم إلا بار شيخه الوحيد فى الفقه الشافعى لأنه صانع حياته فتراه يذكره بكل اجلال واحترام ويعتز بالانتمى إليه كما أنه أخذ عن علما زبيد الشىء الكثير فى فنون شتى ومنهم نصر الله بن سالم الحضرمى الذى أقسم بالله أن هذا الصبى قد قرأ النحو قراءة كثيرة كما يحدثنا .

ولا زال يترقى فى سلم العرفان إلى أن لقب « الفقيه » وهو لقب اشتهر به

عمارة فكان ندعى عمارة « الفقيه » ، وهذا اللقب لا يسمح أن يتلقب به إلا من خاض عباب الفقه ومخض سقاؤه وكانت له مكانته وميزته العلمية لذلك التاريخ إذ معنى الفقيه هو الذى يفهم الدليل والتعليل ومسائل الخلاف بجميع أشكالها وأنواعها وبأقوال العلماء وأنه قادم على درجة أسما وأرفع هى درجة الإجتهاد فيما كان للاجتهاد فيه مسرح وفى نفس الوقت يباح له الإفتا وتولى الخصومات وفض المشاكل غير هياب ولا وجل لأن ذلك اللقب يخول له كل ذلك كما أنه يكفل له لقمة العيش ويؤمن حياته .

ثم منح عمارة درجة هى أرفع من ذلك وهو لقب « القاضى » فكان يدعى « عمارة » « القاضى » ، وهذا اللقب لا يمنح إلا من يتولى القضايا بأمر السلطان والحاكم بأمره ممن له الولاية العامةوهو منصب رفيع جداً لأن احكامه تمضى على السلطان نفسه ويصدر أحكامه فى الحلال والحرام وكل شيء يختص بالقانون الشرعى بدون هوادة ومن شروط القاضى أن يكون مجتهداً وعمارة لم يتولى القضاء ولا نقل إلينا ذلك ولعله منح له هذا اللقب كلقب فخرى لا سوى أو على حد عبارة المنطقين أنه قاضى بالقوة لاقاضى بالفعل .

ثم لقب بعد عودته للمرة الأولى من عدن بعمارة الفرضى « للحادثة التى قصها لنا فى ص ٢٢٤ وأخيراً بالشاعر الخنذيذ وقد توزعت هذه الألقاب بين الأقطار العربيه وبلدانها فعرف عند أهل مصر بعمارة اليمنى وعند أهل بلده بالحدقى وعند أهل اليمن وأهل عدن والجبال بالفقيه وعند أهل زبيد بالفرضى .

رحلته إلى عدن ليصبح عمارة الشاعر

عدن هى الثغر الطبيعى لليمن الخضراء وهمزة الوصل بين الشرق والغرب التى يلتقى فيها الحادى والملاح مزدهرة الحضارة مشتبكة العمران وتفوق

زبيد بخلال وسمات كثيرة وكانت لعهده تحت نفوذ ملوك آل زريع الهمدانيين الذين هم أسخى من الغيث إذا همى والبحر إذا طمى يبارون الرياح كرما وسخاء وكانت أخبارهم تفد إلى زبيد مع التجار والمهاجرين الأمر الذى دعا عمارة إلى زيارتها والأنخراط فى زمرة شعرائها .

وكان قد نجح فى دراسته العلمية وحاز أكبر لقب يمنح الدراسين المتفوقين وهو لقب « الفقيه » ثم لقب « القاضى » كما أصبحت له زبيد بمثابة وطنه الثانى ومسكنه الذى يأوى إليه بحيث لا يذكر مسقط رأسه إلا كذكريات أيام الصبا والحالة هذه فهى مليئة بالفقهاء والعلماء والأدباء الذين يشغلون عدة مناصب ورأى نفسه أن لا مكان له معهم كما أن طول المكث بطبيعة الحال يولد السآمة والملل وأحس بفراغ عمل بينما نفسه الوثابة تنازعه إلى طلب العلا والخروج من التفكير الذى يسود فى ناظره كل شىء فلم يجد سبيلا لإشباع رغبته وأنصرافها عن التفكير سوى الأشتغال بالتجارة فى ظاهر الأمر وفى قرارة نفسه الأتصال بملوك عدن لعله يجد سلوته وما تصبو إليه نفسه ، وقد وفق فى رحلته هذه فارتحل إلى عدن ، فبمجرد نزوله بها صادفه الأديب الفاضل الشاعر المشهور أبو بكر بن محمد العندى فضمه إليه وأكرمه .

وبغتة كاشفه بما فى قرارة نفسه كناصح بأن يعمل قصيدة يمدح الداعى محمد بن سبا وهو إذا ذاك صاحب الدعوة فى تلك البلاد فاعتذر بحجة أنه لا يجيد الشعر فعمل الأديب قصيدة على لسان عمارة هنأ بها الداعى بأعراسه على بنت الشيخ بلال وتولى العندى إلقائها أمام الداعى فنال بذلك جائزة من الداعى وأخرى من بلال وأعطاهما عمارة فقال له : إنك قد وسمت عند القوم بسمة شاعر فطالع كتب الأدب ولا تجمد على الفقه ، ومن ذلك الحين لقب « عمارة » ، « الشاعر » وكان ذلك سبب تعلمه له واشتغاله بالشعر وصحبة الملوك من ذلك الوقت فلم يزل مصاحبا لملوك ال زريع خاصة والتحمت بهم

الصلة الأكيدة حتى ارتفعت فيما بينهم الحشمة وحتى أنه لايشهر عنه قول الشعر في غيرهم من ملوك اليمن ولكن للأسف البالغ أنه لم يحفظ لنا من شعره الذى قاله باليمن شيئ ولم نظفر حتى على قصيدة أو مقطوعة قالها فى آل زريع أو فى شيء آخر وكانت له قضايا وحكايات مع الملك محمد بن سبا الزريعى وولده عمران بن محمد يطول ذكرها حسبما قص لنا هنا بعض ذلك فى غضون حديثه بالاتصال بهم .

وكانت مفاجئة عمارة بتلك الصورة غريبة على نفسه وعلى أهل مدينة زبيد الذين كمنوا له فيما بعد أشد الحقد وأخبث الحسد لما اشتهر ورزق حظا وافرا وثروة طائلة حسده عليها فقهاء زبيد كما هى عادة الأقران فكادوا له وأغروا به ملوك زبيد وأدخلوا إلى أذهانهم أنه يتآمر عليهم وأنه قد دخل فى مذهبهم الكفرى الألحادى حتى تخوف عمارة فكانت إقامته بزبيد بعد رجوعه من عدن على حذر وتحفظ . .

رحلته إلى مكة ليصبح عمارة الواعظ والسفير

كثر تخوف عمارة من فقهاء « زبيد » الذين مافتئوا يدسون به إلى ملوكها ففضل الابتعاد عن زبيد كيلا يقع فى شراك المحنة ورأى أن خير وسيلة لإزالة ما فى أذهانهم هو الحج فخرج من زبيد سنة ثمان وأربعين وخمسمائة واختار الإقامة بمكة بعدما قضى مناسك الحج ليأمن حسد الفقهاء وكيدهم .

وطبيعى أن الناس لا يلتفتون إلى الغريب مهما كان طويل الذليل عريض الجاه فكيف بالغريب الذى لا يحمل بين جنبيه إلا وسام العلم والأدب والادريهمات يتجر بها ليقوم على معيشته وأحس بالانفراد والوحشة وخيبة الأمل فرأى خير طريق للفت أنظار الناس أبراز إبريزة المكنون بما فيهم أمراء مكة أن يعقد مجلس وعظ فى الحرم الشريف فتصدى للوعظ يوقظهم بزواجر

لفظه ويذكرهم ينابيع حكمه ووعظه وكان يتفجر كالنهر المنهمر بالعلوم والآداب والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تبين الحلال والحرام وماجاء به دين الإسلام حتى اسمع من به صمم وبلغت أحاديثه أمير مكة قاسم بن هاشم فليتة فطلبه فأعجب به وبذكائه وأنه خير من ينتخب للسفارة وكان بين قاسم ابن هاشم وبين الخليفة الفائز العبيدى بمصر خلاف فسيره إلى مصر سنة ٥٤٩ تسع وأربعين وخمسمائة ليحل ما بينهما من خلاف فدخلها فى شهر ربيع الأول سنة ٥٥٠ خمس وخمسمائة واتصل بالخليفه المذكور ووزيره الملك الصالح طلائع بن رزيك وأنشدهما فى تلك الدفعة قصيدته الميمية التى أولها :

الحمد للعيس بعد العزم للهمم حمداً يفوق بما أوليت من نعم

وهى قصيدة عصماء مثبوتة فى ديوانه فاستحسنا قصيدته وأجزلا صلته وأقام إلى شوال سنة ٥٥٠ خمسين وخمسمائة فى أرغد عيش وأعز جانب ثم فارق مصر فى هذا التاريخ وتوجه إلى مكة ومنها إلى زبيد فى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ثانية ثم حج من عامة فاعاده قاسم صاحب مكة المذكور فى رسالة إلى مصر ثانية فاستوطنها ولم يفارقها هذه رواية ابن خلكان بينما يحكى عمارة عن نفسه إنه توجه رسولا لقاسم بن هاشم فليتة سنة ٥٥١ واحد وخمسين وخمسماء قال ثم فارقت البلاد سنة اثنين وخمسين وخمسماء وهى الرواية الصحيحة كما فى ص .

عمارة فى مصر

قال ابن خلكان كان عمارة فقيها شافعى المذهب شديد التعصب للسنة أديبا ماهراً شاعراً جيداً محادثاً ممتعا فأحسن الصالح وبنوه وأهله إليه كل الأحسان وصحبوه مع اختلاف العقيدة لحسن صحبته وله فى الصالح وولده مدائح كثيرة. وقد حاول الملك الصالح أن يغرى عمارة بالمال ليعتنق مذهب الأسماعيلية فرفض فى إباء وشمم فقد حدث عن نفسه قال : لم يشعر فى بعض الأيام حتى

جاءتنى من الملك الصالح رقعة فيها أبيات بخطه ومعها ثلاثة أكياس ذهبا وفيها قوله :

قل للفقيه عمارة يا خير من … أضحى يولف خطبة وخطابا
اقبل نصيحة من دعاك إلى الهدى … قل حطة وادخل علينا البابا
تلق الأئمة شافعين ولا تجد … إلا لدينـا سنة وكتـابا
وتعجـل الآف وهى ثـلاثة … صلة وحقك لا تكون جوابا

قال فاجبته مع رسوله :

حاشك من هذا الخطاب خطابا … يا خير أملاك الزمان نصابا
لكن إذا ما أفسدت علماؤكم … معمور معتقدى وصار خرابا
ودعوتم فكرى إلى أقوالكم … من بعد ذاك أطاعكم وأجابا
فاشدد يديك على صفاء مودتى … وأمنن على وسد هذا الباب

وحكى عمارة أنه لما تم الأمر لشاور وانقرضت دولة بنى رزيك جلس شاور وحوله جماعة من أصحاب بنى رزيك وممن لهم عليهم إحسان وإنعام فوقعوا فى بنى رزيك إلى قلب شاور فأنشدته :

صحت بدولتك الأيام من سقم … وزال ما يشتكيه الدهر من ألم
زالت ليالى بنى رزيك وانصرمت … والمدح والذم فيها غير منصرم
كأن صالحهم يوماً وعادلهم … فى صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم
هم حركوها عليهم وهى ساكنة … والسلم قد ينبت الأوراق فى السلم
كنا نظن وبعض الظن مأثمة … بأن ذلك جمع غير منهزم
فذ وقعت وقوع النسر خانهم … من كان مجتمعا من ذلك الرخم
ولم يكونوا عدواً ذل جانبه … وإنما غرقوا فى سيلك العرم

وما قصدت بتعظيمى عداك سوى تعظيم شأنك فاعذر لى ولا تلم
ولو شكرت لياليهم محافظة لعهدهم لم يكن بالعهد من قدم
ولو فتحت فى يوماً بذمهم لم يرض فضلك إلا أن يسد فمى

وكان بينه وبين الكامل بن شاور صحبة متأكدة قبل وزارة أبيه فلما وزر استحال عليه فكتب إليه :

إذا لم يساعدك الزمان فحارب وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما تموت الأفاعى من سموم العارب
فقد هد قدماً عرش بلقيس هدهد وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
إذا كان رأس المال عمرك فاحترز عليه من الإنفاق فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك يكر علينا جيشه بالعجائب
وما راعنى غدر الشباب لأننى أنست بهذا الخلق من كل صاحب
وغدر الفتى فى عهده ووفائه وغدر المواضى فى نبو المضارب
إذا كان هذا الدر معدنه فمى فصونوه عن تقبيل راحة واهب
رأيت رجالا أصبحت فى مآرب لديكم وحالى وحدها فى نوادب
تأخرت لما قدمتهم علاكم على وتأبى الأسد سبق الثعالب

وللباقة عمارة استطاع أن يأسر قلوب أصحاب القصور العبيدية بما ملك من أدب ولطف وظرف وما رواية سيدة القصور التى بطلها شاعرنا عمارة إلا فصل من روايته الطويلة :

وفاء عمارة

وامتاز عمارة بالوفاء النادر فمن ذلك أنه لما قدم نجم الدين أيوب من الشام على ولده صلاح الدين وخرج للقائه الخليفة العاضد آخر العبيديين ونزل بمنظرة اللؤلؤة [illegible] مات سنة ١٧ [illegible]

شاعرنا عمارة والرضى يحى الأحدب الشاعر وذلك فى قصر اللؤلؤة بعد موت العاضد فأنشد الأحدب فى نجم الدين قوله :

يا مالك الأرض لا أرضى بها طرفا ... منها وما كان منها لم يكن طرفا
قد عجل الله هذا الدار تسكنها ... وقد أعدت لك الجنات والغرفا
كانوا بها صدفا والدار لؤلؤة ... وأنت لؤلؤة صارت بها صدفا

فقال عمارة فى قصيدة يرد عليه منها .

فالكلب يا كلب أسنى منك مكرمة ... لأن فيه حفاظاً دائما ووفا

قال المقريزى فلله در عمارة لقد قام بواجب الوفا ووفى بحسن الحفاظ كما هى عادته لا جرم أنه قتل فى واجب من يهوى كما هى عادة المحبين رحمه الله وتجاوز عنه .

وفاته ومؤلفاته

لا زال عمارة وفيا حتى وحبل المشنقة فى عنقه فإنه لما زالت دولة العبيديين التى كان يقال لها دولة المصريين على يد السلطان صلاح الدين الأيوبى لا زال يندبهم بأحر القصائد وأجمل الرثاء وكان ينشر ذلك بين الملأ مما كان يثير حفائظ أصحاب صلاح الدين ومن ذلك القصيدة المشهورة التى أولها .

رميت يادهر كف المجد بالشلل ... وجيده بعد حسن الحلى بالعطل

أجاد فيها كل الاجادة ومن ذلك قصيدة أخرى مستهلها :

لما رأيت عراص القصر خالية ... من الأنيس وما فى الربع سادات
أيقنت أنهم عن ربعهم رحلوا ... وخلفونى وفى قلبى حزازات
سألت أيله قلبى فى السلو وقد ... يقال للبله فى الدنيا إصابات

فقال رأى ضعيف لا يطاوعني		كيف السلو وأهل القصر قد ماتوا

يارب إن كان لى فى قربهم طمع		عجل بذلك فللتسويف آفات

ولم يقم بعد ذلك إلا قليلا حتى قتل ولم يكتف بالتحريض بالأشعار بل تجاوز إلى التآمر مع جماعة من المصريين لقلب نظام الحكم وإعادة دولة المصريين وكان القاضى الفاضل يذود عنه ويصد صلاح الدين عن آذيته فلما عرف الحقيقة كاملة وأحس بهم صـــلاح الدين طلبهم وقاررهم فلم ينكروا ولم يروه منكرا فشنقهم يوم السبت ثانى شهر رمضان سنة ٥٦٩ تسع وستين وخمسمائة .

قال العماد الكاتب : فقطع الطريق على عمر عمارة . وأعيض بخرابه عن العمارة ووقعت إتفاقات عجيبة منها أنه نسب إليه بيت من قصيدة له وهو .

قد كان أول هذا الدين من رجل		سعى إلى أن دعوه سيد الأمم

ويجوز أن يكون هذا البيت معمولا عليه فأفتى فقهاء مصر بقتله وحرضوا على المثلة بمثله :

قلت وهكذا علماء السوء يهدرون دماء الأبرياء بمجرد شبهة ليس لها مبرر إلا مجرد حسد وحقد وإلا تقربا إلى أسيادهم . ومنها أنه كان فى النوبة التى لا تقال عثرتها ولا يحترم الأديب فيها ولو أنه فى سماء النظم والنثر نثرتها ومنها أنه كان قد هجا أميرا فعد ذلك من كبائره وجرى عليه فى جرائره قال . والعجب من عمارة أنه تأبى فى ذلك المقام عن الانتماء إلى القوم وغطى القدر على بصره حتى أراه أن يتعصب لهم ويعيد دولتهم .

قلت هو الوفاء الذى هو شيمة عمارة الذى غلب على طباعه وكان له فى الأمر سعة إذ أجاز الله للمسلم الكفر فى حالة الاضطرار حفظا للنفس وصيانة للأرواح .

أما مؤلفاته فهى :

١ ـ ديوان شعره الذى قاله فى مصر وقد طبع فى القاهرة .

٢ ـ النكت العصرية فى الوزارات المصرية وقد طبع فى أوربا .

٣ ـ تاريخه « المفيد » هذا وقد طبع فى القاهرة وأوربا هذا ما وصلنا إليه العلم عن مؤلفاته قاله ابن خلكان وغيره .

٤ ـ إلا نموذج حكاه الجندى فى تاريخه .

هذه ترجمة عمارة ألمينا بها إلماماً غير مقصرين ولا مسهبين سائلا من الله التوفيق والهداية إلى الطريق السوى والصراط المستقيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أفضل محمود وأحق معبود ، وصلى الله على رسوله أطهر منسل وأكرم مرسل ، وعلى آله أعلام العلوم وأطواد الحلوم(١) ، وبعد فإني فى سنة ثلاث وستين وخمسمائة حضرت مجلس المولى القاضى الأجل الفاضل(٢) أبى على عبد الرحيم بن القاضى الأشرف بهاء الدين أبى المجد على البيسانى(٣) حرس الله علوه ، وأدام سموه ؛ وهو يومئذ صاحب ديوان الإنشاء عن الخلافة العاضدية(٤) ضاعف الله قدرتها

---

(١) فى (ط) زيادة وسلم .

(٢) فى الأصل (الأفضل وهو وهم لأن الأصول كلها كما اثبتناه ولأن لقبه هذا هو الشايع المشهور فيقال القاضى الفاضل .

(٣) ترجم له ابن خلكان ، ج ٢ ص ٣٢٣) وأطال الثناء عليه وقرظه العماد الكاتب فى خريدته واضفى عليه الوانا من المدح والثناء ويرتفع نسبه إلى قبيلة لخم اليمنية المشهورة الذين منهم ملوك الحيرة والعراق ولد بعسقلان من الشام فى جمادى الأخرى سنة تسع وعشرين وخمسمائة وانتقل إلى بيسان . بلدة بالشام حيث كان أبوه يشغل منصباً ذا أهمية ويزاول أعمالا جليلة ثم انتقل إلى مصر فترأس ديوان الإنشاء فى الخلافة العاضدية ثم وزر للسلطان صلاح الدين الأيوبى ثم لولده الملك العزيز وكان له شهرة عالمية وتوفى فجأة فى القاهرة ليلة الأربعاء من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة .

(٤) الخلافة العاضدية نسبة إلى العاضد واسمه أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن المعز بن المنصور القاسم بن المهدى عبيد الله العبيدى المؤسس لدولة العبيديين ، ولد العاضد =

وأعز نصرتها[1] فحدانى ، بل هدانى أمره إلى توضع كتاب أجمع فيه ما علق بحفظى من أخبار جزيرة اليمن[2] سهلا ووعرا[3] وبرا وبحرا ، ومدد ممالكها ، وأبعاد مسالكها ، وحروب أهلها ووقايعهم ومآثرهم

= فى المحرم سنة ست واربعين وخمسمائة وتوفى فى المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وهو اخر العبيديين تولى مصر وكان زوال دولتهم على يد السلطان صلاح الدين الأيوبى رحمه الله واختلف النساب والمؤرخون فى رفع نسب عبيد الله إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه فمريق ينفى ذلك وينسبهم إلى ميمون القداح الفارسى وهو أول من أظهر مذهب الباطنية بصورة التشيع ، ويستدل هذا الفريق على ذلك بادلة وفريق يرجح إعتزائهم الى على ابن أبى طالب ويدلى بحجته والله أعلم بصحة ذلك ، ولم يعدهم الذهبى من خلفاء الإسلام واتى بكلام سمين قوى وكذلك السيوطى فى كتابه تاريخ الخلفاء حيث قال فى ص٤) ولم أورد الخلفاء العبيديين لأن أمامتهم غير صحيحة لامور ثم ذكرها وسميت دولة العبيديين نسبة إلى أول قائم منهم وهو عبيد الله المهدى وتسمى الدولة الفاطمية ودولة العلويين ، وقد قامت بافريقية سنة ست وتسعين ومائتين وانقرضت سنة سبع وستين وخمسمائة وعددهم أربعة عشر خليفة ثلاثة بافريقية وهم عبيد الله المهدى والقائم محمد والمنصور إسماعيل واحدى عشر خليفة بمصر أولهم المعز . معد . الذى اختط قاهرة مصر وتسمى القاهرة المعزية وأمر بتشييد الجامع الأزهر على يد قائده ، « جوهر » الصقلى وأخرهم العاضد ، ومعناه القاطع فهو قاطع لدولتهم وبه انتهت . ومدة ملكهم سبعون ومائتا سنة منها بافريقية خمس وستون سنة وباقيها بمصر .

(١) هذه الجملة ساقطة من (ط) .

(٢) ليست اليمن بجزيرة وإنما هى شبه جزيرة اللهم إلا أن يكون من باب التغليب كما أطلقوا على الجزيرة العربية بأكملها .

(٣) فى (ط) سهلها ووعرها .

وصنايعهم ، وأخبار قضاتها ودعاتها ، وأخبار أعيانها وأمرائها ، ومن روى لى عنه[1] أو رأيته من شعرائها ، فامتثلت فى ذلك ما ندب إليه ، وعولت فى الصفح عند التصفح عليه ، وما هو ممن أستجيز اقاءه حياء وإجلالا[2] بميسور خاطرى ، ولو لم يشجعنى تغاضيه عاقنى محـــاذرته من خجله المتجاسر[3] .

حدثنى الشيخ الفقيه نزار بن عبد الملك المكى والفقيه أحمد بن محمد الأشعرى[4] وما منهما إلا عارف بأيام الناس وأنسابهم وأشعارهم .

وقرأت فى كتاب المفيد لأخبار زبيد[5] تاليف الملك المكين أبى الطامى جياش بن نجاح نصير الدين مالك زبيد[6] ، قالوا [7] : لما كان فى سنة تسع وتسعين ومائة أتى إلى المأمون [8] بقوم من ولد

---

(١) فى (ط) ومن روى له .

(٢) وفى (ط) وهو ممن استحى لقاءه .

(٣) وفى (ط) عاضنى محاذرتى من خجلى .

(٤) فى (د) أحمد بن ابراهيم الأشعرى وكذا فى (خ) مع زيادة القرتبى وأبو مضر نزار .

(٥) فى (خ) المفيد الكبير ، وفى (ط) مفيد باسقاط الألف واللام وهو وهم .

(٦) يأتى ذكره للمؤلف .

(٧) فى (ط) ما قالوا بزيادة (ما) قبل قالوا وهو وهم .

(٨) وفى (ط) زيادة بن الرشيد وفى (د) العباسى وفى (ض) زيادة عبد الله وفى (خ) زيادة أمير المؤمنين .

عبد الله بن زياد(١) ، فانتسب أحدهم وأسمه محمد بن فلان بن عبيد الله بن زياد بن معاوية ، وانتسب منهم رجل(٢) إلى سليمان بن هشام بن عبد الملك(٣) ، « ومن ولد هذا الرجل الوزير خلف بن أبي الطاهر وزير جياش بن نجاح » ، فقال المأمون لهذا الأموى : إن عبد الله بن على بن العباس(٤) ضرب عنق سليمان بن هشام وأعناق ولديه في يوم واحد ،

---

(١) وكذا في (ص) وفي (د) زيادة من بني أمية قد وشي بهم وفي (خ) زيادة (بن عبد شمس) .

(٢) كذا في (ص) وفي (د) فاستنسبهم فانتسب أحدهم إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ولعله الأصح وفي (خ) باسقاط بن أبي سفيان وفي (ص) وأسمه محمد بن فلان بن عبد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية بن حرب القرشي .

(٣) كذا في (ص) وفي (د) وآخر وحذف انتسب وفي (خ) وانتسب الآخر بالألف واللام وآخر إلى هشام بن عبد الملك وآخر إلى تغلب بن وائل وزعم أن أسمه محمد بن هارون فبكى المأمون وقال : وأنى لي بمحمد بن هارون يعني أخاه الامين وكان قد قتل في السنة التي قبلها وكذا في (خ) بزيادة انتسب اخر و كان الآمين قد قتل سنة ثمان وتسعين .

(٤) هو عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم العباسي عم السفاح والمنصور وهو أحد دعائم الدولة العباسية وأقطابها ومؤسسيها ومن تتبع أثار الأموية واستأصل شأفتهم وكان يلقب صاحب الشام دعاه إلى نفسه بعد موت السفاح فاجابه خلق كثير وبايعوه بالخلافة مع بعض أخوته وقوى أمره بالشام وجمع جموعا فخافه المنصور فندب له أبا مسلم الخراساني صاحب الدعوة بجيش كثيف فاقتتلو خمسة اشهر ثم انهزم عبد الله بن على واختفى عند أخيه سليمان بن على فاخذله الأمان من المنصور فأسلمه له فحبسه وبعد عشر سنين قتله بأن جعله في دار أساسها ملح ثم سلط ==

فقال الأموى : أنا من ولد الأصغر من ولد سليمان بن هشام[١] ، ومنا قوم بالبصرة فى أفناء الناس ، وانتسب له رجل إلى بنى تغلب واسمه محمد بن هارون ، فبكى المأمون وقال : وأنى لى بمحمد بن هارون ، يعنى أخاه الأمين ، ثم قال له[٢] : أما الأمويان فيقتلان ، وأما التغلبى فهى عنه رعاية لاسمه واسم أبيه ، فقال ابن زياد[٣] : ما أكذب الناس يا أمير المؤمنين لأنهم يزعمون[٤] أنك حليم كثير العفو ، متورع عن سفك الدماء بغير حق[٥] فإن كنت تقتلنا على ذنوبنا فإنا لم نخرج يدا عن الطاعة[٦] ، ولم نفارق فى بيعتك رأى الجماعة ، وإن كنت تقتلنا على جناية بنى أمية فيكم فالله يقول : « ولا تزر وازرة وزر أخرى »[٧]

= عليه الماء فذاب الملح وانهدم الدار ومات عبد الله سنة ١٤٧ سبع وأربعين ومائة .

(١) وفى الجندى كان جدى صغيرا لم يدرك .

(٢) كذا فى الاصل وفى (ط) بحذف له .

(٣) وفى (د) فقال المنتسب إلى يزيد بن معاوية وهو محمد بن زياد وفى (خ) فقال له .

(٤) كذا فى الاصل وفى (ط) زعموا بحذف لام التعليل أيضا .

(٥) كذا فى الاصل وفى (ص) عن طاعتك وفى (د) ما نزعنا عن طاعة .

(٦) ما بين القوسين غير موجود فى (د) ولا فى (خ) وفى (ص) باسقاط رأى الجماعة .

(٧) سورة فاطر (الآية ١٨) .

فاستحسن المأمون كلامه وعفا عنهم جميعاً . وكانوا أكثر من مائة رجل . ثم أضافهم إلى أبى العباس الفضل بن سهل ذى الرياستين ، وقيل إلى أخيه الحسن[1] .

---

(١) ذو الرياستين هو الفضل بن سهل السرخسى ، وسمى ذا الرياستين لأنه تقلد الرياسة والسيف وكان من أخبر الناس بعلم النجامة وأكثرهم إصابة وأخباره كثيرة وكان ممدحا وفيه يقول إبراهيم بن عباس الصولى .

لفضل بن سهل يد   تقاصر عنها المثل
فنائلهـا للغنى   وسطوتها للاجل
وباطنهـا للندى   وظاهرها للقبل

ومن كلامه وقد بل من مرضه وقد جلس للناس فدخلوا وهنوه بالسلامة . إن للعلل لنعماً لا ينبغى للعقلاء أن يجهلوها تمحيص للذنوب والتعرض لثواب الصبر والايقاظ من الغفلة والاذكار بالنعمة فى حال الصحة واستدعاء التوبة والحض على الصدقة ، مات فى الحمام بسرخس بلد بخراسان سنة ٢٠٢ اثنتين ومائتين عن ستين سنة .

وأخوه الحسن بن سهل توزر للمأمون وحظى عنده حتى تزوج بابنته بوران التى يقول الشاعر فى ذلك .

بارك الله للحسن   ولبوران فى الختن
يا ابن هارون قد ظفـرت ولكن ببنت من

وانفق فى زفافها أموالا جليلة وكان الحسن عالى الهمة كثير العطا مدحه شاعر بقوله .

تقول حليلتى لما رأتنى   أشد مطيق من بعد رحل
ابعد الفضل ترتحل المطايا   فقلت نعم إلى الحسن بن سهل =

فلما بويع لإبراهيم بن المهدى[1] ببغداد فى المحرم سنة إثنين ومائتين

= فاجزل عطيته ، وخرج مع المأمون يوما يشيعه فلما عزم على فراقه قال له المأمون . يا أبا محمد ألك حاجة قال نعم تحفظ على من قلبك مالا استطيع حفظه إلا بك . ومن كلامه وقد شكره رجل على كتاب شفاعة يا هذا علام تشكرنا إنا نرى الشفاعة زكاة مروتنا وقال : إنه بلغنى أن الرجل يسأل عن فضل جاهه يوم القيامه كما يسأل عن فضل ماله مات سنة ٢٣٦ ست وثلاثين ومائتين بسرخس (الوفيات ج ج ٣ ص ٢٠٩ و ج ١ ص ٣٩٠) .

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن المهدى بن المنصور عبد الله العباسى أخو هارون الرشيد . كان غزير الأدب وافر الفضل واسع النفس سخى الكف له اليد الطولى فى الغناء والضرب بالملاهى وحسن المنادمة وكان ضخم الجثة أسود اللون لأن أمه كانت جارية سوداء تسمى (شكلة) بويع بالخلافه فى بغداد ولقب بالمبارك وذلك بعد قتل الأمين لخوف بنى العباس وأهل العراق من خروج الأمر إلى العلويين بعد أن بلغهم أن المأمون جعل ولاية العهد لعلى بن موسى الرضى وأمر بخلع السواد شعار العباسيين وإلزامهم لباس الخضرة ثم تغير رأى المأمون عن ذلك لأسباب مذكورة فى التواريخ وانقلب من خراسان إلى العراق فدخل بغداد لأربع عشر بقيت من صفر سنة ٢٠٤ أربع ومائتين فاختفى عنه إبراهيم وجرت له قضايا يطول ذكرها ثم أعلن المأمون العفو عنه فظهر ودخل على المأمون فقال هيه يابراهيم فقال : يا أمير المؤمنين ولى الثار يحكم بالقصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناوله الزمان واستولى عليه الاغترار مد له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو كما جعل كل ذى ذنب دونى فإن تعاقب فبحقك وأن تعف فبفضلك قال : بل العفو يا إبراهيم فكبر ثم قال له : أنت الخليفة الأسود فقال يا أمير المؤمنين الذى مننت عليه بالعفو وقد قال عبد بنى الحسحاس .

=

وافق ذلك ورود كتاب عامل اليمن بخروج الأشاعر وغلك.

أشعار عبد بنى الحسحاس قمن له	عند الفخار مقام الأصل والورق
إن كنت عبدا فنفسى حرة كرما	أو أسود الخلق فإنى أبيض الخلق

فقال ياعم أخرجك الهزل إلى الجد وأنشد يقول :

ليس يزرى السواد بالرجل الشهم	ولا بالفتى الأديب الأريب
أن يكن للسواد فيك نصيب	فبياض الأخلاق منك نصيبى

وكان ولادته غرة القعدة سنة ١٦٢ اثنين وستين ومائة ووفاته لتسع خلون من شهر رمضان سنة ٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين (الوفيات ج ١ ص ١٩). مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩ .

ومن لطائف إبراهيم ما حكى عن نفسه قال : كنت أنا والرشيد على حراقة : السفينة فيها مرامى نيران يرمى بها العدو) وهو يريد الموصل والشطرنج بين أيدينا فلما فرغنا قال الرشيد يا إبراهيم ما أحسن الأسماء قلت اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فما الثانى بعده قلت اسم هارون قال هارون فما أشام الأسماء قال إبراهيم قال ويلك أنه اسم خليل الله قال . أليس القى فى النار قال له فإبراهيم بن النبى صللم قال أليس إنه مات صغيرا ثم قال ، وازيدك يا أمير المؤمنين أن إبراهيم الإمام قتله مروان بن محمد وإبراهيم بن الوليد خلع ثم قتل ثم اتفق أن إبراهيم هذا بويع ثم خلع ، معلومات ، وممن حضرنى عند تحرير هذه اللطيفة إبراهيم بن الأشتر النخعى وكان اشجع عربى وأوفاهم قتل مع مصعب بن الزبير سنة ٧١ه وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن أبى طالب قتل فى المعركة التى وقعت بينه وبين المنصور سنة ١٤٥ وإبراهيم بن موسى العلوى الملقب بالجزار قتل بخراسان وأمير اليمن أبى يعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر الحوالى الذى قتل أباه وعمه سنة ٢٧٠ سبعين ومائتين قتل سنة ٢٧٩ تسع وسبعين ومائتين وإبراهيم =

في تهامة(١) عن الطاعة فأتى ابن سهل على هذا محمد بن زياد وعلى المرواني والتغلبي عند المأمون وأنهم من أعيان الرجال وأفراد الكفاة

= ابن خلف بن طرف الكباري الحاشدي أحد فرسان اليمن في عصره قتل في سنة ٢٩٢ وإبراهيم بن علي العكي صاحب المهجم قتله علي بن الفضل سنة ٢٩٢ والخليفة إبراهيم المتقي بن المقتدر العباسي خلع وسملت عيناه سنة ٣٢٢ والأمير إبراهيم بن محمد الصليحي قتل مع أخيه الملك علي بن محمد الصليحي في المهجم سنة ٤٥٩ وإبراهيم بن قرواش أحد ملوك بني عقيل بالموصل حبس ثم قتل سنة ٤٨٦ وإبراهيم بن حمزة أخو الإمام عبد الله بن حمزة قتل في سنة ستمائة والإمام الهادي إبراهيم بن تاج الدين قبض عليه الملك المظفر الرسولي الغساني بقرية أفق قرب مدينة ذمار سنة ٦٧٤ وحبسه بتعز إلى أن مات سنة ٦٧٣ والسلطان إبراهيم بن السلطان أحمد أحد ملوك آل عثمان حبس ثم قتل سنة ١٠٥٨ وابراهيم المحطوري الساحر المشعوذ قتل سنة ١١١ هـ إحدى عشرة ومائة وألف والأمير سيف الحق إبراهيم بن الإمام يحيى حميد الدين زعيم الأحرار وحامل مشعل الحرية قبض عليه أخوه الطاغية أحمد ونفاه إلى سجن حجه ثم قتله بالسم سنة ١٣٦٧ وهذا من عجائب الإتفاق .

(١) الأشاعر قبيلة يمنية قوية الشوكة والشكيمة مرهوبة الجانب معروفة إلى هذه الغاية ومنازلها ما بين سيف البحر غربا إلى حزاز الجبال شرقا وفيما بين شمير (مقبنه) جنوبا إلى بيت الفقيه شمالا ومن مدنهم زبيد وحيس وبيت الفقيه ومن موانيهم غلافقة والخوخة وقبائلهم الجاهر والركب والزرانيق والمعازبة والقراشية والأشاعر من أول السابقين إلى الإسلام وفيهم النفر الكرام أبو موسى الأشعري الصحابي الجليل ورفاقه الذي جاء فيهم الحديث الشريف (جاءكم أهل اليمن أرق أفئدة والين قلوبا الإيمان والحكمة يمانية) وفيهم نزلت قوله تعالى : ولا على الذين إذا ما أتوك الخ — سورة التوبة . نسبو إلى الأشعر واسمه نبت بن أدد بن زيد بن عمرو ابن زيد بن كهلان بن سباء ولقب بالأشعر لأنه ولد أشعر الجسم .

=

واشكر بتسييرهم إلى اليمن ابن زياد أميرا . وابن هشام وزيرا ، والتغلبي حاكماً ومفتياً . فمن ولد التغلبي محمد بن هارون قضاة زبيد بنو أبي عقامة ، ولم يزل الحكم فيهم متوارثاً حتى أزالهم ابن مهدى حين أزال دولة الحبشة . فخرجوا فى الجيش الذى جهزه المأمون إلى بغداد لمحاربة ابراهيم بن المهدى وحج ابن زياد ومن معه فى سنة ثلاث ومائتين وسار إلى اليمن ففتح تهامة بعد حروب[1] جرت بينه وبين العرب بها[2] ، واختط زبيد[3] فى شعبان سنة ٢٠٤ ﻫ أربع ومائتين .

---

١ = وعك بفتح العين وتشديد الكاف قبيلة مشهورة نسبت إلى عك ابن عدثان بالمثلثة بن عبد الله بن الازد بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ومن بطونهم عك ذوال وفشال ولعسان والامية وهى ارامية والقحرية والواعظات وصليل وغافق التى منها عبد الرحمن الغافقى أمير الأندلس وصاحب الفتوحات التى طال منها على الأرض الكبيرة (فرنسا) وقبيلة عك من اشتركت فى فتح مصر ومساكنها ما بين البحر غربا إلى الجبال شرقا ومن مدنهم قديما المهجم والكدرا وحديثا المراوعة وباجل والزيدية والزهرة واللحية ومن موانيهم الحديدة . وتهامة بكسر التاء هى السهوب الممتدة على ساحل البحر الأحمر سميت بذلك لحرارتها وركود الريح فيها .

(١) وفى (د) و (خ) حروب شديدة .

(٢) وفى (ط) باسقاطها

(٣) وفى (ص) مدينة زبيد وكذا بعض نسخ (خ) وزبيد مشهورة بوادى زبيد قبل الإسلام وبعده كما جاء فى خبر سطيح الكاهن وفى حديث الأشعريين حين قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فسألهم من أين جئتم قالوا : من زبيد قال بارك الله فى زبيد (راجع تعليقنا على قرة العيون) وفى الجندى وكان من وصايا المأمون لابن زياد ، أن أمره بأحداث مدينة =

وفى هذا التاريخ مات الفقيه الشافعى محمد بن إدريس بمصر رحمه الله تعالى[1].
وحج من اليمن جعفر مولا ابن زياد[2] بمال وهدايا فى سنة خمس، ووصل إلى العراق فصادف المأمون بها[3]، وعاد هذا جعفر[4] فى سنة ست إلى زبيد ومعه ألفا فارس فيها من مسودة خراسان سبعمائة[5]. فعظم أمر ابن زياد

= باليمن فى بلاد الاشاعر بوادى زبيد». وإنما اشتهرت بابن زياد لاتخاذها حاضرة ملكه ومقر عزه وتمصيرها وليس هو المختط لها (الجزء الأول من الاكليل ص ٢٧٤) والجزء الثانى.

(١) الأمام الشافعى أشهر من أن يوصف فهو صاحب المذهب المشهور الذى اعتنى فيه العلماء قديما وحديثا والفوا المؤلفات فى حياته وسيرته وأخباره ولد بغزة المعروفة بالشام سنة ١٥٠ خمسين ومائة وقيل باليمن ودخلها للاخذ عن حافظها أمام الحديث عبد الرزاق بن همام الصنعانى وفى خلال أقامته أتهم أنه يعمل للعلويين ويدعو إليهم لوشاجة رحم بينهم فاعتقل وحمل إلى بغداد وأوقف بين يدى هارون الرشيد لحاجه ثم أطلق سراحه ثم دخل مصر وبها توفى سنة ٢٠٤ أربع ومائتين وقبره بالقرافة مشهور مزور وقد زرته سنة ١٣٨٣ ثلاث وثمانين وثلاثمائة وألف فى مسجده المعروف بمسجد الشافعى وهو غاية فى الزخرفة والأناقة، وفى (د) رضى الله عنه.

(٢) فى (خ) وأوصل ما عنده من الأموال والهدايا والتحف والألطاف فسر المأمون بذلك وسيره إلى اليمن وكذا فى (د) مع تصرف يسير.

(٣) كل الأصول بحذف هذا.

(٤) كذا فى الأصل الفا فارس بلفظ التثنية وكذا فى (ص) وفى سائر الأصول ألف بلفظ المفرد وفى (د) صحبته بدل معه.

(٥) خراسان بضم أوله ومعناه مطلع الشمس، والعرب إذا ذكرت الشرق قالوا فارس، وتقع غربيه وفتحت سنة ٢٢ اثنين وعشرين فى أيام عمر ابن الخطاب على يد الاحنف بن قيس وتقاسمها اليوم حكومة إيران =

وملك إقليم اليمن بأسره الجبال والتهائم[1] .

= واشتهرت منها (نيسابور) وحكومة أفغانستان واشتهر منها (هرات وبلخ) وحكومة الاتحاد السوفيتى واشتهر منها (مرو) حشد أبو مسلم الخراسانى ودعاة العباسيين فيها الجيوش التى قضت على الخلافة الأموية ، وانجبت عالما من العلماء والنبلاء والقادة والمحدثين والنساك وجل رجال الدولة منها .

وقد زرت إيران وبعض خراسان فى شهر ربيع الآخر سنة ١٣٩٤ ﻫ الموافق سنة ١٩٧٤ م ودونت مشاهدتى فى مذكراتى السياسية .

(١) هذا أول وهم تسرب إلى ذهن عمارة رحمه الله وذلك أن اليمن كان وحدة كاملة سياسيا وطبيعيا وقسموه فى العصر الإسلامى إداريا إلى ثلاثة مخاليف مخلاف الجند وهو أعظمها ويضم مخلاف السحول وهو مخلاف جعفر وتهامة بما فيها عدن ولحج وابين ويافع السرو والثانى مخلاف صنعاء وهو المخلاف الأوسط. ويضم بيحان وسرو مذحج ويحصب ووصاب وذمار ومغارب صنعاء وإلى نجران وعسير من الشمال وثالثها مخلاف حضرموت ، وكان اليمن على رأس المائتين سنة من الهجرية بعد قتل الأمين بن الرشيد تتنازعه قوتان قوة العلويين الذين انتفضوا لمحاولة إرجاع الخلافة إليهم لانتشار الحبل على المأمون وبطلها فى اليمن إبراهيم الجزار وقوة ولاة العباسيين وتمثلهم الولاة ولما طرد الجزار بمحض إرادة اليمنيين وحطمت شوكة العلويين وثبتت أقدام العباسيين وفى خلال هذه الفترة تجزأت اليمن فانسلخت مقاطعة تهامة لابن زياد وضم إليه ما أمكن من الجبال وبقى مخلاف صنعاء والجند محتفظا بنفسه لولاة العباسيين المرسلين من بغداد كما تحكى ذلك تواريخ اليمن وأما حضرموت فلم يتكلم عنها المؤرخون الذين تواريخهم تحت أيدينا فى هذه الفترة (انظر الجزء لأول من الاكليل صفحة ٢٢) وتعليقنا على قرة العيون .

وتقلد هذا جعفر[1] الجبال واختط بها مدينة يقال لها المذيخرة[2] ذات أنهار ورياض واسعة الجبال[3] ، والبلاد التى كانت لجعفر تسمى إلى اليوم مخلاف جعفر[4] ، والمخلاف عند أهل اليمن عبارة عن قطر واسع[5] .

---

(١) وفى (ط) وتقلد جعفر هذا .

(٢) فى (ط) زيادة بمخلاف ريمه الأشاعر والمذيخرة بضم الميم وقد تكسر وسكون المثناه من تحت وكسر الخاء المعجمة ثم راء مفتوحة وهاء لاتزال تحمل هــذا الاسم إلى عهدنا هذا (انظر الجزء الثانى من الاكليل وصفة جزيرة العرب والديبع ، وكون المختط للمذيخرة هو جعفر مولى ابن زياد من أوهام عمارة أذهى قديمة الاختطاط ، فهى مقر المناخيين ملوك الكلاع من حمير فى الجاهلية والإسلام قال الهمدانى : الجعافر ملوك الكلاع فى الإسلام منهم جعفر بن إبراهيم الملك بمذيخرة قراب خمسين سنة وأبوه إبراهيم ثلاثين سنة وقال ابن خرداذبه فى المسالك والممالك ص ١٤٠) ومخلاف المناخيين وفيه المذيخرة قلعة حصينه يسكنها ال ذى مناخ وفيها ملوك ، بن أبى جعفر ، وابن خر داذبه عاش إلى الثلاثمائة هجرية وقال الجندى وبعد ما ساق كلام عمارة هذا . وهذا غير مسلم لأن الذى اختط مدينة المذيخرة جعفر بن إبراهيم بن ذى المثلة المناخى .

(٣) وفى (ط) وأشجار بدل رياض والمذيخرة لا شك أنها روضة غناء وجنة فيحاء فياحة بالأزهار والرياحين .

(٤) هـذا أيضا من أوهام عمارة فالمخلاف المذكور لم يتسم بمخلاف جعفر مولى بن رياد وإنما تسمي باسم جعفر بن إبراهيم بن ذى المثلة قال الجندى : وإلى السلطان جعفر ينسب مخلاف جعفر لا إلى أحد غيره .

(٥) المخلاف باليمن كالرستاق والكورة والمحافظة فى الأقطار الأخرى أو هو دون ذلك .

هذا جعفر أحـد الكفاة الدهاة وبه تمت دولة ابن زياد لأنهم يقولون ابن زياد بجعفره (١) ، وهو الذى اشترط على عرب تهامة أن لا يركبوا الخيل ، وملك ابن زياد حضر موت وديار كندة والشحر (٢) ومرباطا (٣) وأبين ولحجا وعدن والتهائم (٤) إلى

---

(١) كذا فى جميع الأصول وفى (ط) وجعفره وهو وهم .

(٢) حضرموت هـو الجزاء الأصغر من اليمن الكبير سميت باسم حضر موت بن سبأ فغلب عليها اسم ساكنها (انظر الجزء الاول من الاكليل ص ٧٣ ، والجزاء الثانى ، ومعالم الجزيره وتاريخ البكرى اليافعى ، وصفة جزير العرب ، وديار كندة هى فى نفس حضر موت (راجع الجزاء الاول من الاكليل ص ٦٦) والجزاء الثانى ١٦ وقرة العيون وصفة جزيرة العرب .

(٣) الشحر بكسرا وله وسكون ثانية هو ميناء حضر موت ويعتبر لواء من حضرموت يمتد على طول الساحل من حدود جبل دمخ شرقا إلى وادى المعينه غربا ومن قراه تبالة وريدة ومن قبائله الشعين والحموم من حمير والصدف من كندة ثم من كهلان ومن منتوجاته اللبان فيقال لبان شحرى ، ومرباط كمحراب فرضة مدينة ظفار الحبوضى بينهما مقدار خمسة فراسخ وهى مدينة مفردة بين حضر موت وعمان على ساحل البحر الهندى وبها ينبت شجر اللبان واهلها عرب يمانون وفيهم عروبة وصلاح مع شراسة اخلاق معجم :

(٤) ابين بفتح الهمزة وسكون ثانية مخلاف فى اقصى جنوب اليمن نسب إلى ابين بن ذى يقدم وهو احد ... ب اليمن المشهور بالخصب والريف وقد نشطت فية زراعة القطن والخضروات ودر على اهله بالخير وقبائله من ذى اصبح الحيريين ومن ذى رعين وكندة ومذحج ومن مدنه جعار وكثيب يرامس فى شرقية ونسب اليه الشاعر المجيد أبو بكر العندى الابينى الآتى ذكره فى الوزرا والشعر اولحج مخلاف واسع واحد ميازيب اليمن الشهيره وهو مايصالى =

حلى (١) . وبين حلى ومكه حرسها الله ثمانية أيام . وملك من الجبال الجند (٢) وأعماله ومخلاف المعافر (٣) ومخلاف جعفر وصنعاء وصعدة

= مخلاف ابين محاددله من الغرب وقبائله الاصابح (الصبيحة) من حمير ومدينته (الحوطة) وسلاطينه العبادل من يافع (انظر الجزء الثانى من الا كليل وصفه جزيرة العرب باخراجنا وهدية الزمن » وقد دخلت المخلافين غير مرة

(١) حلى يفتح الحاء المهمله وسكون اللام واخره يامثناة من تحت مدينة على شط البحر الاحمر فى منتهى حدود اليمن الطبيعى من تهامة ويقال لها (حلى بن يعقوب) نسبت لمتديرها فى زمن مضى ولازالت عامرة حتى كتابة هذا وهى مشمولة الان بنفوذ المملكة السعودية .

(٢) الجند بفتح الجيم والنون يطلق على نفس المخلاف وعلى المدينة نسب إلى الجند بن شهر بطن من المعافر وكانت احدامهات مدن اليمن النجدية واحد اسواق العرب المشهورة فى الجاهلية والاسلام وأول مدينة باليمن أسس فيها مسجد على التقوى فيه يذكر اسم الله فى الاسلام على يد الصحابى العظيم معاذ بن جبل الانصارى وقد ذكرتها العرب قال الراجز .

كلفنى حبى اغناء الولد   والخوف أن يفتقروا إلى احد
تنقلا من بلد إلى بلد   يوما بصنعاء ويوما بالجند

وقد نبغ منها عالم من العلماء والنبلاء والاشراف والعباد منهم ابو قرة موسى بن طارق الجندى صاحب المسند وطاووس بن كيسان الجندى التابعى الجليل والمؤرخ الجندى وبينها وبين صنعاء سبع مراحل جنوبا وبالسيارات اربع ساعات وهى اليوم بليدة منشعثة ولم يبق من عمرانها غير جامعها الأثرى ومنارته السامقة كأنهما اية الماضى المشرق .

(٣) المعافر بفتح اوله نسب إلى المعافرين يعفر وقد اختلف النساب لحمير ترجعه إلى حمير ونساب كهلان ترده إلى كهلان وهو صقع عظيم مبارك مدرار الخيرات يقع فى جنوب وغرب تعز ويدخل فيه جبل ذخر (جبل =

ونجران وبيحان (١) وواصل بن زياد الخطبة لبنى العباس ، وحمل الأموال والهدايا السنية (هو وأولاده من بعده وهم ابراهيم بن محمد هذا الذى (٢) هو أولهم ثم ملك بعدة) (ابنه) (٣) زياد بن ابراهيم فلم تطل

حبشى) وبعض من صبر وكانت عاصمته (جبا) والدملوة وخرج منه من جملة العلم وارباب الاقلام والكتاب جملة مستكثرة تضمنتهم كتب التواريخ ومن المعاصرين المجاهد الكبير والوطنى الغيور والحر الابى الشيخ عبد الله الحكيمى المعافرى رحمه الله ولما قامت حركه الاحرار مطالبة بالاصلاح كان اهل المعافر اول من ساهم مساهمة فعالة وكان لهم نصيب وافر فى النضال والكفاح حتى قال فيهم الفليسوف الشيخ حسن بن محمد الدعيس انهم حازوا فى الجهات فى المائة وسائر الأحرار واحد فى المائة وبيت حميد الدين الباقى لانهم كانوا عونا على انفسهم لتماديهم فى باطلهم ومن المعافر ال نعمان المجاهدين منهم الشهيد عبد الوهاب بن نعمان والمعافر هو مايسمى اليوم بالحجرية

(١) انظر الجزء الأول من الاكليل ص (٣) ، و ٢٢) وصفة جزيرة العرب والجزاء الثانى من الاكليل فى الكلام على هذه الأماكن .

(٢) مابين القوسين من (ط) وهذه الجملة من اغلاط النساخ والصحيح مافى (خ) و (ن) و (د) و (ص) وهو أن بعد قوله والهدايا السنية مايلى ولم يزل مالكا لليمن باسره إلى أن توفى سنة ٢٣٥ خمس واربعين ومائتين فى التاريخ المذكور فلما توفى محمد بن زياد فى التاريخ المذكور قام بالامر بعده ابراهيم بن محمد بن زياد فقام بالامر أتم قيام ولم يزل مالكا لليمن باسره سائرا سيرة ابيه إلى ان توفى وكانت وفاته سنة ٢٨٩ تسع وثمانين ومائتين فلما توفى ابراهيم بن محمد بن زياد فى التاريخ المذكور قام بعده زياد بن ابراهيم بن محمد بن زياد . فا هنا غلط.

(٣) هذه الزيادة من «ط» وفى «د» و «خ» ولده وقد نقلنا نصوص المورخين قريبا فعليها المعتمد .

مدته (١) ثم ملك بعد زياد بن ابراهيم (٢) أخوه (٣) أبو الجيش إسحق ابن ابراهيم (٤) وطالت مدته فلما أسن وبلغ الثمانين (٥) فى الملك تشعث عليه من دولته بعضها فمن أظهر له بعض مايكره (٦) ملك صنعاء وهو

---

(١) وفى « د » زيادة فلم تتحقق تاريخ وفاته وفى « خ » ولم أقف على تاريخ وفاته .

(٢) وفى (د) وقام بالأمر بعده . وفى « خ » فلما توفى قام إلخ .

(٣) لفظ أخوه ساقط « من ط »

(٤) وفى « خ » أسحق بن ابراهيم بن محمد بن زياد وهو الملقب بأبى الجيش وكذا فى « د » وهو المكنى أبو الجيش .

(٥) وفى « د » فطالت مدته فى الملك نحو ثمانين سنة وكذا فى « ح » مع شىء من التصرف .

(٦) وفى « د » فتشعبت عليه أطراف البلاد وتغلب عليه كثير ممن كان تحت يده وكذا فى « د » مع بعض التصرف .

(يلوح لنا ان حلقة أو فترة قد سقطت على عمارة فالتواريخ المعاصرة لهذه الفترة تشير ان المعاصر لاسعد بن يعفر الحوالى هو ابراهيم ابن زياد بدون رفع نسبه لا أبو الجيش كما يقول عمارة فالمورخ المسعودى الذى زار اليمن يحدثنا فى مروج الذهب ج ؛ ص١٩٨) يقول فمنها وادى نخلة وهى ما بين الجند وبلاد زبيد التى أميرها فى هذا الوقت سنة ٣٣٢ اثنين ثلاثين وثلاثمائة ابراهيم بن زياد صاحب الحرملى . والحرملى هو قائد ابراهيم بن زياد كما تحدثنا سيرة الهادى ومولفها معاصر أيضاً أن ابن الفضل صار إلى واقر . جبل بين الكدرا وزبيد يحارب ابراهيم بن محمد بن على فانهزم عنه إلى بلد حكم كان ذلك فى جمادى الآخره سنة ٢٩٣ ثلاث وتسعين ومائتين وقال فى حوادث سنة ٣٠٧ سبع وثلاثمائة أن الناصر كره حرب الحرملى لئلا يقع عند السلطان أنه يحارب قائده كما يحدثنا ابن حماد المعافرى وهو من أعيان

= القرن الخامس الهجرى فى كتابة سرائر الباطنية ص ٢١٦) أنه لما قضى الأمير أسعد على القرامطة)فى المذيخرة سنة ٣٠٤ أربع وثلاثمائة جرت المكاتبة بين الأمير الحوالى والأمير إبراهيم بن زياد والناصر أحمد بن يحى صاحب صعدة) وقال فى س ٢١٨) أن ابراهيم بن عبد الحميد صاحب مسور رجع عن مذهب القرامطة وكاتب الأمير أبا الحسن (بالسين المهملة بعد الحاء المهملة) إبراهيم بن زياد وبذل له السمع والطاعة والدخول فى الخدمة وكان ذلك حوالى سنة ٣٠٣ ثلاث وثلثمائة وتبعه فى هذا (د) و (خ) إلا أنهم أكتفوا باسم إبراهيم بن زياد فأنت ترى من هذه النصوص والوثائق المعاصرة لهذه الحقبه أنه لم يكن لشخصيه أبى الجيش - بالجيم والياء المثناه من تحت والشين المعجمة - وجود وأنها شخصية خيالية ، وأنا أعتقد أن النساخ صحفوا أبا الحسن إلى أبى الجيش لتقارب الحروف وتشابهها وإن كان سيبقى الأشكال بان أسمه أسحق لا إبراهيم ، ولا شك أن مدة إبراهيم قد طالت وامتد نفوذه ولكن لا كما يصوره لنا عمارة من التوسع والمبالغة بل كان محصوراً على تهامه فقط بدليل أن الأمير أسعد لما حاصر المذيخرة فى سنة ٣٠٣ كان إبراهيم بن زياد من جملة من وفد إلى جبل التومان معينا لاسعد بالمادة والرجال واملِ الأيام تجود لنا بتاريخ مستقل يتناول أيام أسعد ومعاصريه إذ المؤرخون يعولون على عمارة وعمارة أملا ذلك من حفظه والمرء يعتريه الخطاء والنسيان ثم تيسر لنا كتاب نظن أنه من تاريخ صنعاء لابن جرير الصنعانى يقول فيه :

وولى إبراهيم بن زياد سنة ثلاث عشرة وثلثمائة وتوفى ليلة الخميس لاربع عشر يوما ماضية من شهر ربيع الآخر سنة ٣٤٣ .

وخطب للامير ابى الجيش وبوايع له يوم الجمعه لست عشر يوماً من ربيع الآخر من هذه السنة وتوفى الأمير ابو الجيش مع صلاة الصبح يوم الجمعة لخمس وعشرين يوماً ماضية من ذى الحجة من سنة ٣٦٢ هـ وفى هذا اليوم بويع

من أولاد التبابعة من حمير واسمه أسعد بن[1] (أبى) يعفر[2] ولكنه كان

لأخيه على بن إبراهيم بن زياد. ووصل الكظائم — موضع لآل زياد فيه غيل وقصر — يوم الإثنين ضحى النهار آخر يوم من ذى الحجة سنة ٣٩١ ودخل زبيد آخر يوم الأربعاء لإثنين وعشرين يوما ماضيه من المحرم وهى سنة ثلاث وستين وثلثمائة وقتل قائده ميسرة يوم الإثنين لخمسة أيام ماضية من ذى الحجة وهى سنة ٤٣٦.

ويؤيد ما نظنه من تاريخ ابن جرير والصنعانى ما جا فى الذخائر والتحف للقاضى الرشيد الفقرة - ٢٥٤ ص ١٩٤ ان أسحاق بن زياد صاحب اليمن أهدى إلى عز الدين أبى منصور (وهو بويه بن ركن الدولة) فى سنة تسع وخمسين وثلثمائة هدية. ثم ذكر الهدية وأنواعها.

قال أبو عبد الرحمن الحوالى: إسحاق بن زياد هو أبو الجيش أو أبو الحسن وإنه موجود فى سنة ٣٥٩ لأنه لم تمت ألا سنة ٣٦٢، فما فى عمارة تخليط فارجع إلى تاريخنا (اليمن فى عهود استقلاله وملوك الطوائف) فقد حققنا كل المواضيع عن مصادر موثوق بها.

(١) هذه الزيادة من (ط) وهو كذلك فى أجزاء الأكليل وزاد فى (د) الحوالى وفى (خ) أبى يعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر بن عبد الرحمن الحوالى (انظر الحواليين وبعض أخبارهم فى الجزاء الأول والثانى — ١٧٧ من (الأكليل) وتعليق قرة العيون.

(٢) قال أبو محمد الحسن بن أحمد الهدانى فى الجزء الثانى من (الاكليل ص ١٨٤ فى تقريظ أسعد) (هو أبو حسان ملك عصرنا رذهب على من قبله بالصوت وهو الذى أجتث عرقاة القرامطة وهو فارس حمير فى عصره والقائل إذا تم لى مقدم الحصان فيا كل مؤخره الذئب وجوادها ومهيبها وإذا غضب غضب وإذا رضى رضى ولا يعدله على قومه وأخباره تكثر، واد الامير أسعد حوالى النصف الاول من القرن الثالث الهجرى وتسلم أريكة الحكم بعد ابن عم أبيه =

يخطب لابى الجيش بن زياد وتضرب الدراهم على إسمـــه ولم يكن

= عبد القهار بن أحمد بن يعفر الحوالى الذى قتلته القرامطة وكان اليمن تتدافع به الفتن كالموج المتلاطم فقد ظهرت القرامطة وجاشت من جنوب اليمن وبطلها على بن الفضل ومن مغارب صنعاء يقودها منصور بن حسن القرمطى وظهر الهادى يحى بن الحسين من صعدة وكانت هذه الخرجات بمثابة طعنات نجلا فى صميم اليمن مزقت وحدته شر ممزق عبر عنها أبن سمرة فى طبقاته ص (٧٥) بقوله ثم لحق اليمن كله فى آخر المائه الثالثه فتنتان عظيمتان فتنه القرامطة وفتنه الهادى يحى بن الحسين الذى دعا إلى التشيع . كما كانت فتن داخليه فقد خرج على الامير أسعد قواد أبيه وجده ومواليهم كال الكبارى وبنى الروية وغيرهم وصار اليمن نهبا مقسما ولم يبق بجانب أسعد غير عثمان بن أحمد الحوالى ابن عم أبيه الذى قاسم أسعد حلو العيش ومره وغير قائم سيفه فحاربا هذه القوى حتى أتيا عليهما وتغلب فيما بعد أسعد منفرداً على كل الصعوبات وذال كل العقبات وكان يقفز من نصر إلى نصر وأخر انتصاراته هو القضاء على القرامطة فى وكرهم بالمذيخرة وغيرها سنه ٣٠٤ أربع وثلاثمائه واستتب له الامر وساد اليمن السعادة والرخاء من هذا التاريخ إلى أن توفى لثمان خلون من رمضان من سنه اثنتين وثلاثين وثلثمائه بمقر عزه ، وتخت مملكته ، كحلان خبان ثم نقل جثمانه إلى شاهرة ضلع حيث قبر فى بستانه الموقوف منه على جامع صنعاء وكان ملكه فيما بين غولة عجيب من حاشد شمالا إلى أقصى عدن جنوبا وعلى ما اكتنف عليه غائط مارب وبيحان شرقا إلى الجبال المطله على تهامه غربا.

وتاريخ الامير أسعد حافل بالبطولات والمغامرات والمجازفة بالنفس بحيث كان يرمى بنفسه على الموت غير هياب ولا وجل ناهيك أنه نجى من الموت عدة مرات ووقع فى قبضة أعدائه وتخلص منهم ظافراً بحيث اتصف عصره بعصر الازدهار والاستقرار وكان من السماح والجود وشمم النفس وبذل المعروف فى سبيل الخير وصلة المحاويج ولسناء الجوائز للعفاة =

ينفذ إلى أبى الجيش هدية ولا ميرة ولا ضريبة ، وكان أرتفاع أموال

والوافدين والشعراء مع عفاف ودين وتقوى وساس الرعية سياسة رشيدة ووصاياه وخطاباته ورسائله تنبيك عن ذلك .

وأول من أسس هذه الدولة الامير يعفر بن عبد الرحمن بن كريب الحوالى فحارب قواد العباسيين وولاتهم وفل حدهم حتى اعترف به رسمياً وصدرت المراسيم والعهود بذلك واستقر استقلالا داخلياً وهذه الدولة أحد دول الإسلام التى انفصلت عن بغداد ولم يبق للخلافة العباسية غير النواميس الظاهرة كالدعاء لهم بالخطبة وضرب السكة باسمهم والاعتزاز بهم والاعتزاء إليهم وكان ظهور الأمير يعفر) سنة ٢١٣ ثلاث عشر ومائتين ثم قام بعده ولداه محمد وأحمد فلكا ما بين طلحة الملك قرب جرش) شمالا إلى عدن جنوبا ومن حضر موت فى الشرق الجنوبى إلى حلى بن يعقوب فى الغرب والشمال ثم تنازل محمد بن يعفر عن الملك لولده أبى يعفر كما أعتزل أخوه أحمد عن الأمارة ثم سولت لابراهيم نفسه فقتل أباه وعمه بشبام سنة ٢٧٠ سبعين ومائتين فانتقضت البلاد وخرج عليه أهل الأطراف ولم يهنأ بالعيش ولم يتمتع بالملك وقتل سنة ٢٧٩ تسع وسبعين ومائتين ثم قام بالأمر عبد القهار بن أحمد الذى قتلته القرامطة الآنف الذكر ثم قام بالأمر الأمير أسعد ولا زالت لهم ومضات فى التاريخ تلمع حينا وتختفى حيناً آخر محتفظين بإمارة إلى القرن التاسع حيث اختفت عن مسرح التاريخ بتاتاً ولهم بقية إلى عهدنا هذا ،وتسمى هذه الدولة دولة الحواليين باسم جدهم القبيل ذى حوال والدولة اليعفرية باسم مؤسسها يعفر بن عبد الرحمن الحوالى .

كما اتسمت هذه الدولة بأنها دولة علم وعرفان ازدهرت فيها جنان المعارف وأينعت فيها ثمار العلوم فانجبت فى أيامها مفخرة اليمن الهمدانى ، وقاضى صنعاء المحدث الكبير يحى بن عبد الله بن كليب الحميرى وغيرهما كما كانت معمرة بناء تعبدت الطرقات فى جميع مملكتها خاصة طريق الحاج على نجد العليا إلى

هذا أسعد بن أبى[1] يعفر لاتزيد على أربعمائة ألف دينار[2] فى السنة يصرف معظمها فى سبيل المروءة لوافديه وقاصديه فأما صاحب بيحان ونجران وجرش[3] فهم أيضاً تحت طاعة ابن زياد ، وأما صعدة فتاربها

= مكة وبلت المؤسسات الخيرية كالمناهل والسقايات لا فى صنعاء وحدها بل وعلى طريق الحاج وسائر المدن والقرى وشيدت المساجد الفخمة العجيبة الفن والمتقنة الصنع كجامع صنعاء الأثرى الذى يحتفظ بطابعه المعمارى إلى اليوم .

قال الوصابى : مبلغ ما أنفق فى عمارة مسجد صنعاء خمسة وعشرون ألف خزانة فى كل خزانة أربعة عشر ألف مثقال يعفرى الجملة ثلثمائة ألف وخمسون ألفا والدينار اليعفرى يومئذ ثلاثة دنانير ملكية وقد بنى فى السنة التى بنى فيها أحمد بن طولون جامعه فى مصر سنة ٢٦٦ سنة ست وستين ومائتين ومن عجائب الاتفاق أن محمد بن يعفر بانى جامع صنعاء مات فى السنة التى مات فيها أحمد بن طولون سنة سبعين ومائتين . ولهم جامع شبام وهو روعة فى الفن وغيرها وأوقفوا على الجميع أوقافا جسيمة لازالت تدر بالخير إلى يوم الناس هذا .

(١) سبق أن المعاصر للأمير أسعد هو الأمير إبراهيم بن زياد لا أبى الجيش ولم يخضع أسعد لابن زياد يوما ما بل كانت بينهما المصافاة والالتئام والأخوة والوئام حتى أنه عقد بينهما وبين الناصر أحمد معاهدة صداقة وحسن جوار وقد أثبت نص الوثيقة فى غير هذا الكتاب .

(٢) هذه الزيادة من ما سبق .

(٣) أى إيراده السنوى (انظر الكلام على جرش فى الجزء الأول من الاكليل ص ١٢٧) (وصفة جزيرة العرب) وفى بلاد عسير . ولم يملك زياد هذه المخاليف راجع تاريخنا « اليمن فى عهود استقلاله » .

الشريف الحسني المعروف بالرسي ثم الزيدي[١] ومما يليق ذكره في هذا الموضع أنه ليس لجميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر مرافق وأهلا من صنعاء[٢] وهو بلد في خط الاستواء وهو من الاعتدال في الهواء بحيث لايتحول الإنسان من مكان واحد طوال عمره شتاء ولاصيفاً وتقارب بها ساعات الشتاء والصيف وبها بناء عظيم قد خرب فهو تل عال يعرف بغمدان[٣] ولم تبن ملوك اليمن قصراً مثله ولا أرفع منه .

وفي ملك أسعد ابن أبي[٤] يعفر صاحب صنعاء جبل المذيخرة[٥] بلغني أن أعلاه نحو عشرين فرسخا[٦] فيها المزارع والمياه وفيه ينبت

---

(١) وفي (خ) و (د) وثار بصعدة الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي (أنظر نسبه وترجمته في الجزء الأول من الأكليل ص ٢٥٠ ولم يثر الهادي وإنما أستدعي من آل فطيمة الخولانيين لأن معنى الثائر هو من لايبقى على شيء حتى يدرك ثاره ولا ثار له عند اليمنيين إلا الحقد على العباسيين بني عمومته ولم يجد أرضا خصبة لبذر دعوته وشن الانتقام عليهم والأخذ بالثار غير اليمن ولم يتمكن من ذلك .

(٢) في هذه العبارات قلق وفي (ط) ولا أكثر مرافقاً وفي بقية الأصول غير موجود .

(٣) غمدان كعثمان انظر الكلام على صنعاء وصعدة وغمدان في الجزء الثاني من الأكليل والثامن منه .

(٤) هذه الزيادة مما ذكرنا سابقاً .

(٥) هذا من أوهام عمارة فبينما يذكران اليمن باسره ملك ابن زياد إذا يناقض نفسه بنفسه ويرجع إلى ما حققناه من أن نفوذ ابن زياد كان محدوداً في تهامة فإذا جاوز ذلك فالى بعض الجبال الموطئة أكنافها إلى تهامة .

(٦) هذه المسافة مبالغ فيها ولا اصل لهذه الفراسخ فالمسافة من وادي =

الروس وهو فى معنى الزعفران(١) ولا يسلك إلا عن طريق واحد(٢)
وقد كان على بن الفضل (٣) الداعى المعروف بشيخ لاعه وهذه لاعه

= عنة فى بطن ذى الكلاع « العدين » إلى اعلا المذيخرة لايتجاوز ثلاثه ساعات وأعلا المذيخرة لايتجاوز أيضاً ميلا فى ميل اللهم إلا أن تكون هذه المسافة من زبيد .

(١) الورس شجرة معروفة ولا يزال ينبت فى جبال المذيخرة ومخلاف جعفر إلى عهدنا هذا إلا أنه قد قل ازدراعه قال بعض اليمانيين وقد سئل ما تزرع أرضكم فقال أما الجبال فعنب وبر وورس وأما الوديان فذرة وفوا كه .

(٢) وهذه أيضاً من غلطات عمارة فللمذيخرة مسالك متعددة ، ولكن طريقها الرئيسيه والتى للاثقال والاحمال هى من عنة .

(٣) وكان فى الأصلى محمد والتصحيح من الأصول وكما صحح أيضاً فى (ط) ولا نحمل تبعة هذه الغلطة عمارة فلعلها من النساخ فمثل على بن الفضل لا يجهل وقوله شيخ لاعة هذا من ذاك فعلى بن الفضل ما عرف لاعة ولا ظهرت دعوته منها ولا فى الحقبة التى ذكرها عمارة ولم يعرفها إلا عند ما نزل تهامة لمحاربة ابن زياد وللمرة الأخيرة لما حارب صاحبه منصور بن حسن القرمطى .

وعلى بن الفضل يكنى أبا الفتح على بن الفضل بن يعلى الخنفرى الحميرى من ولد خنفر بن سيار بن زرعة بن معاوية بن حمير بن سباء الاصغر ولد فى حدود الربع الأول من القرن الثالث أو فى النصف منه بمدينة (جيشان) من ذى رعين ثم من العود وقد خربت منذ زمان بعيد وكان بها كما وصفها (الهمدانى) علماء وفقهاء وتجار إبرار (فشب وترعرع فيها واستقى معارفه عن علمائها وكان التشيع قد غزاها من طرق شتى بما فيها عدن بوجه خاص فاعتنق مذهب الأمامية ثم انتقل إلى مدينة الجند فأخذ أيضاً عن علمائها وتعرف إلى ذوى الشأن فيها ثم ارتحل إلى ثغر عدن حيث أفرخت

. . . .

= الدعـــوة الباطنية هناك وباضت بواسطة التجار الفارسيين الذين يبثون مبادئهم ذات المغزى السياسى فاتصل بهم وقويت علاقته معهم وأحبوه وأمدوه بالمال ليكسب أصدقاء على شاكلته ولا زال ينتقل بين هذه الثلاث المدن ينشر مبادئه ويجذب إليه البسطاء ويغريهم بالمال ويمنيهم بالجاه والشرف والمرء بطبيعة الحال إذا اعتنق مبدأ أو سلك مذهباً يجب أن يستكثر من الاشياع والأنصار ليكاثر بهم ويكونوا له قوة ومنعة وكيلا يجزره الناس بالسخط والانتقام ولا ينظرون إليه بعين الاحتقار والاستهزاء فيزداد بغضاً ومقتا ومحاربة فالمرء كثير باخيه على أى شاكلة كان .

وكان على بن الفضل ذكيا فطنا شجاعا نجيباً شهما أهلته هذه الصفات أن يرتكب الصعاب ويبلغ مبالغ الملوك ذوى الهمم الكبار ثم عن له الحج لبيت الله الحرام فالتقى بحاج العراق فتحدث معهم وتعرف إليهم ووجد بغيته فيهم فدعوه لزيارة قبر الحسين بن على بن أبى طالب وخرج مع قافلة العراق فاناخ بالكوفة ونزل منزل بعض رفقائه واعتكف على زيارة القبر الشريف يتحنث ويمرغ وجهه بتربة الحسين ويبكى وينحب على ما وقع فيه من الحدث المؤلم وكان خادم الضريح رجل يدعى ميمون القداح وهو يحمل هذه الأفكار والمبادىء بل أنه صاحب هذا المبدأ ورأسه فطمع فيه ورأى أن قد ظفر بأمله وأنشودته فافضى إليه بمعلومات تقبلها ابن الفضل بفارغ قلبه وفى الوقت نفسه وفد منصور بن حوشب القرمطى إلى الكوفة أو كان على ميعاد مع ميمون لجمعه مع على بن الفضل وأخذ منهما المواثيق والعهود على بث هذه الدعوة ووضع لهما الخطط ورتب لهما الأمور ورسم سياسته ومدهما بالمال وتحف العراق وأقلعا من ميناء البصرة فوصلا إلى غلافقة ميناء زبيد الآتى ذكرها وذلك سنة ٢٦٨ ثمان وستين ومائتين فاتجه ابن الفضل نحو الجند ومكث أياما يمهد ذكرياته ويجرى اتصالات

إلى جانبها قرية لطيفة يقال لها عدن لاعه(١) وليست عدن ابين الساحليه

= بمعاريفه ثم نزل (جيشان) وطنه وأجرى اتصالات أيضا مع رؤساء القبائل منهم يافع السرو فقد كانوا ينزلون جيشان ويتسوقونها فتوثقت بينهم الصداقة فتحملوا نصرته وتزعموا دعوته والقيام معه وهم رعاع ليس همهم غير الطمع والسلب والنهب فانزلوه قلعة لهم تسمى (قلعة صناع) وأظهر النسك والعبادة والتقشف وخدع العامة وهو فى الوقت نفسه يرسم الخطط ويحيك المؤامرات حتى أنس من نفسه القوة بالعدة والعتاد فانقض على سلطان لحج الأمير محمد بن أبى العلا الحيرى فانتصر عليه بعد معارك دامية قتل فيها محمد بن أبى العلا واستصفى أمواله ومملكته ثم لازال يعلو شأنه وينقض على منافسيه فقتل ابن المغلس سلطان الدملوة والجوة وقتل ابن الكرندى ملك المعافر وافتض المذيخرة وأزال منها ملكها جعفر بن إبراهيم المناخى ثم قتله بوادى نخلة سنة ٢٩٢ وهكذا توالت انتصاراته حتى فتح صنعاء سنة ٢٩٣ والتقى بصاحبه منصور بن حسن القرمطى بشبام وصنعا ثم نزل تهامة وملكها ثم عاد إلى المذيخرة واتخذها دار ملكه ولازال يعاود صنعاء مرات ثلاث وجرت له وقائع وأحداث يطول ذكرها وحيكت حوله دعايات ووصموه بأبشع الأعمال ورموه بالموبقات واخلاله بالشريعة المحمدية وخروجه عن القانون السماوى والمنطق والعقلى والغيرة الإنسانية والشهامة العربية اليعربية مما يحتاج كل ذلك إلى تمحيص وتحليل ووزن تلك الأقاويل بميزان العقل والسبر والتقسيم وبالتجرد للحقيقة وللحقيقة وحدها فحسب وكانت وفاته سنة ٣٠٣ ثلاث وثلاثمائة واختلف كيف كان موته .(أنظر قرة العيون ص ..)

(١) وفى (طه) ولاعة هذه إلى جانبها قرية لطيفة) وعدن لاعة هى اليوم خرائب أطلال وكانت شبه مدينة وسوق عظيم يوفى إليه من أصقاع نائية كما كان أهله يتسوقون إلى ثغر عدن لجلب التجارة وعقاقير =

وأنا دخلت هذه عدن لاعة وهى أول موضع ظهرت فيه الدعوة العلوية باليمن ومنها منصور اليمن[٢].

= الهند وغير ذلك وكان لهم اتصالات وثيقة بتجار عدن . ، ولاعة مقاطعة من بلاد حجة تشكل ناحية تحمل هذا الإسم إلى هذه الغاية واشتهرت بالخصب ومنتوجات البن وتقع عن صنعا فى الغرب الشمالى بمسافة ثلاثة أيام .

(٢) هو أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفى ثم القرمطى وقد يقال له النجار واشتهر بمنصور اليمن وأولاده أولاد النجار ويزعم أنه من ولد عقيل بن أبى طالب وهو أحد أقطاب الدعوة الإسماعيلية بل محورها الذى يعتبر نقطة اتصال بين دعاتها وأول من نشر مذهبهم باليمن بصورة علنية وبقوة السلاح وكان من أهل العلم والدهاء وقوة الشكيمة وإظهار العبادة والنسك والمكر والخداع ما خوله أن يتربع كرسى الحكم ، فارق على بن الفضل من غلافقة بصفة تاجر يحمل معه السلع والتحف والمغريات متجها نحو لاعة لانفاق تجارته الظاهرة والباطنة وفى لاعة خلية من خلايا دعاتهم الذين سبقوا بخبر قدوم منصور إليهم داعية للمهدى فنزل على قوم من الشيعه يعرفون ببنى موسى ولازال يعرض أشيائه للبيع متحفظا أشد التحفظ عن كشف إسراره لأن هذه الفرقة من أشدالفرق على كتمان الأسرار والاحتفاظ بمبادئهم حتى إلى عصرنا هذا وفى الوقت نفسه يتلمس الطريق والنفوس القابلة لبذر مذهبه فكاشفه بعض بنى موسى موجها له هذا السؤال : فيم جئت فقال للتجارة فقال له لا وإنما أنت رسول المهدى وقد بلغنا خبرك ونحن أخوانك فاظهر أمرك ودعوتك فاظهر أمر المهدى له ذلك وقوى عزائمهم وأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح وأخبرهم أن هذا أوان ظهور المهدى ومن عندكم يظهر واتصلت أخباره بالشيعة الذين

ومنها على بن الفضل الداعى[1] وممن وصل إليها من دعاة الدولة أبو عبد الله الشيعى صاحب الدعوة العلوية بالمغرب[2] وفيها قرأ

= بالعراق وغيره فساروا إليه فكثر جمعه وعظم بأسه وارتقت به الأحوال إلى أن سلب مملكة بنى حوال الغربية بلاد حجة والشرف ثم أخذ مسور وهو أعلا معقل باليمن واستقر برأسه وجعله مقر إمارته وحصنه ثم ملك شبام حمير ولازال أمره قاهرا إلى أن توفى ليلة السبت لأحد عشر خلت من جمادى الآخره سنة ٣٠٢ اثنتين وثلاثمائة وفى رواية أنه دخل من غلافقة إلى عدن واتصل ببنى موسى هنالك (انظر قرة العيون ص) .

(١) كان فى الأصل (محمد) والتصحيح مما تقدم كما أنه قد سبق تفنيد هذه المقالة وبينا بلد ابن الفضل ومولده ونسبه .

(٢) هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعى الصنعانى أحد دهاة العالم الذين يضرب بهم المثل فى الدهاء والسياسة والرياسة والقائم بدعوة عبيد الله بالغرب فإنه دخل أفريقية وحيداً بلا مال ولا رجال ولم يزل يسمى إلى أن ملكها وهرب منها واليها الذى من قبل العباسيين وهو أبو مضر زيادة الله آخر ملوك بنى الاغلب منه إلى بلاد المشرق .

ولد أبو عبد الله بمدينة صنعا من أسرة فارسية من الابناء الذين وفدوا مع الملك سيف بن ذى يزن وتربى بها وأخذ معارفه من علمائها ولما شاع ذكر منصور القرمطى باليمن رحل إليه لانه على نحلته فقربه وأنعم عليه لما وجد فيه من العلم والفهم والدهاء صار من كبار أصحابه وأعظم خلصائه فلما جاء الخبر من المهدى يخبر منصوراً أن الحلوانى وأبا سفيان اللذين كانا دعاة فى المغرب قد فارقا الحياة ويأمره أن يبعث إلى افريقية من يرتضيه من صحبه فدعى بأبى عبد الله هذا وقال له إن أرض كتامة قد حرثها الحلوانى وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك فإنها موطئة ممهدة وأعطاه ما لا وسير معه عبد الله بن أبى الملاحف وأخوه أبو العباس أحمد بن الحسين فخرج=

على ابن محمد الصليحى صبياً[1] وهى دار دعوة باليمن فكان هـذا على ابن الفضل الداعى[2] غلب على جبـل المذيخرة وخطب فيه للدعـوة العلوية سنة ٢٩٤م أربع وتسعين ومائتين[3] ثم استرجعه منه أصحاب أسعد بن (أبى[4]) يعفر ثم عاد إلى أصحاب الداعى على بن الفضل ثانية أيضا[5] .

=أبو عبد الله ومن معه إلى مكة ومنها إلى افريقية فوصلها سنة ٢٨٠ ثمانين ومائتين فقام بالمهمة واستولى على افريقية ولما مهد القواعد للمهدى ووطد له البلاد وأقبل المهدى من المشرق وعجز عن الوصول إلى أبى عبد الله توجه (سلجماسة) فأحس به صاحبها وهو اليسع آخر ملوك بنى مدرار فاعتقله فسار إليه أبو عبد الله وأخرجه من الاعتقال وفوض إليه أمر المملكة فلامه أخوه أحمد وكان أكبر منه وندمه ووبخه وقال له تكن أنت صاحب البلاد والمستقل بأمورها وتسلمها إلى غيرك وتبقى من جملة الأتباع فندم أبو عبد الله وأضمر الغدر بالمهدى فشعر بذلك المهدى فدس من قتلهما فى ساعة واحدة وكان ذلك فى جمادى الآخره سنة ٢٩٨ ثمان وتسعين ومائتين معلومات والوفيات ج ا ص ٤٤٢ .

(١) فى (ط) فى صباه والذى فى التواريخ أن قرأة على بن محمد الصليحى فى ضلع شبام ولا يبعد أنه كان يتردد إلى لاعة مقر الدعوة الباطنية لأنها كانت مصدر إشعاع لهذا المذهب وأنه بقى فى لاعة دعاة مستورون .

(٢) كان فى الأصل (محمد) والتصحيح مما ذكرنا .

(٣) كان فى الأصل (أربعين وثلثمائة) والتصحيح من الجندى وغيره .

(٤) هذه الزيادة مما سلف ذكره .

(٥) لم تعد المذيخرة إلى أصحاب على بن الفضل بعد أن أخرجهم أسعد سنة ٣٠٤هـ وولى عليها إسماعيل إبراهيم المناخى وفى سيره الهادى أنه ولى عليها إسماعيل بن العباس الحابى إبراهيم وإسماعيل العباس المحانى وهو الاصح بل ظلت تحت نفوذ الملك أسعد حتى قضى نحبه سنة ٣٢٢ فهذا من أوهام عمارة .

وفى ملك هذا أسعد بن أبى يعفر صاحب صنعاء جبل شبام وهو منيع جداً وفيه قرى ومزارع وجامع كبير وهو عمل مستقل بنفسه ويرتفع منه العقيق والجزع وهى حجارة مغشاة فإذا عملت ظهر جوهرها(١) وممن امتنع من عمـــال أبى الجيش بن زياد سليمان بن طرف(٢) صاحب عثر(٣) وهو من ملوك تهامة وعمله مسيرة سبعة أيام فى عرض يومين ،

---

(١) جبل شبام هو ما كان يسمى جبل ذخار الذى فيه حصن كوكبان الشهير وفى سفحه مدينة شبام من جهة الشرق وهى بكسر الشين المعجمة وفتح الموحدة آخره ميم ولا زالت عامرة آهلة بالسكان ويقال لها شبام حمير وشبام اقيان وهى من ممالك اليمن ومقر عز الحواليين وبيت ذخرهم وذخيرتهم وبها جامع الحواليين آية فى الفن . والعقيق والجزع معروفان فالعقيق أحمر قانى أنواع أيضاً والجزع فيه عروق سودا وبيضاء وحمراء وكان يعمل منه المباخر الأنيقة ونصب السكاكين ومقابض السيوف وفصوص الخواتم وعقود فى النحور واليوم قد قلت منه هذه الأشياء وكادت تختفى وقد عاد حظه اليوم لانفتاح اليمن .

(٢) سليمان بن طرف هو الحكمى من حكم بن سعد العشيرة ابن مذحج ثم من آل عبد الجد المشهورين بزعامة المخلاف المذكور من عند ظهور الإسلام ومنهم عبد الجد الوافد على رسول الله الذى أفرشه رداءه ، وسليمان بن طرف هذا سمى به المخلاف السليمانى ولازال يحمل هذا الاسم إلى هذه الغاية كما لازال لآل طرف رياسة وإمارة إلى القرن السادس .

(٣) عثر بفتح العين المهملة وتشديد المثلثة وتخفيفها كذا ضبطه أبو محمد الحسن بن أحمد الهمدانى وهو مخلاف عظيم وثغر جليل وساحل جليل وقال البشاري فى أحسن التقاسيم وناحية عثر ناحية جليلة عليها سلطان برأسها وعثر مدينة طيبة مذكورة لأنها قصبة الناحية وفرضة صنعاء وصعدة بها سوق حسن وجامع عامر يحمل إليها الماء من بعد) . وهى اليوم اطلال .

وهو من الشرجة(١) إلى حلى ومبلغ ارتفاعه فى السنة خمسمائة ألف دينار عثرية وكان مع امتناعه عن الوصول إلى ابن زياد يخطب له ويضرب له السكة على أسمه ويحمل إليه مبلغا من المال فى كل سنة وهدايا لا أعلم مبلغها :

ويتلو(٢) ابن طرف من ملوك تهامه فى الخطبة والسكة لابن زياد وحمل إتاوة(٣) مستقرة ، الحرامى صاحب حلى(٤) وهو دون ابن طرف فى المكنة(٥) وأما الذى سلم لابن زياد من اليمن حين طعن فى السن فله من الشرجة إلى عـــدن طولا عشرون مرحلة وله من غلافقة(٦) إلى صنعاء عرضا خمس مراحل ورأيت مبلغ ارتفاع أعمال ابن زياد بعد تقاصرها فى سنة ست وستين وثلاثمائة من الدنانير ألف ألف عثرية

---

(١) الشرجة ضبطها ياقوت بفتح الشين المعجمة وسكون ثانية ثم جيم وهاء ووهم ابن بطوطة أو الناسخ فضبطها بالسين المهملة وباقى الحروف كالأول قال: بلدة صغيرة تسكنها جماعة من أولاد الهبى من تجار اليمن ثم أثنا عليهم ثنا جميلا وكانت فرضة مخلاف حكم . وهى اليوم لا أسم ولا رسم .

(٢) فى (ط) ويتلو لابن طرف وهو وهم .

(٣) وفى (ط) وعمل إتاوة وهو أيضاً وهم والإتاوة الجباية .

(٤) الحرامى نسبة إلى بنى حرام بطن من كنانة لأنهم الذين يسكنون ذلك الصقع .

(٥) أى القوة والشدة .

(٦) غلافقة بالضم ساحل زبيد وهى ما تسمى اليوم غليفقة وفيها أرست السفينة التى أقلت على ابن الفضل ومنصور القرمطى واوردها ، الهمدانى ، كما تحدث عنها البشارى فقال : غلافقة فرضة زبيد بها جامع على البحر رأيتهم يفضلونه ويرابطون فيه عامرة أهلة بها نخل ونار جيل وآبارها حلوة إلا أنها وبية قائلة للخرباء . وهى اليوم بليدة صغيرة بها نخل كثير وشجر المقل ويصاد منها الأسماك وتقلع منها السفن الشراعية ووكر للتهريب .

خارجا عن ضرائبه[1] على مراكب الهند من الأعواد المختلفة والمسك والكافور والصندل والسنبل[2] والكمى[3] والصينى وخارجاً عن ضرائب العنبر على السواحل بباب المندب[4] وعدن وابين والشحر وغير ذلك وخارجاً عن ضرائبه على معادن اللؤلؤ وعن ضرائبه على صاحب جزيرة دهلك[5] ومن بعضها ألف رأس منها رقيق خمسمائة وصيفة[6] ومنها خمسمائة وصيف حبشة ونوبة[7] وكانت ملوك الحبشة من ورا البحر تهاديه وتستدعى مواصلته ومات أبو الجيش هذا سنة إحدى وتسعين وثلاث مائة عن طفل[8] إسمه عبد الله وقيل إبراهيم وقيل زياد

---

(١) وفى (د) زيادة دينار وفى (خ) أربعمائة ألف دينار عثرية وفى (ط) عن ضرائب .

(٢) وفى (خ) زيادة وما أشبه ذلك وفى (ط) زيادة والعنبر بعد الكافور وحذف السنبل .

(٣) غير موجودة هذه الكلمة فى الأصول كلها ولا أدرى ما هى .

(٤) باب المندب هو مضيق أشبه بمضيق السويس ويحمل هذا الاسم إلى هذه الغاية وهو على مرحلة من بندر المخا جنوبا وقبائله من بنى مجيد من حمير وفى ساحله يظهر العنبر بأنواعه بكثرة .

(٥) دهلك بفتح أوله وهى عدة من جزر البحر الأحمر وممالك اليمن وكانت منفى فى عهد الدولة الأموية ، واليوم تابعة لملك الحبشة وتقع قبالة زبيد .

(٦) زيادة من الأصول .

(٧) كذا فى الأصول وفى (ط) حبشية ونوبية وفى (خ) من النوبة والحبش .

(٨) كذا فى الخزرجى وفى (د) واحد وسبعين وثلاثمائة وكذا فى (ط) عن الجندى وفى تاريخ لعله لابن جرير الصنعانى إن وفاة أبى الجيش مع صلاة

وتولت كفالته أخته بنت أبى الجيش وعبد لأبى الجيش أستاذ حبشى يدعى رشيداً وكان من عبيد رشيد هذا وصيف من أولاد النوبة[١] يدعى حسين بن سلامة وهى أمه وبها كان يعرف ونشأ هذا حسين حازماً عفيفاً فلما مات مولاه رشيد وزر لولد أبى الجيش ولأخته هند بنت أبى الجيش وكانت دولتهم قد تضعضعت أطرافها وتغلبت ولاة

الصبح يوم الجمعة لخمس وعشرين ماضية من ذى الحجة من سنة ٣٦٢ أثنتين وستين وثلثمائة وهذا موئد لما فى التاريخ المجهول مؤرخه حيث قال وبويع لأخيه على بن إبراهيم بن زياد .

ووصل الشريف ابن الهادى مادة لقيس بن الضحاك من قبل على بن إبراهيم بن زياد بمال عونا له على محاربة الأمام يوسف الداعى وذلك سنة ثمان وستين وثلاثمائة فاين وفاة أبى الجيش من هذا فتاريخ بنى زياد يحتاج إلى تمحيص ورجوع إلى تواريخ غير تاريخ عمارة وهى لا تزال مع الأسف مختفية أو ذهبت بجنابة الدهر .

(١) فى (خ) فتولت كفالته أخته بنت أبى الجيش أسمها هند وعبد لابى الجيش حبشى أسمه رشيد فلم تطل مدته أعنى رشيدا وهلك عن قريب وكان له مولد من موالى النوبة أسمه حسين ابن سلامه وهى أمه وكذا فى (و) مع اختلاف يسير وكذا فى (ص) وفى اللالى المضيئة شرح البسامة للعلامة الشرفى أنه لما أراد السفر من اليمن أبو الحسن أحمد بن موسى الطبرى هبط تهامة يريد الاستعانة على سفره بنائل سلطان تهامة وهو يومئذ الحسين بن سلامة مولى لبعض آل زياد وهو المظفر ابن على ابن إبراهيم بن محمد بن زياد وكذا فى مطلع البدور لابن أبى الرجال . فانت ترى اين هذا الكلام من كلام عمارة وأن ليس لابى الجيش ولا لاولاده ذكر وأن أبا الجيش مصحف عن أبى الحسن .

الحصون والجبال على ما فى أيديهم منها فأقام القائد حسين بن سلامة يحارب أهـــل الجبال حتى دانوا[1] ودان ابن طرف وابن الحرامى[2] واستوسقت له[3] مملكة ابن زياد الأولى واختط مدينة الكدرا عـــلى وادى سهام[4] واختط مدينـــة المعقر عـــلى وادى

---

(١) هذا يحتمل فى الجبال المطلة على تهامة أما نجد اليمن فى عصر حسين ابن سلامة فإن السلطة فيه كانت موزعة بين قوى متحاربة متناحرة وفوضى ضاربة اطنابها وكل حزب بما لديهم فرحون وأقطاعات تنفتت لها القلوب حتى عم الخراب والدمار للبلاد وصارت صنعاء كالخرقة الحمراء تسفها الحدا على حد تعبير بعض المؤرخين وتناقص بنيانها من مائة ألف بيت إلى ألف بيت وهذه الفئات المتنافرة هم بنو الضحاك الحاشديين وبنو مروان ، وال الحواليين ملوك شبام وكحلان وال أبى الفتوح الخولانيين . والزيدى صاحب ذمار وقبيلة جنب من ذمار ويوسف الداعى وقاسم العيانى وأولاده وبنو المنتاب الحميريين أصحاب مسور وغيرهم فلم يخضع حسين بن سلامه هذه القوى بل أستغل هذه الخلافات والانقسامات لصالح نفسه وبلاده تهامة واستخدم المادة لضربهم فيما بينهم فمن طلب منه مالا أعطاه ليضرب خصمه فاتسعت شقة الخلاف (انظر قرة العيون) .

(٢) وفى (ط) الحرامى باسقاط أبن

(٣) وفى (ط) استوسعت وزاد فى (د) ولم يبق مدينة ولا حصن فى اليمن إلا استتناب فيه من يرضاه حتى عادت مملكة ابن زياد .

(٤) الكدرا قديمة الاختطاط لا كما توهم عمارة فقد ذكرها الهمدانى فى كتابة (صفة جزيرة العرب) فى المدن التهامية ولعل حسين بن سلامة جددها وأكثر من عمرانها وهى اليوم أطلال وخرائب وتقع قرب المراوعة فى =

ذوال(١) وكان عادلا على الرعايا كثير الصدقات والصلات(٢) ف، الله تعالى مقتديا بسيرة عمر بن عبد العزيز(٣) فى أكثر أحواله وعمر فى الملك ثلاثين سنة ومات سنة ٤٠٢ اثنين وأربعمائه(٤) .

= الشرق الجنوبى من ثغر الحديدة وسهام ميزاب من ميازيب تهامة (انظر صفة جزيرة العرب) والجزء الثانى من الأكليل .

(١) مدينة المعقر قديمة الاختطاط أيضاً ذكرها الهمدانى فى كتابه المذكور كما جاء ذكرها فى الفتوحات ونسب إليها أحمد بن جعفر المعقرى أحد شيوخ مسلم بن الحجاج وضبطها ياقوت بضم الميم وسكون العين وكسر القاف (معجم ص ٨) وهى اليوم خراب يباب وتقع قرب زبيد وذوال بضم أوله واد من أودية زبيد لازال يحمل هذا الاسم إلى ذا الحين وقدوهم فى (ط) فجعله بالزى ولعل ذلك من هفوات المطبعة .

(٢) الصلات بكسر الصاد المهملة العطايا وما احسن قول الحسين ابن عبد الرحمن البصرى فى ابن المدبر من قصيدة له فيها ظرف وفكاهة .

فيأمر لى بكسر الصاد منها   لعلى أن تنشطنى الصلات

(٣) هو أبو حفص الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز بن مروان ابن الحكم الأموى خامس الخلفاء الراشدين ولد بحلوان قرية بمصر وابوه أمير عليها سنة إحدى وستين هجرية وامه أم عاصم بنت عاصم ابن عمر ابن الخطاب وكان يلقب بالاشج لأن دابة ضربته فى جبهته وهو غلام ولى الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين فملأ الأرض عدلا ومات لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة وله حينئذ تسع وثلاثون سنة وستة أشهر ومدة حكمه سنتان وكسر .

(٤) وفى تاريخ ابن الأثير ج ٨ - ١٤ ، إن وفاة الحسين بن سلامة سنه ثمان وعشرين واربعمائة وفى ثغرعدن لأبى مخرمة ص بعد أن ساق كلام ابن =

ومن محاسن حسين بن سلامة أنه أنشاء الجوا مع الكبار والمنارات الطوال من حضرموت إلى مكة حرسها الله وطول المسافة التى بنى فيها ستون يوما وحفر الآبار الرويه والقلب العادية [١] فى المفاوز المنقطعة[٢] وبنى الأميال والفراسخ والبرد على الطرقات فمن ذلك ما رأيته عامرا ومنتهدما[٣] ومنها ما رواه الناس رواية إجماع فأوله شبام وتريم مدينتا حضرموت[٤] اتصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن[٥] والمسافة عشرون مرحله فى كل مرحلة جامع ومأذنة وبئر

= ابن الأثير المذكور ، أنه رأى مكتوبا فى مسجد الاشاعر فى الطاق الذى هو قبال وجه المصلين أعلا المحراب وصورة ذلك بعد البسملة والآية الشريفة .

أمر بعمله الحسين بن سلامة امله الله من عفوه ويريد من الله جزيل الثواب فى شهر ربيع الأول سنه خمس وعشرين واربعمائة ، ثم حاول بامخرمة أن يلفق بين كلام عمارة وبين ماهو مسجل فى قبلة مسجد الأشاعر بمالاطائل تحته

ثم وقفت على ما اظنه تاريخ صنعاء لابن جرير أن وفاة ، الحسين بن سلامة فى النصف من شهر صفر سنة ست وعشرين واربعمائة قال أبو عبد الرحمن الحوالى : الذى أراه أن مافى التاريخ المظنون أنه تاريخ صنعاء هو الاصح لأنه معاصر لهذه الفترة .

وقد حققنا الموضوع فى تاريخنا ([illegible])

(١) القلب بضمتين جمع قليب وهى الآبار العادية القديمة .

(٢) وفى (ط) المفاوز

(٣) كذا فى الأصل وفى (ط) مهدما

(٤) انظر صفة جزيرة العرب والجزء الثانى من الاكليل وتاريخ حضرموت لليافعى .

(٥) وفى (ط) زيادة وابين ولحج

فأما عدن ففيها جامع من عمارة عمر بن عبد العزيز[١] وجدده حسين ابن سلامة ثم تفترق[٢] الطريق من عدن إلى مكة فطريق تصعد الجبال وطريق تسلك فى تهامة فأما طريق الجبال[٣] فرأيت فيها جامع الجؤة[٤] وهو كبير رأيته عامر ابعمارة حسين بن سلامة ورأيت منها جامع الجند[٥] وهو جامع مثل جامع أحمد بن طولون بمصر[٦]. وكان مسجداً

---

(١) مسجد عمر بن عبد العزيز لايزال محتفظا باسمه فى ثغر عدن إلى هذه الساعة كما أنه يسمى بمسجد حسين أيضاً .

(٢) وفى (ط) تفرق .

(٣) وفى (ط) تصعد إلى الجبال .

(٤) وفى (ط) ففيها جامع الجوءة باسقاط (فرايت) والجوءة بضم الراء ثم واو مهموزة بعدها هاء وقد تشدد الواو وتحذف الهمزة أوردها الهمدانى فى كتابه المذكور وكانت عامرة ذات مبانى ومرافق جمة إلى القرن التاسع وهى اليوم من أخبار كان ، ونسب إليها المحدث أبو بكر عبد الملك ابن محمد ابن إبراهيم السكسكى الجوى وقال الشاعر يمدح محمد بن مفضل الابينى أحد أمراء الملك المنصور الرسولى الغسانى وكان نازلا بها

يا طالب الجود يمم للندى جوءة	فإنه حل فيها الوابل السكب
واقصد بمدحى أمين الدين إن له	مواهباً ليس يحصى عدها الكتب
فاضت بحار يديه للورى ذهباً	فهل سمعتم ببحر موجه الذهب
واستصغرت نفسه الدنيا لقاصدها	فلو حواها لكانت بعض مايهب

(٥) وفى (ط) فيها .

(٦) هو الامير أبو العباس أحمد بن طولون صاحب الديار المصرية والشامية والثغور ولاه الخليفة المعتز بالله العباسى مصر فاستولى على دمشق والشام أجمع وانطاكية والثغور وكان عادلا جواداً شجاعاً متواضعاً حسن السيرة صادق الفراسة يباشر الأمور بنفسه ويعمر البلاد ويتفقد أحوال =

لطيفاً أول من بناه معاذ بن جبل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] حين بعثه إلى اليمن وأهل الجند[2] وما حوله من القرى يروون فى فضل هذا المسجد أخباراً كثيرة[3] من جهة الآحاد أن زيارته فى أول جمعة من رجب تعدل عمرة أو قالوا حجة[4] ولم يزل الناس يزورونه فى كل سنة فى أول رجب[5] حتى كثر ذلك وصار موسماً من مواسم

= رعاياه ويحب أهل العلم وكانت له مائدة يحضرها كل يوم الخاص والعام وكان له ألف دينار فى كل شهر للصدقة فأتاه وكيله يوما فقال إنى تأتينى المرأة وفى يدها خاتم الذهب فتطلب منى أفأعطيها فقال له من مد يده إليك فأعطه وكان مع ذلك طائش السيف وقيل إنه أحصى من قتله صبراً ومن مات فى حبسه فكان ثمانية عشر ألفاً وبنى الجامع المنسوب إليه الذى بين القاهرة ومصر سنة أربع وستين ومائتين وأكمله سنة ست وستين ومائتين وأنفق على عمارته مائة ألف وعشرين ألف دينار . أنظر رسم جامع ابن طولون = فى كتاب مساجد القاهرة المهدى من وزارة أوقاف مصر لجامع صنعاء الكبير حينما زرت القاهرة سنة ١٣٨٤ ﻫ اربع وثمانين وثلاثمائة وألف . وكان أحمد ابن طولون مملوكا أهداه نوح بن أسد السامانى عامل بخارى للمأمون وكانت ولادة أحمد بن طولون سنة ٢٢٠ عشرين ومائتين ومات سنة سبعين ومائتين .

(١) أنظر ترجمته فى الجزء الأول من الأكليل ص ٢٦٦ .

(٢) وفى هامش الأصل اليمن بدل الجند وهو الأصوب .

(٣) كذا فى الأصل وفى (ط) باسقاط كثيرة .

(٤) هذه أحاديث موضوعة لا أصل لها راجع (ج) .

(٥) لازالت هذه العادة مستمرة إلى ما قبل عشرين سنة حيث أزيلت أو تنوسيت تدريجا ، وفى صنعا وذمار ومدن نجد اليمن يتخذون أول جمعة من رجب يوم عيد يلبسون فيه فاخر الثياب وينحرون كرائم الانعام ويوصلون=

الحج ومنسكا للعامة(١) وإذا كان لبعضهم على بعض حق قال : امهلنى به حتى ينقضى الحج وما يعنون بذلك سوى زيارة الجند ثم ذى أشرق(٢) وبها مسجد مكتوب على أحجاره فوق بابه : مما أمر به عمـــر ابن عبد العزيز بن مروان (٣) ثم مدينة إب ثم النقيل (٤) ثم ذمار (٥)

= الأرحام ويوسعون على أهليهم وذويهم ويتصدقون على الأرامل والأيتام وذلك بمناسبة أنه أول يوم أشرق الإسلام على ربوع اليمن كما وأنه اليوم الذى وضع فيه الحجر الأساسى للمساجد المذكورة .

(١) أى مذبحا ومنحرا .

(٢) ذو أشرق بلدة عامرة مشرقة جميلة نزهة تقوم فى أعلا وادى نخلان المشهور من ذى الكلاع وتقع فى الشرق الشمالى من تعز بمسافة سبع ساعات ونصف ساعة للسيارة سميت باسم قيل من أقيال حمير ونسب إليها جملة من العلماء والادبا . راجع تعليقنا لقرة العيون .

(٣) لا زالت الكتابة شاخصة وقد اثبتناها فى غير هذا التعليق .

(٤) إب بكسر الهمزة مدينة مشهورة وقد اطلنا الثنا عليها فى كتابنا المعجم ومسجد حسين بمدينة اب لعله ما يسمى (الحسينية) والنقيل هو مايسمى بنقيل صيد المسمى «سمارة» المشهور الواقع فى جوف الهضبة الكبرى التى تعتبر حدا فاصلا بين اليمن الأعلى واليمن الأسفل وتمشى اليوم فيها طريق السيارات من أعلاه ومسجد حسين بن سلامة لعله الذى فى الضربة فإنه مسجد أثرى قديم .

(٥) ذمار من أمهات مدن اليمن — النجديه راجع وصفها الجزء الأول من الأكليل «ص ٤١١» ، والثانى منه وصفة جزيرة العرب وكتابنا المعجم ومسجد حسين معروف مشهور إلى يومنا هذا ولتقادم الزمن كان ينزل إلى بنيته بدرج واليوم قد جددت عمارته وسوى عن سطح الأرض .

ثم ما بين ذمار وصنعاء(١) مسافة أظنها خمسة أيام(٢) فى كل واحدة منها بناء ثم جامع صنعاء(٣) وهو عظيم ثم من صنعاء إلى صعدة عشرة أيام(٤) فى كل مرحلة من ذلك جامع(٥) ثم من صعدة إلى الطائف عشرة أيام فى كل مرحلة جامع(٦) ومصانع الماء ثم عقبة الطائف(٧) وهى مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط إلى مكة عمرها

---

(١) صنعاء حاضرة اليمن — وعروس الجزيرة العربية وأشهر من أن توصف ، راجع الجزء الأول من الأكليل ، (ص ١١) وصفة جزيرة العرب وعطر نسيم الصبا وغيرها .

(٢) هذا ظن خاطىء فالمسافة بين صنعاء وذمار ثلاثة أيام بسير الاثقال واليوم تقطعها السيارات بساعة ونصف .

(٣) سبق الكلام على جامع صنعاء راجع كتاب مساجد صنعاء للسيد العلامة محمد الحجرى ومسجد الحسين الذى بصنعاء منسوب إلى الحسين بن سلامة هذا .

(٤) هذه المسافة مجازف فيها فالذى بين صنعاء وصعدة قرابة ست أوسبع مراحل أو تسعون ميلا كما فى صفة جزيرة العرب .

(٥) الزيادة من (د و خ) .

(٦) كذا فى الأصل وفى هامشه عشرون يوما وفى « ط » سبع مراحل وفى « د » ستة عشر يوما وفى صفة جزيرة العرب ما يخالف هذا كله بكثير وقد حققنا الموضوع هنالك .

(٧) عقبة الطائف هى ما تسمى قديما عقبة كرا وحديثا عقبة لهدة ، وهدة والهابط منها يخرج إلى وادى المحسر ثم إلى عرفة ، راجع الكلام على الطائف الجزء الأول من الأكليل ص ٧٥ ، وصفة جزيرة العرب والإرتسامات اللطاف وقد عبدت منها اليوم (طريق السيارة إلى مكة ومنها إلى الطائف .

حسين بن سلامة عمارة تمشى فى عرضها ثلاثة أجمال بأحمالها فهذه الطريق العليا .

وأما طريق تهامة فهى تفترق أيضا طريقين فواحدة ساحلية على البحر وواحدة وهى الجادة السلطانية متوسطة منها إلى البحر يوم أو دونه ومنها إلى الجبل يوم أو دونه بحسب انضمام البحر[1] والجبل وافتراقهما عن تهامة وفى كل مرحلة من الطريقين الساحلية والوسطى جامع عظيم[2] فمن الساحلية المخنق[3] وهى من عدن على ليلة وبها بئر طولها ثلاثون باعا[4] وأنا وردتها مرارا وجامع مستهدم[5] ثم العارة ثم عبرة[6] ثم السقيا جامع وبئر[7] طولها أربعون باعا ثم الباب

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ط» .

(٢) فى «خ» جامع وبئر ، وفى «د» جامع ومنبر واسقاط عظيم فيهما

(٣) المخنق لا يزال يحمل هذا الاسم إلى يوم الناس هذا وقد أورده الهمدانى فى كتابه «صفة جزيرة العرب» .

(٤) كذا فى «خ» وفى «ط» ثمانون باعا

(٥) وفى «خ» و «د» وجامع المشهد

(٦) العارة بالعين المهملة معروفة آهلة بالسكان وهى جنوب المخاعلى يومين وكسر وعبرة بالباء الموحدة بعد العين المهملة كذا فى صفة جزيرة العرب ولا تعرف اليوم وكذا فى «خ» وفى «ط» بالثاء المثلثة وفى ياقوت العبرة بلدة بين زبيد وعدن قريب الساحل الذى يجلب اليه الحبش .

(٧) السقيا بضم السين المهملة وهى من بلاد بنى مجيد من حمير وينطقون بها اليوم بضم السين المهملة مشددة وفتح القاف وتشديد الياء المثناة من تحت وهذه الأماكن فى ضمن السلطنة الفضلية العبدلية إلى لحج

باب المندب ثم الخاء ثم السحارى(١) ثم الخوهة(٢) ثم الأهواب ثم غلافقة ثم نبعة ثم الحردة ثم الزرعة ثم الشرجة(٣) ثم المفجر(٤) ثم القنديرة(٥) ثم عثر(٦)

---

(١) باب المندب معروف مشهور ومنه يلتقط العنبر الطيب الفاخر والخاء مشهور ولا يزال محتفظا بشيء من رونقه وقد عادت له الحياة من جديد وقد وصفناه فى غير هذا التعليق والسحارى بضم السين المهملة وفتحها وفى صفة جزيرة العرب بالصاد المهملة وهو بلد عامر ما بين حيس والخوخة ومن منتوجاته النخل الكثير.

(٢) الخوهة بهائين آخر الحروف وينطق بها اليوم الخوخة بابدال الهاء الأولى خاء ولا زالت عامرة تؤدي وظيفة الميناء وماؤها حلو نقاخ ومن منتوجاتها التين الذى لا ينقطع شتاء ولا صيفا وسائر الخضر والرمان وهذا من الغرائب لقربها من ماء البحر المالح وقد نزلنها .

(٣) الأهواب موضع قبالة زبيد من الغرب يحمل هذا الاسم إلى هذه الغاية وغلافقة مر ذكرها فى ص « ٦٢ » ونبعه بالنون والموحدة ثم عين مهمله وهاء كذا فى الأصول ولا تعرف اليوم وفى « ط » بالموحدة والمثناه من تحت وباقى الحروف ولعلها : البقعه بضم الباء الموحدة وسكون القاف ، ثم عين مهملة آخرها هاء وهى معروفة والخردة بكسر الحاء المهملة عدها الهمدانى من مخلاف حكم بن سعد العشيرة أى المخلاف السليمانى ولا تعرف اليوم ويوجد فى الغرب الجنوبى من مدينة الزيدية محل يسمى « دير الحرد » وبينه وبين شاطىء البحر مسافة ساعتين إلا ربعا فلعله الحردة وأما الزرعة فلا تعرف اليوم والشرجه تقدم ذكرها فى ص ٦١

(٤) كذا فى « خ » ر « ط » بالفاء والجيم وفى « د » العين المهملة ولعله وهم ولا أعرف عنه شيئا

(٥) كذا فى « خ » وف « د » اقندرت وفى « ط » القندير ولا تعرف اليوم

(٦) عثر سبق ذكرها

وهى مقر ملك قديم ثم بيض(١) ثم الدويعة ثم حمضة(٢) ثم ذهبان ثم حلى(٣) ثم السرين ثم جدة (٤) فهذه جوامع السواحل ما منها إلا ما رأيته إما عامرا وإما خرابا وأما الوسطى فذات الخيف وموزع (٥) والجدون وحيس وزبيد(٦) وفشال والضجاع بكسر الضاد(٧) والقحمة

---

(١) بيض بفتح الموحدة ويقال له وادى بيض معروف مشهور من المخلاف السليمانى .

(٢) كذا فى الأصل وفى « خ، و « د » الدومة وفى « ط » الرويعة ولعلة وهم ولا أعراف عنها شيئاً وحمضة بكسر الميم تحمل هذاالاسم إلى هذه الغاية

(٣) ذهبان لايزال عامرا وقد ذكرنا البلدان التى تسمت بمثل هذا الاسم فى غير هذا الكتاب وحلى تقدم ذكره فى ص « ٤٦ »

(٤) السرين تثنية سر موجود آهل بالسكان وجدة بضم الجيم انظر الجزء الأول من الاكليل ص ٢٨ .

(٥) انظر الكلام على موزع فى الجزء الثانى من الاكليل وتعليقنا على قرة العيون وذات الخيف لاتعرف وفى « خ » و« د » ذات الحبيب بموحدتين بينهما مثناة من تحت وحاء مهملة أول الحروف

(٦) أنظر الكلام على حيس وزبيد فى الجزء الأول والثانى من الأكليل

(٧) فشال كسحاب ويقال وادى فشال وهو فى الشرق الشمالى من زبيد على نصف يوم ونسب إلى فشال ، الشاعر المجيد مسرور الفشالى مدح بعض الأمراء الوافدين إلى زبيد من مكة المكرمة ونسى أن يصله ولم يذكره إلا فى مكة فعظم عليه ذلك فانفذ إليه صلته وهو بزبيد فكتب إليه بهذه الآبيات :

هذا هو الجود لا ما قيل فى القدم ... عن ابن سعدى وعن كعب وعن هرم

جود سرى يقطع البيدا مقتحما ... هول السرى من نواحى البيت والحرم

حتى أناخ بأكناف الحصيب وقد ... نام البخيل على عجز ولم ينم

والكدرا وهى مقره واختطها أيضاً (١) والجثة وعرق النشم (٢) والمهجم ومور والواديان (٣) وجيزان (٤) والساعد وتعشر والمبنى (٥) ورباح

وافى إلى ولم تسعى له قدمى　　كلا ولاناب عن سعى له قلمى
ولا امتطيت اليه ظهر ناجية　　تاتى وأخفافها منعولة بدم
أحبب به زائرا قوت بزورته　　عن المليح وقامت حجة الكرم
فأى عذر إذا لم أجز همته　　شكرا يقوم بالغالى من القيم

« معجم ج ص ٣٨٤ » والضحاع بلدة قائمة العمارة قرب زبيد

(١) القحمة بفتح أوله وسكون ثانية من بلد الأشاعر وملحقات زبيدوهى اليوم متشعثة بليدة والقحمة أيضا بلدة على ساحل البحر الأحمر بين الليث والشقيق من المخلاف السليمانى والكدرا تقدم ذكرها وأنها أزلية الاختطاط ودين الكدرا من ملحقات مدينة الزيدية من تهامة والضمير فى مقره عائد إلى الحسين بن سلامة .

(٢) الجثة وعرق النشم غير مذكورين فى «خ» و «د» ولا يعرفان اليوم

(٣) انظر الكلام على المهجم ، ومور والواديين الجزء الأول من الأكايل ص ٧٢ والثانى والتعليق على قرة العيون .

(٤) كذا فى الأصول بالجيم والياء المثناة من تحت ثم زاى وألف ونون وهى مدينة عظيمة عامرة على شاطىء البحر وهى المشهورة بجازان كما فى كتب الهمدانى وهى أيضاً من المخلاف السليمانى وبعيدة عن الساعد وتعشر وهما فى بطن تهامة وجازان فى الساحل والذى أرجحه أنها حيران بالحاء المهملة والمثناة من تحت ثم راء وبقيه الحروف كالأول وهو واد بين حرض ومور يحمل هذا الاسم إلى هذه الغاية . ولان جيزان من وراء الساعد وتعشر

(٥) تعشر بفتح التاء الفوقانية وسكون ثانية وهو وادى تعشر محتفظ باسمه ورسمه لهذه الغاية وهو شمال (حرض فى بطن تهامة ومخلاف حكم والمبنى لايعرف وكذا الساعد لا يعرف موقعه

والهجر [1] ثم تلتق طريق الجادة بالساحلية ويفترقان من السرين وبينهما وبين مكه خمسة أيام فاول مايلقى الحاج من عمارته بئر الرياضة ثم سبخة الغراب [2] ثم الخبت [3] ثم يرد الناس وادى يلملم وهو ميقات أهل اليمن وبه بئر من عمارته ثم يردون بئرا من عمارته يقال لها إدام [4] وهى بئر روية طولها عشرة أبواع وعرضها خمسة أو ستة أبواع ثم يفترق الناس فمن اراد مكة ورد من عمارته بئر البيضاء ثم القرين ثم مكة ومن أراد عرفات ورد من عمارته بئرا بوادى الرحم ثم نعمان

---

(١) رياح فى بعض الأصول بالياء المثناة من تحت وبعضها بالموحدة ولا أعرف عنها شيئا والهجر فى لغة حمير القرية الكبيرة وقد أورد هذه الهجر الإمام الهمدانى فى كتابه منقطع النظير (صفة جزيرة العرب (قال : هجر قرية ضمد) . وهى اليوم آهلة بالسكان من المخلاف السليمانى وقد وهم فى (ط) فأسماها الفحر بالفاء والحاء المهملة .

(٢) بئر الرياضة لا أعرف عنها شيئا وحرفها فى (ط) بلفظ (بين) بموحدة ومثناة من تحت ثم نون وسبخة الغراب كذا فى الأصول وفى (ط) بالنون بعد السين المهمله ثم جيم لا تعرف .

(٣) الخبت بالخا المعجمة والبا الموحدة والتا المثناة من فوق والخبت المطمئن من الأرض ولا يكون إلا قرب تهامة وفى (ط) . الليث وهو بكسر اللام مشددة ثم مثناة من تحت وآخرة ثاء مثلثة والليث فرضة مشهورة إلى يوم الناس هذا واورده (الهمدانى) وعد مابينه وبين يلملم محطة وهو موضع مركوب

(٤) إدام ككتاب كما فى القاموس وياقوت وهو بئر على مرحلة من مكة ويلملم معروف .

ثم عرفات[١] وله مسجد على جبل الرحمة بعرفات رحمة الله عليه ،

وحدثني الفقيه أبو محمد عبـــد الله بن أبي القاسم الأبار[٢] وعليه قرأت مذهب الشافعي قال : حدثه والده أبو القاسم وحدثني بمثل ذلك عبد الرحمن بن علي العبسي ، وحدثني المقرى الحسين بن فلان بن حسين ابن سلامة وما من هؤلاء إلا من ناهز عمره المائة قالوا : كان الناس مزدحمين الصباح على القائد الحسين بن سلامة حتى تقدم إليه إنسان فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني وبعثني إليك لتدفع إلى ألف دينار عثرى[٣] قال حسين . لعل الشيطان يتمثل لك قال . . بل الأمارة بينك وبينه[٤] إنك منذ عشرين سنة كل ليلة لاتنام حتى تصلي عليه[٥] مائتي مرة فبكى حسين وقال . . أمارة والله صحيحة لم يعلم بها إلا الله عز وجل ثم دفع له ألف دينار[٦] ، وحدثني الفقيه أبو علي

---

(١) البيضا أوردها الهمداني ولا زالت تحمل هذا الأسم إلى يوم الناس هذا والقرين لايعرف وعرفة أشهر من أن تعرف وجبل نعمان والرحمة هنالك معروفان .

(٢) تأتي ترجمة المذكور في الأدبا والأبارة بالتخفيف من حمير .

(٣) لفظ عثرى ساقط من «ط» .

(٤) في «ط» ، بيني وبينك ، والعثرى عملة نسبت إلى عثر الموضع المذكور آنفاً .

(٥) في «ط» كل ليلة تصلي بحذف لاتنام حتى .

(٦) هذه الحكاية أشبه بالخرافة ولا استبعد أن يكون للقائد حسين سلامة دعاة يبثون له كمثل هذه الكرامة ليظهر أمام الجماهير بمظهر الزهاد والعباد وأنه على اتصال وثيق بالله وبالنبي صلى الله عليه وسلم بوجه خاص ليصبح على حد تعبير العامة بينه وبين الله سريرة ، فإن الساسة الدهاة لهم أساليب في خداع العامة وليس بعيدا عنا ما كنا نسمع عن الطاغية أحمد وأبيه من الأباطيل =

ابن طليق وكان من الصالحين ومن العلماء وكان بمدينة المعـ ـر[1] قال حدثه أبوه وجماعة من أسلافه وهم أهل بيت علم وعفاف قالوا .. تظلم إنسان إلى الحسين بن سلامة بهذا الوادى وهو سائر من مدينة زبيد إلى الكدرا وزعم أنه سرقت له عيبة[2] فيها ألف دينار . أوقال[3] ألفا دينار فى وادى مور وبُعْدُه من الموضع أيام فأمر به حسين فجلس مع خواصه[4] وقام إلى الصلاة فأطالها ثم نام فى المحراب[5] فلم يشعر إلا والناس يهرعون[6] من أطراف الجامع إلى المحراب قال والدى . وكنت من أقرب الناس إليه فسمعته يقول لرجل من قواده تمضى[7] مع هذا إلى القرية الفلانية على الساحل فتأخذ له من فلان بن فلان ماله من غير أن تؤذيه فإن رسول الله صلى عليه وآله وسلم شفع إلى فيه وأخبرنى أنه ينتسب إليه وهو صلى الله عليه وآله وسلم عرفنى صورة الحال[8] .

= والأسطورات التى يقصد بها تضليل السواد الأعظم من المغفلين والبله بواسطة خدمتهم والمرتزقة ليضلوا فى حمايتها مؤلهين .

(١) فى «ط» من العلماء الراجحين يسكن مدينة المعقر .

(٢) العيبة حقيبة جلد ولا زالت مستعملة فى الكلاع مخلاف جعفر

(٣) فى «ط» وقيل « بالمبنى للمفعول »

(٤) فى «ط» فجلس معه خواصه وفى «ح» فاجلسه مع خواصه

(٥) وفى «خ» نام فى المحراب ساعة وفى «ط» فى جامع الكدار .

(٦) وفى «خ» ثم أنتبه وفى «ص» فلما استيقض وفى «ط» يفزعون إليه بدل يهرعون :

(٧) وفى «خ» أمض وفى «ط» تمض . وهو وهم

(٨) وفى «ط» الذى عرفنى وهذه الحكاية أسطورة كسابقتها والنبى صلعلم برأ من هذا فحاشاه أن يحمى الفساد ويشجع الإجرام وهو القائل =

وأخبار حسين ومحاسنه باليمن مجلدات بل مخلدات(١) ثم انتقل الأمر بعد ذلك إلى طفل من آل زياد لا أعرف اسمه وأظنه عبد الله أو إبراهيم(٢) كفلته عمة له وعبد أستاذ إسمه مرجان من عبيد الحسين ابن سلامة واستقرت الوزارة لمرجان وكان له عبدان من الحبشة فحلان رباهما فى الصغر وولاهما الأمور فى الكبر وأحدهما يسمى نفيساً وهو الذى يتولى التدبير بالحضرة والعبد الثانى يدعى نجاحاً وهو جد

= صلعم . « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » وهو أسمى وأرفع من أن يأتى إلى سلطان أوجبت عليه شريعته إقامة الحدود وتأمين السبل والأخذ على يد الظالم فيشفع لرجل أخاف السبيل وسرق المال وروع صاحبه وهتك حرمته لكونه يمت إليه صلى الله عليه وسلم بنسب هذا محال وأبعد من المحال فاللهم غفرانك .

(١) وفى « خ » وكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة وتوفى الحسين بن سلامة سنة اثنين واربع مائة وقيل سنة ثلاث وأربعمائة .

(٢) فى « ط » عبد الله وحذف وإبراهيم . وقد سبق النقل عن تاريخ ابن أبى الرجال وصاحب اللآلى المضيئة « ص٦٤ » . وفى ابن الأثير ج ٨ ص ١٤ فى حوادث سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وفيها توفى الأمير أبو عبد الله الحسين بن سلامة أمير تهامة وولى ابنه بعده فعصى عليه خادم كان لوالده وأراد أن يملك فجرت بينهما حروب كثيرة تمادت أيامها ففارق أهل تهامة أوطانهم إلى غير مملكة ولد الحسين هربا من الشر وتفاقم الأمر « » وهذا يتناقض لما سقناه عن عمارة نفسه وعن « خ » أن وفاة الحسين فى سنة ٤٠٢ اثنين وأربع مائة أو ثلاث وأربعمائة كما أن فى تواريخ اليمن غير عمارة أن الزمن الذى ذكره ابن الأثير وهو سنه ثمان وعشرين كان ملك تهامة يومئذ للقائد نجاح بعد ما تخلص من مولاه مرجان فلتراجع من مصادر معاصرة وأنى لنا ذلك .

ملوك زبيد الذين أزالهم ابن مهدى[1] فى سنة أربع وخمسين و......
ونجاح هذا هو أبو الملك سعيد الأحول قاتل على بن محمد الصليحى[2] القائم بالدعوة المستنصرية[3] وهو أيضا والد الملك الفاضل العادل أبى الطامى جياش[4] ولم يزل الملك فى عقب هذا جياش إلى التاريخ المذكور وكان نجاح يتولى أعمال الكدرا والمهجم وموزا والواديين وهذه الأعمال الأربعة جل الأعمال الشمالية[5] عن زبيد .

ثم وقع التنافس بين نفيس ونجاح عبدى مرجان على وزارة الحضرة وكان نفيس غشوما مرهوبا[6] ونجاح رؤوفا بالناس عادلا على الرعايا محبوبا إليهم إلا أن مولاهما مرجان يميل مع نفيس على نجاح[7] .

ونمى إلى نفيس أن عمة ابن زياد مولاته تكاتب نجاحا وتميل إليه فشكا نفيس ذلك من فعلها إلى مرجان فقبض مرجان عليها وعلى ابن أخيها ابن زياد وهو آخر القوم ومنه زالت دولة بنى زياد باليمن ، وانتقلت إلى عبيد عبيدهم فتكون دولة بنى زياد باليمن[8] مئاتى سنة وثلاث سنين لأنهم اختطوا زبيد سنة أربع ومئاتين وزالت عنهم سنة سبع وأربعمائة[9] .

---

(١) فى «ط» على بن مهدى　　　(٢) فى «ط» زيادة السلطان

(٣) المستنصرية نسبة إلى الخليفة المستنصر بالله واسمه معد بن الظاهر العبيدى بويع بعد موت الظاهر وهو ابن ثمان سنين واستمر ستين سنة ووقع فى أيامه فتن كثيرة وتوفى سنة سبع وثمانين واربعمائة وعمره ثمان وستون انظر وفيات الأعيان ج ص ٢١٧) .

(٤) فى «ط» باسقاط . المكين　　　(٥) فى هامش الأصل الشامية

(٦) فى «ط» عسوفا بالمهملة

(٧) فى «ط» على مرجان وهو وهم .

(٨) فى «خ» وكانت مدتهم فى اليمن وفى «د» كانت مدتهم فى الملك .

(٩) وهم فى «ط» تسع واربعمائة وفى «خ» وكانت مدتهم فى اليمن مائتى ..نة =

ثم أن مرجانا لما قبض على موليه إبراهيم وعمته دفعهما إلى نفيس فبنى عليهما جدارا وهما قائمان يناشدانه الله عز وجل حتى ختمه عليهما وكانت بنو زياد لما اتصل بهم اختلال الدولة العباسية منذ قتل المتوكل وخلع المستعين[١] تغلبوا على ارتفاع اليمن ، وركبوا بالمظلة وساسوا قلوب الرعايا بإبقاء الخطبة لبنى العباس فلما قتل نفيس إبراهيم[٢] وعمته تملك وركب بالمظلة وضرب السكة باسمه .

وحين نمى إلى نجاح ما اعتمده نفيس فى مواليه استنفر الأسود[٣] والأحمر وقصد نفيسا إلى زبيد فجرت بينهما عدة وقائع منها يوم رمع[٤] ويوم فشال وهما على نجاح ومنها يوم العقدة وهما على نفيس ومنها يوم العرق[٥] وفيه قتل نفيس على باب زبيد وقتل معه خمسة آلاف بين الفريقين وفتح نجاح زبيد فى ذى القعدة سنة اثنى عشر

= وثلاث سنين من سنة أربع ومائتين وهو تاريخ اختطاطه مدينة زبيدا سنه سبع وربعمائه .

(١) انظر ترجمة المتوكل على الله العباسى فى الجزء الأول من الأكليل ص ٢٤٣) وغيره والمستعين هو أحمد بن المعتصم أخو المتوكل بويع بالخلافة ثم خلع وقتل سنة اثنين وخمسين ومائتين وعمره أحدى وثلاثون سنة

(٢) وفى «ص» زيادة بالله أحمد بن محمد المعتصم سنة اثنين وخمسين ومائتين

(٣) وفى «ط» دعا .

(٤) رمع بكسر الراء احد ميازيب تهامه وهو ما بين بيت الفقيه وزبيد راجع صفة جزيرة العرب .

(٥) العقدة موضع قرب زبيد والعرق بكسر المهملة وسكون الراء المقبرة الشمالية من زبيد وتعرف بمقبرة باب سهام قال الشاعر أحمد بن على التهامى

بشعوا فى صنعاء قرع طبولها ورياحها بالعرق دون المحصب

وقال أبو العز عثمان بن أبى الفتوح بن عقامة من مقطوعة له .

يا صاح قف بالعرق وقفة معول وأنزل هناك فثم اكرم منزل

وأربعمائة (١) وقال نجاح لمرجان . . مافعل مواليك وموالينا قال . . هم في ذلك الجدار (٢) فأخرجهما نجاح وصلى عليهما وبنى لهما مشهدا وأعاد مرجاناً في موضعهما فبنا عليه حياً وعلى جثة نفيس وركب نجاح بالمظلة وضربت السكة باسمه وكاتب أهل العراق وبذل الطاعة فنعت بالمويد نصير الدين وفوض إليه تقليد القضاء لمن يراه والنظر العام في الجزيرة اليمنية ولم يزل نجاح مالكا لتهامة قاهرا لأكثر أهل الجبال وخوطب وكوتب بالملك وبمولانا ومن أولاده سعيد وجياش ومعارك والذخيرة ومنصور .

وأما الجبال فتغلب ولاة حسين بن سلامة على الحصون فمن تغلب على عـــدن وأبين ولحج والشحر وحضر موت بنو معن (٣) وأظنهم من غير ولد معن بن زايدة الشيباني (٤) وتغلب على السمدان وهو حصن عظيم الخطر (٥) وعلى حصن السوا (٦) وعلى حصن

---

(١) راجع فصل المتغلبين في قرة العيون والخزرجي ففيه صراحة أن مرجانا كان حيا في سنة ثماني عشرة واربعمائة فلعل ماهنا من أوهام عمارة التي أوقع فيها غيره من المؤرخين المذكورين الذين تبعوه في فصل ملوك زبيد ولم ينتبه لهذا التناقض فسبحان المتفرد بالكمال

(٢) وفي ، ط ، الجوار وهو وهم

(٣) بنو معن هؤلاء من حمير ثم من الأصابح

(٤) راجع ترجمة معن الشيباني في الجزء الأول ص ٣٦٥ والثاني

(٥) السمدان بفتحات ويقع في المعافر في الغرب الشمالي من ذبحان انظر وصفه في تعليقنا لقرة العيون

(٦) حصن السوا هو مايسمى قلعة خولان والسوا عزلة من المعافر

الدملوة وحصن صبر وحصن ذخر وحصن التعكر (١) وهو ماهو (٢) وعلى مخلاف الجند ومخلاف عنه (٣) ومخلاف المعافر قوم من حمير يقال لهم بنو الكرندى وكانت لهم مكارم (٤) ومفاخر وسلطنة قاهرة ودولة ظاهرة وتغلب على حصن حب (٥) وهو نظير التعكر وعلى

---

(١) راجع وصف الدملوة كتاب صفة جزيرة العرب باخراجنا

(٢) راجع وصف هذه الحصون وضبطها تعليقنا لقرة العيون .

(٣) راجع الجزء الثانى من الأكليل عن الكلام على عنه وتعليق قرة العيون ص ١٠)

(٤) أنظر الجزء الثانى عن نسب بنى الكرندى وكذا تعليق قرة العيون وبلغنى أن لهم بقية فى جبل « ذخر » جبل حبشى »

(٥) حب على زنة حب الطعام وهو الحصن الاشم والمعقل الأعظم الذى يناطح السماء ويناغى النجوم والابلق الفرد الذى احتفظ برونق من كبريائه وشموخه وشممه ولا يزال تستخدم مناعته فى أغراضه السامية ويقع فى سرة جبل بعدان ويبدو كأنه الدهر فى صروفه واحداثه

وقد مدحه غير واحد من الادباء وممن وصفه الأديب الشاعر جمال الدين العطاب الترخمى الحميرى حيث قال

سطع السنآ فلاح منـه النور فأضاء لذاك مقاصر وقصور
وتتابعت نعم الأله بسوحـه فشرحن أفئـدة به وصدور
فى رأس مملكة على قمم العـلا للسعد فيه وللفـلاح حبور
فى رأس طود فى السماء متعرض عالى المناكب جيده مسحور
ما إن رنى يوما إليه ناظر الاوعاد الطرف وهو حسير
كل الحصون له تطاطىء هيبة وتـكاد كل الأرض منه تمور
فكأنه مثل الأمير وكلمـا فى الأرض من حصن له مامور
أكرم به من قلعة ما ان لهـا يوما [illegible]

حصن يقال له عزان وبيت عز وحصن الشعر وهو عظيم وحصن أنور والنقيل والسحول (١) وهو الموضع الذى تنسج فيه الثياب السحولية وكفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين منها وبهذا الوادى

من دون منظره البهيج وحسنه   فى الخافقين خورنق وسدير

وقال بعض الأدبا

وماحب إلا مثل شيخ مزمل   تزاحم اكناف السحاب مناكبه

ترى أصله فوق الشوامخ راسيا   تدلت عليه من علاه ذوائبه

وكم شمخ غربا وشرقا تصوبت   وإن اقحت حاذت ذراها ترائبه

تأبط معراجا إليه وجذه   سوار عليه عينه وحواجبه

بنته غطاريف بهم أشرق العلا   وكانوا سماء زينتها كواكبه

هم حمير الغر الشماريخ من رسوا   قواعد ملك ليس تحصى عجائبه

(١) هذه حصون ذكرت فى قرة العيون وتكلمنا عنها ولا بدان نشير إليها اشارة خاطفة فعزان تثنية عزوما يسمى بهذا الأسم كثير ذكرناها فى غير هذا الكتاب وعزان هذا هو الذى يطل على مدينة إب من الجنوب الشرقى من جبل بعدان وبيت عز هو مايسمى بالعز من مخلاف الشعر وحصن الشعر لعله حصن قيظان ، والشعر بكسر الشين المعجمة مخلاف مشهور من ذى رعين راجع الجزء الثانى من الأكليل ، وبيت عز أيضاً من مخلاف أقيان شبام حمير ، وفى كليهما آثار حميرية ، وحصن أنور لايعرف على جهة التحديد ، وأنور يسمى اليوم معشار أنور ، ويحتوى على عدة حصون وجملة قرى يقع فى منتهى السحول مما يصلى يحصب السفل وقد وهم فى « ط » فاسقط الألف من أنور ولعله غلط مطبعى والنقيل المراد به نقيل سمارة لأن فى قمته قلعة تسمى سمارة والسحول نسب إلى السحول بن سوادة راجع الجزء الثانى من الأكليل) وصفة جزيرة العرب وقرة العيون) باخراجنا

بنو أصبح [١] قوم الفقيه مالك الأصبحى إمام دار الهجرة [٢] .

ومن الحصون أيضاً حصن خدد والشوافى [٣] السلطان أبو عبد الله الحسين بن التبعى [٤] وولده وهو الذى عمل الحيلة على قتل الملك سعيد

---

(١) انظر الاصابح ومواطنها فى الجزء الثانى من الأكليل وفى (ط) وهذا الوادى لبنى أصبح .

(٢) هو الامام المشهور والعلم المنشور أبو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن أبى عامر بن عمر وابن الحارث الاصبحى وبقية نسبه إلى ذى أصبح معروف إمام دار الهجرة أحد اعلام الإسلام وصاحب المذهب المشهور المنتشر فى مصر والاندلس قديما والقارة السوداء « أفريقية » وقد استفرغ العلماء الوسع فتناولوا حياته بالشرح والتحقيق ومن تلامذته اقطاب الإسلام كالشافعى ويحى بن سعيد الانصارى وغيرهما وهو أول من صنف فى علم الحديث وكانت ولادته سنة خمس وتسعين وحمل به ثلاث سنوات ومات سنة ١٧٩ تسع وسبعين ومائة عن أربع وثمانين وقيل تسعين سنة ودفن بالبقيع وقبره مشهور مزور « الوفيات ج ٣ ص ٢٨٤ » ومن ذى أصبح الفقية منصور بن ابى الفضائل من ذى جبلة صاحب الرسالة الخارقة الذى حاجج فيها الامام عبد الله بن حمزة فغلبه .

(٣) خدد بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال الأولى وهو فى جبل حبيش (راجع صفة جزيرة العرب) والشوافى مخلاف واسع سمى باسم قيل من أقيال حمير وهو من ظاهر السحول من ملحقات مدينة إب فى الغرب الشمالى منهـا .

(٤) السلطان بالرفع فاعل لتغلب السالفة الذكر وفى (ط) وتغلب عليها السلطان وفى « خ » . و ، د » وتغلب الحسين بن التبعى على حب وهو نظير التعكر وعلى خدد وفى ابن سمرة ص ١٠٥ : الحسين بن المغيرة التبعى وكانت وفاته سنة ثمان وسبعين واربعمائه) . والتبعى نسبة إلى ذى تبع بفتح التاء المثناه من فوق والباء الموحدة .

الأحول بن نجاح قاتل الصليحى وتغلب (بنو وائل ابن عيسى (١) على مخلاف أحاظه ويقال وحاظة (٢) ومقر عزها حصن يريس ومن حصونها دهران ويفوز (٣) (وعزان والخضرا) (٤) وشعب (٥) وغير

---

(١) هذه الزيادة من (خ ، و ، د) وفى (ط) وتغلب على وحاظة وبلادها بنو اوائل .

(٢) احاظة بفتح الهمزة أشهر من كسرها ويقال فيها وحاظة بابدال الهمزة واوا وهذا كثير سائغ فى اللغة وتقع فى عزلة شبع (أعلا جبل حبيش) راجع صفة جزيرة العرب والجزء الثامن والثانى من الاكليل .

(٣) يريس بفتح المثناه من تحت وكسر الراء ثم مثناة من تحت أيضا آخره سين مهملة حصن متهدم ويطلق على نفس الحصن وعلى عزلة يريس الواقعة فى سافلة غرب جبل حبيش ودهران تثنية دهر وهو حصن أشبه أن يكون مربع الشكل مسيطر على عزلة يريس من جنوبها وعلى غيرها ولم يبق فيه لاعين ولا أثر ويفوز بفتح المثناة من تحت وضم الفاء ثم واو وزاى وهو مايسمى اليوم بالقلعة وهو مثلث الشكل كل قلعة منها تسمى باسم أحدهما يسمى يفوز وكلها عامرة آهلة بالسكان ويقع فى الكلاع : . العدين) ثم من بنى عواض ويفوز أيضا حصن من مخلاف شبام اقيان ويفوز من مخلاف الشرف المربوط بلواجحة ويفوز أيضا من ريمة الاشابط ويفوز من يحصب العلو ثم فى عزلة عراس وقد وهم السيد العلامه الحجرى الرعينى فى معجمه حيث رد على ياقوت بانه لايوجد اسم يفوز فى مخلاف جعفر وإنما هو فى عراس والحال أن يفوز فى مخلاف جعفر وهو ماذكره المؤلف ويفوز فى عراس يحصب فلم يغلط ياقوت ويفوز فى المعافر ثم فى ذبحان ويفوز فى عفار ويفوز فى مصانع حمير غرب ثلا

(٤) هذه الزيادة من (د) و (خ) وعزان هذا لايزال إلى ذا الحين آهل بالسكان وهو فى عداد عزلة (السلق الكلاع ، العدين) جوار يريس والخضرا عزلة قة جبل حبيش وفيها حصون كثيرة .

(٥) شعب بضم الشين المعجمة وفتح العين المهمله وآخره باء موحدة

ذلك ومدينتها شاحط(١) وفى سلطانها يقــول نزار ابن أخت الفقيه زيد بن الحسن الاحاظى(٢) :

وهو ما يسمى شعيب بالتصغير وهو حصن من عزلة الخضرا ووهم فى « ط » لجعله « شمرا » بابدال الموحدة راء كما وهم فى يريس أيضا .

(١) شاحط بلدة عامره وتقع بين سلسلة هضبات ولها واد مغيول منتوجاته البن والموز والذرة والدخن وهى من عزلة يريس فى اعلاه وكل هذه الحصون ما منها إلا وقد دخلتها وارتقيت إلى ذروتها .

(٢) فى « ط » باسقاط ابن أخت وابن الحسين بدل الحسن وكل الأصول كما فى الأصل بما فيها ابن سمرة وزيد بن الحسن هو أبو أحمد زيد ابن الحسن بن محمد بن ميمون ابن عبد الله بن عبد الحميد بن أبى أيوب الفائشى الوحاظى نسبة إلى القيل ذى فائش أو إلى الأفيوش قبيلة من حمير فى الكلاع الموجودة إلى هذا العهد .

أحد أعلام اليمن واحد افذاذه ولد سنة ثمان وخمسين وأربعمائة أخذ عن مشايخ اليمن الذين منهم إمام اللغة عيسى ابن إبراهيم الربعى الوحاظى صاحب كتاب نظام الغريب ، ثم دخل مكة وجاور بها وأخذ عن علمائها والوافدين إليها ثم عاد إلى وطنه الأفيوش فأقبل عليه طلاب العلم من كل حدب وصوب للأخذ عنه وممن تتلمذ له الإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى صاحب البيان ، ولمع اسمه وشاع ذكره فانتخبه السلطان أسعد بن وائل قاضيا لمخلافه « وحاظة » بعد أن طلبه إليه فامتنع فى اصرار فقال السلطان أسعد . القضاء متعين عليك فاصر على الامتناع فعتب عليه السلطان فى غيابه فلما بلغه عتب السلطان فارق بلد السلطان إلى وطنه الأفيوش وكتب إلى السلطان شعرا قال فيه .

ألا أن لى مولا وقد خلت اننى أفارق طيب العيش حين أفارقه
جفانى فاقصانى بعيداً جفاؤه وصرت بلحظى من بعيد أسارقه

قالوا لنا السلطان فى شاحط ... يأتى الزنى من موضع الغائط
قلت هل السلطان أعلاهما ... قالوا بل السلطان من هابط

وبنوا وائل (هؤلاء هم)[1] من ذى الكلاع ولهم رئاسة متأثلة وفيهم حماقة[2] يرون أنهم أشرف ولد آدم على الإطلاق ولقد اذكر أنى خرجت من سوق الجبجب[3] وهو أكبر أسواقهم فى يوم صائف حتى إذا بعدت عن السوق لحقنى منهم فارسان يركضان وقد سددا أسنة الرمحين إلى فنزلت عن الدابة وصعدت إلى الجبل فلما انتهيا إلى قالا . . إنا اختلفنا فى أفضل ولد آدم وقد رضينا بحكمك وكان أحدهما قال . . بنو وائل أفضل على الإطلاق وقال الثانى بل هم وقريش

وارقب عقبى للوداد جميلة ... وصبرا إلى أن يرقع الخرق فاتقه
وما كان سيرى لاختيار فراقه ... ولكنه ميل إلى ما يوافقه

فلما وقف السلطان على ذلك أمر برده من الطريق ووقف له أرضا رغيبه تسمى الموهار ودولة البلبل التى تسق من ما المسق وتوفى فى شهر رجب سنة ٥٢٨ — ثمان وعشرين وخمسمائة عن سبعين سنة وقبر بجامع قرية الجمانى وبجانبه السلطان أسعد ابن وائل ، وأنا زرتهما ، ومن ذرية زيد ابن الحسن المذكور السيد / الفاضل الكاتب المجاهد عبد الله بن عبد الإله الأغبرى العريقى الفائشى كما أخبرنى من فيه فى معتقل حجة الذى كانت وفاته سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف .

(١) بنو وائل هؤلاء لهم بقية إلى يوم الناس هذا وفيهم سؤدد ومكانة وهم انجد حمير وقدا طلت الكلام عنهم فى تعليق قرة العيون .

(٢) وفى « د » وفيهم حمق وفى « ط » وهم حمقى .

(٣) سوق الجبجب لا يزال قائما ووعده يوم الأحد ويتسوق إليه من بلاد بعيدة ويقوم فى غائط عزلة يريس من الكلاع وهو حار وبىء وعليه الطريق إلى زبيد والجبال .

(على السواء)[1] فى الشرف فقلت لهما إن رسول الله صلى الله وعليه وسلم أفضل البشر . وبنو وائل أفضل من قريش ومن سائر الخلق تفادياً منهما قال أحدهما . . والله لو قلت غير هذا ما سلمت منا ثم فارقانى .

ومن هؤلاء (بنى وائل)[2] السلطان أسعد بن وائل بن عيسى صاحب الكرم العريض والثناء المستميض[3] .

وتغلب على حصن أشيح[4] وهو مقر ملك الداعى سبا بن أحمد الصليحى وعلى حصن مقرى[5] وحصن وصاب[6] ومخالفيها قوم من

---

(١) هذه الجملة ساقطة من « ط » .

(٢) كان فى الأصل و « ط » بنو وائل والتصحيح منا لمطابقة القانون النحوى وفى « خ » ومن بنى وائل هؤلاء أسعد بن وائل .

(٣) اثنى ابن سمرة فى طبقاته ص ١٥٨ ، والجندى والخزرجى عليه بالذى هـو صلح وقرظوه تقريظا حسنا وكانت وفاته فى جمادى الأولى سنة خمس عشر وخمسمائة وقبر بجامعه الذى بقرية الجمامى ثم تولى بعده ولده عبد الله بن أسعد الوائلى أربعا وعشرين سنة ومات فى جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة .

(٤) اشيح بفتح أوله وآخره حا مهمله من معاقل اليمن المشهورة بالمناعة والعزة وموقعه من مخلاف أنس ثم فى عزلة بنى سويد وهو اليوم أطلال وخرائب .

(٥) مقرى كمعطى مخلاف رحيب يطلق عليه اليوم . . مغرب عنس « انظر الجزء الأول من الأكليل ، ص ٣٦ » والثانى وصفة جزيرة العرب .

(٦) حصن وصاب هـو ما يسمى « نعمان » وغلب عليه اليوم « دن وصاب » وفيه حصون غير هذا ووصاب ويقال فيه أصاب صقع غزير البركات نامى الخيرات مشتبك العمران « راجع تاريخ وصاب والجزء الثانى من الأكاليل .

بكيل ثم من همدان وتغلب على صنعاء وبخالفيها قوم من همدان[١] ، وتغلبت بنو عبد الواحد[٢] على أعمال برع والعمد ولعسان[٣] وتغلبت على حصن مسار . وليس فى اليمن ما يماثله سوى التعكر والسمدان وحب ومنه ثار الصليحى بالدعوة المستنصرية ، قوم من حراز وحراز هى الأعمال وبها سمى أهلها وإلا فهم من همدان[٤] وبهم ثار الداعى على بن محمد الصليحى .

أخبار الداعى على بن محمد الصليحى[٥] .

---

(١) كان بنو الضحاك الحاشديين هم المتغلبون على صنعا فى أكثر الأوقات وراجع فصل المتغلبين فى قرة العيون .

(٢) بنو عبد الواحد قوم من حمير ثم من الصنابر .

(٣) برع زنة زفر جبل مبارك فى قعرة تهامه ولعسان بكسر اللام وسكون العين المهملة وآخره نون هى البطائح والمواطن الواقعة فيما بين باجل وسهام وبرع وحراز انظر الجزء الثانى من الأكليل وصفة جزيرة العرب فى الكلام على برع ولعسان وقرية العمد هنالك .

(٤) مسار بفتح أوله وآخره راء وهو معقل امنع من عقاب الجو وقته واسع فسيح فيه مزارع وحروث وقرية آهلة بالسكان وكلام عمارة هنا يفيدان مسارا معقل قبل أن يثور فيه على بن محمد الصليحى بينما يقول فيما يأتى أنه قلة فاشية وأنا ارجح ما هنا وأن الصليحى خدع أهل مسار حتى أحتله وقد وهم عمارة فى قوله وإلا فهم من همدان راجع الجزء الثانى من « الأكليل » .

(٥) هو الملك الكامل أبو الحسن على بن محمد بن على بن يوسف بن عبد الجبار ابن الحجاج الصليحى نسبة إلى صلاحة بلدة فى الأخروج ـ ثم الججورى الهمدانى كذا ساق نسبه فى طرفة الأصحاب ويقال لقبيلهم الأصلوح وكان يلقب صاحب اليمن ومكة .

وهو أحـــد الملوك اليمنيين الخلص الذين وحدوا وطنهم اليمن سياسيا وطبيعيا وانضوى تحت علمه الخفاق ما بين سواحل البحر الهندى =

وعنها يتفرع جل أخبار اليمن — وبها يتعلق بقية الكتاب من القضاة والدعاة والكبرا والشعراء .

كان القاضي محمد بن علي والد الداعي علي بن محمد الصليحي سني المذهب وله طاعة في رجال حرازوهم أربعون ألفا انتقلت الدعوة إلى (سليمان)[1] بن عبد الله الزواحي[2] والزواحي قرية من أعمال

= وحضرموت وعمان شرقا والبحر الأحمر غربا ومكة شمالا وخليج عدن جنوبا ونظمه في بوتقة واحدة بعد أن كانت الاقطاعية والفوضى تمزق أوصاله ووحدته بصورة موحشة بشعة وقد ظهرت هذه الأسرة على مسرح التاريخ حوالي النصف الأول من القرن الرابع الهجري كزعماء ورؤسا وذلك بمنطقة الاخروج . الحيمة ثم انتقلوا إلى حراز . قول بذلك أبو محمد الحسن ابن أحمد الهمداني في الجزء العاشر من الأكليل حيث قال : . . ومن بني عبيد ابن أوام بن حجور آل الصليحي بيت بالاخروج انجاد كرماء .

أما مولد الصليحي فلا يزال غامضا إذ لم تتح لنا الظروف والبحث الوقوف على ذلك ولكن مؤرخا عراقيا معاصرا للملك المذكور وهو الصابي وصفه بقوله . . كان شابا اشقر أزرق العينين ليس في اليمن له نظير متواضعا إذا جاز على اناس سلم عليهم بيده وكان فطنا ما يخبر بشيء إلا ويصح ولما تملك كان يركب على فرس على رأسه مائة وعشرون قصبة ملبسة بالذهب والفضة وكان يقال له . . الذيال .

(١) وكان في الأصل . . عامر . والتصحيح من اسرار الباطنية وهو أقدم وثيقة تاريخية بايدينا .

(٢) هو بن عبد الله بن عامر الزواحي الحميري ويرى بعض النسابين أن آل الزواحي من سلالة القيل ذي حوال ويجتمع آل يعفر الحواليين في ذي حوال ابن عوسجة . وكان سليمان هـذا من ضلع كوكبان من موضع يقال له « الحفن » وكان كثير المال كبير الجاه كريم النفس عطوفا رحيما =

حراز(١) شرع فى ملاطفة القاضى محمد والد الصليحى(٢) وكان الزواحى يركب إليه لأن محمدا كانت له رئاسة وسؤدد وصلاح وعلم فلم يزل (سليمان)(٣) حتى استمال قلب على بن محمد الصليحى وهو يومئذ دون البلوغ ولاحت له فيه مخايل النجابة وقيل كانت عند (سليمان)(٤) حلية الصليحى من كتاب الصور وهو من ذخائر الأئمة فأوقفه منه على تنقل حاله وشرف مآله واستماله سرا من أبيه وقومه ولم يلبث (سليمان)(٥) الزواحى إلا يسيرا حتى مات فأوصى إلى على بن محمد بالدعوة وأوصى له بكتبه وعلومه ولم يمت حتى غرس فى قلب الصليحى(٦) وسمعه ما غرس

= حسن الأثر متعمقا بالمعارف وكثيرا ما كان يسكن شبام حمير ولهم هنالك مآثر صالحات وتعتبر أسرة الزواحى من مؤسسى دولة الصليحى وأقطابها ومنهم الفرسان والقادة والأمراء ولهم بقية لهذه الغاية حول شبام اقيان .

(١) قرية الزواحى بضم الزاى محتفظة باسمها ورسمها إلى يوم الناس هذا وفى «ط» باسقاط الواو من والزواحى وفى ياقوت ج ٣ — ١٥٥ : الزواحى زن القوافى الخ .

(٢) كذا فى الأصل وفى «ط» والداعى على بن محمد الصليحى .

(٣) كان فى الأصل عامر والتصحيح بما ذكرنا .

(٤) قد تكون هذه هى الحقيقة فقد كان علم النجامة رائج لذلك التاريخ وإلى ما بعد وإلى قريب وقد تكون من باب الخداع المصحوب بالفراسة إذ بعض النفوس شفافة تقرأ من ملامح الشخص وتركيبه الخلقى مخائل النجابة وما انطبعت عليه نفسه من الخير والشر فيتنبأ عن مستقبله فكانه يوحى منها لما عنده من عناصر الأستعداد وجاذبية المقابلة فهو اشبه بالرسامة تأخذ تلك الأنطباعات بمنظار المقايسة والفراسة .

(٥) كان فى الأصل «عامر» .

(٦) وفى «ح» مع تصرف فى العبارة وزيادة «وأعطاه ما لا جزيلا» =

فعكف على الدرس وكان ذكيا فلم يبلغ الحلم حتى تضلع من معارفه[1] التى بلغ بها وبالجد السعيد غاية الأمل البعيد وكان فقيها فى مذهب الدولة[2] مستبصرا فى علم التأويل .

أخباره إنه أقام الحج بالناس دليلا على طريق السراة[3] والطائف عدة سنين لا يحج بالناس أحد غيره[4] وتقلبت به الأحوال فى مبادى عمره من خفض إلى رفع ومن ضر إلى نفع فمن ذلك ما حدثنى به أبو الحسن على بن سليمان[5] وكان شاعرا قد أسن[6] ومن شعره قوله فى عمر بن عدنان العكى :

إذا الليالى أساءت غير عامدة ... ان ابن عدنان لى من جارها جار

ومنه ما حدثنى به الزبرقان بن القويفر العكى[7] عن فلان الشاعر وهو

= كان قد جمعه من أهل مذهبه وفى « ط » حتى قد رسخ وفى ابن خلكان زيادة فى ذهن على من كلامه مارسخ .

(١) وفى « ط » فى معارفه وكذا فى « خ و ه » .

(٢) وفى « خ » بمذهب الاسماعيلية وفى « د » فى مذهب الإمامية وفى « ط » زيادة عالما .

(٣) السراة بفتح أوله وهى الجبال المتقاطرة الآخذة بعضها برقاب بعض آتية من قعرة المعافر الحجرية حتى الطائف والشام وهى الجبال المطلة على تهامة مأخوذة — من سراة الظهر وهى فقراته من عجب الذنب إلى نقرة القفا وهى اثنان وثلاثون فقرة وتسمى هذه الجبال فى عرف العامة ساق الغراب انظر صفة جزيرة العرب ويظهر أن طريق الحاج لذلك العهد كان على نجد العليا لا على هذه السراة .

(٤) فى « ط » إسقاط أحد . (٥) وفى « ط » أبو الحسين .

(٦) فى « ط » قد أحسن وهو وهم .

(٧) القويفر بالقاف بعد الواو يا مثناة من تحت ثم فاء وفى « ط » بالغين المعجمة أول الحروف وباقيها كالاول .

القائل يذم قومه من قصيدة(١) :

فمن يشترى عكا بفلس فإننى جميعا على قطع الخيار أبيعها

كلاهما وغيرهما من الجهون. حــدثنا(٢) عن القاضى عمر بن المرجل الحنفى نسبا ومذهبا وكان من أعيان العلماء قال . . كان على باب زبيد من داخــل السور دار رجل من الحبشة يقال له فرج السحرتى وكان من أهل المعروف والصدقات الواسعة وكان من نزل بمسجده أكرمه وأواه ويتفكر ويدخل المسجــد يتجسس(٣) أخبار الضيوف سرا من وكلائه وخدمه فخرج ذات ليلة فظفر بالمسجد برجل يقرأ القرآن فسأله عن العشا فأنشد قول المتنبى(٤) :

من علم الأسود المخصى مكرمة أعمامه الغر أم أخواله الصيد

فأخــذه الحبشى (وطلع به)(٥) إلى أعلا مكان فى داره وأكرم مثواه واستخـبره عن سبب قدومه إلى تهامة فقـال له(٦) الصليحى إن لى عما يقال له (شهاب)(٧) وله إبنة يقال لهـا أسماء قليلة النظير(٨) فى الجمال معدومة المثل فى الأدب والعقل خطبتها إليه فاشتط فى(٩) مهرها وأمها تقول . . لا تزوجها إلا لبعض ملوك همــدان بصنعاء أو ملوك

---

(١) فى « ط » فى قصيدته . (٢) فى « ط » حدثنا عن القاضى .

(٣) بالجيم وفى « ط » بالحاء المهملة .

(٤) هذا البيت من قصيدة للمتنبى الشاعر المشهور شاعر الخلود يهجو بها كافور الأخشيدى صاحب مصر انظر ديوانه .

(٥) هذه العبارة ساقطة من « ط » . (٦) له ساقط من « ط » .

(٧) كان فى الأصل « ابن شهاب » وهو وهم فشهاب عم لعلى بن محمد الصليحى لا ابن عمه كما فى الطرفة وغيرها .

(٨) فى « ط » وغيره قليلة النظر ولعله هفوة مطبعية .

(٩) فى « ط » على وخطبها بزيادة الواو .

بنى الكرندى بخلاف جعفر وقد استاموا[1] على من المال مبلغاً لا قدرة لى عليه وأنا متوجه إلى بنى معن بعدن وإلا إلى بنى الكرندى[2] بالمعافر قالوا : فدفع له القائد فرج السحرتى مالا جزيلا أضعاف ما التمس الصليحى[3] وجهز العروسين جميعاً أحسن جهاز يحتفل الملوك به لعقائلهم وأعاده إلى عمه فتزوج أسماء وهى أم الملك المكرم زوج الحرة ملكة اليمن[4] وكانت أسماء من الكرم والسؤدد والجوائز الجزيلة للشعرا والصلات الواسعة فى سبيل المروءة[5] والخير بحيث يمدح أولادها وأخوتها[6] بمفاخرها وفيها يقول شاعر زوجها الصليحى واسم الشاعر (عمرو بن يحيى الهيثمى[7]) من قصيدة .

« حسمت بيضك الغوائل حسما »[8] ومنها :

وسمت فى السماح سنة جود	لم تدع من معالم البخل رسما[9]
قلت إذ عظموا لبلقيس عرشا	دست أسماء من ذرى النجم اسما

---

(١) أستام فلان بالسلعة والسلعة : إذا غالى فيها .

(٢) فى « ط » وأنا متوجه إما إلى بنى معن وإما إلى بنى الكرندى .

(٣) وفى « ط » ما أدى الصليحى .

(٤) فى « ط » زوج الملكة الحرة السيدة أروى بنت أحمد .

(٥) فى « ط » فى سبيل الله وسبيل المروة .

(٦) فى « ط » زيادة وبنو عمها .

(٧) كان فى الأصل أسعد بن يحيى والتصحيح من ما يأتى ومن ابن سمرة ص ١٠٦ ويذكر ان ديوانه موجود لعهده .

(٨) كذا فى الأصل والحسم القطع والبيض بكسر الباء السيوف والغوائل صروف الدهر وفى سائر الأصول « حثمت بيضا الانامل حثما » بالمثلثة والحثم العطاء .

(٩) فى « ط » وسمت بالواو .

ومن أخباره أيضا(١) فى أول أمره ما حدثنى به أحمـد بن الحسن الأموى(٢) المعروف بابن السبخة عن أبيه عن جـده قال . . كنت أسكن بمدينة حيس وبينها وبين زبيد ليلة فلما ملك الصليحى زبيد رأيته(٣) وقد ركب إلى مجلس القاضى وأدى عنده شهادة كان قد تحملها فى صباه ثم تحدث مع القاضى سرا وافترقا فأخبرنى القاضى بعد قيام الصليحى(٤) أنه قال له(٥) إننى نزلت إلى مدينة حيس أستطلع أخبار عبدى مرجان نفيس ونجاح فنم على(٦) بعض من يعرفنى فتجردت من ثيابى ولبست ثياب سلاط يبيع السليط فى معصرة من معاصر حيس وتحملت هذه الشهادة يومئذ فى منزل رجل يقال له السبخة ولما ملكت الأمر وقفت لى عجوز بخطى فعرفته فلم يتسع لى(٧) إلا أداء شهادتى وكان مثال ما كتبته (فى وقت التحمل شهد على بن محمد قاضى حراز)(٨) وكتب بخطه ليذكره (يوما) إنشاء الله عز وجل .

ومن أخبار الصليحى فى بادى ء أمره ما حدثنى به السلطان ناصر ابن منصور الوائلى عن جـده عيسى بن يزيد الوائلى قال إن على ابن محمد الصليحى كان دليلا للحاج على طريق السروات(٩) خمس عشرة

---

(١) وفى « ط » ومن أخبار الداعى على بن محمد الصليحى .

(٢) وفى « ط » الحسين . (٣) كلمة رأيته ساقط من « ط » .

(٤) فى « ط » السلطان على بن محمد الصليحى .

(٥) كلمة له ساقط من « ط » .

(٦) فى « ط » فر على وهذا دليل على علو نفس الملك الصليحى وأنها تطلعت لحكم وطنه فى سن لا يتجاوز العشرين سنة .

(٧) فى « ط » فلم يسعن .

(٨) هذه الزيادة ساقطة من « ط » ومضطربة .

(٩) السروات جمع سراة وقد تقدم تفسيرها .

سنة وأن الناس كانوا فى أول ظهوره يقولون له قد بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره ويكون لك شأن ودولة فيكره ذلك وينكره على قائله مع كونه أمرا قد شاع وكثر فى أفواه الناس الخاصة والعامة[١] .

ولما كان فى سنة (تسع وثلاثين وأربعمائة)[٢] ثار الصليحى فى رأس مسار وهو أعلا ذروة فى جبال حراز وكان معه يومئذ ستون رجلا[٣] قد

---

(١) كثيراً — ما يتوهم الناس فى شخصية ما لما يرون فيها من المؤهلات ويتكهنون لها بالمغيبات وقد تصدق فراستهم وتكذب أحيانا أو تتعرض لظواهر غير مرتقبه تتخلف عنها تلك التكهنات وهذا على حد تعبير العامة « السنة الناس أقلام القدرة » كما حدث فى عصرنا فقد كان أرباب العقول ومن له بمعرفة بسير الأمور ومقايس الأحوال يتوسمون فى إمام الدستور « السيد / عبد الله الوزير » فى أنه الذى سيخلف الأمام يحيى حميد الدين على ملك اليمن — فكان ذلك ولكن جرت الأمور على خلاف المراد وعلى ما لم يكن بالحسبان بصورة أخرى ومن ذلك تكهن الناس فى البدر المخلوع فإنهم كانوا يتكهنون بأنه لا يصلح للحكم فكان ما كان .

(٢) كان فى الأصل وتبعه المؤرخون فى فصل ظهور دولة الصليحى — « تسع وعشرين وأربعمائة » والتصحيح من آخر فصل المتغلبين فى الديبع والخزرجى والجندى ومن « سرائر الباطنية ص ه » وسيرة ذى الشرفين وروضة الحجورى ومن طبقات ابن سمرة من ص ١٠٥ ، أن ظهوره فى شوال سنة ٤٣٩ والعجب من المؤرخين الذين اعقبوا عمارة كيف استولى عليهم السهو فى ما بين آخر فصل المتغلبين وفصل ظهور على بن محمد الصلحى وما بنهما غير سطرين أو ثلاثة فسبحان المتفرد بالكمال .

(٣) وفى سرائر الباطنية تسع مائة رجل وخمسون رجلا وهو الأصح لانه مؤرخ معاصر وقد جمعنا بين الأقوال فيما يأتى :

حالفهم فى مكة فى موسم (ثمان وثلاثين وأربعمائة)[1] على الموت والقيام بالدعوة ومامنهم إلا من هو من قومه وعشائره فى منعة وعدد

(١) فى الأصل « ثمان وعشرين وأربعمائة والتصحيح من ماتقدم وهنا أهمل المؤرخون صفحة مشرقة من تاريخ الملك الكامل على بن محمد الصليحى وانتصاراته الباهرة المتتالية المربوطة بالسنين التى تبين لنا فيها مدى سجاحة اخلاقه وشهامته وسمو نفسه وعظمتها وبعد نظره وتسامحه مع اعداه الذين صاروا فى قبضته وتحت رحمته وكيف كان يعاملهم بالحسنى معاملة القائدالمنتصر وللشرف الذى ارتدى به وتأزر .

ولعل ذلك سر تفوقه فى سرعة طى اليمن تحت جناحه » . التطقتها من مصادر موثوق بها لهذه الحقبة بالذات عثرت عليها فاحببت أن أحلى جيد هذا التعليق بشذراتها وازينيه بتقصارها لأنها اضفت على حياة هذا الزعيم الكبير القة لامعة وسلطت أضواء على تاريخه كانت غامضة أشد الغموض وكان المؤرخون عنها بمعزل انسحبوا فى متاهة من الغلطات وراء عمارة الذى أملاه من ذاكرته كما نوهنا ذلك فى المقدمة وكم ترك الأول للاخر وأهم هذه المصادر واقدمها سيرة الأمير ذى الشرفين بن جعفر العيانى والحق ماشهدت به الأعداء فمؤلفها معاصر لاحداث هذه الفترة وإن كان سلط لسانه وسل سخيمته بالشتائم واللعنات على الملك الصالح وذويه كما هى عادة مؤرخيهم الذين يعتبرونه السلاح الفتاك الوحيد ولكنه يؤبائمة ويرجع على قيئه إلا أنه لم يستطع أن يخفى الحقيقة رغم أنه كان يتهرب منها أو يطويها فى مضامين كلامه ثم كتاب سرائر الباطنية لمحمد بن مالك أبى القبائل الحمادى المعافرى فإنه مؤرخ معاصر للصليحى إلا أنه لم يدرك آخر أيامه ولم يشبع القول فى ذلك ثم تاريخ اليمن إلى القرن الخامس الهجرى ليمنى مجهول أسم مؤرخه كما سقطت منه أوراق هى من الاهمية بمكان أفقدتنا منها فترات لها قيمتها العلمية والتاريخية ثم نتف من طبقات ابن سمرة الذى يعتبر معاصر لعمارة إلا أنه لم يزايل وطنه وفقر من روضة

. . . .

= الحجورى وكما سلف فى المقدمة إن تواريخ الملوك اليمنيين أصحاب الحق الشرعى جنت عليها يد الدهر كما ساهمت أيد الخيانة والغـــدر بأخفائها وقللت العناية من ظهورها وزهدت الناس عنها لأنها تحمل اطابها كفريا فى زعمهم أو نحواً من هذا فاساليب السياسة مبدعة خلافة كثيرة زاعمة أنها كما قال شاعر الجزيرة العربية الزعيم الكبير الحجة محمد بن محمود الزبيرى تغشاه الله بوابل رحمته .

وما الأرض إلا لنا وحدنا ولكنهم غالطونا بهـــا

واليك ملخصا لأهم ماجاء فى هذه المصادر أجمع المؤرخون أن على بن محمد الصليحى كان يرأس حاج اليمن طوال سنين عديدة ولاشك أن هذه السنين العديدة اكسبته خبرة بأحوال الناس ودخائل نفوسهم ومكنته من دراسة النفس اليمنية دراسة عميقة استكمل بها العقل التجريبى وصقلت نفسه حتى جعلتها شفافة ترى الغيب من ستر رقيق وخلفت منه عملاقا عبقريا شعر يتحمل مسؤلية عظمى لانقاذ وطنه الممزق تحت نير الدويلات والأمارات المتناحرة المتنافرة والفوضى الحمقا التى شملت البلاد الذين لاهم لتلك العصابات غير الاستيلا على الكرسى والحصول على ملذات الحياة ويذهب فيها من ذهب كما ساعده على قبول تحمل هذه المسؤلية - مواهبة وغرائزة وسمعته الطيبة وبيته المتأثل وتم له الأتصال بالقبائل على اختلاف نزعاتهم وتباين مشاربهم وتباعد أوطانهم خلال هـذه الفترات الطويلة فبذر بذوره فى حقل صالح للانبات خصب التربة كان يرويها ويغذيها بين حين وآخر بنشر مذهبه ومعتقده مطمئناً أن غرسه آت أكله عن كثب ومن بين هذه القبائل قبيلتا جنب وسنحان المذحجيتين أبنا يزيد بن حرب ابن علة ابن جلد بن مذحج وهما يسكان السراة قرب عسير إلى هذه الغاية ومعهما قبيلة نهد الحيرية وهى حلال لهاتين القبيلتين المذكورتين ومنها قبيلة يام الهمدانية التى تقطن نجران والتى غزاها المذهب الإسماعيلى منذ عهد بعيد .

. . . .

= هذه القبائل هى التى كانت عماد دولة الملك الصليحى ونصله والسنان «وهذه القبائل هى التى يسميها المؤرخون «بالحجازيين» وليسوا من الحجاز فى شىء إلا بحكم الجوار وإلا فهم يمانيون لحما ودما وروحا ووطنا وفى هذه القبائل من البداوة والغباوة ما جعلهم يقبلون على الملك الصليحى بكل قلوبهم ومشاعرهم وبكل ما ملكت أيديهم حتى نفوسهم كما ستراه قريبا فى استماتتهم على مبداء الملك الصالح.

كان آخر حجة حجها الملك الصليحى فى سنة ٤٢٧ سبع وثلاثين واربعمائة عن طريق نجـــد العليا التى تألفها من قبل والتى كانت الطريقة الرئيسية لحاج اليمن لذلك العهد فالتقى بتلك القبائل فى أثناء الطريق وصحبوه إلى مكة المشرفة حيث أدوا معه فريضة الحج ثم انقلبوا إلى جوار الكعبة يؤدون يمين الولاء والإخلاص والتفانى فى سبيل نصرة دعوته والالتفاف حوله إما الموت وإما الفوز وفى الوقت نفسه درسوا مع زعمائهم ونقبائهم الخطط اللازمه للثورة وهل اكتملت عناصرها لتكفل لهم النجاح أم لا كما حددوا موعد قيامها ثم فارقهم من مكة عائداً إلى حراز منحدراً بطن تهامه ليتم دراسة الخطط الحربية والسياسية وليتطلع على أحوال تلك الأصقاع وأحوال القائد «نجاح ملك تهامة بالذات الذى هو أقوى ملوك اليمن - وأعتاهم وما يدرينا أن القضايا التى حكاها «عمارة آنفا كانت فى هذه المرة أو مرات سلفت له كهذه.

وصل حراز وظل قابعا فى منزله ليهىء الجو السياسى لصعود «مسار» واحتلاله كخطوة أولى لاعلان الثورة الحقيقية التى يعلن فيها مبادئه ودعوته، ولعل من بين أسباب تهيئة الجو السياسى هو فتح صدور قلوب أهل «مسار» انفسهم لقبول دعوة الصليحى وتزعم نصرته هذا! إذا قلنا أن مسارا كان آهلا بالسكان وهو الراجح كما أفاده كلام عمارة نفسه ويومى إليه

. . . .

= « كتاب صفة جزيرة العرب » أما إذا قلنا أن مسارا كان قلة فاشية لا سكن فيه كما يأتى لعمارة فما لاريب فيه أن الصليحى لن يتحمل مسئولية طلوع « مسار » إلا وقد صعده مزارا وعرف طرقه ومسالكه وصلاحيته كمركز للثورة :

وفى شهر جمادى الآخرة سنة ٤٢٨ ثمان وثلاثين وأربعمائه صعد « مسارا » فاحتله بقوة العزيمة والمبدأ مع رفاقه الذين يبلغ عددهم ستين رجلا كما يقول عمارة أو سبعمائة وخمسون رجلا كما قاله ابن حماد المعافرى المؤرخ المعاصر للصليحى ومن الممكن الجمع بين القولين بأن طلوع الصليحى لأول وهلة بستين رجلا كيلا يثير كثرتهم الضوضا ثم تلاحق أصحابه إلى أن بلغ العدد الذى ذكره ابن حماد .

ومن يومئذ اتخذه نقطة انطلاق ومعقل منازلة الابطال ومكافحة الاعداء وتحدى الامارات والدويلات التى كانت تمزق اليمن — فما بلغ أهل المخاليف المجاورة وفى مقدمتهم رؤسائهم الذين يستفزون عواطف العامة ومشاعرهم كى يحفظوا انفسهم من الخطر الداهم عليهم حتى طاربهم وتالبوا واحاطوا بمساركا لسوار بالمعصم آمرين له بالنزول وتخلية الجبل وآذنوه بالحراب إن لم ينزل فخادعهم بكلماته المعسولة البراقة التى ذكرها عمارة فتفرقوا عنه وهو فى خلال ذلك يحصن معقله « مسار » ويزيده مناعة على مناعته الطبيعية باتقان بنائه وجلب الاقوات إليه والأعلاف والعتاد والحطب وغير ذلك مما يحتاجه الثوار الذين يثورون فى قمم الجبال ويكمل لهم البقا على مواصلة الحصار ويستكثر من الرجال الذين عاهدوه مخلصين متخذا كل الاحتياطات لأسواء الفروص وكانت هذه الخطوة الأولى التى ثبتت قدمه ومكنته من الخطوة الثانية .

. . . .

=

اعلانه الثورة

أما الخطوة الثانية التى خطاها فإنه لما عرف اكتمال عناصر الثورة وآنس من نفسه القوة الكاملة لصد أى هجمات معادية وأن النصر حليفه أو هو منه على قارب قوسين أو أدنى أعلن الثورة مصحوبة بالدعوة صريحة مدوية وذلك فى جمادى الأولى سنة ٤٣٩ تسع وثلاثين وأربعمائة وهى السنة التى أجمع عليها المؤرخون باستثنى عمارة الذى وهم وسرى الوهم إلى كثير من التواريخ التى جاءت تستقى منه . ومتأخرة عنه فى الفصول التى عقدوها لظهور الصليحى وأن اختلفوا فى الشهر كما سبق عن ابن سمرة .

ومن بعد نظر الصليحى أنه عزى الدعوة إلى الخليفة المستنصر العبيدى صاحب مصر التى كان قد هياه لها الظروف والنفوس والجو السياسى الذى يوحى يتحكم المذاهب والمعتقدات مع أنه ما كان يؤمن بهذه الخرافة الزائفة إلا لكى يستغلها كما حكى ذلك عنه صاحب سيرة ذى الشرفين فى أول كتابه وليتمشى مع روح عصره الموبؤ تبلك الأساطير .

وشىء آخر كان الملك الصليحى يرمى إليه وهو أنه لو دعى إلى نفسه لحصل رد فعل من مريديه لمخالفته المبادى التى اعتنقوها عن توجيه وأشارة منه والعقيدة التى ركنوا إليها فينتشر الحبل وتعم الفوضى بين أصحابه وتتلاشى حينئذ جهوده وتضيع أمانيه وأماله بين عشية وضحاها ويكون هو أول ضحية لهذه الدعوة :

من هذه القمة الشماء مسار التى تتحدى الدهر انطلقت أول صرخة مدوية مرعبة لتوحيد اليمن الممزق الأوصال وتجعل منه شعبا ساميا فما أن بلغت أسماع أهل المخاليف حتى فقدوا صوابهم وعاد إلى أذهانهم تلك الكلمات التى ألقاها من أعلا مسار خادعا بها نفوسهم وأنها كانت لعبة وبمثابة الابرة المخدرة وخداع فى خداع وعرفوا أنهم أمام خطر داهم =

. . . .

= فاجمعوا أمرهم على تأليف جيش كثيف تحت قيادة الأمير جعفر بن العباس الشاوري من المعيل شافعي المذهب سني العقيدة مجاب الكلمة صاحب ثرى ورئاسة وسؤدد فزحف بتلك القبائل وبالغوافي حصار الصليحي وقامت الحرب أياما وأياما والنصر فيها حليف الصليحي عبر عنه صاحب السيرة ذي الشرفين بقوله .. فلما زحفوا إليه قتلهم وكسرهم وفجع قلوب الناس وبهرهم وقتل منيع ابن إسحاق الهمداني مع بني عمه بالجحادب ولم يذكر صاحب السيرة المذكورة قتل جعفر بن العباس الشاوري بينما ذكر قتله « عمارة » ومن تبعه .

بهذه الواقعة الهائلة تمت الملك الصليحي السيطرة على الموقف الحربي بحراز سيطرة كاملة كما شاعت هذه الوقعة بين العرب وخاف نتائجها رؤسا المقاطعات الذين يحرصون على كراسيهم المهزوزة تحتهم فتراسلوا فيما بينهم متبادلين الأفكار كيف يكون القضا على هذه الدعوة وقبل أن يتغلغل هذا الناجم وبالتالي قبل أن يصيروا في قبضته ويصبحوا خبرا من الأخبار فاجمع روساء حمير وهمدان وهم الرأس في اليمن على الإجتماع في (بيت معدن) بلدة من حضور لا زالت عامرة . وحضر هذا الإجتماع الأمير جعفر بن قاسم العياني وولده عبد الله والسلطان أبو حاشدين الضحاك ملك صنعا وفي اجتماعهم هذا تم القرار على إرسال حملة من الجيش يقودها عبد الله ابن جعفر العياني لخبرته بتلك الجهات ومعرفته لمسالكها فزحف الجيش المؤلف من كل القبائل وواصل سيره لمنازلة حصن مسار حتى ضرب مضاربه بموضع (المحارم) من عزلة الحدب بالحيمة الداخلية وكان في عداد حراز وهو محتفظ باسمه إلى هذه الغاية) . .

وكانت الأخبار من جواسيس الصليحي وعيونه قد سبقت ذلك الجيش فما وضع أوزاره ومتاعه حتى أخرج لهم الصليحي منسرا بدد تلك الحملة مخلفا وراءه ثلثمائة قتيل وأسم قائد الحلة عبد الله بن جعفر وقد ذكر الا

. . . .

= « مسار » حيث القائد الأعلا الصليحى الذى قابله بالصفح وبكل حفاوه ومكث أياما موضع رعايته وعطفه ثم من عليه باطلاق سراحه بعد أن استوثق منه بالعهود والمواثيق على حد تعبير صاحب السيرة .

وهكذا تتجلى صفات القائد المحنك الملىء القلب بالأيمان والتسامح والاعتزاز بالنفس والثقة الكاملة وفى نفس الوقت يستغل هذه الخلال الكريمة فى استجلاب قلوب العامة فطبيعى أن السجين حينما يخرج من محبسه يخبر أهله وعشيرته ومن لاقى من أعز الناس إليه وأكثرهم ثقة به بما صادف فى محنته من مساوى ومحاسن تلك النكبه فتسير بها الركبان ويتناقلها الناس فتحدث بلبلة فى الأفكار وتتأثر بهذا المعاملة الكريمة نفوس كثيرة بينما تزعزع الثقة فى نفوس الزعما المنافس لهم هذا الزعيم الذى يأتى ليقلب الأوضاع ويغيرها ولكن الحاقد مهما ظهرت استكانته وأبان ضعفه واستنام غما وحزنا فإن فى داخلية نفسه نارا تتأجج وجحيما تستعر وحسدا يأكله ومهما اظهر الجلد وكتم الغيظ وتناسى كلومه ، فإن أمارات الحقد تقراء على صفحات وجهه وتلوح من خلال نفثاته ، ولما بلغ أولئك الزعما المذكورين نباء الهزيمة النكراء والخسارة الفادحة سقط فى أيدهم وهمهم الأمر أكثر من ذى قبل فاجتمعوا من جديد وقرروا أن يقود الحملة لهذه المرة ، الشريف جعفر بن قاسم العيانى أبو عبد الله المذكور لماله من الحكمة والخبرة الطويلة ليتخلصوا من هذا العدو اللدود فلبى هذا الاقتراح لأنه أكبر الحاقدين الذى لم يرقه الجميل الذى اسداه الملك الصالح لابنه الأسير عبدالله المذكور إذ يرى فى ذلك إذلاله وأهانته وجرح كبريائه فنهض بجيش يريد « مسار » فبينما هو فى « صيد البرار كذا فى السيرة ولعله بين « ريدة » وخارف » فى البون الأسفل ولعله خلط وإنما المراد به « صيد حضور » وهو الأقرب ، إذ واجهه جيش الصليحى السريع الانقضاض فمزق ذلك الجيش الذى ينتظر الزحف شر ممزق تاركا ضحايا =

. . . .

= جسيمة من فرسانه المعدودين ثلاثون فارسا منهم عبد الرحمن بن حسان الحوالى الحميرى وعلى بن عبد الأكبر الهمدانى وانيس بن عبد الله وأسر القائد ومن يقوده وعاد جيش الصليحى بنشوة النصر وبين يديه الشريف جعفر أسيرا فا جثى بين يدى القائد الأعلا الملك الصليحى حتى تلقاه بما جبل عليه من البشر والابتهال واين الجانب الأمر الذى أزال منه كل متاعبه وكل ما كان يخامره من مخاوف وأوهام ثم أودعه دار الضيافه محفوفا بكل كرامة وبعد برهة حمله العهود وأكد عليه العقود أن لا ينصب له حربا ولا يقاتل له حزبا حسب تعبير صاحب السيرة ثم أطلق سراحه وانعم عليه .

وصول قبائل جنب وسنحان ويام ونهد

توالت انتصارات الملك الصليحى واسمعت من به صمم وبلغت حزبه قبائل جنب وسنحان ونهد ويام المدعوين بالحجازيين الذى عاهدوه فى مكة فاسرع منهم قرابة إحدى عشر مائة حاملين السلاح والمعونه المالية وانضاف إليهم منهم خلق كثير متطوعة عن لاسلاح له ولكنهم تاهوا فى الطريق لعدم خبرتهم بمسالك الطرقات إلى « مسار » فتخطفتهم العرب من حولهم ولم يبلغوا مسار إلا بمشقة وعناء كبير وبعد أن خسروا مائة قتيل ومالا جزيلا كانوا يراضون به القبائل السالبة وكان قدومهم مسار فى شهر رجب سنة ٤٤٢هـ اثنين وأربعين وأربعمائة فارتفعت معنوية الصليحى وقويت شوكته كذا فى التاريخ المجهول مؤلفه .

وأحس بملك عظيم وبحلم يتحقق طالما كان يداعبه فأصبح حقيقة ملموسة كانت هذه الأحداث المتتاليه المقرونة بالظفر والملك الصليحى لم يرم من « معقلة مسار » الأمر الذى أقلق بال عقول الساسة الذين فى مقدمتهم القائد نجاح « ملك تهامة » بحكم مجاورته لمنطقة حراز ومتاخمته لذلك فإنه أسرع لمناجزة الصليحى كما مديد المعونة بالمال والمادة لرؤساء العرب والدويلات =

ما زعمه المؤلف من أن نجاحا ملك تهامة أسرع لمناجزة الصليحى ...

. . . .

= الذين كانوا يتبادلون معه رسائل الصداقة والمشاورة والمؤامرة ليطبقوا عليه من كل الجهات فيكالبوا عليه فيسقط فى يدهم ولكن الصليحى كان ابرع واسرع من نجاح فقد بادره خاطبا وده مستكينا لقبول أوامره ونواهيه منهم عما طلا له حتى عقدت بينهما معاهدة صداقة ومودة وحسن جوار وتمت فى جو محاط بالكتمان كى يكرس جهوده بتوجيه عملية موحدة لضرب دويلات الجبال ليتسنى له التربع على عرش اجداده التبابعة « صنعا » وينادى به ملكا شرعيا لأنها محط أنظار الساسة والملوك ولا ولن يتم وحدة اليمن مالم تكن العاصمة «صنعاء» فى يده ومحط ملكه ولن يعترف به كذلك ما لم تكن له صنعاء حاضرة ملكه . كانت هذه المعاهدة بين الصليحى ونجاح فيما بين سنة اثنين وأربعين أو ثلاث وأربعين وأربعمائة التى تعتبر انتصارا للصليحى أضفت عليه هيبة وجلالا إذ أنه قدر بسياسته الحكيمة أن يقنع أكبر سلطان باليمن وعدوه التقليدى الذى يهدده دائماً بالخطر أو إزالته بالكلية وبدون القضا على القائد « نجاح » فلا نجاح لآماله الطوال .

الصليحى يخرج من مسار ليحقق انتصارا جديداً عن يده مباشرة

أمن الملك الصليحى جانب عدوه التقليدى الكبير الغنى بالمال والرجال والعتاد بعد المعاهدة المذكورة ورأى بثاقب فكره أن لا يظل محاصرا فى مسار وأن ينطلق ليبدا المعركة الفاصلة فقام بهجوم مفاجىء لحصن « يناع » المعروف بالحيمة الداخلية وفيه حروث ومزارع وقرى . لأهميته وأهمية من يملكه من السادة الحميريين ثم من الأحبوب وكان قد اتصل أولا بالسيد/الرئيس أبو الحسين بن مهلهل الحميرى الأحبوبى فاستماله ووعده ومناه فدله على نقط الضعف التى فى الحصن ومن أين يؤتى فغزاه الصليحى بنفسه مع عدد من قومه وممن استمالهم من الأحبوب فدارت معركة عنيفة تساقطت فيها روس وطاحت فيها نفوس ودخل الحصن وولى فلول المنهزمين الأدبار لايلوون على شىء حتى =

= استقروا فى بيت خولان « جبلى النبي شعيب » الذى جعلوه لهم درعا واقيا ومعقلا حصينا وكانت هذه الوقعة فى شهر جمادى سنة ٤٤٣ ثلاث وأربعين وأربعمائة كما فى رواية تاريخ اليمن المجهول بينما فى السيرة تذكران ذلك فى سنة ٤٤٤ أربع وأربعين واربعمائة .

ولم يمهل الفلول الذين لجئوا إلى بيت حولان طويلا ليأمن روعهم ويأخذوا أهبتهم لاستئناف القتال لاسترجاع حصنهم فقد باغتهم الملك الصليحى وصعد الجبل بسرعة فائقة وإجلاهم عنه وأصبحت صنعا منه قاب قوسين أو أدنى وبمرأى منه ومسمع . وقد عبر عن هول هذه المعارك صاحب السيرة بقوله . تعاظمت المحن وارتاع أهل اليمن —

وقعة صوف

صوف بفتح الصاد المهمله وسكون الواو ثم فاء مضيق أسفل وادى قرية « يازل » الواقعة على قارعة طريق صنعاء — الحديدة قال صاحب السيرة اجتمع ذو الرأى والتفكير ووجوه الناس إلى أبى حاشد بن أبى يحى بن أبى حاشد بن الضحاك وهو يومئذ الرأس والسلطان من حمير وهمدان واجتمع به أبو الفتوح الخولانى وسلمة بن محمد الشهابى فى كبراء من رؤسا العشائر وتبادلوا فى أمر الصليحى وقرروا على مناهضته والصمود فى وجهه وصده عن صنعاء وغيرها ، مهما كلفهم الثمن غاليا ومهما كانت النتائج وساوروا باهبة حسنة وقوة وافرة وخيل كثير وضربوا معسكرهم فى قاع « نهمان » — من حضور على محجة صنعا — الحديدة ويطل عليه من الغرب « بيت خولان » وكان على مقدمة الجيش الزعيم عبد الأكبر بن وهيب وهو من الرئاسة والشدة والباس والنجدة ما هو مشهور لا يختلف فيه أثنان فطلع الجبال المصاقبة لبيت خولان ليتحرش بالصليحى وعسكره فنال منهم وغنم وقتل وممن قتل ذلك اليوم محمد بن جعفر بن راسان . وكان لسان بنى الصليحى وشاعرهم وخاصهم لحز ذلك =

. . . .

= فى نفس الصليحى واستشاط غيضاً ولكنه صبر على مضض لتهيأ له الفرصة للانقضاض كما أن عبد الأكبر المذكور ترك الموقف الحربى شاغرا واكتفى بالغنيمة الأمر الذى أحدث الفوضى فى صفوت جيش ابن الضحاك وارتباك واهتزاز فى المحطة

وكان فى عسكر أبى حاشد رجل يقال له « حتروش » حسن الرأى فأشار على السلطان أبى حاشد والسلاطين الذى بجانبه أن يقفوا موضعهم بقاع سهمان فإذا جاء الصليحى وجنوده أخذتهم الخيل فخالفوه لأمر يريده الله — ونقلوا المعسكر من قاع سهمان إلى « صوف » فاغتنم الصليحى نزول القوم بذلك المضيق وانقض عليهم من رأس جبل النبى شعيب انقضاض الصاعقة واوقع بهم نهبا وسلبا وقتلا حتى بلغ القتلى ألف نفس كما قتل فى المعركة السلطان أبو حاشد وعدد من الروساء والسلاطين واستولى على ما فى المحطة من سلاح وكراع وعتاد وغير ذلك واشتهرت هذه الواقعة بوقعة « صوف » وضرب بها المثل وكان ذلك فى يوم الأحد من شهر ربيع الأول سنة ٤٤٤ أربع وأربعين وأربعمائة ومن حسن حظ حتروش أنه نجا من المعركة فامنه الصليحى وأوسع عليه الرزق فقال له حتروش ذات يوم : لو كان مولانا استبقى همدان واتخذهم جنداوهم بنو عمه وعشيرته فلم يجبه حتى دعا رجلا من الحجازيين فقال له : الق بنفسك فى هذا البئر وأنا أضمن لك على الله الجنة فالقى نفسه وقال : الله الله أبا الحسن فى العويل ، أى العائلة فقيل : إنه مات وقيل : أخرج وفيه رمق ثم مات وقيل سلم وقال : لحتروش أكانت همدان تفعل هذا انظر إلى مدى تأثر القوم بهذه العقيدة وما أعظم العقيدة الصحيحة الثابتة وأخطرها فإنها تكتسح كل شىء وتنزل العالى من القلل .

وأصبحت عاصمة التبابعة « صنعاء » مفتوحة أمام القائد الأعلا ترحب بابن اليمن - البار وتهتف باسمه الذى يضم شتات أبناء اليمن - ويوحد صفوفهم =

. . . .

— ويجمع شملهم ويعيد وحدة اليمن الكبرى ، ولكن بعد نظر الصليحي وثقوب رائه رأى من الأفضل أن لا يدخل صنعاء لأول وهلة قبل أن يصفى حسابه مع عدوه التقليدى ، القائد نجاح ، وأكبر من يهدده ومضى يعتلج مع أفكاره التى توحى إليه أنه قد أمن جانبا كبيراً من إمارات الجبال التى قضا عليها وهم منه أبنا عمومته وأقرب قريب إليه فما بالك بالدخيل الاجنبى .

وبين هذه الأفكار التى تداعب الملك الصليحي ويتصارع معها رأى من الأفضل والخير العودة إلى بيت خولان ثم انقلب إلى تهامة فجأة كما أرسل أميراً لصنعا واوصاه بلين الجانب وتسهيل الحجاب وحسن السيرة وسياستهم برفق وحكمة .

(نزول الملك الصليحى تهامة)

اجمعت السيرة وتاريخ اليمن المجهول وروضة الحجورى أن الملك على بن محمد الصليحى بعد وقعة ، صوف عاد إلى بيت خولان ومنه إلى تهامة ولم تشر المصادر الآنفة الذكر إلى أى حدث ما ولا كيف كان مصير ، القائد نجاح ، ولا أى شىء من أحوال تهامة لأن صاحب السيرة كما قلنا يطوى انتصارات الصليحى ويذوبها بينما يطبل ويزمر لمولاه فى أضاليل وكرمات هى بالخرافات أشبه أما التاريخ المجهول فالمفقود منه أوراق كثيرة وأما روضه الحجورى فيأتى ما عن له عفوا لهذا توقفنا عن الخوض لهذه الفترة التى تعتبر حاسمية بين تاريخين تاركين ذلك إلى أن ييسر الله اكتشاف تاريخ لهذه الدولة وتاركين الملك الصليحى فى تهامة من سنة أربع وأربعين وأربعمائة إلى نهاية سنة سبع وأربعين وأربعمائة كما اجمعت عليه التواريخ المذكورة ليقرر قواعد تهامه ويسن القوانين ويؤمن الخائف ويصلح الفاسد ويراءب الفتوق إلى غير ذلك من مستلزمات الإصلاح .

=

. . . .

= عود الصليحى من تهامة ودخوله صنعا

بلغ الصليحى وهو فى تهامة أن فلول الحاقدين قد بداءت تدب فيهم الحياة ويتراجع إليهم بعض الأمل لغيابه عنهم وآمنوا مكرا الله لمعاملته لهم بالحسنى وتسامح معهم إلى حد بعيد عادو إلى التجمعات والإتصالات والمؤمرات وعلى رأس هؤلاء الفلول الشريف الفاضل قاسم بن جعفر العيانى الذى لم يعتبر باخيه عبد الله ولا بابيه جعفر بن قاسم العيانى اللذين من عليهم الصليحى بالعفو وانعم عليهما بالصفح وحسن السراح وهذه المحاولة الجديدة الفاشلة هى غزو صنعا ومكاسرة أميره على صنعاء وقطع خط الرجعة على الصليحى .

وقبل أن يبعث الصليحى بجيش أو ينهض بنفسه طير رسالة للشريف الفاضل المذكور كانت هى أشد من الجيش اللهام وانكى من السهام جاء فى تلك الرسالة ما نصه .

فإن الله لو أراد للنملة صلاحا لما جعل لها جناحا وأنا فى استدعا الفرسان وسن الرماح وصقل الصفاح ثم أنا ناهض إليك ومطل بمشيئة الله عليك فكأنى والأمر فى خلاف ما نزلت وذيلها بهذه الأبيات .

هذا اليقين وخيل الله مقبلة   تخب فى نقعها جرى السراحين
هناك لا تنفع الرمى ندامته   وعض ابهامه فى الوقت والحين
فيا لهمدان لا يغرر كم طمع   إن الغرور حبالات الشياطين

ولا يزال الحاقد يغر ربه حقده حتى يوقعه فى المهلكة ويندم حين لات مندم ، وقد أجاب الفاضل على الصليحى نظما ونثرا بمثل ذلك وهو يرتعد خوفا وفرقا شان الضعيف أمام القوى يظهر من القوة والبأس ما يظنه الجاهل أنه الواقع .

. . . .

= والصليحى ليس من أولئك الناس الذين يقولون ما لا يفعلون فقد نهض من تهامة بخيله ورجله بعد ما وطد ملكه بتهامة ودخل صنعا ليومين خلتا من شهر القعدة سنة ٤٤٧ سبع وأربعين وأربعمائة فما كاد يسمع الحاقدون بما فيهم الفاضل نبأ نهوض الصليحى من تهامة إلى صنعا حتى نجا بجلده وتفرق من حوله شذر مذر وكأنهم الشاء والغنم فرت من نباءة السرحان — وكان فى مقدمه عسكر الصليحى الخيالة التى تعقبت المفسدين واقتفوا آثارهم إلى غولة عجيب من ظاهر همدان وهكذا الشخصية اللامعة الكبيرة المتمركزة التى تبلورت فى بوتقة العظمة والقوة وأثبتت وجودها تتلاشى أمامها كل القوى وتذوب عند سماعها كل شخصية .

موقعة حاز والهرابة

لم يطل شهر محرم سنة ٤٤٨ ثمان وأربعين وأربعمائة حتى داعبت فلول المنهزمين الحاقدين أمل العودة إلى المؤامرة والتجمعات لغزو « صنعا » مرة ثانية فتجمعوا فى قرية « حاز » التى بينها وبين شبام كوكبان ساعتين وبينها وبين صنعاء سبع ساعات فى الشمال الغربى وزعيمهم الشريف الفاضل المذكور الآنف الذكر الذى لم ينتفع بالدروس القاسية السالفة التى تلقها هو وأبوه وأخوه من قبل وفى مقدمة العسكر قيس بن وهيب وعلى بن ذعفان فى قرية « قرمل » هى اليوم خراب قال صاحب السيرة إن الشريف الفاضل حاول أصحابه أن يقوموا بالهجوم ويخالفوا الصليحى على صنعا فلم يمتثلوا له فلما كان من الغد باكرهم القوم فلما رأت العينُ العينَ ولوا منهزمين لا يلوى أحد على أحد ولم يثبت مع الشريف غير خمسة أشخاص وتبعهم عدوهم فقتل فى ذلك اليوم من وجوه الناس على بن ذعفان وقيس بن وهيب فى جماعة من وجوه الناس ولم يقر بهم قرار ولا سكنت نفوسهم إلا وهم بين أهليهم وفى أوطانهم . أنظر إلى الشخصية البارزة الرهيبة إنما هى وحدها التى تصلح للقيادة وهكذا تريهم الأيام انتصار الملك

. . . .

= الصالح الآية تلو الآية وبعضها أكبر من بعض وهم فى غيهم يعمهون لأن المغلوب على أمره دائما تحدثه نفسه لشق عصا الطاعة كلما اتيحت له الفرصة .

وقعة الهرابة وهى آخر محاولة

لم تخبو نار حقد فلول الحاقدين الذين ضاقت بهم الأرض عن أتطارها فقد لجؤوا إلى الشريف المذكور ليجربوا معه آخر محاولة انتحارية ، فاتخذوا من حصن « الهرابة » آخر معقل يأوون إليه وهى « اكمة فى بلاد وادعة بلاد حاشد — ليتخذوها نقطة دفاع ومصدر اجتذاب للمفسدين والمتمردين ومأوى لحفظ رءوسهم ودعّموها بالعتاد والتحصين فخرج إليهم الصليحى بجنوده وحاصر تلك القلعة محاصرة شديدة ونصب عليها المنجنيق ودام الحصار قرابة سبعين ليلة أبلى فيها المحاصرون بلاء حسنا ودافعوا عنها دفاع الأبطال لأنها آخر ما فى كنانتهم وآخر محاولة فاشلة فقتل منهم كثير ومات أكثر الناس لنتن القتلى ولنفاد الزاد والماء وأخيرا طلب الشريف المذكور أن يسلم نفسه للملك الصالح على أمان وعهود لنفسه ولمن بقى من أصحابه وفاء بها الملك الصالح وفاء منقطع النظير وفوق حد الوصف ثم انقلب ومعه الشريف إلى صنعاء

وهكذا الصليحى يؤثر الحكمة والتسامح وسياسية الصفح التى هى أحد أخلاقه البارزة التى خلدت ذكره ، ورغم كثرة الأحداث التى واجهته والتى كان يحرز فيها النصر الساحق ويستولى على عدوه بالاسر والقبض ولم يؤثر عنه أنه قتل عدوا له فى حالة الأسر أو غدر به على كثرتهم .

ظل الشريف الفاضل فى ذرى كرامة الصليحى وفى سماحته ورعايته إلى سنة ٤٥٠ خمسين وأربعمائة حيث أطلق سراحه كما يأتى لنا قريبا .

هذا خلاصة ما استقيته من المصادر المذكورة وسيمر بك فى الأصل كلام عمارة وسنبين ما جاء فيه من الأغلاط فى مواضعه إنشاء الله .

تنير»[١] ولم يكن براس الجبل بناء بل كان قلعة فاشية[٢] منيعة فلما ملكها الصليحى لم ينتصف النهار الذى ملكها فى ليلته إلا وقد أحاط به عشرون ألف ضارب بسيف[٣] فحصروه وشتموه وحمقوه وقالوا له .. إما نزلت وإلا قتلناك أنت ومن معك بالجوع . فقال لهم إنى لم أفعل ما فعلت إلا خوفاً عليكم أن يملك هذا الجبل علينا وعليكم فإن تركتمونى أحرسه وإلا نزلت إليكم[٤] فانصرفوا عنه ولم تمض به أشهر حتى بناه وحصنه وأتقنه وبقى الصليحى فى مسار وأمره يستفحل شيئاً فشيئاً من سنة (تسع وثلاثين وأربعمائة)[٥] فى توق من أمره[٦] كاتم لما يضمره من الدعوة وكان يخاف نجاحاً صاحب تهامة وكان يكاتبه ويلاطفه ويستكين لامره ولم يزل الصليحى يعمل الحيلة على نجاح حتى قتله بالسم مع جارية جميلة أهداها إليه[٧] وكانت وفاة نجاح

---

(١) هذه هى معنى العصبية التى تقوم بها ملوك ورؤساء الدول ، انظر مقدمة ابن خلدون .

(٢) هذا مخالف لما سبق عن عمارة فى ص « ٩٠ » ورجحناه هنالك ومعنى فاشية ظاهرة متسعة لا شىء فيها .

(٣) فى «ط» ضارب سيف وفى «خ» و «د» عشرون ألف سياف .

(٤) فى «ط» الا خوفا علينا وعليكم وفى «خ» و «د» وسفهوا رائيه إلى قوله أن يملك هذا الجبل غيرنا فان تركتمونا نحرسه وإلا نزلت فانصرفوا

(٥) كان فى الأصل تسع وعشرون والتصحيح مما سبق .

(٦) فى «ط» فى نزق .

(٧) لم تشر المصادر المذكورة آنفا إلى هذه الحيلة التى كانت سبب القضاء على نجاح ونزول الصليحى إلى تهامة ولا يبعد أن نزول الصليحى المفاجىء إلى تهامه بالصورة التى حكيناها عن المصادر الآنفة لها صلة بهذه الحكاية .

بالكدرا فى عام اثنتين وخمسين وأربعمائة(١) .

وفى عام ثلاث وخمسين(٢) كتب الصليحى إلى الإمام المستنصر بالله

---

(١) هذه من أوهام عمارة كما سبق الالماع إلى ذلك عن المصادر المذكورة من أن الصليحى احتل تهامة مفاجأ سنته ٤٤٤ أربع وأربعين وأربعمائة لا كما هنا ، ويعضد ما تقدم ما جاء مؤكدا فى سيرة ذى الشرفين أن الملك الصليحى نزل من صنعاء عن طريق زبيد فى فتنة ابن الكرندى إلى المعافر سنته ٤٥٠ خمسين وأربعمائة ومعه الشريف الفاضل ونزلوا فى زبيد على ضيافة أميرها أسعد بن شهاب الصليحى وظل الصليحى محاصرا لابن الكرندى بقلعة السوا تسعة أشهر حتى نزل على حكمه وانقلب راجعا إلى صنعاء فى نفس السنة وفيها مات جعفر بن قاسم العيانى وفيها أطلق سراح ابنه الفاضل تكرما من أجل وفاة والده وبشفاعة السيدة أسماء بنت شهاب زوج الصليحى فغادر البلاد إلى الحجاز هو وأخوه ووجدا من أمراء مكة من سوء المعاملة ما اضطرهما لمفارقة الأماكن المقدسة وظلا مشردين تسع سنين ثم عادا فى نفس السنة التى قتل فيها على بن محمد الصليحى سنة ٤٥٩ إلى اليمن ثم إلى همدان التى ترحب بالطريد الغريب لتخلق منه ألهة أوطاغية فى وقت معا ولتستغله فى النهب والسلب والتخريب والتناحر القبلى وفساد النفوس وخراب الذمم ، ففور عودتهما راودوا الفاضل بالقيام فاجابهم بقوله . . والله لو لم تبق من بنى الصليحى الاجارية لقاتلتنا ، ثم لم يزالوا به حتى تحركت فيه نعرة الحقد والعقد النفسية لتكون نهايته فقد لقى مصرعه على يد الذين غرروا به وأغروه بالقيام وذلك فى الجوف بعد أن تلقوا التعليمات من الأمير أحمد بن المظفر الصليحى سنة ٤٦٨ ثمان وستين وأربعمائة .

(٢) هذه الجملة ساقطة من « ط » جاء فى المصادر المذكورة أنه لما عاد الصليحى .

يستأذنه فى إظهار الدعوة فعاد إليه الجواب بالاذن فى ذلك فطوى البلاد طيا وفتح الحصون والتهائم ولم تخرج سنة خمس وخمسين وما بقى عليه من اليمن سهل ولا وعر ولا بر ولا بحر إلا فتحه وذلك أمر لم يعهد مثله فى جاهلية ولا إسلام حتى قال فى يوم وهو يخطب الناس فى جامع الجند وفى مثل هـذا اليوم نخطب على منبر عدن انشاء الله(١) فقال بعض من حضر مستهزءاً(٢) سبوح قدوس. فأمر الصليحى بالحوطة عليه وخطب الصليحى فى مثل ذلك اليوم على منبر عدن فقام ذلك الانسان فقال سبُّوحان قدوسان، وأخذ البيعة ودخل فى المذهب(٣).

وفى سنة خمس وخمسين استقر قرار الصليحى بعدها وأخذ معه ملوك اليمن الذين أزال ملكهم فأسكنهم معه(٤) وولى فى الحصون غيرهم واختط بصنعاء عدة قصور.

حدثنى محمد بن بشارة من أهل صنعاء سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

---

(١) بل فى نهاية سنة ٤٤٨ خراج الصليحى وأخضع بلاد حجة وبلاد حمير وخولان العالية وعلس ويحصب ورعين فأهملناها لأنها لم تربط بالستين راجع تاريخنا.

(٢) فى الأصل الأستهزاء والتصحيح من «خ» و «د».

(٣) وفى «خ» و «د» زيادة وتعالى فى القول وفى «ط» المذهب الطاهر

(٤) وكذا فى «خ» و «د» وفى «ط» التى أزال ملكها والملوك الذين أزال ملكهم الصليحى هم الحواليون ملوك شبام كوكبان والمغارب وكحلان خبان وسلاطين حاشد بنوا الضحاك واللعويون أقيال ريدة وناعط والسخطيون ملوك يحصب وبنوا أبى الفتوح أمراء خولان العالية والشهابيون أملاك صنعا وحضور والتبعيون أذوا بعدان والكلاعيون بنوا وائل ملوك الكلاع وبنوا الكرندى سلاطين المعافر والمناخيون أصحاب المذيخرة وبنوا معن الحميريين أصحاب لحج وابين وبنوا شاول أصحاب عدن وغيرهم ممن يطول ذكرهم

وذكر أن عمره قد ناهز الثمانين قال .. لم أعقل بقصر الصليحى إلا مستهدماً وجميع من بنى داراً بصنعاء يبنى بأنقاض قصور الصليحى من تلك المدة إلى الآن ومافنى طوبه وأحجاره وأخشابه[١] وأما زبيد وأعمال تهامة[٢] فكان الصليحى قد أقسم لاولاها[٣] إلا لمن وزن له مائة ألف دينار ثم ندم على يمينه وأراد أن يوليها صهره أسعد بن شهاب صنو أسماء بنت شهاب زوجة الصليحى فحملت أسماء المال[٤] عن أخيها إلى الصليحى فقال لها زوجها يامولاتنا .. أنى لك هذا قالت[٥] هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب[٦] فتبسم وعلم أنه من خزائنه فقبضه وقال . هذه بضاعتنا ردت إلينا : فقالت له .. ونمير أهلنا ونحفظ أخانا[٧] .

---

(١) الطوب . الآجر وهكذا قصور الملوك يسرع إليها الخراب لا لأنها بنيت من حرام وظلم ومن عرق الكادحين فحسب بل ومن اتساعها وهجرها واختلاف الأيدى عليها وتبرم أهلها عنها وتفرقهم أيدى سباولان الذى يتملك بعدهم لايحب أن يسكن فى مساكن الذين ظلموا انفسهم .. بزعمه بل يبنى ملكا من جديد وقد شاهدنا قصور الطغاة فى عصرنا هذا بعد استلاب مملكتهم وفى مدة قصيرة وهى فى طريقها إلى الانقراض والخراب كما فعل باشياعهم من قبل فى مقدمته وبخاصة العرب كما قال ابن خلدون .

(٢) وفى «ط» زأعمالها تهامه .

(٣) فى «ط» لايوليها وفى «د» إلا تولى تهامة وفى «خ» وفى تهامة .

(٤) فى «ط» فوزنت له زوجته .

(٥) وفى «ط» فقال عن تصحيح من الوفيات .

(٦) سورة آل عمران آية ٣٧ .

(٧) سورة يوسف آية ٦٥ .

ودخل أسعد بن شهاب زبيد سنة ست وخمسين واربعمائة[1] فاحسن السيرة مع الرعية وفسح للسنة فى اظهار أديانهم[2] وسكن دار شحار وهى بنيه لا يكاد همة الخراب أن ترقى إليها ولا يقدر سلطان الفساد أن يتسلط عليها وهو مما بناه شحار بن جعفر مولا ابن زياد صاحب مخلاف جعفر فقال أسعد بن شهاب فاستلقيت يوما على ظهرى أفكر فى أمرى وأقول — إن الصليحى مبجل وقد ولانى زبيد وهو يرى مكان أسعد بن عراف وعامر ابن سليمان الزواحى وفلان وفلان من الملوك (ومولاتنا)[3] التى تغمرنى باحسانها وإن ماثلتنى بانسابها فوجدت فى نفسى غضاضة من الدخول تحت منة مولاتنا أسماء وكرهت أن أمد يدى إلى ظلم أحد من الرعايا والعمال ثم غفوت وإذا أنا بتراب ينتثر على وجهى من السقف وهو مفرنس بالذهب[4] فصعدت إلى سطوحه وكشفت السقف فوجدت صناديق من المال (بين سقفين)[5] وفيها من الصامت والذخائر مايزيد على ثلثمائة ألف دينار فقدمت ثلث تلك الجلة وتصدقت به وسيرت ثلثها الى مولاتنا فتخلصت من منتها وتأثلت أموالا وأملاكا بالثلث الثالث فعاهدت الله

---

(١) سبق النقل عن السيرة أن أسعد بن شهاب كان موجودا أميرا على زبيد وأعمال تهامة فى سنة خمسين واربعمائة فتوليته أسعد بن شهاب لزبيد وأعمالها هو من عندما نزل الصليحى تهامه سنة ٤٤٧ فما هنا من أوهام عمارة.

(٢) فى «د» و«خ» وإذن لأهل السنة وعامل الحبشه ومن يتهم بالدولة بالصفح والأحسان حتى زرع محبته فى قلوب الناس.

(٣) هذه الزيادة لابد منها لينتظم سياق الكلام.

(٤) يقال سيف مفرنس إذا عمل على هيئة السلم.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ط».

عز وجل أن لا أظلم أحداً من خلقه[١] فاقمت والياً خمس عشر سنة[٢] لم يتعلق بذمتي منها إلا مالم أعلم به[٣] قال أسعد بن شهاب وكان مولانا على بن محمد الصليحي قد ولى معي ثلاثة رجال كانو أعواناً لي على ما أردت من الكفاف والعفاف عن أموال الناس فنهم أحمد بن سالم

---

(١) ومثل هذه الحكاية ـ والشيء بالشيء يذكر ماوقع للملك معز للدولة بن بويه الديلمي وذلك أنه فتح شيراز في أول ملكه واجتمع أصحابه وطالبوه بالاموال ولم يكن معه مايرضيهم وأشرف أمره على الانحلال فاغتم لذلك فبينما هو مفكر قد استلق على ظهره في محلس قد خلا فيه التفكر والتدبير إذ رأى حية قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت إلى موضع أخر فخاف أن تسقط عليه فدعا الفراشين وأمرهم باحضار سلم وأن تخرج الحية فلما صعدوا بحثوا عن الحية ووجدوا ذلك السقف يفضى إلى غرفة بين سقفين فعرفوه ذلك فامرهم بفتحها فوجدوا عدة صناديق من المال والصاغات قدر خمسمائة ألف دينارا لحمل المال إلى بين يديه فسر به وانفقه في رجاله ثم أنه قطع ثيابا وسأل عن خياط فوصف له خياط كان لصاحب البلد قبله فامر باحضاره وكان « أطروشا » الأصم والأدرن في اللغة العامية فظن أنه قد وشى به إليه في وديعة كانت عنده لصاحبه وأنه طلبه لهذا السبب فلما خاطبه حلف أن ليس عنده إلا أثنا عشر صندوقا لايدرى مافيها فعجب عماد الدين من جوابه ووجه معه من حملها فوجد فيها أموالا وثيابا بجملة عظيمه فكانت هذه الأسباب من أقوى دلائل سعادته ابن خلكان ج ـ

(٢) راجع الصليحيون ص ٩٤ في الكلام على ولاية اسعد بن شهاب .

(٣) تأمل عظمة نفس اسعد بن شهاب وحسن سيرته في الناس وعفته وعزوفه عن أموال الرعايا والعمال وهكذا فليكن الساسة المصلحون .

كان إليه أمر العمالة من وادى حرض إلى قريب عدن[1] وكان يحمل عن قلبى شغب العمال واستخراج الأموال ولا أحضر من أحواله إلا على حساب معمول أو مال محمول ومنهم القاضى أبو محمد الحسن بن أبى عقامة وهو من ولد محمد بن هارون التغلبى الذى قلده المأمون[2] الحكم باليمن مع ابن زياد وكان قائما عنى بأمر الشريعة قياما يحمد غيبه ويؤمن عيبه[3] ومنهم أبو الحسين على بن محمد القم وهو والد الحسين بن على بن محمد الشاعر المعروف بابن القم وكان هذا على من أعيان الرجال كرما ورياسة وكفاءة فى الكتابة[4] وكان شاعرا وهو القائل فى أخيه وقد عنفه بشدة ميله[5] إلى ولده الحسين الشاعر من مقطوع :

تراه بعين لايزال يرى بها بنيه وما كل الرجال رجال

قال أسعد بن شهاب فجعله الصليحى[6] معى وزيرا وكاتب إنشاء وأمرنى هو ومولاتنا أسماء أن لا أقطع برأى دون رأيه وكنت أرسله فى كل سنة وافداعنى إلى صنعاء صحبه العامل أحمد بن سالم بحمل من مال تهامة والحمل من تهامة فى كل سنة من العين خاصة ألف ألف دينار فلا[7] يرجع إلى صاحبى فى كل سنة إلا بصلة من مولاتنا مبلغها خمسون ألف دينار فاقسمها بينى وبين أصحابى ومن أخبار الصليحى[8] أنه فى

(١) فى «ط» إلى قريب عدن وزيادة . إليه أمر العمال من الجهات .
(٢) فى «ط» زيادة ابن الرشيد .
(٣) فى «ط» أحوال الشريعة ويجهد عبثه .
(٤) فى «ط» وكفاية فى الكفاية .
(٥) فى «ط» فى شدة قبل وكان يجيد الشعر .
(٦) فى «ط» لجعله الداعى على بن محمد الصليحى .
(٧) أى مليون فى عرف عصرنا وفى «ط» عامل تهامة واتحمل من تهامة .
(٨) فى «ط» السلطان على بن محمد الصليحى .

سنة ستين وأربعمائة[١] بلغة أن ابن طرف قد اجتمع إليه من ملوك الحبشة واخلاط السودان عشرون ألفاً فسار الصليحى إليهم فى ألفى فارس وسبعمائة فالتقوا فى الزرائب[٢] من أعمال ابن طرف وهو الوطن الذى ولدت فيه وبها أهلى إلى اليوم فاستحر القتل[٣] أول اليوم فى العرب ثم كانت الدائرة على السودان فلم يبق منهم أحد إلا ألف رجل أجارهم جدى[٤] أحمد بن محمد فى حصنه بعكوة والعكوتان جبلان منيعان لايطمع أحدهما فى حصارهما وفيهما يقول زاجر الحاج إذا نفروا يخاطب عينه .

إذا رأيت جبلى عكاد   وعكوتين من مكان باد

فأبشرى ياعين بالرقاد

وجبلى عكاد فوق مدينة الزرائب وأهلها باقون على اللغة العربية من

---

(١) هذا من أوهام «عمارة» إذ لم تدخل سنة ستين وأربعمائة إلا والملك الكامل تحت الثرى عظاما نخرة لأن قتله كان فى سنة ٤٥٩ هـ تسع وخمسين وأربعمائة كما سبق وكما يأتى .

(٢) الزرائب لاتعرف اليوم من المخلاف السليمانى وفى الصليحيون أن وقعة الزرائب كانت فى سنة خمسين وأربعمائة . وأنا استبعد ذلك فقد حكينا عن سيرة ذى الشرفين فى (ص) أن الملك الكامل نزل فى المحرم سنة ٤٥٠ خمسين وأربعمائة لمحاصرة يعفر بن أحمد الكرندى فى قلعة السوا بالمعافر إلخ ولم يذكر أى حادث غير المحاصرة لابن الكرندى لأنه ظل مع الصليحى إلى أن عاد إلى صنعا ولعل وقعة الزرائب كانت فى سنة سبع وأربعين وأربعمائة عندما استفتح الصليحى تهامه والله أعلم أيا كان ذلك ولعل الأيام تجود لنا بمصادر أكثر توسعا .

(٣) استحر اشتد وفى «ط» القتل .

(٤) وفى «ط» احتازهم جدى .

الجاهلية إلى اليوم ولم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا قط بأحد من أهل الحاضرة في مناكحة ولا مساكنة وهم أهل قرار لايضعنون عنه ولا يخرجون منه (١) ولقد أذكر أني دخلت زبيد في سنة ثلاثين وخمسمائة أطلب الفقه وأنا يومئذ دون العشرين (٢) فكان الفقهاء في جميع المدارس يتعجبون من كوني لا ألحن بشيء من الكلام فاقسم الفقيه نصر الله بن سالم الحضرمي بالله القدير لقد قرأ هذا الصبي في النحو قرآة كثيرة فلما طالت المدة والخلطة بيني وبينه صرت إذا لقيته يقول مرحبا بمن حنثت في يميني لأجله ولما زارني والدي وستة من إخواني إلى زبيد أحضرت

---

(١) في « ط » وهم أهـــل قرار لايضعنون والعكوتان تثنيه عكوه بالضم وهي في اللغة رأس الأليه أوراس الذنب وفي اللغة الدراجة بفتح العين وعكاد بضم أوله وفي القاموس زنه سحاب جبل قرب زبيد باقية على اللغة الفصحى وقد وهم صاحب القاموس في كون عكاد قرب زبيد والحال أنه شمال زبيد بالمخلاف السليماني بمراحل عن زبيد كما أن شارحه المرتضى أشار إلى أن لغة أهل الجبلين المذكورين لازالت على ماتركهما عمارة يتكلمون باللغه الفصحى وخبرني الاخ الاديب قاسم ناصر من مدينة جازان أن أهل الجبلين المذكورين لازالت لغتهم هي الفصحى إلا بعض الشيء بحكم الاختلاط وعكوتان وعكاد والزرائب من وادي بيش بالمخلاف السليماني وقد جاذكر العكوتين في النقوش الحميريه رقم (٢٠) المختصر للغويدي ص ١٩ وفيه أن شمرير عش ملك سباوذي ريدان طرد شعوب في سهل ضمد نحو عكوتين في الجهة الشمالية حتى أن البحر اختطفهم قاسم ناصر هـــذا قد اختطف وقتل في بلاد السعودي إيام الحروب الطاحن في الثورة وكان عالما كاتبا وراجع الكلام عن العكوتين المعجم المفهرس للعقيلي .

(٢) في « ط » أطلب العلم دون العشرين باسقاط وأنا يومئذ

الفقهاء فتحدثوا معهم فلا والله مالحن أحدهم لحنة واحدة. اثبتوها عليه (١).
ونعود إلى خبر الصليحى (٢) وأدركت العظام والأظفار فى موقع الوقعة (٣) تنسفها الرياح إذا اشتدت ثم عاد الصليحى إلى صنعا بعد دخوله إلى زبيد فاقام بها أثنى عشر سنة لايريم منها (٤).

أخبار مقتل الداعى على بن محمد الصليحى. وهو يوم السبت الثانى عشر من ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين وأربعمائه (٥) (وقيل فى سنة تسع وخمسين وأربعمائة) وهى رواية صحيحة.) (٦) ثم ولى الصليحى (٧) أعمال الحصون والجبال لقوم يثق بهم وأخذ الملوك والأكابر فى صحبته وأخذ معه زوجته أسماء بنت شهاب أم الملك المكرم وعزم على التوجه إلى مكة حرسها الله تعالى وولى أبنه المكرم صنعاء واستخلفه وتوجه فى الفى فارس فيها (٨) من آل الصليحى مائة وستون حتى إذا كان فى المهجم

---

(١) فى « ط » نقموها

(٢) فى « ط » إلى ذكر الداعى على بن محمد الصليحى

(٣) فى « ط » وفى الموقعة .

(٤) لا يريم لا يبرح وفى « ط » عنها

(٥) هذا هو الوهم الذى وقع فيه (عمارة .

(٦) هذا هو الصحيح الذى صادقت عليه جميع التواريخ التى ذكرناها ولا اساس من الصحة للرواية الأولى وأن اختلفت فى اليوم ففى روضة الحجورى أن قتل الصليحى يوم الأثنين السابع من ذى القعدة سنة ٤٥٩ وفى طبقات إبن سمرة أن ذلك يوم السبت العاشر من ذى القعدة سنة ٤٢٩ مع أن هذه الزياة من « ط » وهى أيضاً موجودة فى الجندى .

(٧) وفى « ط » ثم ولى السلطان الدعى المظفر فى الدين ولى أمير المؤمنين على بن محمد الصليحى

(٨) فى « ط » باسقاط فيها .

ونزل فى ظاهرها بضيعة يقال لها أم الدهيم وبئر أم معبد [١] وخيمت عساكره والملوك التى معه من حوله مثل ابن معن وابن الكرندى وابن التبعى ووائل بن عيسى الوحاظى ونظرائهم من الملوك الذين أخذهم الصليحى خوفا منهم أن يثور وابعده على البلاد ولم يشعر الناس وهم مرتشون فى أحوالهم مفترقون فى ذاتهم [٢] حتى قيل لهم قتل الصليحى فانذعر الناس واسقط مافى أيديهم [٣] وانكشف الخبر عن قطع رأس على وعبد الله ابنى محمد الصليحى وأحيط بالناس فلم ينج منهم أحد وانتقل إلى سعيد الأحول بن نجاح ملك الصليحيين وذخائرهم وأموال تلك السلاطين بأسرها وقتل الملك سعيد جميع بنى الصليحى [٤] رماهم بالحراب وابقى على وائل بن عيسى الوحاظى وعلى ابن معن وابن الكرندى، وقتل من بقى وسبا أسماء بنت شهاب أم الملك المكرم وقفل من المهجم [٥] عائداً إلى زبيد والرأسان مقبلان أمام هودجها إلى أن ركزهما قبالة الطاقة [٦] التى اسكنها بزبيد فيها واقامت اسما بنت شهاب عند

---

(١) لم أعثر على موقعهما اليوم إذ قد دب إليهما الخراب وهذا بعد البحث.

(٢) فى «ط» فى انديتهم وهو صحيح والكلمة فى الأصل فيها أشكال فوضعناها هكذا.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ط».

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ط» ولا شك أن قتل على بن محمد الصليحى كان عن موامرة حيكت خيوطها من الملوك الذين فى صنعا وامتدت إلى سعيد الأحول وأخيه جياش بزبيد كما حققنا الموضوع بقرة العيون وفى كيفية قتل على بن محمد الصليحى روايات

(٥) فى «ط» فاقتل:

(٦) فى «ط» الطاقة وينقلان وفى «خ» وجعل رأس الصليحى وأخيه أمام هودجها

سعيد بن نجاح سنة كاملة فى اسره [١]

أخبار مسير الملك السيد / المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين أحمد بن على الصليحى من صنعاء إلى زبيد لأخذ أمه أسماء بنت شهاب من أسر [٢] سعيد الأحول بن نجاح .

قالوا لما أعيت الحيل [٣] فى إيصال كتاب من أسماء إلى المكرم أو منه إليها احتالت أسماء وكتبت كتابا وجعلته فى رغيف واحتالت فى إيصاله إلى سائل ضعيف [٤] فأوصله إلى المكرم فى شوال سنه ستين وأربعمائه [٥] وهى تقول فيه . . قد صرت [٦] حبلى من العبد الأحول فإن أدركتنى قبل أن أضع وإلا فهو العار الذى لا يزول فلما وقف (المكرم) على كتابها [٧] جمع الناس وأوقفهم عليه فضجوا بالبكا وثارت الحفائظ وسار من صنعاء فى ثلاثة ألف فارس بعد أن خطبهم

---

(١) يبدو من ظاهر كلام سيرة الفاضل أن إقامة السيدة بنت شهاب فى اسر الأحول لم تطل سنة كما وأن فى كتاب الصليحيون أن المكرم غزا زبيد فى صفر سنة ستين وأربعمائة أما الذى فى روضة الحجورى أن المكرم خرج من صنعا فى شهر رمضان سنة واحد وستين وأربعمائة وكذا فى طبقات ابن سمرة ص ١٢٢ إلا أنه لم يعين الشهر وفى الصليحيون تعتبر سنة واحد وستين = هى الخرجة الثانية عندما قتل سعيد الأول والقضية تحتاج إلى مصادر أوسع مما فى أيدينا .

(٢) كلمة أسر ساقطة من الأصل . (٣) فى « ط » الحيلة

(٤) هذا مستبعد أن تثق السيدة أسماء بهذا السائل لاول وهلة وقد حللنا الموضوع فى قرة العيون فارجع إليه .

(٥) كان فى الأصل خمس وسبعين والتصحيح من الصليحيون .

(٦) فى « ط » باسقاط قد .

(٧) زيادة من « ط »

بنفسه[١] وحرضهم واستخارهم[٢] وكان فصيحا شجاعاً مشهورا بالثبات والإقدام إذا زلت الأقدام[٣] ولم يكن فى زمانه من يتعاطى حمل رمحة وسيفه لشدة قوته[٤] وعظم خلقته .

ولم يزل فى كل منزل يخطب الناس ويقول لهم . . من كان يرغب فى الحياة فلا يكن معنا إلى أن صفا له بفج الحلفا[٥] ألف وستمائة فارس وعاد عنه ألف وأربعمائة .

وحدثنى الشيخ الفقيه المقرى سليمان بن ياسين ، قال حدثنى الشيخ الزاهد محمد بن علية قال . . كنت فى مسجد التريبة[٦] يوم الجمعه عند طلوع الفجر وقد دخل أهل الوادى إلى زبيد وتحصنوا بها من خوف العرب[٧] وكنت قد بلغت بالختمة (التى بت مشغولا بها)[٨] إلى سورة

---

(١) فى «ط» بعدما حالفهم وخاطبهم واسقاط «بنفسه وفى «خ» و «د» بعض تصرف .

(٢) أى جعل لهم الخيرة فى أمرهم وفى «ط» استنصرهم .

(٣) هذه الزيادة ساقطة من «ط» . (٤) وفى «ط» وشدة قوته .

(٥) فى «ط» من الحلفا والفج المضيق بين هضبتين أو نحوهما والحلفا بفتح الحا المهمله وسكون اللام ويقال له اليوم شط الحلفا وهو أحد المحطات من صنعا إلى زبيد لذلك العهد ويقع شمال وادى سهام من تهامه

(٦) التريبة بلفظ التصغير بلدة عامرة كثيرة المساجد تقع شرقى زبيد بمسافة يسيرة .

(٧) لأن فى طباع الأعراب الجفافيتر بى فيهم طباع السلب والنهب ولا يهمهم الأمر الذى انتدبوا إليه وهذا مرجع فشلهم فى بعض الأحداث فلا يثبتون فى مراكزهم .

(٨) هذه الجملة ساقطة من «ط» .

والسماء ذات البروج[١] والمسجد محمول فى قفرة من الأرض. فإذا أنا يفارس يحولنى وأنا لا أتحققه انطاط الفجر[٢] وبقايا الغبش فركز رمحه وأسنده على الجناح الغربى الذى أنا فيه[٣] ثم نزل فصعد إلى شخص مارأيت فى ولد آدم[٤] أتم خلقة ولا أحسن منه منظرا وروائحه روائح الملوك ثم قام إلى جانبى فصلى ولم يلبث الصباح أن تجلى وإذا رمحه أنبوبة من البراع الكولمى لا تلتق عليه الكفان[٥] ، والفرس مثل البعير ثم قال ..[٦] اختم حزبك فختمت وهو مصغ إلى التلاوة وأمرنى أن أدعو عند الختمة[٧] ففعلت وهو يؤمن على الدعوات وإذا الخيل قد أقبلت عند طلوع الشمس أرسالا وحزقا من هجول ذلك الخبت وكل رعيل يسلم عليه ويوقف[٨] وكانت تحيتهم له أنعم الله صباح مولانا وأدام عزه[٩] ولايزيدهم فى الرد على قوله[١٠] مرحبا ياوجوه العرب إلى أن تكاملوا ، وصعد إليه إلى المسجد[١١] أقوام

---

(١) وفى «ط» بعد هذا ولم يكن لى شغل فى ليلتى إلا التلاوة إلى حيث بلغت من الختمة .

(٢) وفى «ط» الأرض والغطاط من معانيه بقية سواد الليل

(٣) وفى «ط» على الجناح .   (٤) وفى «ط» من الدوام .

(٥) الكولمى نسبة إلى بلدة كولم المعروف الآن باسم كليلون على ساحل مليبار وبا لهند المسالك والممالك وفى «ط» ، ولا يلتق بزيادة الواو

(٦) وفى «ط» قال لى .   (٧) أى عند الختم ولعله أصح

(٨) فى «ط» ويقف والحزق الجماعة من الناس والهجول جمع هجل وهو المطمئن من الأرض والرعيل جماعة الخيل وكل قطعة متقدمة من خيل ورجال والخبث معروف متسعمل .

(٩) فى «ط» صباحك وهو وهم .

(١٠) فى «ط» على الرد أكثر من قوله   (١١) فى «ط» فى المسجد

لم أعرف منهم إلا أسعد بن شهاب(١) بحكم ولايته علينا أهل زبيد فقلت لأسعد من هؤلاء فقال . . أما هذا فهو الملك السعيد أحمد بن على الصليحى وأما هذا فزريع بن العباس الكُرَّم اليامى(٢) وأما هذا فعامر الزواحى اكرم عربى تمشى به الخيل ثم عرضوا على رابع أن يطلع عليهم فلم يفعل وهو عم أسعد بن شهاب وعم السيدة أسماء بنت شهاب وليس دون الأربعة فى شرف ولا حسب .

ثم قام المكرم فخطبهم بحيث يسمع الجميع وحفظت من كلامه قوله أيها المؤمنون إن عزائمكم لو تجشمت حديداً لكنت قد أرهفته (٣) ولست اليوم أزيدكم غير ما سمعتموه منى بالأمس وفيما قبله وقد كنت أعرض عليكم الرجوع وفى المسافة إمكان وأما اليوم فقد صار الخيار إلى عدوكم لأنكم قد توغلتم عليه خيسه(٤) وإنما هو الموت أو العار بفرار لايجدى ثم أنشد قول المتنبى :

وأورد نفسى والمهند فى يدى ... موارد لايصدرن من لايجالد(٥)

وكانت يومئذ الحبشة قد صفت فى عشرين ألف رجل وكانت ميمنة

---

(١) يقول فى كتاب الصليحون أن الأمير اسعد بن شهاب كان فى هذا الوقت قدمات ولعله اسعد بن عراف .

(٢) فى الأصل المكرم بزيادة الميم فى أوله والتصحيح مما يأتى فى ص ومن العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين للماسى الذى نقل ذلك من لوحة ضريح الملك محمد بن سبا

(٣) فى «ط» لكان قد ارهفته

(٤) الخيس بكسر الخاء المعجمة والمثناة من تحت ثم سين مهملة عرين الأسد وبيتة وفى «ط» خلسه عن تصحيح منه .

(٥) ...

العرب لأسعد بن شهاب[١] والميسرة[٢] لعمه وقال لهما المكرم شتما كأحد من الجيش لأنكما موتوران ومولاتنا أخت أحدكما وابنة (أخى)[٣] الآخر وسار المكرم فى القلب والتقى القوم فقاتلت الحبشة[٤] التى كانت فى القلب وانطوى جناحها فانكسرت الأحبوش وانكسروا وقتلوا قتلا ذريعاً .

وهرب سعيد الأحول ومن معه إلى دهلك وجزائرها[٥] ولم يزل القتل فى الناس إلى صلاة الظهر على باب المدينة ثم كان أول فارس وقف تحت الرأسين المصلوبين تحت طاقة أسماء بنت شهاب ولدها المكرم أحمد بن على الصليحى ، وقال لها المكرم وليست تعرفه

---

(١) سبق عن كتاب الصليحيون أن اسعد فى هذه الآونة قد كان توفى .

(٢) الزيادة من « خ »

(٣) فى « خ » زيادة قتالا شديداً وكذا فى « د » .

(٤) فى «ط» وانطوى العسكر «ط» واصطدم الجيش والتقا القوم وفى « خ » فانطوى عليهما الجناحان فانكسرت الحبشة كسرة شنيعة فجالت الخيل جولة واحدة فانطحنوا طحن الرحا واتى القتل على أكثرهم وكذا فى « د »

(٥) فى روضة الحجورى أن سعيد الأحول فر بعد الواقعة إلى الشحر فلحقه المكرم فقتله هنالك واحتز رأسه وعاد به إلى صنعاء وسيأتى مزيد كلام فى هذا على أن فى « خ » و « د » زيادة ما يلى . وكان سعيد قد أعد خيلا مضمرة على الباب الغربى المسمى باب النخل من زبيد فلما انهزم ركبها فيمن سلم من اصحابه وخواصه وأهل بيته وسار عليها إلى البحر وقد اعدت له سفن هنالك فركبها من فوره وسار نحو دهلك ودخل العرب زبيد فكان أول فارس) .

أدام الله عزك يامولاتنا : فقالت مرحباً ياوجه العرب[1] فسلم عليها صاحباه مثل سلامه ثم سألته من هو[2] فقال لها أنا أحمد بن على قالت .. إن أحمد بن على فى العرب كثر[3] فاحسر لى عن وجهك حتى أعرفك لحسر الحديد[4] عن وجهه فقالت .. مرحبا يامولانا المكرم وفى تلك الحالة أصابه الهوى فارتعش واختلجت بشرة وجهه[5] وعاش عدة سنين[6] وهو ينتفض رأسه وتتحرك بشرة وجهه ثم قالت له . . من صاحباك فسماهما لها فوهبت لأحدهما ارتفاع عدن فى تلك السنة وكان مائة ألف دينار ووهبت للآخر حصني كوكبان وحوشان[7] ومخلافيهما وليسادون ارتفاع عدن ثم دخل الجيش ارسالا وهى فى الطاق لانستر وجهها وتلك عادتها فى أيام زوجها لسمو قدرها عمن تحتجب عنه[8] النساء ثم تقدم المكرم بانزال الرأسين وبنا مشهداً

---

(١) كان فى الأصل ياوجيه العرب والتصحيح منا وفى « ط » باوجه العرب بالباء الموحدة وهى هفوة مطبعية .

(٢) فى « خ » و « د » من أنت .

(٣) إنما أرادت بذلك التثبت الذى مبعثه الكمال وإلا فمن البعيد أن تدور المعركة الشديدة وهى لاتعرف عنها شيئا .

(٤) وفى « خ » و « د » فرفع المغفر

(٥) فى « ط » اختلجت وهو تصحيف مطبعى

(٦) فى « خ » وعاش بعد ذلك بقية عمره

(٧) فى الأصول حوتان بالتا المهملة بعد الواو ولا أعرف عنه شيئاً وفى (ط) حوبان بالموحدة بعد الواو وقاع الحوبان من ضواحى شرق مدينة تعز ولاشىء فيه وقد صححته بحوشان بالشين بعد الواو لأن قاع حوشان قريب من كوكبان ومن أعماله سابقا وهو المراد ويقع بين شبام كوكبان وثلاو حبابة .

(٨) فى (ط) عما تحت جب عنه وهو وهم

عليهما وأنا أدركت مشهد الرأسيين ويقال إن أسماء بنت شهاب قالت للمكرم .. حين أسفر عن وجهه (١) من كان مجيئه كمجيئك فما أبطأ ولا أخطأ ولم يكن فى قولها فى كتابها انى حامل من العبد صحة (٢) وإنما أرادت أن تستثير حفيظته (٣) .

ونادى منادى المكرم يومئذ يرفع السيف بعد الفتح وقال للجيش اعلموا أن عرب هذه التهائم (٤) يستولدون الجوار السود فالجلدة السودا تعم العبد والحر ولكن إذا سمعتم من يسمى العظم عزما فاقتلوه فهو حبشى ومن سماه عظما فهو عربى فاتركوه ثم ولى خاله أسعد بن شهاب (٥) أعمال تهامة على جارى عادته وارتحل إلى صنعاء باسما قرير العين بالظفر وأدركت أهل زبيد إذا شتم السوقى منهم صاحبه قيل له ، لم تشتم الرجل فيقول الشاتم .. الرجل والله الذى أخذ أمه (٦) وقتل عشرين أنفا دونها ولعمرى إن هذا هو الرجل (٧)

ثم أن المكرم ولى خاله أسعد بن شهاب (٨) زبيد وما معها ووزر لابن شهاب فى هذه الكرة أحمد بن سالم العامل فاوفده أسعد بن شهاب على المكرم وعلى أسماء (٩) ومعه ارتفاع تهامة ففرقت أسماء على وفود العرب معظمه فنتف ابن سالم لحيته وقال دخلت النار فى جمع هذا المال (١٠) ثم صار إلى ما صار إليه فقالت أسماء :

---

(١) فى « ط » سفر

(٢) فى « ط » إنى حاملة من العبد صحيح

(٣) فى « ط » تثير

(٤) فى « ط » هذه الناحية

(٥) راجع الصليحيون

(٦) فى « خ » من فك أمه من الأسر

(٧) فى « ط » زيادة حقا

(٨) راجع ما سبق وفى «ط» أوطاء خاله مالك بن شهاب ولاية زبيد وهو تكرير

(٩) فى « ط » تخليط واغلاط

(١٠) فى « ط » وقال بدل ثم وحذف جمع

إذا المال لم تصرفه فى مستحقه   فما هو إلا حسرة ووبال (١)

ثم كتبت إلى أسعد بن شهاب (٢) تأمره أن يحتسب لأحمد بن سالم بعشرين ألفا من ارتفاع السنة الحاضرة صلة له وبراً به ولم تلبث أسماء أن ماتت بصنعاء سنة سبع وسبعين وأربعمائة (٣) ، وفى هذه السنة أمر المكرم بضرب الدينار الملكى وإليه ينسب وهو دينار اليمن إلى اليوم (٤) وعاد بنو نجاح فأخرجوا أسعد بن شهاب من زبيد وملكوها سنة سبع وسبعين (٥) ثم أخرجهم المكرم بن على منها وقتل سعيد الأحول تحت

---

(١) فى « ط » تخليط ولحن .

(٢) فى « ط » مالك تصحيح عن نزهة العيون وكذا مايأتى بعده وما سبق

(٣) فى كتاب الصليحيون إن وفاة السيدة أسماء بنت شهاب سنة سبع وستين صحح ذلك عن عيون الأخبار ولعله الأصح إذا عمارة يربط الحوادث بقتل الملك على بن محمد الصليحى فى سنة ٤٧٣ ﻫ وهى الرواية التى تفرد بها عمارة وهى غير صحيحة .

(٤) فى « ط » زيادة والمكتوب عليه الملك السيد / المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين وإلى اليوم والدينار على هذه السكة إلى أن ولى الداعى عمران بن محمد بن سبا الزريعى فسك ديناراً آخر كتب عليه أوحد ملوك الزمن ملك العرب واليمن عمران بن محمد : قال أبو عبد الرحمن وقد عثر فى هذه السنة حال تحرير هذا بقرية الساك من عزلة حبير أعمال ذى السفال على كمية من عملة الملك المكرم من الذهب الابريز الخالص واطلعت على ذلك وهو مكتوب على أحد وجهى الدينار لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله وفى الوجه الآخر الملك السيد / المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين وعلى الكتابة خطان وحوالى لى الدائرة كتابة لم تفهم كما عثر أيضا بمثل هذه السكة فى بنى جبر من حاشد وعندى منهما عدد وربما ارسمها فى التاريخ الكبير

(٥) كذا فى الأصل وفى ط (سبع وستين تصحيح عن عيون الاخبار والصليحيون

حصن الشعر (١) بحيلة من السلطان أبي عبد الله التبعي يأتي شرحها في أخبار السيدة بنت أحمد الحرة وقتل سعيد في سنة إحدى وثمانين (٢)

وفي هذه السنة (٣) خرج جياش بن نجاح والوزير خلف بن أبي الطاهر الأموي إلى عدن متنكرين وسافرا إلى الهند وأقاما بها ستة أشهر (٤) وعادا إلى زبيد فملكاها في بقايا تلك السنة وفي هذة الكرة ولي أسعد بن عراف (٥) زبيد وجعلوا معه علي بن القم والد الحسين بن القم (٦) الشاعر وزيرا وكاتبا على جاري عادته (٧) مع أسعد بن شهاب وقوم يزعمون أن عليا والد الحسين بن القم ولي زبيد بعد أسعد بن شهاب بعد ولاية أسعد بن عراف .

---

(١) هو حصن قيظان وسيأتي زيادة أيضاح :

(٢) هذا من أوهام عمارة والصحيح أن قتل سعيد الاحول كان في سنة واحد وستين وأربعمائة كما في روضة الحجوري وابن سمرة أو في سنة ستين وأربعمائة كما في كتاب الصليحيون وما تشير إليه سيرة ذي الشرفين إشارة عابرة هي وفي هذه السنة — ولم يحدد السنة إلا أنها ذكرت بعد كلام طويل عقب قتل الصليحي — وصل الشريف الفاضل سفيران من سعيد بن نجاح يراسمه على اللقا إلى صنعاء فما لبث أن وصل الخبر بقتله — أي قتل سعيد الأحول — كما أنه لا خلاف بين المؤرخين أن سعيد الأحول قتل بنجد قيظان برأس الشعر ولكن الأسباب مضطربة يأتي الكلام فيها

(٣) سبق الكلام قريبا عن هذه الستة .

(٤) وفي « د » و « خ » تسعة أشهر ولعل التصحيف من النساخ

(٥) لا يعرف عن ابن عراف شيئا ولعله كان من قواد آل الصليحي ، اليه ينسب مسجد ابن عراف في ذي جبلة وله ذكر في سيرة ذي الشرفين وكتاب الصليحيون

(٦) في الأصل ولد والتصحيح مما سبق ومما يأتي

(٧) في « ط » جاري عادة جرت

أخبار الحرة الملكة الصليحية(١)

أسمها سيدة بنت أحمد (بن محمد) (٢) بن جعفر بن موسى الصليحى وأمها الرداح بنت الفارع بن موسى مات عنها (أحمد) (٣) والد الحرة فخلف عنها عامر بن سليمان بن عامر بن عبد الله الزواحى فولدت له سليمان وهو أخو الحرة الملكة لامها وولى الدعوة بامرها (٤) وقتله المفضل ابن أبى البركات بالسم (٥) وكان مولدها سنة أربعين وأربعمائة وتولت أسماء بنت شهاب تاديبها وتهذيبها ويقال إنها قالت يوما لأسماء رأيت البارحة فى النوم أن بيدى مكنسة وأنا اكنس قصر مولانا فقالت لها أسماء كأنى بك والله ياحميرا وقد ملكت آل الصليحى وملكت أمرهم وأما صفاتها فكانت بيضاء حمراء مديدة القامة معتدلة البدن وإلى السمن أقرب (٦) كاملة المحاسن جهورية الصوت قارئة كاتبة تحفظ الأشعار والأخبار والتواريخ (٧) وما أحسن ماكانت تلحقه بين سطور الكتاب من اللفظ والمعنى وبنى بها المكرم أحمد بن على فى أيام أبيه (٨) الصليحى عام أحدى وستين (٩) وأربعمائة فولدت له أربعة أولاد محمداً وعليا وفاطمة وأم همدان فاما محمد وعلى فماتا طفلين بصنعاء وأما أم همدان

---

(١) فى « ط » أخبار الحرة الملكة السيدة بنت أحمد

(٢) الزيادة من طرفة الأصحاب (٣) فى « ط » ثم مات

(٤) فى « ط » زيادة الفاطمية

(٥) فى « ط » زيادة الأمير وزيادة ابن الوليد وزيادة رحمة الله عليه

(٦) فى « ط » بحذف الواو من قوله وإلى السمن

(٧) فى « خ » وأيام العرب (٨) فى (ط) زيادة على بن محمد

(٩) كذا فى الأصول وهذا وهم إتكالا من عمارة على أن قتل الصليحى ٤٧٣ ثلاث وسبعين واربعمائة وقد سبق تحقيق ذلك فالمكرم فى سنة ٤٦١ قد أصبح ملكا على اليمن بعد قتل أبيه سنة ٤٥٩ ويقول ابن سمرة

فتزوجها أحمد بن سليمان الزواحى (١) وهو ابن خالها فرزقت منه عبد المستعلى وأما فاطمة إبنت الحرة من المكرم (٢) فتزوجها شمس المعالى على ابن الداعى سبابن أحمد وماتت أم همدان سنة عشر وخمسائة (٣) وأما فاطمة فماتت بعد أمها بعامين وذلك فى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وسمعت غير واحد من شيوخ ذى جبلة يقول إن الصليحى كان يخصها من الأكرام فى حال صغرها بما لا يماثلها فيه أحد ويقول لأسما اكرميها فهى والله كافلة ذرارينا وحافظة هذا الأمر على من بقى منا قالوا وسمع ذلك منه فى غير موطن ، وأما أسباب انتقال المكرم (٤) عن صنعاء إلى ذى جبلة فان المكرم حين ماتت (والدته الحرة أسما بنت شهاب (٥) فوض الأمور إلى زوجته هذه الملكة السيدة بنت أحمد (٦) واستروح إلى السماع والشراب واستبدت بالأمر ويقال .. إنها استعفته فى نفسها وقالت له . إن إمرأة تراد للفراش لا تصلح لتدبير أمر فدعنى وما أنا بصدده فلم يفعل ثم أنها ارتحلت من صنعاء فى جيش جرار وتركته فى صنعاء وأرتادت ذى جبلة من مخلاف جعفر (٧) وجبلة كان رجلا يهوديا

= ص ١٢٣ أن ولاية المكرم وأمارته عشرون سنة وفى كتاب الصليحيون أن المكرم بنى بالسيدة الملكة سنة ثمان وخمسين واربعمائة وكلا قولى عمارة وما فى الصليحيون عندى نظر وأن زواج المكرم بالسيدة الملكة أقدم من ذلك

(١) فى « ط » زيادة السلطان

(٢) فى (ط) زيادة من الحرة الملكة من المكرم أحمد بن على

(٣) فى (ط) سنة ست عشرة وخمسمائة

(٤) فى (ط) وأما سبب انتقال المكرم بن على من صنعاء إلى مدينة ذى جبلة

(٥) فى الأصل ماتت أسماء والزيادة من (ط)

(٦) فى الأصل سيدة بنت أحمد والزيادة من الأصول

(٧) لفظ من مخلاف جعفر ساقط من (ط) .

بيع الفخار فى الموضوع الذى بنيت فيه دار العز ، وبه سميت المدينة[١] وأول من اختط ذى جبلة عبد الله بن محمد الصليحى المقتول بيد الأحول مع على الداعى يوم المهجم[٢] وكان أخوه على قد ولاه حصن التعكر وهذا الحصن يطل على ذى جبلة وهى فى سفحه بين نهرين جاريين فى الصيف والشتاء[٣] واختطها عبد الله سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ثم حشرت الرعايا من مخلاف جعفر فى ركابها[٤] لما عادت إلى صنعا وقالت للمكرم[٥] أرسل يامولانا على أهل صنعا فليحتشدوا فى غد وليحضروا إلى هذا الميدان فلما حضروا قالت له . . أشرف عليهم انظر ماذا ترى فلم يقع طرفه إلا على بروق السيوف ولمع البيض والأسنة[٦] .

---

(١) فى «ط» دار العز الاول .

(٢) فى «ط» زيادة مع أخيه السلطان على بن محمد الصليحى .

(٣) لا زالت مدينة جبلة الجميلة عامرة آهلة بالسكان والعلم والعرفان بفضل ما خلفته السيدة الملكة من أوقاف جليلة وأموال رغيبة ومآثر خالدة تدربا لخيرات ويعتاش بها الخاص والعام ونسب إليها عالم من الأعلام وتغنى بوصفها ورقة هواها وعذوبة مائها وكرم أخلاق أهلها الشعرا والأدبا وأكثروا من ذلك وتضمنتها كتب الأدب والتواريخ وتأتى مقطوعة الشاعر المطبوع عبد الله بن يعلى الصليحى قريبا .

(٤) فى «ط» تحت ركابها . (٥) فى «د» قالت إلى المكرم وهو وهم .

(٦) هم هكذا مع الأسف الشديد عبر التاريخ ولا يزالون إلى يوم الناس هذا فالتاريخ كما يقال يعيد نفسه ولقد شاهدت عجبا بعد ثورتنا المجيدة مما يشا كل ما حكاه عمارة وافضع منه فقد كان تصل وفود العرب زرافات ووحدانا من مختلف المخاليف ينشدون الأغانى الشعبية (الزوامل) والاهازيج الوطنية طالبين السلاح والنقود والزلاج (العطا) ليعودوا إلى بيوتهم لينعموا بذلك معتبرين أن هذه فروض الطاعة فيرضخ لهم العطا ويحابون=

. . . .

إلى مطالبهم وهكذا طوال هذه السنتين فإذا احتيج إليهم مرة ثانية ليذهبوا إلى جهة من جبهات القتال ليطهروا وطنهم من دنس المفسدين وعبث المخربين الذين أذلوه وأهانوه وسلبوا ادميته جاء ينفض مذرويه كمجيئه الأول بمطاليبه من جديد ويعلم الله أن بيته مكدس بالسلاح والمال ولماذا ياترى يطلب المزيد من السلاح هل ليقتل الأخ أخاه والابن أباه وتتناحر القبيلة فيما بينها وتخرب الديار وتحل بها كوارث الدمار وياليت أن هولاء يقتصرون على هذا الوجه وينحون منحى واحداً ويأمنون بقضية وطن مزقته الأهواء وشتته الاطماع بل أنهم للأسف الممض يولون وجوههم نحو عدوهم الذى ساسهم خسفا وقلهم ذلا وأطعمهم الهوان الوانا وأصنافا فيأتونه ليسجدوا له ويتمسحون باعتابه وينقلبون له عبيدا وخولا من جديد بعد أن رفع عنهم الأصر ونير العبودية كلما ردوا اركسوا فى هذا الهوان ومن أفضع مايعمله هؤلاء المرتزقة أنهم يقدمون أفلاذ أكبادهم رهائن هنا وهناك كعنوان للطاعة ليقضوا بذلك أطماعهم الجهنمية ولا يخافون من الله ولا من كرامتهم ولا من أنسانيتهم إذ قد أصبحوا مقفرة قلوبهم من كل معانى الفضيلة وكلما قضى أربه من هنا ذهب إلى هناك وهكذا دواليك كما أنا لم نسمع أن قبيلة واحدة طالبت أصلاح البلد أصلاحا شاملا فى كل المجالات وبنفس مؤمنة بحق الله وحق الوطن أو طالبت تغيير جهاز الحكومة بحسن نية وصدق لهجة وطوية وأن فعلت فإنما هو كوسيلة للزلاج وتستر تحت هذا الشعار الذى يكمن وراءه الأطماع فهل آن لقبائلنا المغاوير أن تقلع عن هذه العادة السيئة وتقلعها من جذورها وتغير من نفسها وتبلورها إلى نفس خيرة أصلاحية بيدها الفاس والمحراث وتعمل فى المصنع والحقل وتقفل باب الماضى برتاج من حديد لتغير مجرى التاريخ وتدخل من أوسع أبوابه فى عهد جديد ليسجل لها التاريخ صفحات من نور ومجد وخلود وأنه شعب متمدن منذ بزوغ

ثم لما توجهت إلى ذى جبلة قالت له إحشد أهل ذى جبلة ومن حولها فلما اجتمعوا صبيحة اليوم الثانى قالت . . أشرف يا مولانا وانظر ماذا ترى. فلم يقع طرفه الأعلى رجل يجر كبشا ويحمل ظرفا مملوءاً بالسمن فقالت له . العيش بين هؤلاء أصلح(١)

= الإنسانية ومن أبناء أولئك الأبطال الأمجاد الذى كان يفتخر بهم الدهر والذين شيدوا مأرب وغمدان وفتحوا الممالك ودوخوا الدنيا وأنهم جديرون بالحياة الحرة الكريمة واللحاق بالركب الحضارى والسير وراء التيار التقدمى ليعيدوا حضارتهم السالفة ومجدهم الغابر ويبنوا وطنهم الذى مزقته الخلافات والدخلاء بناء شامخا يعقد على الإباء والشمم وعلو الهمة وعزة النفس .

وأن لا نكون أضحوكة الأمم ومضرب الأمثال فى التأخر والفرقة والهوان على الناس .

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثل مافعلوا

(١) فى « خ » و « د » أمرت الرعا من مخلاف جعفران يحضروا فى غد لحضروا ، فقالت يا مولانا أشرف عليهم ، فلم يقع بصره إلا على من يقود كبشا أو يحمل برا أو سمنا أو عسلا فقالت له . . العيش بين هؤلاء أصلح من أولئك ، فقال المكرم صدقت ثم سكنا جبلة جميعا وفى « ط » انظر هؤلاء القوم .

وهذه الأخلاق السامية الرقيقة والسمات الفاضلة هى لا تزال فى أهل هذا الصقع بما فيه مخلاف المعافر وتهامه أو ما يسمونه اليوم باليمن الأسفل بحكم طبيعة البلاد والبيئة فهم أهل مكارم وسماح يؤاثرون الهدوء والسكينة والعافية على إثارة القلاقل والشغب وذلك لخصب بلادهم ورخاء أرضهم وقربهم من رحمة الله عليهم فلن يتخلف عنهم قطر السماء فلذا أشرقت قلوبهم ورقت أخلاقهم ولطفت أذواقهم وغمرتهم المروءة وعمرت أفئدتهم الرحمة والعطف وفاضت نفوسهم بالخير والبركة ، فبلادهم أشبه =

فانتقل المكرم إلى ذى جبلة فاختط دار العز بها[١] (الثانية فى ذى بور) وكان حائطا فيه بستان وأشجار كثيرة وهو مطل على النهرين وعلى الدار الأولى وأمرت السيدة ببناء الدار الأولى مسجدا جامعا وهو المسجد الجامع الثانى وبه قبر الملكة السيدة رحمها الله[٢] وكان بناء الدار دار العز الكبيرة) سنة ثمانين وبعمائة[٣] .

واستخلف المكرم على صنعاء عمران بن الفضل اليامى الهمدانى[٤] وأسعد ابن شهاب[٥] وفى هذه السنة دبرت الحرة الملكة (على)[٦] قتل سعيد الأحول بن نجاح وذلك أنها أمرت الحسين بن التبعى صاحب

= بالقرار والمدن العامرة وليسوا كما يزعمه البعض — بقرة حلوب أو بلاد أمى سعيدة ، أو كما قال عمرو بن العاص فى وصف مصر وهى لمن غلب فان لهم خرجات وثورات مأثورة وفى كتب التاريخ مشهورة .

(١) دار العز هى اليوم عدة بنايات ومساجد وتحمل منها بناية باسم دار السلطنة أما العرصة فتحمل دار العز وهى فى ربوة مستطيلة تطل على النهرين وفى « ط » و « خ » فاختط بها دار العز .

(٢) زيادة من « ط » وذى بور معروفة لهذه الغاية .

(٣) وفى « ط » وكذا فى « خ » و « د » إحدى وثمانين وقد سبق تفنيد كلام عمارة لتفرده بهذا الرأى .

(٤) عمران بن الفضل رفع نسبه فى طرفة الأصحاب فارجع إليه وهو أحد أقطاب الدولة الصليحية وأحد مؤسسيها وأحد الأمراء الكبار والشعراء المجيدين له تاريخ حافل بجلائل الأعمال وانجب أولادا سراة نجبا ومن أحفاده السلطان حاتم بن أحمد بن الفضل الآتى ذكره وقتل عمران بن الفضل فى موقعة الكظائم ٤٨٩ تسع وسبعين وأربعمائة .

(٥) انظر الصليحيون

(٦) هذه الزيادة ساقطه من « ط »

حصن الشعر(١) أن يكاتب سعيد الأحول إلى زبيد ويقول له .. إن المكرم قد أصابه الفالج وعكف على اللذات ولم يبق أمره إلا بيد امرأته(٢) وأنت اليوم أقوى ملوك اليمن — فان رأيت أن تطبق على ذى جبلة أنت من تهامه ونحن من الجبال(٣) فنستريح منه وترجع إليكم البلاد بأسرها فافعل فدولتكم أحب إلى المسلمين من هؤلاء الخوارج(٤) فحسن موقع ذلك عند سعيد(٥) واستخفه الفرح بذلك فخرج من زبيد يريد ذى جبلة فى ثلاثين ألف حربة فكان مسيره فى يوم قد أوعده التبعى فيه(٦) وقد كانت الحرة كتبت إلى أسعد بن شهاب(٧) وعمران ابن الفضل إلى صنعاء أن يخالفوا سعيدا على تهامه(٨) فى ثلاثة آلاف فارس ويتبعوا أثره منزلا بمنزل ففعلوا(٩)

---

(١) — فى « ط » ساقط لفظ حصن وابن التبعى .

(٢) فى « خ » و « د » تصرف فى هذه الفقرة .

(٣) فى « ط » الجبل .

(٤) لم يكن آل الصليحيون من فرقة الخوارج المشهورة وإنما هم من الفرقة الإسماعيلية الباطنية اللهم إلا إذا أراد التبعى بالخوارج الذين يخرجون على الخلافة أو السلطان وفى « ط » اسقاط « من » هؤلاء .

(٥) كذا فى الأصول وفى « ط » فلما وقف سعيد بن نجاح على كتاب حسين التبعى حسن موقع ذلك عنده .

(٦) فى « خ » كان خروجه عن زبيد واعده ابن التبعى وفى « ط » وعده وفى « د » صاحب الشعر .

(٧) فى هـذا العصر وأسعد بن شهاب تحت الثرى وفى الصليحيون أبو السعود بن اسعد .

(٨) فى الأصل سعيد انجاحا والتصحيح من « خ » و « د » وفى « ط » أن يخلفا نجاحا وهو وهم .

(٩) وفى « ط » لم يتبعان ففعلا .

ولما نزل سعيد بن نجاح تحت حصن الشعر[1] أطبق الجيشان عليه فقتل هو ومن معه[2] وقيل نجى منهم الفان ونصب رأسه تحت

---

(1) حصن الشعر هو حصن قيظان وهو الحد الفاصل بين مخلاف بعدان ومخلاف الشعر ومخلاف يحصب وهو فى عزلة الوسط والشعر بكسر الشين المعجمة مخلاف واسع انظر الجزء الثانى من الأكايل ، قال ابن سمرة ص١٠٤) وقتلت العرب أخاه يعنى أخا جياش فى الشعر وقبر هنالك بنجد قيظان ، هو ما يسمى اليوم لجرة قيظان .

(2) لا خلاف بين المؤرخين أن سعيد الأحول قتل تحت حصن قيظان بالشعر ولكن حقيقة واحدة ضلت بين مختلف التواريخ الى تحت أيدينا وهى كيف كان مصير سعيد الأحول بعد موقعة زبيد التى استنقذ الملك المكرم والدته وحريمهم واستخلصهم من أسر الأحول فعمارة يقول إن الأحول نجا بنفسه وذويه وركب البحر إلى دهلك ثم لم يذكر لنا كيف كان عوده إلى زبيد بينما روضة الحجورى تذكر أن الأحول فر بعد الموقعه إلى نجد قيظان حيث تبعه المكرم فقتله هنالك بينما سيرة ذى الشرفين تومى أن الأحول واعد الفاضل بالالتقا بصنعا فلم يلبث أن قتل كما وأن كتاب الصليحيون لم يشر إلى ما ذكرنا بل أشار إلى قتل الأحول كما فى ص ١٣٠ والذى أعتقده أن الملك المكرم جعل أكبر همه فى غزو زبيد هو انقاذ والدته وحريمهم من أسر الأحول ونفض العار عنهم وانثنى راجعا إلى صنعا ولم يعرج على شىء من تثبيت الملك بزبيد فاكبر الغنيمة هو عودته بوالدته وذلك نظراً لكثرة الخارجين عليه وانتشار الحبل فى أنحاء اليمن ـ وكثرة الفتوق فاستغل الأحول هذا الجو الموبوء القائم على الملك المكرم فعاد إلى زبيد وسولت له نفسه غزو صنعا ليرتاح من خصم له فاتصل بالسلاطين الموالين له كابن الكرندى . والتبعى والكلاعى وابن معن والسخطى وغيرهم وحبذوا له هذه الفكرة وشجعوه عليها ليقضى على المكرم فى عقر

الطاق (١) التى تسكنها الحرة بدار العز وكانت أم المعارك زوجة سعيد معه (٢) وهى التى عرفت رأس مولاها فى القتلى وصلب بالقرب من طاقتها وكانت الحرة تقول عند صلب رأس سعيد ايت لك عينا يامولاتنا أسماء حتى تنظرى رأس الأحوال تحت طاقة أم المعارك (٣) .

= مملكته كما اتصل بالفاضل الذى وعده بالالتقاء بصنعا وتوجه عن زبيد فى طريقه على السلاطين المذكورين فما عتم أن بلغ المكرم فترك كل المواقع الحربية وانقض على الأحول ومن يشايعه فحلت بهم الكارثة هذا رأيى الخاص ولعل الأيام تجود بمصدر يذكر الأسباب والمسببات وما ذلك على الله بعزيز .

(١) فى « ط » الطاقة .

(٢) فى « خ » و « د » فأسرت وجعلوا يعرضون عليها رؤس القتلى واحدا واحدا فلما وقعت عينها على سيدها عرفته فاحتزوا رأسه وحمل على رمح أمام هودجها وجىء بها إلى السيدة فاسكنتها فى موضع بدار العز ونصبت رأس سعيد الأحول أمام طاقتها .

(٣) هذه الرواية التى تفرد بها عمارة فى كيفية سبب قتل الأحول وأنها بحيلة دبرتها السيدة الملكة الحرة مع الحسين بن التبعى تكشف لنا طرفا مما رأيناه قريباً وأن كان ابن سمرة يوضح لنا بقوله فى « ص » ١٠٤ وكانت ولاية الحبشة لزبيد وأعمالها خمسا وتسعين سنة فإذا حسبنا ولاية أولاد نجاح الذين هم الأحول وجياش من سنة ٤٥٩ تسع وخمسين وأربعمائة وهى السنة التى قتل فيها الملك الصليحى إلى أن أزالهم على بن المهدى الرعينى سنة أربع وخمسمائة صح ما قاله وقاله المؤرخون الذين نقلنا كلامهم فيما سلف باستثناء عمارة كما أنه سلف عن وفاة الحسين بن المغيرة التبعى وأنها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فاين وفاة التبعى عمارة من كلام المؤامرة الحائك فقتل الأحول سنة ٤٨٠ ثمانين وأربعمائة وأنا اعتقد أن قتل الأحول سنة ٤٦١

وفى سنة أربع وثمانين وأربعمائة مات المكرم[١] وأسند الوصية فى الدعوة إلى الأمير الأجل الاوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الأمرا أبى حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن على الصليحى (أخبار الداعى سبأ ابن أحمد بن المظفر بن على الصليحى أما صفته فكان دميم الخلق[٢] لا يكاد يظهر من السرج بطائل وأما هو فكان جوادا وشاعرا يثيب على المدح ويثيب به[٣] ومن ذلك قول ابن القم[٤].

= واحد وستين وأربعمائة كما يأتى النقل عن السيرة عند الكلام على ولاية جياش أخى الأحول.

(١) وقال ابن سمرة ص ١٣٢) وكان موته أى المكرم فى حصن أشيح وقيل . . أنه مات فى بيت بوس من أعمال صنعا سنة ثمانين وأربعمائة وقيل سنة تسع وسبعين وفى الهامش سبع وسبعين وكذا فى الصليحيون وكانت ولايته وأمارته أحدى وعشرين سنة ، وفى بعض التواريخ أنه مات بأشيح ونقل إلى بيت بوس ، وإذا حسبنا ولاية المكرم من سنة ستين وأربعمائة أى من بعد قتل أبيه إلى أن مات سنة ثمانين وأربعمائة صح ما قاله ابن سمرة وتكون ولايته تسع عشر سنة وأمارته سنة واحدة أما إذا قلنا أن وفاة المكرم سنة سبع أو تسع وسبعين فتنقص سنوات أمارته وولايته ومهما يكن فإن ما فى ابن سمرة لعله الأرجح من قول عمارة ومن قول ما فى كتاب الصليحيون.

(٢) كذا فى الأصل وكذا فى « د » و « خ » وبزيادة قصيرا وفى « ط » دهيم الخلق أى بهاء بعد دال مهملة وفسرها الأحمق وهو وهم .

(٣) فى « ط » فكان جواد اكريما شاعرا أديبا فاضلا عالما بالمذهب الطاهر خبيرا بأقوال الحكما منشأ بالشعر يثيب بالمدح ويثيب على المدح وفى « خ » و « د » وكان شجاعا جوادا شاعراً يثيب على للمدح فيمدح مادحه .

(٤) فى « خ » و « د » الحسين بن على بن القم الشاعر المشهور فى قصيدة وفى « ط » على بن الحسين بن القم وهو وهم فالشاعر الحسين بن على لا والده على .

ولما مدحت الهزبرى بن أحمد[1] أجازوكا فانى على المدح بالمدح
فعوضنى شعرا بشعر وزادنى عطاء فهذا رأس مالى وذاربحى
شققت إليه الناس حتى رأيته فكنت كمن شق الظلام إلى الصبح
فقبح دهر ليس فيه ابن أحمد ونزه دهر كان فيه من القبح

وأما مقر عزه فحصن يقال له أشيح وكان عاليا[2] يماثل مسار والتعكر وحدثنى المقرى سليمان بن ياسين وهو من أصحاب أبى حنيفة قال . . بت بحصن أشيح لياليا كثيرة وأنا عند الفجر أرى الشمس تطلع من المشرق وليس فيها من النور شىء وإذا رأيت تهامة رأيت عليها من الليل ضبابا وطخا[3] يمنع الماشى أن يعرف صاحبه من قريب وكنت أظن ذلك من السحاب أو البخار وإذا هو عقابيل الليل[4] فأقسمت أن لا أصلى الصبح إلا على مذهب الشافعى لأن أصحاب أبى حنيفة يؤخرون الصبح إلى أن كادت الشمس تطلع على وهاد تهامة وما ذاك إلا أن المشرق مكشوف لأشيح من الجبال وذروته عالية .

---

(١) الهزبر كسجل ودرهم وعلابط الأسد والغليط الضخم والشديد الصلب . وفى بعض النسخ الهبرزى قال فى اللسان أنها لفظة يمانية ومن معانيها الجيد الرمى بالسهام والحسن الثياب على ظهر الفرس وكل جميل وسيم عند العرب هبرزى .

(٢) فى « خ » . فى العلو والمنعة والرفعة وكذا فى « د » بإسقاط والرفعة وفى « ط » حصنا عاليا .

(٣) فى « ط » وإذا نظرت ، والضباب هو السحاب الرقيق كالدخان والطخا بالطاء المهملة والخاء المعجمة كلمة مرادفة للضباب ولازالت هذه الظاهرة باقية معروفة فى الجبال المطلة على تهامة والتعليل فيها ظاهر وفى « ط » بقايا طحا بالحاء المهملة وهو وهم .

(٤) العقابيل فى الأصل بقايا العلة والعدواة ومعناه بقايا الليل .

وكانت حصون بنى المظفر مطلة على زبيد مصاقبة لأعمالها وهى أقرب(١) إلى تهامة من جميع الجبال ، ومن حصونهم مقرى ووصاب نعمان وقواريرو الظفر والشرف(٢) ومنه ثار ابن المهدى وذو الريشة وظفار وريمة(٣) ومخاليفها وبحكم مصاقبة أعمال سبأ لتهامة كان يساقى جياشا سجال الحرب وذلك أن العرب إذا برد النسيم(٤) أجمعوا ونزلوا إلى تهامة فلا يلبث جياش أن ينزع من البلاد(٥) ولكن غير بعيد ويقيم سبأ يجبى خراجها ولا يؤذى أحدا من الرعايا بظلم ولا غيره وكان يحتسب للعمال بما قبض منهم جياش فى أشهر الصيف والخريف فإذا خرج الشتا والربيع ارتحلت العرب من تهامة إلى الجبال وملكها جياش فتارة يكون رحيل العرب عنها بالقتال وتارة بالوبا(٦) وإذا عاد

---

(١) فى « خ » مطلة على تهامة مصاقبة لأعمال زبيد وفى « ط » مصاقبة لزبيد قريبة إلى تهامة .

(٢) سبق الكلام على مقرى ووهم فى « ط » لجعله بالواو بدل الراكما وهم بالظفر لجعله الطرف وحذف نعمان راجع وصف هذه الحصون تاريخ وصاب والشرف هو ما يسمى اليوم المصباح فى وصاب السافل .

(٣) وفى « ط » ومن الشرف هذا ثار والشرف يحمل اسمه لهذه الغاية وذو الريشة لا أعرف عنها شيئاً وفى « ط » ذى الرسة بدون مثناة من تحت وظفار فى عتمه التى كانت معدودة من وصاب راجع تاريخ وصاب ، وما يسمى بظفار قد اتينا عليه فى غير هذا التعليق وريمة هو الصقع المشهور المدرار بالخيرات وهو مايسمى قديما بجلان ريمة وبريمة الاشابط. راجع صفة جزيرة العرب والجزء الثانى من الأكليل .

(٤) فى « ط » كانوا إذا برد .

(٥) فى « خ » يرتفع وفى « خ » ينزح ولكن غير بعيد .

(٦) فى « د » بدونه وفى « خ » بغير قتال .

جياش إلى زبيد نشرت المصاحف وابتهلت له الرعايا بالدعاء وحلفت الفقهاء وتطاولت العلماء(١) واحتسب جياش أيضا للعمال واجبات الأموال بما قبضه منهم سبأ فى شهور الشتا والربيع .

ولما طال ذلك من أمرهما أشار الوزير خلف بن أبى الطاهر على جياش بأن يعتقله ويقبض على أملاكه(٢) ويقيم محمد بن العقارى(٣) وزيراً له ففعل جياش ذلك ثم أن خلفا نقب الحبس وهرب إلى سبأ فحسن موضعه منه فلم يزل يحسّن لسبأ النزول إلى تهامة وضمن له الخبرة(٤) والمكائد ما يقطع به دابر جياش . وكتب الوزير إلى جياش يأمره بالتراخى وإظهار العجز وأن يكتب إلى سبأ إما فى نصف البلاد وإما أن يلتزم جياش لسبأ مالا(٥) يقوم مقام النصف وأن يشترط على سبأ إبعاد الوزير خلف من عنده فلما فعل جياش ما أشار به الوزير استحكمت أطماع العرب فى البلاد واطمأنوا ثم أن القائد ريحان الكهلانى مولى سعيد بن نجاح بيت العرب ليلا وهم مرتبون على باب زبيد فى غرة(٦) وكانوا ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل فلم ينج منهم إلا صبابة يسيرة وهلك الجميع قتلا بالحراب وهرب سبأ منها فى تلك الليلة راجلا فى غمار الناس حتى لقى آخر الليل(٧) من حمله فلم

---

(١) فى « د » ويظهر الفقهاء وفى « خ » وظهر الفقهاء .

(٢) فى « ط » زيادة أمواله .

(٣) كذا فى الأصل وفى « ط » بالغين المعجمة .

(٤) كذا فى الأصل وفى « ط » الحيل عن تصحيح منه وهذه الحكاية تشبه قصة قصير مع جذيمة والزبا .

(٥) ما بين القوسين ساقط من « ط » .

(٦) كلمة فى غرة ساقطة من « ط » وأبدلها بغلط ثان وهى بعشرة الآف .

(٧) فى « ط » حتى لقيه فى آخر ؟

تعد العرب تهامة بعدها[١] .

ومن أخبار سبأ بن أحمد[٢] ما حدثنى به الفقيه أبو عبد الله الحسين ابن على عن أبيه وكان يسكن بذى جبلة وهو من خواص الداعى سبأ بن أحمد قال . لما مات المكرم بن على عن الحرة الملكة السيدة بنت أحمد خطبها الداعى سبأ بن أحمد فكرهت[٣] بجمع العساكر وسار من أشيح يريد حربها بذى جبلة فجمعت هى جنوداً أعظم من جنوده وتصاف العسكران ونشبت الحرب[٤] بينهما أياماً ثم قال له أخوها لأمها سليمان ابن عامر الزواحى والله لا أجابتك إلى ما تريد إلا بأمر المستنصر بالله[٥] فترك الداعى قتالها وراح إلى أشيح[٦] وسير إلى الأمام المستنصر رسولين هما القاضى[٧] الحسن بن إسماعيل الأصفهانى وأبو عبد الله الطيب فكتب المستنصر إليها فى أثناء المكاتبات ثلاثة أسطر يأمرها فيه بنكاح سبأ بن أحمد وسير مع رسولى سبأ[٨] أستاذاً له يعرف بحامل المذبة[٩] وينعت بيمين الدولة برسم الدخول على الحرة

---

(١) هذه الوقعة اشتهرت بوقعة الكظائم انظر تفاصيلها فى كتاب الصليحيون وفيها قتل عمران (بن الفضل اليامى وكانت سنة تسع وسبعين وأربعمائة وفى «ط» إلى تهامة .

(٢) فى «ط» زيادة الداعى .   (٣) فى «ط» زيادة ذلك .

(٤) فى «ط» شب الكرب .

(٥) فى «ط» زيادة أمير المؤمنين وفى «خ» و «د» العبيدى .

(٦) فى (ط) فترك سبابن أحمد الداعى ألا وحد المنصور وفى (خ) و (د) فترك سبا وكان فى الأصل إلى وراح أشيح والتصحيح من الأصول كلها .

(٧) فى (خ) أبو عبد الله القاضى .

(٨) فى (خ) وسير إليها أستاذاً .

(٩) فى (ط) الدواة .

الملكة ، قال البجلى وكنت فيمن بعثه الداعى سبأ من حصن أشيح إلى ذى جبلة صحبة الرسولين والأستاذ الواصلين من القاهرة[١] وحين دخلنا عليها[٢] وهى بدار العز من ذى جبلة تكلم الأستاذ وهو واقف بين يديها ووزراتها وكتابها وأهل دولتها قيام لقيامه قال أمير المؤمنين يرد السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن وسيدة ملوك اليمن عمدة الاسلام خالصة الإمام[٣] ذخيرة الدين عصمة المسترشدين كهف المستنجدين[٤] ولية أمير المؤمنين كافلة أوليائه الميامين ويقول لها وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً[٥] وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعى الأوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الأمرا أبى حمير سبأ ابن أحمد بن المظفر بن على الصليحى على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عينا وخمسون ألفا أصنافاً من تحف وأصناف[٦] وألطاف وطيب وكساوى فقالت أما كتاب مولانا صلوات الله عليه وأمره فأقول فيه أنى ألقى إلى كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم[٧] ولا أقول فى أمر مولانا : يا أيها الملأ افتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون[٨] وأما أنت يا ابن الأصفهانى فوالله ما جئت إلى مولانا من سبأ بنبأ يقين[٩] ولقد حرفتم القول عن موضعه وسولت

---

(١) فى (ط) زيادة المعزيه . كذا فى ط والحال أنه لم يكن إلا رسولا واحدا

(٢) وفى (ط) على الملكة السيدة بنت أحمد .

(٣) هذه الفقرة ليست فى (ط) وموجودة فى خ (بلفظ خلاصته والظاهر : خاصة الإمام .

(٤) فى (ط) المستجيبين . (٥) سورة الأحزاب أية ٣٦ .

(٦) وأصناف ساقط من (ط) .

(٧) و (٨) و (٩) سورة النمل الآية ٢٢ ، ٣٠ .

لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون [1] .

ثم تقدم زريع بن أبى الفتح وزيرها والأصبهانى ونظرائهما فلم يزالوا يلطفون بها حتى أجابت إلى العقد فعقد النكاح[2] ولم يلبث سبا أن صار فى أمم عظيمة إلى ذى جبلة فاقام شهراً[3] والضيافات تخرج إلى مخيمه وأنفق[4] على عساكره من مالها[5] مثل ماقدمه إليها من المهر .

ورأى سبا ابن أحمد[6] من عالى همتها وشرف أفعالها وخفا ذكره عندها وأن احداً من الناس لايعدل بها أحداً[7] وكل أحد يقول : مولاتنا مولاتنا ما حقر معه نفسه وندم على خطبتها وأرسل سبا إلى الحرة[8] بالسر أن تأذن له فى الدخول إلى دار العز ليتوهم الناس أنه دخل بها ففعلت ذلك وأما كثير من أهل جبلة فيزعمون أنه اجتمع بها ليلة واحدة[9] ثم ارتحل صبيحتها وقوم يقولون إنها بعثت إليه جاريتها فلانة وكانت شبيهة بها .

---

(١) يوسف الآية والله أعلم بما تصفون ٧٧ ، و ٨٣ .

(٢) إلى العقد ساقط من «ط» وفيه فعقدوا بلفظ الجمع وفى «د» ولاطفوها وفى «خ» فما برحوا يتلطفون بها .

(٣) فى «ط» وأقام بها شهراً والضيافات الواسعة .

(٤) كذا فى الأصل وكذا فى «ط» وفى «خ» وانفقت ولعله الاصح .

(٥) فى «ط» من ماله وهو وهم

(٦) فى الداعى سبا بن أحمد وكذا ما ياتى بعده .

(٧) فى الأصول فى هذه الفقرة بعض تصرف .

(٨) فى «ط» الداعى سبا بن أحمد إلى الحرة الملكة يسالها أن تاذن له .

(٩) فى «ط» وزعم قوم من أهل ذى جبلة .

ونمى ذلك إلى سبا[1] فباتت الجارية واقفة على رأسه وهو جالس لا يرفع طرفه إليها حتى إذا طلع الفجر وصلى أمر بضرب الطبول وسار فلم يجتمعا بعدها ، ويقال إن سبا بن أحمد ماوطىء قط أمة ولا شرب مسكراً[2] ، وكانت زوجته الجمانة بنت سويد بن يزيد الصليحى تقول : أنا لا أغار على مولانا سبا لانه لا يطأ أمة قط[2] . والعربيات تقول : ما انسلت حوا مثل الجمانة غير أسماء بنت شهاب .

ودخل[3] شجاع الدولة (رسولا من الباب إلى اليمن سنة ست وثمانين وأربعمائة فصادف بها سبا بن أحمد وابن الحسين أخاه وشمس المعالى على بن سبا والمكرم محمد بن سبا ومحمد هذا تزوج أخت الحرة الملكة لامها بنت عامر الزواحى فاكرموا شجاع الدولة[4]) وأغنوه ودفع له شمس المعالى ألوفاً من المال وكان كريماً وهو زوج فاطمة بنت المكرم وابنت الحرة الملكة[5] ثم تزوج عليها فكتبت إلى أمها تستنجدها فامدتها بالمفضل بن إبى البركات فى عسكر ولبست فاطمة زى الرجال وخلصت[6] من حصن زوجها فى عسكر المفضل فسيرها إلى أمها الملكة وأدام الحصار على شمس المعالى حتى أخرجه من ملكه[7] بأمان على نفسه فوصل إلى الأفضل[8] مستنجداً ، إياه فلم يلتفت إليه ولم يكرمه وحمل

---

(١) بعد هذا فى «ط» وقال للجارية أعلمى مولاتنا أنها نطفة شريفة لا توضع إلا فى مستحقها .

(٢) زاد فى «خ» وكان يرى أن وطىء الامة عار وان الشراب نقص بالمروءة والحسب

(٣) فى «ط» ودخل فى هذه المدة ،

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ط» .

(٥) فى «ط» من الحرة بدل ابنت .

(٦) وفى «ط» فصلت .

(٧) فى «ط» من مملكته .

(٨) هو أبو القاسم شاهنشاه الملقب الملك الأفضل بن أمير الجيوش بدر =

إليه شجاع الدولة الذى كان قد أغناه فى اليمن ثلاثين أردبا من الشعير[1]
ولم يطعمه لقمة ولا أحسن معه عشرة[2] وعاد على بن سبأ إلى اليمن[3] فملك
شيئا من حصون أبيه[4] ودس عليه المفضل من قتله بالسم سنة خمس
وتسعين وأربعمائة .

هذه أخبار الملك المفضل بن أبى البركات بن الوليد الحميرى صاحب
التعكر لمـا اختط المكرم دار العز بذى جبلة وانتقل عن صنعا إلى مخلاف
جعفر[5] والتعكر يومئذ فى يد ابن عمه أسعد بن عبد الله بن محمد الصليحى[6]
المقتول مع الصليحى بالمهجم سآءت عشرة[7] هدا اسعد ابن عبدالله بن محمد ابن عم

= الجمالى الارمنى كان حسن التدبير فحل الرأى قتله الامر بأحكام الله العبيدى
سنة خمس عشرة وخمسمائة « الوفيات ج ٢ ص ١٦٠ » .

(١) الاردب مكيال ضخم لمصر وهو أربعة وعشرون صاعاً عبارة أن
الأردب قدح ونصف .

(٢) انظر إلى كرم اليمنى العربى الصرف ولؤم هذا الرجل وقبح الله من
لا يرعى معروفا ولا يكافىء على إحسان .

(٣) وفى «ط» وشمس المعالى وصوابه شمس المعالى . بإسقاط الواو .

(٤) فى «ط» أسقط شيئاً .

(٥) بعد هذا فى «ط» قال عبد الله بن يعلى :

هب النسيم فبت كالحيران　　شوقاً إلى الأهلين والجيران
ما مصر ما بغداد ما طبرية　　بمدينـه قد حفها نهران
خدد لها شام وحب مشرق　　والتعكر العالى المنيف يمانى

وكان الأنسب أن يوردها فى وصف جبلة .

(٦) فى «ط» تصرف فى العبارة بزيادة

(٧) فى «ط» سيرة .

الملك المكرم[١] ونقله عن مجاورته وعن التعكر وعوضه عنه حصون ريمة وأعمالها وجعل أبا البركات ابن الوليد (والد الملك المفضل[٢] واليا للتعكر وأعماله وولى أخاه أبا الفتح بن الوليد الحميرى[٣] حصن تعز ، والمفضل يومئذ يتوصف للملك المكرم بذى جبلة وهو من صغار الدار الذين يدخلون على الحرة الملكة فى رسائل المكرم والحوائج بينهما[٤] .

ولما مات أبو البركات والد المفضل بعد موت الملك المكرم جعلت الحرة ولاية التعكر إلى المفضل بن أبي البركات بعد أبيه[٥] وكان التعكر مقر ذخائر بنى الصليحى التى صارت إليهم من ملوك اليمن والحرة تطلع من ذى جبلة فى أيام الصيف فتقيم به وإذا برد الوقت سكنت بذى جبلة امرها والمفضل يتصرف عن أوامرها ويدخل إليها مع خواص وزرائها والأزمة الاكابر من عبيدها وهو رجل الدولة ومدبرها والمرجوع إلى رأيه وسيفه والحرة لا تقطع أمرا إلا به[٦] فعظم بذلك شأنه وعلت كلمته وغزا تهامة مرارا له وعليه[٧] وهبط إلى عدن[٨] مرارا ولم يبق فى اليمن من يساويه ولا من يساميه[٩] .

---

(١) فى « ط » أعماله وإسقاط عنه ،

(٢) ما بين القوسين ساقط فى « ط » .

(٣) لفظ الحميرى ساقط من (ط) وكان فى الأصل أبو الفتح والتصحيح من (د) و (خ) .

(٤) فى (خ) و(د) تصرف فى العبارة ومعنى يتوصف يجعل نفسه وصيفاً أى خادما

(٥) فى (خ) و (د) إلى إبنه خالد بن أبى البركات فاقام سنتين ثم قتله الفقيه عبد الله بن المصوع فطلع المفضل بن أبى البركات التعكر واليا .

(٦) فى (د) و(خ) أمرا بدونه وفى (ط) ويدخل عليها والأمرا بدل الأزمة.

(٧) فى (د) و (خ) زيادة تارة .

(٨) بإسقاط إلى فى (ط) وإسقاط من يساويه .

(٩) فى (ط) زياده مولاتنا .

ثم قال للحرة يوما وهى فى التعكر انظرى إلى ما كان فى هذا الحصن من ذخائرك فانزلى به إلى دار العز أو فاعزليه فى بعض هذه القصور وأما هذه الحجر يعنى التعكر فاتركيه لى فلا طاعة لك على فيه بعد اليوم فقالت له لو لم تقل هذا القول ما احوجتك إليه[1] الحصن حصنك وأنت رجل البيت ولا حرج عليك منى فيما عاد لسمو قدرك وعلو أمرك فخجل منها وأطرق ونزلت إلى ذى جبلة ولم تغير من الأحوال شيئاً وكان ينزل إليها ويترضاها فى طلوع الحصن كعادتها فلا تفعل[2] وهى فى ذلك تواصل بره بما يحسن عنده موقعه من الجوارى المغانى[3] والكساوى والطيب والعبيد والأستاذين وغير ذلك ومن لامها فيه أو حذرها منه لم تسمع كلامه وله فى نصرتها والذب عن أعمال دولتها مواطن حميدة منها أنه حارب الداعى سبأ بن أحمد حين خطب الحرة فلم تفعل وسار إلى سبأ فى جيوش عديدة وحارب على بن سبأ صاحب قيظان وأخرجه منه وحارب عمرو بن عرفطة الجنبى وغيره من سنحان وعنس وزبيد واسترجع لها نصف (خراج)[4] عدن من آل زريع بمائة ألف دينار فى كل سنة .

حدثنى الشيخ أبو الطاهر القانونى قال : أذكر يوماً وأنا عند المفضل ابن أبى البركات بالتعكر وقد أتاه ارتفاع نصف عدن خمسين ألف دينار فسيرها من وقته إلى الحرة الملكة فى ذى جبلة ولم يتعلق منها بشىء

(١) فى الأصل ما أخرجتك منه وفى الهامش ما أحوجتك منه وكذا فى « خ » و « د » . وفى « خ » و « د » من الأموال . (٢) فلم تفعل .

(٣) فى « خ » المغنيات وفى « د » الجوارى الحسان وفى الصليحيون الجوارى والمغالى .

(٤) هذه الزيادة منا ليتم المعنى .

فعاتبناه على ذلك فقال : ليس ينفعنى إلا ما حصل لى عندها فلما وصل المال إليها أعادته إليه فقالت أبقه عندك فأنت أحوج إليه منى فقال أبو الطاهر ففرق المال المفضل على الحاضرين عشرة أكياس فنالنى منها كيس فيه ألف دينار

وكان المفضل يحتجب حتى لا يرجى لقائه ثم يظهر فيفنى من اجتمع ببابه من الوفود ويصل إليه القوى والضعيف وينظر فى أحوال الأعمال والعمال ويجيب عن كل كتاب وصل الى البـــاب ثم يغيب فلا يظهر ولا يوصل اليه وهذه عادته منذ عظم أمره .

ولما خرج المنصور بن (فاتك[1]) بن جياش من زبيد (خوفا من عمه عبد الواحد بن جياش هاجر هو وعبيده وعبيد أبيه حتى نزلوا بالمفضل بن أبي البركات الحميرى صاحب التعكر وبالسيدة الملكة الحرة بنت احمد الصليحى فأكرموا مثواهم[2]) والتزموا له على النصرة ربع البلاد فسار المفضل معهم فأخرج عبد الواحد وملكهم ثم هم أن يغدر بهم ويملك زبيد عليهم فحين خلى التعكر من المفضل وطالت إقامته بتهامة وفى التعكر نائب له يسمى الجمل متقمصاً ومتسما[3] بالدين فصعد اليه

---

(١) هذه الزيادة من « ص » دا يأتى ومن « خ » و « د » .

(٢) ما بين للقوسين مما يأتى ومن « خ » والذى كان فى الأصل « ولما خرج المنصور بن جياش من زبيد بأخيه عبد الواحد بن جياش هاجر هو وعبيده إلى الملك للمفضل الخ» والحال أن عبد الواحد بن جياش هو عم فاتك لا أخيه وفى « ط » ولما أخرج المنصور بن جياش بعمه عبد الواحد ابن ، وقد فضلنا عبارة « خ » لأنها أوفى بالمراد

(٣) فى «ط» متمسكا مع حذف متقمصا وأعتقد أن هذه الحيلة من حيل السيدة الملكة الكثيرة التى دبرتها ضد الملك المفضل ليعرف قدر نفسه ويشكر نعمتها التى توليه ولما سلف منه من الإساءة إليها التى كان يغذيها أعداء

الى التعكر سبعة من أخوانه الفقها منهم محمد بن قيس الوحاظى ومنهم عبد الله بن يحى ومنهم ابراهيم بن زيدان وله كانت البيعة وهو عمى أخو والدى لأبيه وأمه(١) فأخذوا الحصن من الجل وكانت الرعايا من السنة قد قالوا للفقهاء إذا حصلتم فى رأس الحصن فأوقدوا النار ففعلوا ذلك ليلا فأصبح عندهم على باب الحصن عشرون الفاً(٢) واستوالت الفقها على ملك لم يمهدوه ؟ وبالله من ولد حر أفسدوه(٣) ووصل الخبر الى المفضل بتهامة فسار لا يلوى على أحد حتى وصل التعكر وحصر الفقها(٤) وقامت خولان فى نصرة الفقهاء وقام الحصار عليهم ثم رأوا أن خولان خانتهم فقال لهم ابراهيم بن زيدان : لن أموت حتى أقتل المفضل ثم أهلا بالموت فعمد الى حظاياه من السرارى فأخرجهن فى أكمل زى وأحسنه وجعل بأيديهن الطارات وأطلعهن على سقوف القصور بحيث يشاهدهن المفضل (ويسمع هو ومن معه من تلك الأمم أصواتهن(٥)) وكان المفضل أكثر الناس غيرة وانفة فقيل انه مات فى تلك الليلة وقال آخرون : امتص خاتماً كان معداً عنده فاصبح ميتاً والخاتم فى فيه وكان موته فى رمضان سنة أربع وخمسمائه :

== المفضل عند السيدة الملكة لولا حلم السيدة الملكة وسعة صدرها وفضل كرمها ولا يهمها التضحية والخسائر فالمال سيعود ودليل ذلك أن الرعايا وابن عم المفضل كانوا من أكبر المشجعين للفقهاء أنظر «خ».

(١) هو ابراهيم بن أحمد بن زيدان فنسبه إلى جده لشهرته

(٢) إشعال النيران أعالى رءوس الجبال عادة قديمة لليمنيين وأكثر ما تكون فى حالة الصرخة وطلب النجدة ولأمر هام .

(٣) هذه السجعة غير موجودة فى «ط».

(٤) فى الجندى نطلع عزان التعكر وصار محاصراً لتعكر .

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ط».

ولما مات المفضل طلعت الحرة الملكة من ذى جبلة وخيمت بالربادى[١] على التعكر وكاتبت الفقهاء ولاطفتهم إلى أن كتبت لهم خطها بما افترحوه من إمان وأموال واشترطوا عليها أن ترحل هى وجميع الحشود ويصل إليهم من تراضاه[٢] واليا ويقيمون مع الوالى الى أن تصل غنائمهم مأمنهم فوفت لهم بذلك .

وولى التعكر لها مولاها فتح بن[٣] فتح وحدثنى السلطان ناصر بن منصور[٤] قال حدثنى عمك ابراهيم بعد نزوله من التعكر أن نصيبه من العين خمسة وخمسين ألفاً[٥] وكان خولان قد دخل منها الى مخلاف جعفر قبل موت المفضل ستة ألاف قوس ترمى الشعر[٦] وأكثرها

---

(١) الربادى بتشديد الراء ثم الباء الواحدة وآخره ياء مثناة من تحت وهو عزلة مربوطة بذى جبلة ومتصلة بها والتعكر فى أعلاها وذروتها وأكثر منتوجات هذه العزلة القمح والفول والقلا والبطاطة . ونسب الى هذه العزلة فى أيامنا الخطيب محمد / على الربادى الأبى .

(٢) فى «ط» واشترط بلفظ الأفراد ويرضونه .

(٣) فى الأصل فتح بن مفتاح وكذا فى (ط) التصحيح من ابن سمرة ص١٨٤، ومن (خ) و (د) وكذا ما سيأتى .

(٤) هو الكلاعى الوحاظى أحد الأمراء .

(٥) وفى (ط) خمسة وعشرون ألفا .

(٦) بإسقاط قوس فى (ط) ومعنى ترمى الشعر الحذق بالرماية وإصابة الغرض ولو الشىء الذى لا يرى إلا بشدة أو مبالغة ولا يزال هذا المثل سارى المفعول عند معاشر اليمنيين فيقولون للحاذق للرماية فلان يرى الشعر وفلان يرمى الشعر ويخطى البعر يضرب لمن يصيب الأمر الخفى ولا يصيب الأمر الظاهر . ويضع الشىء فى غير موضعه .

بنو بحر وبنو منبه(١) ومران ورازح وشعب حى وبنو جماعة(٢) ففرقهم المفضل فى الحصون واستحلفهم(٣) .

فلما مات المفضل وثب من بنى مران رجل يقال له المسلم بن الزر على حصن خدد فأخرج منه عبد الله بن يعلى الصليحى(٤) وملكه(٥) وكان هذا عبد الله بن يعلى الصليحى كثير الأموال فانتقلت أمواله الى المسلم فقويت شوكته واتصل بالحرة وبحواشيها ورجا أن تقيمه الحرة عوضاً من المفضل ابن أبى البركات وبعث إليها بولديه عمران وسليمان وحسن موقعهما من قلبها(٦) وأمرت بهما فعلما الخط على كبر فلما كان بعد ذلك زوجت عمران وسليمان بعض الترابى (٧) عندها وصارا يختلفان من عندها الى أبيهما بخدد وخولان مستظهرة ولهم صولة وكلمة .

ولما مات المسلم ملك ولده سليمان حصن خدد وبقى عمران عندها ثم أن عمرا(٨) خطب ابنة القائد فتح بن فتح وإليها على التمكر فلما

---

(١) فى «ط» بنو ضبة وهو وهم

(٢) هذه قبايل من خولان صعدة لا من خولان العالية كما توهم صاحب كتاب الصليحيون راجع أنساب هذه القبائل الجزء الأول من الإكليل .

(٣) فى «ط» زيادة الملكة .

(٤) هو الأديب الشاعر المار الذكر .

(٥) وذلك سنة أربع عشرة وخمسمائة كما فى ابن سمرة ص ١٨٤ .

(٦) فى «ط» من قبله وهو وهم .

(٧) لعل المعنى بعض اللواتى ربتهن وفى «ط» ربائبها وان الترابى جمع ترب بكسر الباء وسكون الراء وآخره باء موحدة وهو من على شاكلتك فى السن ولدتك .

(٨) فى «ط» بعد هذا حسنت حالة عندها وكان فتح بن فتح بعد موت

كان ليلة الدخول بها دبر عمران وسليمان على فتح حتى غدرا به وملكا عليه التعكر وحازه عمران واشترط عليهما فتح أشياء وفياله بها ، منها أنهما وهبا له حصناً يقال له شار[١] ونقل إليه من الذخائر ما يعز عليه فلما حصل التعكر بيد عمران واصل الحرة ببذل الطاعة والخدمة فلم تلتفت إليه وامتدت أيدى خولان على الرعايا وغيرهم وعاثوا وأفسدوا وكانت الليلة التى ملكوا فيها التعكر ليلة الأحد الثانى عشر من ربيع الأول سنة تسع وخمسمائة[٢] ، ولم تزل هذه حالة خولان مع الحرة إذا رأتهم قد طغوا أرسلت إلى عمرو بن غرفطة الجنبي سطراً أو سطرين بخطها فيقبض على بلاد بنى الزر من العساكر الفارس والراجل فلا يخلصهما منه إلا الضراعة اليها والسؤال لها فى صرف العرب عنهما .

ولقد حكى لي السلطان يزيد بن عيسى الوائلى قال ، أذكر وقد أرسلنى عمران بن المسلم بن الزر الى الحرة وهو مضاف للعرب يستنجده

= مسلم بن الزر خالف على السيدة الملكة مولاته بحصن التعكر واستبد به دونها فتلاطف عمران حتى خطب الخ ولعل هذا أصح لما انطوت القصة من امتناع فتح ابن فتح على السيدة الملكة فبنت له هذه الحيلة لتخضعه لارادتها .

(١) شار بالشين المعجمة أخره راء حصن منيع يشبه صهوة الحصان ويقع غربى مدينة اب بمسافة ثلاث ساعات فى الكلاع أو زيادة ولا زال عامراً آهلا بالسكان و به سميت عزلة بلاد شار وهو فى حوزة المشايخ بنى الشهارى .

(٢) كذا فى الأصل وفى «ط» خمس وخمسمائة والذى فى طبقات ابن سمرة أن أخذ التعكر من فتح بن فتح خديعة فى نكاح بناته سنة خمس عشرة وخمسمائة واستقاموا فى خدد إلى شوال سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وأخرجهم السلطان سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ثم حج مكة وفى «خ» و «د» أن السيدة الملكة أقامت مقام المفضل فى الذب عن مملكتها ابن عمه أسعد بن أبى الفتوح بن العلا بن الوليد الحميرى الخ فانظره .

[illegible] بعشرة [illegible] معونة [illegible]

لها هى تعرف ما ينفعنى ، قال يزيد بن عيسى فكتبت لى بخطها إلى عمرو أبن عرفطة الجنبى[1] وفيها إذا وقفت على أمرنا هذا فارتحل عن بلاد بنى الزر مشكورا .

فلما وقف عمرو عليها نادى بالناس بشعار الرحيل وهو قوله : «ياراشدين مروح» ، فلم تبق ساعة وبقى منهم واحد[2] فقال عمران لسليمان[3] هذا وربك هو العز والطاعة ولما كان فى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة[4] قدم إلى اليمن ابن نجيب الدولة داعيا .

أخبار أبن نجيب الدولة[5]

منها أنه كان على خزانة الكتب الافضلية[6] وكان غزير الحفظ مستبصرا فى المذهب[7] قيما بتلاوة القرآن العزيز على الروايات[8] فأما اسمه فهو على ابن إبراهيم بن نجيب الدولة وأما نعوته فهو الأمير المنتخب عن الخلافة الفاطمية فخر الدولة العلوية الموفق فى الدين داعى أمير المؤمنين وسار معه من الحجرية[9] عشرون فارسا مختارة ومنتقاة وحين

---

(١) فى «ط» برقعة فيها

(٢) فى «ط» فلم تمض وبقى أحد

(٣) فى «ط» فقال عمران لأخيه سليمان

(٤) قد سبق كلام ابن سمرة فى الصفحة السابقة فما هنا وهم

(٥) فى «ط» وهذه أخبار الموفق ابن نجيب الدولة

(٦) فى «ط» أنه كان فى ابتداء أمره

(٧) فى «ط» زيادة الظاهر

(٨) وفى «ط» قائماً وكان يقرأ على روايات

(٩) الحجريه فريق من الرجال كانوا فى خدمة الخلفاء الفاطميين سموا بهذا الاسم لأنهم كانوا يقيمون فى ثكنات تعرف بالحجر تقع بين القصر الكبير فى القاهرة وباب النصر (أنظر «ط» ص ٢٢٧)

... نجيب الدولة [illegible] جزيرة [illegible] لديه بها في [illegible] الواصل
من عدن محمد بن أبى العرب الداعى(١) من ولد صاعد بن حميد الدين فكشف لابن نجيب الدولة أسرار اليمن وأحوال الناس(٢) وأسماؤهم وحلاهم وكناهم وتواريخ مواليدهم وماتحت ثياب أكثرهم من شامة أو ثآلول أو جراح أو أثر نار فكان ابن نجيب الدولة إذا سألهم عن غوامض هذه الأشياء أعتقدوا أنه يعلم الغيب وأول ماعمل بذى جبلة أن أخذ رجلا من خولان من بنى بحر ثم من بنى عمران ابن الزر(٣) يقال له سليمان بن عبيد وهو رجل نبيه القدر والذكر(٤) — فضربه بالعصا حتى أحدث فى ثيابه(٥) وزحفت خولان إلى ذى جبلة فهجم أحمد بن سليمان الزواحى(٦) ابن أخى الحرة وزوج أم همدان بنت المكرم فأخذ الخولانى من ابن نجيب الدولة بغير اختياره فخلع عليه وأرسله إلى قومه فانكفت أكف خولان عن ذلك البسط .

ثم أن ابن نجيب الدولة غزا أهل وادى ميتم(٧) وغزا زبيدا وغزا

---

(١) كذا فى الأصل وفى « ط » لقبه الكاظم وابن أبى عرب بدون تعريف.

(٢) زيادة كلهم فى « ط » .

(٣) فى « ط » من بنى عمرو اعله وهم .

(٤) وفى « ط » عالى الذكر .

(٥) أحيل التعليق على هذه الحادثة على ذوق القارئ وفطنته وكفى .

(٦) فى « ط » ورجعت بالراء والعين بدل زحفت بالزاى والفاء وهم بدل هجم .

(٧) وادى ميتم من الاودية العظام ومن أخصب أراضى اليمن كثير القرى غنى بالمنتوجات وأعلاه رأى العين من ذى جبلة شرقا وتقدر المسافة بينها ساعة .

أهل السهلة[1] فأمنت البلاد ورخصت الأسعار وانكف الدعار[2] وقبض يدية عن أموال الناس وعدل فيهم وأقام الحدود وعز جانب الحرة وانقمع أهل اليمن عن الطمع فى أطراف بلادها واستخدم من بنى حماس وسنحان[3] ثلثمائة فارس وقدم عليهم الطوق الهمدانى .

ولما مات الأفضل سنة خمس عشر وخمسمائة وواه المأمون[4] وشد أزره وكتب إليه بالتفويض وبسط يده ولسانه وسير إليه المأمون أربعمائة قوس أرمنى وسبعمائة أسود وسكن الجند وهى وطيئة للحافر متوسطة فى الأعمال فضاق الأمر به على سلاطين الوقت وهم سليمان وعمران أبناء الزر ومنصور بن المفضل وسبأ بن أبى السعود ومفضل بن زريع .

وفى سنة ثمانى عشرة غزا زبيد[5] والوزير يومئذ من الله الفاتكى وكانت عشرة رماة من أصحاب ابن نجيب الدولة قد استأمنوا إلى أهل زبيد ولما تزاحف الناس للحرب رمى رجل من العشرة المستأمنة بنبهم فلم يخطأ أنف الفرس الذى عليه ابن نجيب الدولة فسقط على بن إبراهيم

---

(١) مايسمى السهلة كثير منها السهلة اعلا جبل الشوافى فى عزلة بنى عرم ويسكنها بعض مشايخ آل قاسم من الكلاع والسهلة أيضاً من بلاد شار المذكورة آنفاً وغير ذلك .

(٢) فى «ط» الذعر وهو وهم فالدعار جمع داعر وهو المفسد .

(٣) بنو حماس قبيلتان أحدهما حميريه ولها بقية وأخرى من بنى الحارث بن كعب المذحجين أهل نجران ولها بقية أيضا وسنحان معروفة راجع الجزء الأول من الاكليل

(٤) محمد بن أبى المأمون هو أبو عبد الله شجاع قائد البطائحى توزر للآمر باحكام الله ثم قبض عليه سنة تسع عشرة وخمسمائة ثم قتل سنة إحدى وعشرين وخلف تركة ضخمة جداً انظر الوفيات (ج ٤ ص ٣٨٤) .

(٥) وفى «ط» فقاتل أهلها على باب القرتب ، زيادة من «خ» .

إلى الأرض حين شب به الفرس(١) وانهزم عسكره فقتل السودان بأسرهم ولم ينج من الأرمن سوى خمسين وكانوا أربعمائة قوس .

وأما الداعي فقاتلت عنه همدان اشد قتال حتى أردفه منهم رجل يقال له السباعي وجاهدت عنه همدان خمسة عشر فارسا أحدهم الطوق وعار فرس ابن نجيب الدولة(٢) من الوقعة صلاة الظهر يوم الجمعة فاصبح يوم السبت بمدينة الجند وبينها وبين مدينة زبيد أربعة أيام أو ثلاثة للمجد فلم يمس الخبر ليلة الأحد إلا بذى جبلة(٣) بأن ابن نجيب الدولة قد قتل(٤) بزبيد .

ثم وصل الداعي (علي بن إبراهيم هو ابن نجيب الدولة)(٥) إلى الجند بعد أربعة أيام وركب إلى ذي جيلة واجتمع بالحرة فارتاش(٦) وعادت حاله فغزا بلاد سليمان بن الزر بعد أربعة أشهر ثم تهادنا فعاد إلى الجند فغزا آل زريع إلى الجوة فالتقى معه بالمفضل بن زريع بأكمة بني سلمة(٧)

---

(١) شب الفرس إذا رفع يديه وفى « ط » بالتاء المثناه من فوق بعد الشين المعجمة وهو وهم .

(٢) عار الفرس . انقلب وذهب هنا وهناك .

(٣) ليلة الأحد ساقط من « ط » .

(٤) هكذا خبر الشر سرعان ماينتشر وتقول العامة : أن الجن تحمل هذا الخبر بهذه السرعة وهو قول خرافي لاصحة له وقد حكى المورخون من هذا الشيء الكثير وكما وقع فى زماننا بدون واسطة المواصلات الحديثه ولعل مرجع ذلك أن الحادثة مثلا تقع ويعض المسافرين على أهبة السفر فيغذ فى السير ويخبر المخبر من وجده فى طريقة ويلقى الخبر من حينه ويتناقله الناس وقد يكون المسافر خائفا فيختفى فلا يعرف الناس من أين مصدر الخبر فينسبونه إلى الجن

(٥) ساقط من « ط » (٦) راشه المرض أضعفه ومعناه حسنت حالته.

(٧) أكمة بنى سلمة فى مخلاف خدير .

فطعن ابن نجيب الدولة وكان جعد الفراسة(١) فسقط إلى الأرض وطعنه عبد لمسعود بن زريع يقال له مسافر وحمل الطوق الهمدانى على مسافر فطعنه فقتله ووقف عبد ابن نجيب الدولة حتى ركب وعاد ابن نجيب الدولة إلى الجند وفى هذه الوقعة يقول مفضل بن زريع فى ابن نجيب الدولة وكان جوشنه قد وقع منه على الأرض .

مضى هاربا ناسيا جوشنه   مخافة يام بأن تطعنه(٢)

وليس من الموت ينجي الفرار   كذاك ترى الأنفس الموقنة

وفى سنة تسع عشرة ساءت عشرته على الحرة(٣) وقال : قد خرفت واستحقت عندى(٤) أن يحجر عليها فعند ذلك وصل إليها السلاطين الستة(٥) سليمان وعمران أبنا الزرو سبأ ابن أبى السعود وأبو الغارات واسعد بن أبى الفتوح والمنصور بن مفضل(٦) وأستاذنوها فى حصار ابن نجيب الدولة بالجند فاذنت لهم وكانت الجند مسورة ومعه فيها من همدان أربعمائة فارس منتقاة .

وجاءته السلاطين فى ألفى فارس وثلاثين ألف راجل وأحاطوا به وكانت مع ابن نجيب الدولة فى الجند فرسان يعد كل فارس منها بمائة فارس منهم الطوق وعبد الله بن عبد الله ومحمد بن أحمد بن عمران بن الفضل بن على اليامى وعبد الله بن عبد الله الذى ولى الدعوة بعد ابن

---

(١) جعد الفروسة إذا كان لا يحسن الفروسية .

(٢) فى « ط » تقديم وتأخير من قوله: وفى هذه الوقعة . والجوشن . الدرع

(٣) كذا فى الأصل وفى « خ » سيرته وقوله سنة تسع عشرة أى وخمسمائة

(٤) وفى « ط » واستحق بلفظ المذكر وهو وهم .

(٥) كان فى الأصل الأربعه والتصحيح من واقع العدد .

(٦) سبق فى « خ » اسعد بن أبى الفتوح قتل .

نجيب الدولة وهو من بنى الصلحى ومنهم على بن سليمان الزواحى وأبو الغيث بن شامر ومحمد بن الاغر وعاش إلى أن ذبحه ابن مهدى غدرا ومنهم الفريدين .

ولما اشتد الحصار على إبن نجيب الدولة كتبت الحرة على جارى عادتها إلى عمرو بن عرفطه الجنبي فاتاها فخيم عندها بذى جبلة وبعثت إلى وجوه القبايل ففرقت فيهم عشرة الآف مثقال مصرية وقالت للرسل اشيعوا فى العسكر ، ان ابن نجيب الدولة فرق فى الناس عشرة الآف دينار مصرية فإن انفق السلاطين فينا[1] من الذهب المصرى[2] والا ارتحلنا فلما خوطب السلاطين على ذلك[3] وعدوا الناس فلما كان من الليل ارتحل السلاطين كل منهم إلى بلده واصبحت الحشود من كل بلد راس فانفض الناس عن الجند[4] فقيل لابن نجيب الدولة هذا تدبير الذى قلت انها قد خرفت فركب إليها إلى ذى جبلة وتنصل واعتذر .

وسبب القبض على ابن نجيب الدولة فيما حدثنى الفقيه الحسين بن على البجلى[5] ان المامون فى وزارته سير رسولا إلى اليمن كان يحمل السيف ويسمى الأمير الكذاب فلما وصل واجتمع بابن نجيب الدولة

---

(١) فى « ط » شيئاً وفى « خ » فطلبت العساكر من سلاطينهم ان ينفقوا عليهم .

(٢) إليك أيها القارى اليمنى تأمل فالتاريخ يعيد نفسه فهل آن لنا ان نرعوى .

(٣) وفى « ط » بذلك .

(٤) فى « خ » حدث هذا فى المحرم سنة ٥٢٠ هـ عشرين وخمسمائة .

(٥) فى الأصول الحلبى ثم صححه فى « ط » كما ان فيه زيادة ابو عبد الله .

فى ذى جبلة فى مجلس حافل بأهل اليمن[١] ولم يكن ابن نجيب الدولة أكرمه ولا أضافه ولا عنى به وقصد أن يغض منه فقال له ابن نجيب الدولة : أنت والى الشرطة فى القاهرة فقال بل أنا الذى الطم[٢] خيار من فيها عشرة الآف نعل فغض ذلك[٣] من ابن نجيب الدولة والتصق أعدآء ابن نجيب الدولة (إلى هذا الرسول الذى خاصم ابن نجيب الدولة[٤] فأكثروا بره وحمل الهدايا إليه[٥] وضمن لهم هلاك على بن إبراهيم بفصلين .

أما أحدهما فقال لهم اكتبوا على يدى إلى مولانا الآمر كتباً تذكرون فيه أنه دعاكم إلى نزار[٦] وراودكم على ذلك فامتنعتم .

والفصل الثانى أضربوا سكة نزارية وأنا أوصلها إلى مولانا الآمر بأحكام الله[٧] ففعلوا ذلك ووافق وصوله من اليمن القبض على المأمون

---

(١) إسقاط « بأهل اليمن فى « ط »

(٢) فى « ط » الذى يلطم (٣) فى « ط » فغضب من ذلك

(٤) هذه غير موجوده فى « ط »

(٥) وحمل الهدايا إليهم وهو وهم وفى « خ » وحملوا إليه الهدايا

(٦) النزارية فرقة من أتباع العبيديين انتسبو إلى نزار بن المستنصر العبيدى الذى ابعد عن الخلافه وأقيم أخوه المستعلى واعتبرته هذه الفرقة الإمام الشرعى وأقامت أولاده من بعده وانتشرت هذه الفرقة فهم أصحاب قلعة أموات بأصبهان وقلاع الشام .

(٧) هو أبو على المنصور الملقب الآمر باحكام الله بن المستعلى بن الظاهر بن الحاكم العبيدى سادس الخلفا العبيدين وعاشر أولاد عبيد الله القائم بالمغرب بويع له بالولاية بعد أبيه المستعلى يوم الثلاثا لثلاث عشر ليلة بقيت من صفر سنة ٤٩٥ خمس وتسعين أربعمائة ومولده يوم الثلاثا ثالث عشر محرم سنة ٤٩٠ تسعين وأربعمائه وكان الآمر باحكام الله سيء الرأى مستهترا متظاهرا باللهو واللعب ظالما للناس يأخذ أموالهم ويسفك دمائهم =

فاوصل الكتب والسكة إلى مولانا (الآمر بأحكام الله عليه السلام[1]) فقضى بذلك[2] بتسيير الآمر الموفق إبن الخياط للقبض على بن نجيب الدولة وسار معه من الباب مائة فارس من الحجرية المقطعين وممن كان فى صحبة هذا ابن الخياط (قصة والد حسام عز الدين بن رزيك[3]) وسار مع ابن الخياط ابنه سعد الملك فلما وصل الخبر بأن الرسول فى دهلك توجه ابن نجيب الدولة إلى بلاد بنى زبيد بعد امتناع منه[4] وكراهته لذلك وكان يقول داعى لا ينافق والموت أصلح له[5] من النفاق ودخل أعداؤه إلى الحرة وقالوا لها : احتفظى بابن نجيب الدولة[6] فإن الإمام لا يطلبه إلا منك فتمارضت وأرسلت إليه الشريف محمد بن الحوالى[7] وكان

= وارتكب المحظورات واستحسن القبائح وفى أيامه سقطت مدن وديار كثيرة من بلاد الإسلام فى يد النصارى وتولى وهو ابن خمس سنين وقتل سنة أربع وعشرين وخمسمائة وعمره أربع وثلاثون سنة ومدة حكمه تسع وعشرون سنة « الوفيات ٤ ص ٣٨٤ » .

(١) ما بين القوسين ساقط من « ط » .

(٢) فى « ط » فقضى ذلك .

(٣) ساقط من « ط » ورزيك بضم الرا وتشديد الزاى ولم تظهر كلمة « قصة »

(٤) بنو زبيد قبائل كثيرة وأقربها إلى جبلة القبيلة الواقعة شرقى الجند وثانيهما بنو زبيد فيما بين قعطبة والضالع وفى « ط » إسقاط منه وفى ط « إلى زبيد » أى المدينة المشهورة وهو أقرب ليلتجئ بالنجاح .

(٥) وفى « ط » أصلح من النفاق بإسقاط له .

(٦) فى « ط » احتفظى « يامولاتنا » .

(٧) هذا الشريف الحوالى وابنه على بن أسعد من أولاد يعفر بن عبدالرحمن الحوالى الحميرى أمراء اليمن المشهور بن وكان الشريف أسعد هذا وأسرته يدعون بالإشراف لكرم عنصرهم وتأثلهم بالرياسة والملك وكانت لهم =

أصدق الناس إليه فادركه من الجند على ليلة فقال له : هذه المرأة[١] على الموت وليست تثق بأحد إلا بك فارجع إليها فرجع فاحتفظت به على كرامة وقيدته بقيد فضة فيه خمسون أوقيه[٢] .

ووصل الرسول من عدن يطلبه فامتنعت الحرة الملكة عليه وقالت له أنت حامل كتاب[٣] فخذ جوابه وإلا فاقعد حتى أكتب إلى مولانا ويعود الجواب فدخل سليمان بن الزر وعمران وبذلا لعبد الله بن المهدى[٤] عشرة آلاف دينار وحصنين بأعمالها وكانت الحرة تصغى إلى رأيه فخوفها سوء السمعة بالنزارية وأمر الرسول ومن معه أن يشيعوا ذلك ولم يزل بها حتى استوثقت لابن نجيب الدولة من ابن الخياط بأربعين يمينا وكتبت إلى الآمر بأحكام الله وسيرت رسولا هو كاتبها محمد بن الأزدى إذ كان أديبا منشئاً للديوان بليغاً مجيداً الألفاظ باهر الأحسان وسيرت الحره فى الهدية بدرة[٥] قيمة الجواهر التى فيها أربعون ألف دينار وشفعت فيه فما هو إلا أن فارقوا[٦] ذى جبلة بليلة حتى جعلوا فى رجله طوبة من مائة

= مقاطعات بوادى ظبا من الكلاع وبعدان وكحلان خبان وشبام حمير ولهم تاريخ حافل وقد سبق الإلماع فى ترجمة أسعد بن إبراهيم الحوالى فى ص ٤٩ .

(١) فى « ط » هذه الحره الملكة حجة مولانا مشرفة على الموت .

(٢) فى الأصل درهما والتصحيح من « ط » .

(٣) فى « ط » زيادة مولاتنا . (٤) هو الحوالى .

(٥) كذا فى « ط » وفى « خ » زبدية وهو الذى يقرب إلى الذهن إذ البدرة كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار والزبدية بفتح الزاى وعاء « للطيب ومكيال معروف فى زبيد والمراد الأول وإلا فما معنى قيمة الجواهر .

(٦) فى « ط » زيادة بقفص خشب والناس ينظرون إليه فقال : ما تنظرون أسدٌ فى قفص .

رطل حديد وشتموه وأهانوه وبات فى الدهليز عرياناً فى الشتاء وبادروا به من عدن (وسفروه إلى مصر)[١] فى جلبة سواكنية[٢] (أول يوم من شهر رمضان) وأخروا رسولها محمد بن الأزدى بعدها بخمسة عشر يوماً[٣] ثم سفروه وتقدموا على ربان المركب أن يعطبه[٤] فغرق بما فيه على باب المندب . ومات ابن الأزدى غريقاً فجزعت الحرة على ذلك حيث لا ينفعها ذلك ودخل عليها سليمان وعمران شامتين بابن نجيب الدولة وخرجا من عندها وهما يقولان صدق الفقيه فى قوله : قال : عبد الله بن عباس كنا ندخل نسمع الحديث عن عائشة فلا نخرج حتى نعلم أنها امرأة فكان آخر دخولها[٥] .

---

(١) هذه الزيادة من « خ » .

(٢) الجلبة . السفينة والسواكنية نسبة إلى سواكن وهى جزيرة حسنة كبيرة من سكانها قبيلة جهينة اليمنية وهى مرفأ فى السودان على ساحر البحر الأحمر الغربى منها يركب الحجاج البحر إلى جده ولا زالت عامرة .

(٣) كذا فى « خ » وفى « ط » خمسة أيام .

(٤) يعطب يهلكه وفى « ط » يغرقه .

(٥) وفى الجندى . ثم أن الحره أقامت الداعى إبراهيم بن الحسن الحامدى فتوفى عقيب ذلك ولم تطل مدته وفى مدته وصل العلم بوفاة الآمر بأحكام الله بمصر وقيام الحافظ بعده فاضافت الحره الدعوة إلى آل زريع بن العباس اليامى فوليها منهم سبا بن أبى السعود ولذلك لقب بالداعى ثم وليها بعده عقبه كما سيأتى ذكره إنشا الله وتوفيت الحرة السيدة بذى جبلة وكان وفاتها فى سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة وهى بنت ثمان وثمانين سنة وانتقل جميع ما كان تحت يدها من الحصون والذخائر والأموال إلى منصور بن المفضل بن أبى البركات ابن الوليد الحميرى . « وفى ابن سمرة ص١٢٢ » إن وفاة السيدة الملكة فى السنة المذكورة ثم ولى بعدها على بن عبد الله ابن محمد الصليحى دون السنة ومات

أخبار آل الزريع بن العباس بن الكرم[١] اليامى أهل عدن[٢] أما نسبهم فمن همدان ثم من جشم بن يام بن أصبا[٣] وكان لجدهم العباس ابن الكرم سابقة محمودة وبلاء حسن فى قيام الدعوة المستنصرية مع الداعى على بن محمد الصليحى ثم مع ولده المكرم بن على عند نزوله إلى زبيد وأخذ أمه أسماء ابنة شهاب من الأحول سعيد بن نجاح[٤] .

وكان السبب فى ملكهم لعدن أن الصليحى لما فتحها وفيها بنو معن إبقاها فى أيديهم فلما قتل الصليحى (نافقت بنو معن فى عدن[٥]) فسار إليهم المكرم ففتحها وأزال بنى معن[٦] منها وولاها العباس ومسعودا بنى

= سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وبعده زوجته أسماء بنت محمد الصليحى استقامت مدة قليلة وانضم إليها السلطان كحيل واسمه عبد الله بن محمد ثم خرج اليمن من أيدى بنى الصليحى إلى الأمير منصور بن المفضل ، أى اليمن الأسفل أما اليمن الأعلا فارجع إلى قرة العيون والخزرجى .

(١) كذا فى الأصل وهو الذى صححناه كما سبق .

(٢) فى الأصل وأهل عدن فكان حذف الواو وفى « ط » أميرا عدن عن تصحيح من المعلق .

(٣) كذا فى الأصل وقدوهم المعلق فى « ط » فجعلها أصغا بالغين المعجمة بدل أصبا بالباء الموحدة التى كانت فى أصله . واصبا هو ابن دافع بن مالك ابن جشم بن حاشد .

(٤) فى « خ » من أسر الأحول .

(٥) ما بين القوسين ساقط من « ط » وهذه العبارة لابد منها .

(٦) فى روضة الحجورى حوادث المكرم بن على الصليحى مع آل معن أصحاب عدن مربوطة بالسنين أحببت تسطيرها هنا حفظا للتاريخ حتى ييسر الله بما يؤيدها من تواريخ آخر إذ لم تجد فى غير الروضه وقد نقلتها على =

. . . .

= علاتها بدون تمحيص لأن فيها خلط قال : ودخل ولعلها (وأخل) عليه عباس بن معن عدن آخر ذى الحجة سنة تسع وخمسين وأربعمائة قبل دخول المكرم زبيد بتسعة أشهر ووليها ثلاث سنين ومات فى أول الحجة سنة اثنتين وستين وأربعمائة وولى الأمر بعده أخوه محمد بن معن أربع سنين وتسعة أشهر وهرب إلى أحور من المكرم فى آخر يوم من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ورجع إلى أبين على صلح وملك المكرم لحج والعارة وسباوأ بين وجميع قرى بين عدن والفرضة وأقام هذا الصلح سنة وأربعة أشهر وقتل ابن الدهانى قتله القاضى حاتم بن الغشم اليامى فى ذى الحجة سنة ثمان وستين وأربعمائة وأخذها محمد بن معن من حاتم ثم فسد الأمر بينه وبين المكرم فهرب منه ثانية إلى أحور ومعه العامريون فى الأولى والثانية ودخل الأمير المكرم عدن وصالحهم فسلموا إليه باب عدن ونصف قوانينه والعارة ولحج وابين فاستمر الصلح على ذلك وسافرا إلى أحور وأقام بها خمس سنين من سنة ثمان إلى سنة ثلاث وسبعين وقد كان هرب معه يعفر بن العباس بن معن وأهل ابين جميعاً إلى أحور ثم رجعوا ورجع معهم السلطان محمد بن معن فى هذه السنة فى ذى القعدة وأقام إلى يوم الأحد الحادى والعشرين من جمادى الآخرة ومرض تسعة أيام وتوفى فى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة سنة وولى الأمر بعده يعفر بن العباس أياماً أحدى وستين يوماً وكانت وقعة خنفر الأولى يوم الخميس ثانى عشر من شهر صفر سنة سبع وسبعين وأربعمائة وكانت وقعة خنفر الثانية يوم السبت تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وولى الأمر زريع بن العباس بعد أخيه يعفر سنة خمس وثمانين وأربعمائة ثم ساق آل زريع ووفياتهم ومدد ولايتهم وربما نذكر ذلك فيما يأتى وقد خلط فى الروضه بين آل معن وآل زريع فبينما يذكر أن يعفر بن العباس من بنى معن إذ يذكره بإقرب لحظة أنه من آل زريع .

الكرم وجعل مقر العباس تعكر عدن(١) وهو يحوز الباب وما يصل من البر وجعل لمسعود حصن الخضرا(٢) وهو يحوز الساحل والمراكب ويحكم على المدينة واستحلفهما للحرة السيدة ابنت أحمد لأن الصليحى كان أصدقها عدن حين زوجها من ولده المكرم سنة ثمان وخمسين وأربعمائة(٣) ولم يزل ارتفاع عدن من سنة ثمان وخمسين ترفع إلى السيده وهو مائة ألف يزيد وينقص إلى أن مات المكرم(٤) ثم وفالها بعد موت المكرم العباس ومسعود ابنى الكرم فلما ماتا(٥) تغلب على عدن زريع بن العباس وأبو الغارات بن مسعود فسار المفضل بن أبى البركات إلى عدن وجرت بينه و بينهما حروب كان آخرها المصالحة على نصف ارتفاع عدن .

ولما مات المفضل بن أبى البركات تغلبت أهل عدن على النصف الثانى فسار اليهم أسعد بن أبى الفتوح ابن عم الملك المفضل(٦) فصالحهم على ربع الارتفاع للحرة فلما ثارت آل الزر(٧) فى التعكر تغلب أهل عدن

---

(١) تعكر عدن هو ما يسمى اليوم جبل شمسان أو جبل حديد .

(٢) الخضرا هو ما يسمى اليوم حقات ويسمى البنديرة وفيه كانت ترسو المراكب الشراعية فى سالف الأيام .

(٣) فى الأصول واحد وستين والتصحيح مما سبق .

(٤) فى « خ » مائة ألف دينار قد يزيد وقد ينقص إلى أن توفى العباس ابن الكرم .

(٥) كذا فى الأصل وفى « ط » فلما قتلا فى باب زبيد انتقل أمر عدن إلى ولديهما أبى السعود ابن زريع وأبى الغارات بن مسعود فتغلبا على الحرة فبعثت الحرة المفضل بن أبى البركات إلى عدن وجرت الخ وفى « خ » تفصيل أوسع .

(٦) فى « ط » عم الملك المفضل وهو وهم .

(٧) فى « ط » بنو .

على الربع الذى للحرة ولم يبق لها فى عدن شىء لموت رجالها ولم يقدرا بن نجيب الدولة فى ذلك على شى فهذه أحوال ملكهم بعدن .

وأما أخبارهم فيما شجر بينهم فإن المفضل بن أبى البركات نزل فى بعض غزواته إلى زبيد وكان معه زريع بن عباس وعمه[1] مسعود بن الكرم وهما يومئذ صاحبا عدن فقتلا جميعاً على باب زبيد ثم ولى الأمر بعدهما بعدن أبو السعود بن زريع وأبو الغارات بن مسعود ثم ولى الأمر بعدن الداعى سبأ بن أبى السعود ومحمد بن أبى الغارات ثم ولده[2] على الأعز ثم على بن أبى الغارات ثم الداعى محمد بن سبأ وهو آخر بنى مسعود[3] ثم ولده عمران .

ثم هى صفت بعدهم لآل زريع محمد وأبو السعود ابنا عمران وهما طفلان وقد كان لعمران بن خزانة[4] فى عدن نصيب لا أقوم على حفظه

---

(١) فى « ط » وابن عمه مسعود تصحيحا من الصليحيون وهو وهم .

(٢) وفى « ط » ثم ولده سبا واسمه على الأعز المرتضى .

(٣) فى هذا الترتيب قلق واضطراب وفى « ط » بعد قوله محمد بن سبا وعلى بن أبى الغارات آخر بنى مسعود ثم ولى بعد الداعى محمد بن سبا ولده عمران ثم توفى وصفت البلاد لآل زريع إلى أن أخرجهم منها السلطان المعظم شمس الدين توران شاه بن أيوب فى ذى القعدة سنة ٦٥٩ تسع وستين وخمسمائة وكانت بين محمد وأبى السعود بنى عمران بن محمد بن سبأ . هذه الفقرة غير موجودة فى « خ » ولا « د » واعتقدان هذه الزيادة فى « ط » ليست من أصل عمارة إذ وفاته فى سنة ٥٦٩ وتاليفه المفيد فى سنة ٥٦٤ أربع وستين وخمسمائة راجع ص ٣٠ .

(٤) لم يظهر معنا ابن خزانة هل هى والدته فلم تذكر لا فى « خ » ولا فى « د » وهنا نذكر ماجاء فى الجزء الثالث من أنباه الرواة للوزير ابن القفطى فى ترجمة ابن الطش اليمنى ص ٩١ ابن حزابه بالحاء المهملة والزاى المعجمة ثم موحدة وهاء =

ولا على تاريخ وقته وليس فى آل الكرم أكرم من عمران بن مخزانه

= فهو يقول فمن ذلك قوله محمد بن المدافع ابن حزابة اليامى «د» وفى «ط» حرابة بالحاء المهملة ويحق لنا هنا أن ننقل كلام روضة الحجورى على علاته مع شىء من الملاحظة تتميما للفائدة قال وولى الأمر زريع بن العباس بعد أخيه يعفر وتوفى سنة خمس وثمانين ، وأربعمائة وكانت خلافته خمس سنين بنقص شيئاً ، سبق قريباً أن زريع بن العباس وعمه المسعود قتلا فى باب زبيد عند ما غزياها مع المفضل سنة ٥٠٣ ، . وولى الأمر بعده سبا بن زريع سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وكانت ولايته خمس سنين وشيئاً وولى الأمر بعده أبو السعود بن زريع . هنا كله لم تظهر . لحج وابين سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وقتل مسعود بن العباس فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسمائة ثم ولى الأمر بعده إبنه أبو الغارات بن مسعود وتوفى أبوه مسعود بن زريع سنة إحدى عشرة وخمسمائة وتوفى أبو الغارات سنة عشرة وخمسمائة وولى بعده محمد بن أبى الغارات وتوفى سنة أربع وعشرين وملك الداعى سبا وتوفى فى شعبان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وولى بعده الداعى محمد بر سبا وتوفى سنة تسع وأربعين وخمسمائة فى ذى الحجة وتوفى بلال وأخذت الخضرا فى جمادى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وقتل على بن أبى الغارات سنة خمس وأربعين وخمسمائة فى رمضان وولى الداعى عمران فى ذى الحجة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وقتل جوهر فى الثانى عشر من رمضان سنة خمسمائة واثنتين وخمسين يوم الجمعة ومات الداعى «عمران» بن محمد يوم الجمعة نصف النهار لثمان خلون من ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة وقتل الشيخ ريحان المحمدى يوم الأحد لثمان عشرة خلت من شعبان من هذه السنة وقتل السلاطين الذين قتلوه ثالث يوم قتلوه مدة ما ملكوا مائة واثنتان وعشرون سنة انتهى . وفى هذه المدة نظر راجع تعليقنا لقرة العيون .

ومن المفضل بن زريع ودون كرمهما ينقطع الوصف وبنو الكرم يعرفون بآل الذئب وهم بعد بنى الصليحى بقية العرب باليمن .

ولما مات محمد بن أبى الغارات بن مسعود بن الكرم ولى الأمر بعده أخوه على بن أبى الغارات وهو صاحب حصن الخضرا المستولى على البحر والمراكب والمدينة .

والداعى الأوحد المظفر مجد الملك شرف الخلافة عضد الدولة سيف الإمام تاج العرب ومقدمها داعى أمير المؤمنين سبأ بن أبى السعود بن زريع بن العباس بن الكرم اليامى شريك على بن أبى الغارات فى عدن وله من الحصون حصن التعكر تعكر عدن وهو مالك لبابها ولما يدخل من البر وله معقل الدملوه والرما وسامع ومطران ويمين وذبحان(١) وبعض المعافر وبعض الجند وأعماله فى الجبال واسعة كثيرة وله من الأولاد الأغر على ومحمد الداعى والمفضل وزياد وروح .

ذكر السبب فى زوال على بن أبى الغارات من عدن وحصونها

---

(١) الدملوة سبق القول فيها والرما ويقال له جبل الرما أو حصن الرما وذكره الأمام الحسن بن أحمد الهمدانى جبل الرما من جبال المعافر ، وهو فى ناحية القبيطة وكانت تسمى سابقا عزلة الرما جنوب الدملوة وسامع عزلة خصبة من مخلاف المعافر ومطران حصن بقدس من المعافر لا يزال عامراً وماتسمى بمطران من الحصون ذكرناه فى تعليقنا لقرة العيون ويمين بضم المثناه من تحت وفتح الميم ثم مثناة أخرى ساكنة ونون حصن فى وطن الزعازع بالزاى يقع فى الغرب الشمالى من ذبحان مسافة ثمانية كيلو متر تقريبا قال محمد بن حمير الشاعر المشهور .

أو قلت لا قصر إلا قصر دملوة قالوا برأس يمين القصر والدار

وذبحان بضم أوله فى سرة المعافر ووطن آل نعمان .

الداعى سبأ حدثنى الداعى محمد بن سبأ وجماعة من مشايخ عدن قالوا : كان محمداً بن الخزرى أبا القاسم نائباً لعلى بن أبى الغارات فى نصف عدن والشيخ أحمد بن غياث الهذلى نائباً لسبأ فى نصف عدن فاشتط ابن الخزرى فى قسمة الارتفاع على أحمد بن غياث وامتدت أيدى أصحاب على بن أبى الغارات إلى ظلم الناس وعاثوا وأفسدوا وأطلقوا الأقوال بمذمة الداعى سبأ وقالوا : من ذلك ما يوجب الغيظ ويثير الحفيظة والداعى فى ذلك مهتم بجمع الأموال والغلال سراً وكل من يلوذ بالداعى يضام ويهضم والصولة لأصحاب على والداعى فى ذلك يحتمل وحين كاد احتماله أن يخرج الأمر من يده عزم على مناجزة القوم وقدم قائده الشيخ السعيد الموفق بلالا فولاه عدن وأمره أن يهايج القوم[١] ويحرك القتال بعدن ففعل بلال ذلك وكان شهماً ولم يلبث سبأ أن جمع جموعاً من همدان وجنب بن سعد وعنس وحولان وحمير ومذحج وغيرهم[٢] وهبط من الجبال[٣] فنازل القوم بوادى لحج وللداعى سبأ قرية بهذا الوادى مسورة يقال لها بنى أبه[٤] فنزلها[٥]

---

(١) فى « د » و « خ » أوسع مما هنا فارجع إليه .

(٢) انظر انساب هذه القبائل الجزء الأول والثانى والعاشر من الأكليل .

(٣) فى « د » و « خ » وهبط من الدملوه .

(٤) قال المؤرخ الجندى : ومن قرى لحج بنا أبة فسميت منيبة بفتح الميم وسكون النون وفتح الياء المثناة من تحت وفتح الباء الموحدة مع تشديدها ثم هاء ساكنة وسميت بالأسم الأول لأن بانيها رجل من قريش يقال له أبه بفتح الهمزة وفتح الباء الموحدة مع التشديد وسكون الهاء وهى اليوم خراب راجع هدية الزمن .

(٤) فى « ط » زيادة بنى عمه .

ولبنى عمه بنى مسعود بهذا الوادى مدينة كبيرة يقال لها الرعارع[١] مسورة أيضا فخيم كل فى مدينته ثم اقتتلوا أشد القتال[٢] .

وظلم ذى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند[٣]

وحدثنى الداعى محمد بن سبأ قال : كنت فى طلائع الداعى فظهر لنا على ابن أبى الغارات وعمه منيع بن مسعود ولم تحمل الخيل أفرس من الاثنين ولا أشجع فانهزمنا فادركنا منيع بن مسعود فقال : يا صبى قل لأبيك يثبت فلا بد العشية من تقبيل الجشميات اللوانى فى مضاربه[٤] .

فلما أخبرت والدى بذلك ركب بنفسه وقال لمن حضر من آل الذئب وهم بنو عمه الأدنون : إن العرب المستاجرة لا تصبر على حر الطعان ولا يمسك الثور الاقده فالقوا بنى عمكم فاصطلوهم بأنفسكم[٥] وإلا

---

(١) الرعارع بفتح الراثم عين مهمله ثم را مكسورة وآخره عين مهمله قرية لحج الكبرى أوردها الهمدانى فى كتابه صفة جزيرة العرب ، ولا زالت عامرة إلى القرن الثامن الهجرى وهى اليوم خراب ونسب إليها الحافظ موسى بن طارق اللحجى ويقال الرعرعى صاحب المسند المتوفى سنة ٢٠٢ اثنين ومائتين وقدوهم ياقوت فى معجمه حيث ذكرها فى حرف الزاى كما وهم ياقوت فى نسبة الشعر إلى المازنى بالزاى والنون والحال أنه الماربى نسبة إلى مارب بلد الحضارة

خلت الرعارع من بنى المسعود فعهودهم عنها غير عهود

(٢) فى « خ » و « د » تصرف فى العباره .

(٣) البيت لطرفة ابن العبد من معلقته المشهورة .

(٤) فى « ط » فلابد اليوم عشية وفى « د » الليلة و « ط » اللأى وفى « خ » « د » فى مضربه والجشميات نسبة إلى جشم جد آل زريع .

(٥) كذا فى الأصل والقد السير من الجلد وفى « خ » و « د » قيده وفى « ط » لايمسك النار الاموقدها وقوله فاصطلوهم فى الأصل فاصلوهم والتصحيح من « ط » وتحذف الكلمة من أصلها فى « خ » و « د » .

فهى الهزيمة والعار فالتقى القوم فحمل منا فارس على منيع بن مسعود فطعنه طعنة شرم بها شفته العليا وأرنبة أنفه وكثر الطعن بين الفريقين والجلاد بالسيوف وعقر الخيل والعرب المحشودة نظارة ثم حملت همدان ففرقت بين الناس وتحاجز القوم لأن وادى لحج أقبل دافعاً بالسيل فوقفوا جميعاً على عدوتى(١) الوادى يتحدثون فقال الداعى أو غيره لمنيع بن مسعود : كيف رأيت تقبيل الجشميات ياأبا المدافع فى هذه العشية فقال منيع وجدته كما قال المتنبى :

والطعن عند محبيهن كالقبل(٢)

فلم يزل الناس يستحسنون هذا الجواب لمنيع بن مسعود لأن الشاهد وافق الحال .

وحدثنى الداعى محمد بن سبأ قال : أقامت فتنة الرعارع سنتين وكان على بن أبى الغارات(٣) فى أول الأمر ينفق الأموال جزافاً والداعى عمسك فكاد الناس يميلون علينا فلما تضعضعت حال على بن أبى الغارات بذل الداعى مالم يخطر ببال أحد أنه يبذله(٤) ولقد أذكر يوماً أن رجلا من همدان دخل على الداعى سبأ وهو فى الخيمة فقال : أخلنى يا أبا حمير(٥) فلم يبق عندهما غيرى فقال له : إنك تعلم أن الحرب نار حطبها الرجال والخيل وأنا أريد منك أن تدفع لى ديتى وهى ألف دينار ففعل الداعى ذلك ثم قال : ودية ولدى فلان وأخوه فاخذ عنهما ألفى دينار ثم قال :

---

(١) فى «ط» بحذف جميعا .

(٢) وأول البيت «اعلا الممالك مايبنى على الاسل»

(٣) فى «ط» وكان على آخر محمد بن أبى الغارات .

(٤) بحذف احد فى «ط» .

(٥) وفى «ط» اجلنى بالجيم ولام ومعنى اخلنى أى أخرج الناس من عندك لاحدثك سراً ويخلى المكان منهم .

منع الله لنا عنك ياأبا حمير وبقى ثمن الخيل[١] إن عقرت. قال له الداعى : حتى تعقر الخيل قال الهمدانى . قدم لنا ثمنها كما قدمت لنا الدية فدفع الداعى كيساً فيه خمسمائة دينار فلما قبض المال قال : وبقيت خصيلة[٢] ما أظن كرمك ياأبا حمير يردنى فيها . قال : وما هى ؟ قال : إنى عزمت أن أتزوج فلانة إبنت فلان وأنت تعرف شرف قومها وليس لى من المال مايليق أن أقابلهم به فدفع له مائة دينار ثم قال : أنعمت وتفضلت ولم يبق شىء إلا أنه قبيح بمثلى وأنا شيخ أن اتزوج وولدى بلا أزواج[٣] فدفع لكل واحد منهما مائة دينار ثم قام الهمدانى فلما بلغ باب الخيمة رجع فقال للداعى : والله لاسألتك حاجة بعد الحاجة التى رجعت لها وهى أن لى بنتاً لازوج لها وقبيح بنا أن نتزوج أنا وأخواها وتبقى أرملة . قال الداعى : فيكون ماذا قال : تدفع لى مالا أزوجها به فدفع له مائة أخرى[٤] ثم تمثل الداعى بقول الراجز :

استنتفت لحية زيد فانتف

---

(١) فى « ط » وبقى على .

(٢) الخصيلة تصغير خصلة فى القاموس الخصله بالفتح الخله والفضيلة وبالضم الشعر المجتمع أو القليلة منه كالخصيلة ، وتطلق عندنا معاشر اليمنيين على الحاجة يقال : بقيت لى خصلة أى حاجة واحدة وعلى القطعة من العنب دون العنقود وكل ذلك بالفتح .

(٣) فى « ط » بلا زوج .

(٤) تأمل بربك هذه القصة التى قد مضى عليها قرابة تسعمائة سنة كيف نعيد لنا نفس المأساة بين قبائلنا الأعزاء فهل آن لهم أن يقلعوا عن هذه العادة ويعودوا إلى حظيرة الحضارة والعمران .

وحدثنى الداعى محمد بن سبأ وبلال بن جرير المحمدى قالا انفق الداعى سبأ بن أبى السعود على حرب على بن أبى الغارات ثلثمائة ألف دينار ثم أفلس فاقترض من تجار عدن الذين يتوالونه مثل الشريف أبى الحسين على بن محمد العمرى من ولد عمر بن الخطاب وأبى الحسن على ابن محمد السلى(١) وغيرهما مالا ثم مات الداعى سبأ بعد الفتح لعدن بسبعة اشهر(٢) وبقى من المال القرض ثلاثون ألف دينار وقضاها عنه الاغر ولده على بن سبأ .

وحدثنى الشيخ السعيد بلال بن جرير المحمدى قال : لما ملكت حصن الخضرا بعدن واخذت الحرة بهجة أم على بن أبى الغارات وجدت عندها من الذخائر مالم أقدر على مثله وعدن كلها بيدى فى مدة متطاولة قال بلال وبين عدن وبين لحج مسير ليلة فاذكر أنى كتبت من عدن بخبر الفتح واخذى الخضرآء وسيرت رسولا بالبشرى إلى مولانا الداعى سبأ بن ابى السعود وفى اليوم الذى كان فيه فتحى للخضراء فتح مولانا مدينة الرعارع فالتقى رسولى ورسوله بالبشرى وذلك من اعجب التاريخ(٣) والتجأ على بن ابى الغارات إلى حصنين يقال لهما المنيف والحقلة وهما لسبا صهيب(٤) فى اعالى لحج وقتله محمد بن سبأ فى لحج هو

---

(١) فى « ط » إسقاط « السلى » وزيادة وابن أعين وظافر بن قرح وغيرهم .

(٢) فى « ط » بعد فتحه الرعارع ـ بعدن لسبعة اشهر .

(٣) لذلك نظائر واشباه سواء فى البشرى او فى العزى ومن ذلك خبر رسول آل عبد المدان ولاة صنعاء وعدن ايام العباسية راجع قرة العيون .

(٤) المنيف العالى وهو بضم الميم وكسر النون وآخره فاء وهو حصن لا يزال يحمل إسمه إلى هذه الغاية ، وبقيت الأصول بدون الف ولام ومنيف

ومحمد بن منيع بن مسعود ورغبة بن أبى الغارات[1] فى سنة خمس وأربعين[2] ، وأما الداعى سبا فدخل إلى مدينة عدن ولم يقم بها إلا سبعة أشهر كما قدمنا ومات ودفن بها فى سفح التعكر من داخل البلد وأوصى بالأمر[3] لولده على الأعز وكان موت الداعى سبأ سنة ثلاث وثلاثين بعد الحرة الملكة بسنة[4] وكان الأعز مقيما بالدملوه وهم أن يقتل

أيضا فى المعافر ومنيف أيضا فى الكلاع أسفل وادى ميتم ومنيف أيضا فى ذى رعين فى عزلة البكرة من آل عمار وقوله والحقلة بالحاء المهملة والقاف آخره هاء ، وكان فى الأصل الحبلة أى بالحاء المهملة والباء الموحدة بدل القاف والتصحيح منا بعد سؤال أهل صهيب أنفسهم ، ويقال لها اليوم النوبة وهى أطلال وخرائب مع المنيف وسبا صهبب ويقال سبأ الصهيب ويقال أيضا سبا فقط وهو بلفظ التصغير والأشهر بفتح الصاد المهملة نسبة إلى الصهيب ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب ابن زهير بن أيمن ابن الهميسع بن حمير بن سبأ وبه سميت المنطقة الواقعة فى الشمال الشرقى من لحج بمسافة بياض النهار وبيوم من قعطبة وهم من أنجد حمير ومن الصهيب كان أول انتصار أحرزه على أبى الفضل على الأمير محمد بن أبى العلاء الحميرى .

(١) رغبة بالراء والغين المعجمة والباء الموحدة وآخر هاء وفى «ط» بالراء والعين المهملة والياء المثناة من تحت وهاء ويحتمل أن يكون بالزاى والغين المعجمة .

(٢) أى وخمسمائة .

(٣) فى «ط» وأوحى وهو وهم مطبعى

(٤) سبق عن روضة الحجورى من أن وفاة الداعى سبأ فى سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة وكذا فى « د » حيث قال ثم توفى سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة ودفن فى سفح التعكر بعدن وفى تلك الليلة والسنة توفيت السيدة بنت أحمد

بلالا بعدن فمات على مسلو ، وأوصى الأعز بالأمر لأولاده وهم حاتم وعباس ومنصور (١) وكانوا صغارا فجعل كفالتهم إلى أنيس الأعز وإلى يحى بن على العامل وكان وزيره وكاتبه [وأنيس إنسان حبشى(٢)]

وكان محمد بن سبأ قد هرب من أخيه فاستجار بالأمير منصور بن مفضل(٣) فأجاره وحين مات على(٤) بالدملوة سير بلال من عدن رجالا من همدان فأخذوا محمد بن سبأ من جوار المنصور بن المفضل وتولوا به إلى عدن فملكه بلال واستحلف له الناس وزوجه بلال بابنته وجهزه فى جيش لحاصر أنيسا ويحى العامل فى الدملوة وملكها واطاعته البلاد كافة (٥) .

فى ذى جبلة وفى « خ » فأقام سبعة أشهر ثم توفى فدفن بسفح التعكر بعدن وكانت وفاته سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة وهى السنة التى توفيت فيها السيدة بنت أحمد الصليحى فى ذى جبلة وقيل فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة قاله الجندى ، وقال : يعنى الجندى وبعد سنة سبعمائة أظهر المطر حفيرا فى أصل التعكر بعدن فتوهم الناس أنه مال فأعلموا والى البلد فطلع الوالى إلى هنالك ومعه عدة من الناس فاستخرجوا من ذلك الحفير صندوقا كبيرا مسمورا فأمر الوالى بفتحه ففتح فوجدوا رجلا مكفوفا بأثواب إذا مسكت صارت رمادا فأعادوه إلى صندوقه ، قال : ولعله سبأ بن أبى السعود .

(١) فى « خ » وتولى ولده المعروف بالأعز فلم يقم إلا قليلا حتى توفى بمرض السل وكانت وفاته بالدملوة سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وكان له أربعة أولاد هم حاتم والعباس ومنصور ولم أقف على إسم الرابع وفى « ط » مفضل

(٢) ما بين القوسين ساقط من « ط » وفى « خ » جعل كفالتهم إلى أنيس الأعز وهو أستاذ حبشى وإلى كاتبه ووزيره يحيى بن على العامل وكانوا جميعا بالدملوة وأوصى بالأمر بعده إلى ولده .

(٣) هو ابن أبى البركات الحميرى . (٤) هو الأعز .

(٥) عبارة « خ » و « د » وكان الشيخ بلال بن جرير نائبه على عدن

وقال انيس وقد لمته فى تسليم الدملوة وهو حصينة لو لم استأمن قتانى الجوار والنسام بالقباقب وبالنعال لأنى فى مدة المحاصرة اسمعهن يقلن لعن الله هذا العبد الذى يحتاج مثلما نحتاجه كيف يمنع من هو خير لنا منه يعنين مولاهن محمد بن سبأ .

وكان الرشيد بن الزبير[1] قد خرج[2] بتقليد الدعوة للاعز على بن سبأ سنة أربع وثلاثين وخمسمائة فوجد عليا قد مات فقلد الدعوة محمد بن سبأ ونعته المعظم المتوج المكين ونعت وزيره بلال بن جرير الشيخ السعيد الموفق

= وهو مقيم بها وكان يكره الأعز والأعز يكرهه أيضاً ، وساقا كلاما طويلا فارجع إلى قرة العيون .

(۱) فى «ط» الرشيد أحمد بن الزبير وكذا فى «خ» وهو القاضى الرشيد أبو الحسين أحمد بن القاضى الرشيد أبى الحسن على بن القاضى الرشيد أبى أسحاق ابراهيم بن محمد بن الحسن بن الزبير الغسانى الأسوانى . ترجم له فى الوفيات ج ۱ ص ١٤٤ ، وياقوت فى معجمه وغيرهما وقد أفضنا القول فى ترجمته فى تعليقنا قرة العيون .

وكان من أهل الفضل والنباهة والرياسة أسود الجلدة وسيد البلدة أوحد عصره فى علم الهندسة والرياضيات والعلوم الشرعيات والآداب والشعريات .

ولما دخل اليمن رسولا مدح جماعة من ملوكها وممن مدحه منهم السلطان الأفخم على بن حاتم اليامى الهمدانى قال فيه :

لأن أجدبت أرض الصعيد وأقحطوا ⁝ فلست أنال القحط فى أرض قحطان
ومذ كفلت لى مأرب لمآربى ⁝ فلست على أسوان يوماً بأسوان
وأن جهلت حق زعانف خندف ⁝ فقد عرفت فضلى غطارف همدان

وقتله شاور السعدى ظلما لاتهامه بميله إلى أسد الدين شيركوه سنه ٥٦٣ ثلاث وستين وخمسمائه بمصر .

(۲) فى «ط» ص ۱ الأبواب المقدسة تقليد الدعوة المجيدية .

السديد وكان الداعى محمد بن سبأ كريما ممدوحا يثيب على المدح ويقترحه[1] ويكرم أهل الفضيلة[2] وربما قال البيت أو الأبيات[3] ورأيته فى يوم عيد وقد احرقته الشمس فى المصلى بظاهر مدينة الجؤة والشعراء يتزاحمون على السبق بالنشيد فقال : قل لهم لا تتزاحموا أرفع صوتك[4] فلست أقوم حتى يفرغوا وكانوا ثلاثين شاعرا[5] ثم اثابهم جميعا وأذكر ليلة وأنا عنده فى قصره بالجؤة أريد النزول إلى عدن وعنده القاضيان أبو بكر اليافعى الجندى وأبو الفتح بن أبى السهل[6] وجماعة من خواصه الأعيان مثل ابنى قاسم سبأ ومحمد وهما وزيران[7] وأحدهما طبيب ومنجم فقال قد اجتمع على بابى أصحاب هذه المدائح[8] وهم عشرة ثم اخرج القصائد فماذا ترون فى ثوابهم وقدر الجماعة فلم يزيدوا على مائة دينار فقال : اجعلوها ثلثمائه دينار وهى قليل ثم نهض وتولينا بينهم قسمتها .

وحضرنا يوماً عنـــده بقصر الحجر فى موضع يعرف بالجنات[9]

---

(1) فى «ط» كريماً ممدحا يثيب على المدح ويفرح به .

(2) فى «ط» يكرم أهل الأدب والفضل .

(3) فى «ط» وربما قال البيت من الشعر .

(4) فى «ط» قل لهم وارفع صوتك .

(5) أنظر إلى هذه الأريحية والمكارم الفذه والأخلاق العالية .

(6) ستأتى ترجمة أبى بكر اليافعى فى الشعرا وأما أبو الفتح فلا أعرف عنه شيئاً وفى «ط» إسقاط «إلى» من ابن أبى السهل .

(7) وفى «ط» نيران وهو غلط .

(8) فى «ط» وكان قد اجتمع على بابه أصحاب هذه القصائد وحذف فقال وهو غلط

(9) الجنات ذكرها أبو محمد الحسن بن أحمد الهمدانى فى كتابه «صفة جزيرة العرب» وهى فى عداد جبل الصلو فى جنوب الدملوه ولا زالت معروفة=

وعنده من الشعرا صفى الدولة أحمد بن على الحقلى والقاضى أبو بكر الجندى وهو مجيد وله بديهة لا فضل فى الرواية عليها والقاضى يحيى بن أبى يحيى قاضى صنعا[١] وهو فى الشعرا عند أهل اليمن فى طبقة ابن القم فاقترح الداعى على الجماعة بيتى شعر على وزن قام فى خاطره ، وشرط لمن سبق مالا وثيابا كانت عليه فتسابق الجماعة فسبقهم القاضى أبو بكر الجندى وكان قريباً منى وقد ثمل من الشراب فسرقت الورقة من يده وجعلتها فى فمى وانتحلت بيتيه وقمت فانشدتها الداعى واخذت من القاضى خضله وسلبته نصله[٢] وفزت بالمال والثياب ثم فاضت ينابيع كرمه على الجماعة فما منهم إلا من خلع عليه وأجزل صلته .

ولما كان فى سنة سبع وأربعين[٣] ابتاع الداعى محمد بن سبأ من الأمير منصور بن مفضل جميع المعاقل التى كانت لبنى الصليحى وهى ثمانية وعشرون حصنا ومدائن مدينة جبلة واحدة منها بمائة ألف دينار ونزل منصور إلى حصنيه صبر وتعز[٤] وطلق زوجته الصليحية وهى بنت عبد الله بن عبد الله بن محمد الصليحى وصعد الداعى إلى المخلاف فسكن بذى جبلة وتزوج امرأة الأمير منصور بن مفضل[٥] وأكثر

= إلى هذا الوقت وأكثر منتوجاتها الفواكه والخضروات وهى أيضا قريبة من الجوة وما تسمى بالجنات كثير ذكرناها فى المعجم .

(١) سيأتى له ذكر فى الأدبا .

(٢) الخضل بالسكون ويحرك اللؤلؤ والدر الصافى .

(٣) فى «ط» ولما كان فى شهور سنة الخ وفى «خ» و «د» تصرف وزيادة

(٤) حصن صبر لعله ما يسمى العروس قمة جبل صبر وحصن تعز هو ما يسمى القاهرة المطل على تعز .

(٥) فى «ط» زيادة وتزوج أيضا بنت السلطان أسعد بن وايل بن عيسى الوحاظيه وأسكنها دار ابن سباع بالصرحين .

الشعراء تهنئته ومدحه بالمعاقل والعقيلة[١] المذكورين وطاش فرحاً بما صار إليه وبسط يده بالعطايا حتى إنى أذكر يوماً وقد طلعت صحبته أنا وأبو الحسين النبلى[٢] من ذى جبلة إلى حصن حب[٣] وكل من رفع إليه رقعة وقع عليها بما مثاله ، العزة لله وحده فلما انتهينا إلى الحصن أحصينا الرقاع التى بأيدى الناس وكان خازن ماله الشيخان أحمد بن موسى[٤] وريحان المحمدى فجاء مبلغ الرقاع خمسة آلاف دينار فاستكثرها أحمد بن موسى وقال نشاوره على ذلك وقال ريحان أما أنا فما أكره الحياة والله لان شاورته على ذلك لاسلمت منـه فدفع المال فى ذلك اليوم بأسره ومدحه فى ذى جبلة القاضى يحي بن أبى يحي[٥] بقصيدة آثابه عليها خمسمائه دينار وخلعة ، وقدمت من تهامة وله بيدى مال كان قد دفعه إلى فى بعض أغراضه وجاءنى كتابه إلى زبيد يستدعينى إلى ذى جبلة فوصلته فعند مثولى بحضرته قال : ما أهديت لى قلت له كذا وكذا من أشياء كنت قد أعددتها له قال : ما أريد إلا الشعر قلت والله ما عملت كلمة ولا أقدر أعملها خوفاً على روحى من أهل زبيد لأنهم ينقمون على ما تعلمه[٦] فلم يزل يسألنى والله حتى أخجلنى واقترح

---

(١) « ط » والعقايل جمع عقيلة وهى كرايم النساء.

(٢) كذا فى الأصل بالنون والباء الموحدة وقد مضى فى ص ما يشبه أن يكون بالسين المهملة . وفى « ط » أبو الحسن بن على بن محمد الصليحى والشيخ المرجى الحرانى .

(٣) فى « ط » إلى ذى جبلة ومن ذى جبلة إلى حصن حب

(٤) فى « ط » زيادة ابن أبى الزر العامل

(٥) فى « ح » و « د » يحي بن عبد السلام بن أبى يحي .

(٦) [illegible]

على(١) الوزن الذى عمل القاضى يحى بن أبى يحى عليه فلما انشدته قال قد كنت اثبت القاضى بخمسمائة وخلعة وأنا أثيبك بما تحت يدك بمثل ذلك وأميزك بالخلعة عنه بثيابى التى على فقبضت المال والثياب فكان ذلك أحد الأسباب التى نقمها على الحبشة وهموا من قتلى بما وقى الله عز وجل .

ومكارم الداعى أكثر من أن تحصى ثم مات فى سنة ثمان وأربعين(٢) وملك ولده عمران بن محمد فمنعنى أهل زبيد من السفر إليه وقضا الله بتوجهى إلى ديار مصر رسولا لأمير الحرمين المعظمين سنة إحدى وخمسين فأخذت كتابا من الملك الصالح(٣) إلى عمران بن محمد الداعى أساله فى تقسيط المال(٤) الذى مات أبوه وهو عندى وهو ثلاثة

---

(١) فى « ط » واقترحت عن تصحيح منه .

(٢) أى وخمسمائة وفى « خ » وتوفى الداعى سنة ٥٤٨ ، وقيل سنة ٥٤٩ » وقيل سنة خمسين وخمسمائة وكانت وفاته فى الدملوه ثم حكى قصة فارجع إليه .

(٣) الملك الصالح هو أبو الغارات طلائع بن رزيك وزير مصر تولى الوزارة فى أيام الفائز واستقل بالأمور وتدبير أحوال الدولة وكان فاضلا سمحاً فى العطا سهلا فى اللقا محبا لأهل الفضائل جيد الشعر وله ديوان شعر فى جزأين ومن شعره .

كم ذا يرينا الدهر من أحداثه ... عبرا وفينا الصد والأعراض
ننسى الممات وليس يجرى ذكره ... فينا فتذكرنا به الأغراض

ولما مات الفائز وتولى العاضد مكانه استمر الصالح على وزارته وزادت حرمته وتزوج العاضد ابنته فاغتر بطول السلامة وكان العاضد تحت قبضته وفى أسره فلما طال عليه أعمل الحيلة فى قتله ومات سنة ست وخمسين وخمسمائة عن ستين سنة « الوفيات ج ٢ ص ٢٠٨ » .

(٤) تسقط ولعله وهم .

آلاف دينار قال لى عمران : ما مضمون كتاب الملك الصالح تقسيط المال قال له الرشيد: تقسيطه عليه قال عمران بل تقدم سين تقسيط على القاف(١) ثم تناول ورقه وكتب فيها ما مثاله(٢) أقول وأنا عمران بن الداعى المعظم محمد بن الداعى إلا وحد سبأ بن أبى السعود بن زريع بن العباس اليامى أن الفقيه عمارة بن الحسن(٣) برى الذمة من المال الذى درج من يده لمولانا الداعى محمد بن سبأ وهو أثمان وسبعمائة دينار ملكية .

ثم فارقت البلاد فى شعبان سنة اثنين وخمسين وخمسمائة(٤) والمسافرون من اهل اليمن إلى الديار المصرية يحكون من مكارمه وشدة عزائمه ما يخجل الدهر إذا كاد والغيث إذا جاد(٥) ثم مات فى سنة ستين وخمسمائة عن ثلاثة أولاد محمد وأبى السعود ومنصور ما منهم من أدرك الحلم(٦) إلى هذا التاريخ المذكور وهو محرم سنة أربع وستين وخمسمائة(٧) .

وهذه نبذة حقيرة وفقرة إلى التفصيل فقيرة فى أخبار الشيخ السعيد الموفق السديد أبى الندى بلال ابن جرير المحمدى وقد قدمنا أنه ولى عدن لمولاه سبأ ثم أبقاه على الأعز بها ثم بقيت فى يده فى سنة أربع وثلاثين إلى عام ست أو سبع وأربعين ثم مات عن ملك عقيم(٨) .

---

(١) أى تسقط .

(٢) زاد فى « ط » بسم الله الرحمن الرحيم .

(٣) فى هامش « ط » عن نسخة زيادة أبى الحسن على . ولعله أصح وفى « ط » زيادة الحكمى .

(٤) لفظ شعبان ساقط من « ط » .

(٥) إذا كاد لعله من الكيد .

(٦) فى « ط » عن أولادهم محمد إلخ وثم بعد تعداد الأولاد تخليط .

(٧) فى « ط » من الهجرة صلوات الله وسلامه على صاحبها .

(٨) فى « ط » والملك عقيم .

حدثنى الشيخ معمر بن أحمد بن غياث والأديب الفاضل أبو بكر ابن أحمد العنذى[1] وكانا خصيصين بحاله قالا مات بلال عن مال من العين الملكى ستمائة ألف وخمسمائة ومن المصرى عن مال قد سميا مبلغه[2] فأما الملبوس فخزاين ومخازن وكذلك الطيب وأصنافه والعدد والسلاح وتحف الهند وألطاف الصين والمغرب والعراق وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر وانتقل الجميع بوصية بلال إلى مولاه الداعى محمد بن سبأ ففرق ذلك فى مدة سنتين فى سبيل المروءة والمعروف ومات بلال عن أولاد رجال منهم السديد مدافع بن بلال وزر بعده ثم مات وأقام بكفالة هذين الطفلين ولدى عمران محمد وأبى السعود والوزارة لهما أبو الفرج ياسر بن بلال وليس هو دون أبيه فى عزم ولا حزم وأما الكرم فهو مشهور عنه مذكور به[3] .

((هذه أخبار آل نجاح[4]))

لم يزل المؤيد نصير الدين نجاح مالكا لتهامة من أعمال ابن طرف إلى عـــدن[5] وملوك الجبال تعظم دولته وتتقى صولته إلى أن قتله

---

(١) تأتى ترجمته فى الأدبا ووهم فى « ط » بجعله العيذى بالذال المعجمة والصحيح ما ذكرناه .

(٢) وفى « ط » زيادة وعن ابهرة من الفضة والمصاغ حلى ومراكب خيل وبغال وسيوف ورماح وأدوات كتابة وطشوت وأباريق وشمعدانات ومعاشر ومناخل وسطول وطاسات وحرابيات وقصب من الفضة وآلات مرصعة بالذهب وسكاكين صليحية وكيزان فضة وبعليات ما مقداره خمسة أبهرة ومائتا رطل » .

(٣) فى « ط » زيادة والاقدام ويعد مذكورة به منسوب إليه .

(٤) فى « ط » زيادة . ملوك زبيد من الحبشة .

(٥) سبق أن « عدن » كانت بيد آل معن الحميريين الذى أزالهم على بن محمد الصليحى .

الصليحى بالسم مع جارية أهداها إليه سنة اثنين وخمسين وأربعمائة[1]
وتماسكت بنو نجاح بعد أبيهم سنتين والأمر لمولى لهم يقال : له كهلان وهم فى
حد عدم الكمال[2] وبعضهم دون البلوغ ولم يلبث الصليحى أن أزالهم[3] .
وافترقت آل نجاح بعد حصولهم فى جزيرة « دهلك » فأما معارك الأكبر
فقتل نفسه غبناً ، وأما الذخيرة فكانت حالفة[4] .

وأما سعيد الأحول ، وهو قاتل الصليحى وجياش وهو أخوه فكانا
رجلى البيت ما منهما إلا من نادب وعاشر وكاثر[5] ولكن أباهما نجاحاً كان
يرشح أخاهما الأكبر وهو معارك فأما جياش فإنه تنكر ودخل زبيد
فاستخرج وديعة كانت له عند عبد الرحمن بن طاهر العينى وعاد إلى دهلك مدة
أيام الصليحى عاكفاً على العلم حتى برع .

وأما سعيد الأحول وهو الأكبر من جياش وهما شقيقان فكان
أمره من أعجب ما ذكر ، وذلك أنه خرج من « هلك » إلى « زبيد »
مغاضباً لأخيه جياش حين نهاه جياش عن الغدر بصاحب « دهلك »
واستتر سعيد بزبيد عند الرئيس ملاعب الخولانى وهو سوقة[6] إلا أنه

---

(١) سبق أن الملك الصليحى دخل تهامة واحتلها فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة كما حققنا الموضوع هناك .

(٢) فى « ط » وهم فى حد عزم الكمال .

(٣) فى « ط » فلم يلبث الداعى على بن محمد الصليحى .

(٤) يقال : غلام محلف ، وجارية حالفة ، أى مشكوك فى احتلامه لأن ذلك ربما دعا إلى الحلف واليمين ، والمعنى أن الذخيرة بنت نجاح لم تبلغ سن الحلم .

(٥) وفى « ط » وعاش وكاثر ، وهو وهم .

(٦) السوقة . بالضم الرعية أى أنه من الطبقة الدنيا .

كان محباً (١) لال نجاح ، واحتفر سعيد نفقا بين دور ملاعب كان يسكنه أكثر الاوقات ثم كتب سعيد من زبيد إلى أخيه جياش بدهلك يامره بالقدوم إلى زبيد وبشره (٢) بانقضاء دولة الصيلحى وإقبال دولتهم فلما قدم جياش إلى سعيد ظهر سعيد من زبيد فى سبعين رجلا لا فرس مع واحد منهم ولا سلاح إلا مسامير من الحديد مركبة فى الجريد (٣)

وحدثنى أحمد بن فلاح وكان صاحب ديوان التحقيق بزبيد قال : لما خرج الملك سعيد بن نجاح من زبيد قتل جندياً وأخذ فرسا كان معه فركبه وكان خروج سعيد من زبيد يريد الصليحى فى آخر اليوم التاسع من ذى القعدة سنه (ثلاث وسبعين وأربعمائة) (٤) قال الملك جياش بن نجاح : فخرجنا فى طريق الساحل وتركنا الجادة السلطانية

---

(١) وفى « ط » الا أنه أكثر الناس حبا لال جياش .

(٢) وفى « ط » ويبشره بلفظ المضارع .

(٣) الجريد معروف جريد النخل ، وفى « خ » و « د » فى جريد النخل

(٤) كذا فى الأصول . وقد سبق القول الصحيح الذى أجمعت عليه التواريخ باستثنى « عمارة » أن قتل على بن محمد الصليحي فى سنه ٤٥٩ « تسع وخمسين وابعمائة وفى روضة الحجورى أن الصليحى قتل هو واخوه عبدالله يوم الأثنين السابع من ذى القعدة سنة ٤٥٩ بينما يقول ابن سمرة فى طبقاته ص ٨٨ » أن ظهور سعيد الاحول من زبيد يوم الأربعاء من ذى القعدة سنة ٤٥٩ وقتله واخوته عبد الله وإبراهيم يوم السبت من هذا الشهر فى مدينة المهجم وهو سائر إلى الحج ويقول كتاب الصليحيون أن قيام الصليحى من صنعا فى يوم الأثنين السادس من ذى القعدة سنة ٤٥٩ ويوافق عمارة أن قتل الصليحى فى ثانى عشر من ذى القعدة وكذا فى « خ » و « د » فانت ترى اضطراب قول المؤرخين أما السنة فبالاجماع ما عدا عماره انها سنة ٤٥٩ تسع وخمسين وأربعمائة .

مخافة العساكر أن تلقانا ، وبيننا وبين المهجم مسير ثلاثة أيام للجد ، وكانت الأخبار قد سبقتنا للصليحى بخروجنا والاسماع يومئذ قد امتلئت فى الجبال والتهائم أن هذا وقت ظهور سعيد الاحول بن نجاح حتى لا تكاد المساجد والمدارس والاسواق والطرقات تخلو من الخوض فى ذكر ذلك وكنا نكتم هذا الأمر مخافة على نفوسنا والملك سعيد يقسم بالله أنى قاتله وأنى صاحب الوقت (١) ويتحدث فى ذلك مع أكثر الناس .

فلما سمع الصليحى بخروجنا سير من ركابه خمسة الاف حربة من الحبشة وأكثرهم مماليكنا وبنو عمنا وقال : خذوا رأس الأحول ورأس أخيه ومن معه وكنا قد سلكنا يد البحر فخالفناهم (٢) ولقد أذكر أنا لما أظلم الليل علينا ونحن بالمراوعة (٣) من أعمال الكذرا خرج علينا رجل من

---

(١) انتشار هذه الأخبار على هذا النحو هو خروج السر المؤامرة واكتشافها التى كانت ممتده بين صنعا التى بها مقر السلاطين الغير الراضين بحكم الصليحى المغلوب على أمرهم ومربوطين بالصليحى بمواثيق ورهاين والعبيد الذين فى بلاط الملك الصليحى وبين زبيد التى كان بها مختفيا سعيد الأحول يحوك المؤامرة بإحكام وليس انتشار الاخبار هذه من قبيل الصدف والتنجيم والكهانة كما يصوره البعض بالخيال والاوهام الا ان المؤامرة كانت شديدة الاحكام فلم يتنبه لها الصليحى الا وقد فات الوقت وما قتل الامام يحى بالمؤامرة عليه واكتشافها قبل قتله بشهر عنا ببعيد ولكنهم سبقوه وأعماه القدر كما هو معلوم على أن التنجيم كان رائجا لذلك العهد

(٢) معنا اليد الطريق .

(٣) المراوعة أحد المدن التهامية لاتزال عامرة بالسكان وتقع بين مينا الحديدة ومدينة باجل وكانت المراوعة قديما لبنى المجدل وكانوا أهل ثروة ومكارم ومدحهم الشاعر محمد بن حمير الحميرى المتوفى سنة ٦٥٠ فقال :

اثلات الوادى وقال : أظنكم قد ضللتم الطريق (١) فقلنا نعم فقا : اتبعونى فمازال بين أيدينا حتى طلع الفجر ، ففقدناه ونالنا نصب ومناضر من تعب الجمع بين سير النهار وسرى الليل رجالة حفاة عزلا والملك سعيد راجل بيننا والفرس يجنب (٢) وهو يقول : ياصباح الخير والظفر والسرور ، ثم يقول لنا بادروا الانسان قبل أن يموت بغير ايدينا (٣) فو الله لا طلعت علية شمس غد وهو فى الدينا ، ولم نزل نغذ السير على الرجا واليأس من الرجال إلى أن دخلنا طرف المخيم (٤) والناس يعتقدون أنا من جملة عبيد العسكر وحواشيه (٥) ولم يشعر بامرنا إلا عبد الله بن محمد أخو الصليحى فإنه ركب وقال لأخيه

= حييت من ربع زمن منزل كان محل الشادن العيطل
وطبعك الهجر لنا فى الهوى والجود طبع فى بنى المحذل

(١) فى « ط » عديتم وهو وهم وفى الهامش غويتم واثلات جمع اثلة والاثل معروف وفى « ط » تلال . جمع تل معروف

(٢) يجنب ويقال يجنب وهو الفرس خلو من الراكب ويمشى إلى جانبهم وفى « ط » من تعب الجوع بين سير النهار والليل واسقاط « عزلا » .

(٣) هذه العبارة تدل دلالة قوية على ثبوت المؤامرة والافمن سيقتله غير الأحول ومن معهم والا السلاطين المتآمرين بجانب الصلحيين اذ قد احكموا المؤامرة وفرضوا كل المحالات . وفى « ط » زيادة فى غد

(٤) فى « ط » طريق ويغذ بالياء المثناه من تحت أى يسرع .

(٥) فى « خ » من جملة العسكر ، وكل ماحكاه جياش عن أخيه سعيد الأحول إن دل على شىء فانما يدل على ثقة النفس وارتفاع معنويتها وأن النفس الأنسانية الشفافة لتشعر بالنصر والهزيمة قبل حلول ذلك وبما تيسر لها من أسباب وعوامل الضعف والقوة التى تشد أزره أو تخور قواه ولاضيق المقام لضربت الأمثال بالقضايا التى عرفناها فى ثورات الوطن العزيز اليمن

يامولانا اركب فهو والله الأحول بن نجاح والعدد الذى جانابه كتاب اسعد بن شهاب البارحة من زبيد فقال الصليحى : ياأخى عبد الله إنى لا أموت إلا بالدهيم وبئرام معبد [١] معتقدا أنها أم معبد التى نزل بها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حين هاجرو معه أبو بكر ، فقال له مشعل بن فلان العكى [٢] قاتل عن نفسك فهذه والله بئر الدهيم بن عبس ، وهذا المسجد موضع خيمة أم معبد بن الحارث العبسى .

قال جياش : (فاما الصليحى [٣]) فادركه زمع اليأس من الحياة فاراق المأق قب درقته ولم يرم من مكانه [٤] ذلك حتى قطعنا رأسه بسيفه وكنت أول من طعنه وشاركنى فيه عبد للملك نجاح [٥] فطعنه وأنا حززت رأسه بيدى ونصبته فى عود المظلة وأمرت بضرب الطبول والأبواق وركبت فرسه الحضرمى المسمى الذيال .

وأما عبد الله بن محمد أخو [٦] الصليحى فكان فارس العرب فانه حمل فينا وقتل منا رجالا ثم اعتنقه رجل منافسقط إلى الأرض ونادى صاحبنا أقتلونى أنا والرجل فان عز قومى رخيص يقتلى قال : فشكهما الملك سعيد بحربة واحده وحز رأس عبد الله وهو يعتقده الصليحى .

ثم ركب سعيد فرس عبد الله بن محمد ووقف سعيد [٧] والرأسان منصوبان أمامه على باب المسجد الذى فيه السيدة أسماء ابنة شهاب زوج

---

(١) لانعرف اليوم الدهيم ولا بئر أم معبد بعد البحث عنهما .

(٢) فى « ط » قال : مستعل وهو وهم .

(٣) هذه الجملة ساقطة من « ط » .

(٤) الدرقة . الترس معروف والقب المعوج منها وفى « ط » فى قباء درقته ولم يرم لم يبرح

(٥) وفى « ط » عبد لنجاح (٦) أخو ساقط من « ط » .

(٧) جملة ووقف سعيد ساقط من « ط » .

الصليحى وقال : لها أخرجى فصبحى على السلطانين (١) فقالت : لا صبحك الله ياأحول بخير، ثم انشدت ووجها مكشوف قول أمرئ القيس .

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

ثم أن سعيد الأحول إنفذ رسولا إلى الخمسة الاف التى كان الصيلحى من الليل قد بعثها لقتل سعيد يقول لهم : إن الصليحى قد قتل وأنا رجل منكم والعز عزكم، فأطاعوا ولم يبرح سعيد على باب المسجد والرأسان معه والطبول تضرب حتى قدمت العبيد فسلمت عليه وبهم استطال على عسكر الصليحى قتلا وأسرا ونهبا . (٢)

---

(١) فى « خ » فصبحين ،

(٢) هذه رواية عمارة كما تراها فى كيفية قتل الصليحى على يد الأحول الحبشى وأنه ظهر من زبيد فى سبعين حربة لاسوى ولم يحدث فى زبيد حدثا ولم يغير شيئاً بينما ابن سمرة يقول : فى ص ٨٨ » أن ظهور سعيد بن نجاح من زبيد يوم الأربعاء من ذى القعدة لسنة تسع وخمسين وأربعمائة فقتل فى زبيد من قتل ونهب الأموال ثم خرج إلى المهجم ... إلى آخر ماسبق ذكره وهذا يؤيد لنا أن الأحول لم يخرج من زبيد الاوقد ملكها وصارت فى حوزته وامن خطر الرجعة ليأمن غوائل من ورائه فيها فسار إلى المهجم فرحا جذلا واثقا بالنصر يحدوه أمل الظافر . كما وأن « خ » يروى لنا رواية أخرى عن الشريف الادريسى صاحب كنز الأخبار مضافة إلى رواية عمارة التى فى الأصل وهى كما يلى :

أنه بعد ما تفرق أولاد نجاح وهربوا إلى الحبشة وشاع على السنة المنجمين وأهل الملاحم أن سعيد الأحول بن نجاح يقتل على بن محمد الصليحى فبلغ ذلك الصليحى فاستشعره وصورت له صورة سعيد بن نجاح على جميع حالاته وترقت همة سعيد الأحول إلى ذلك وتهيأ لاسبابه وكانت أخبار

قال الملك جياش : وعزت نفس الملك سعيد من ذلك المقام وشمخ آنفه حتى على وأنا ابن أبيه وأمه[1] وذلك إنى أشرت عليه أن يحسن إلى

= وحين بلغه عزم الصليحى على الحج خرج من البحر معارضا فى خمسة آلاف حربة من الحبشة قد انتقاهم حين خرجوا من البحر من ساحل المهجم وساروا حتى هجموا على المحطة انتصاف النهار وعسكر الصليحى متفرقون فى خيامهم غير مستعدين للشر ولا خائفين فقصد سعيد الأحول فى أهل بيته خيمة الصليحى فدخلوا عليه وهو عند دور النوبة يريد الركوب فقتلوه وقتلوا أخاه عبد الله ابن محمد هنالك وافترق باقى المحطة فقتلوا من قدروا عليه ، .

فأنت ترى من هذه الرواية أن ملامح المؤامرة واضحة جلية وأن الأحول خرج بقوة لا يستهان بها وأنه قتل بزبيد من قتل فامن ظهره وخلفه لا كما يصوره لنا جياش أخو الأحول بأن أخاه بطل الأبطال الذى يقتل ألف ويأسر ألف وأنه هجم على محطة الصليحى بأوليك النفر القليل .

بينما رواية كتاب الصليحيون ص ٩٩ ، مزيج من رواية عمارة ورواية الأدريسى وأضاف إليها أشياء مقبولة ومنها أن الملك على بن محمد الصليحى كان فى مؤخرة الجيش مفردا مع أهله وحريمه . وهو أمر طبيعى أن القائد الاعلا لا يكون إلا فى مؤخرة جيشه ليلحق بهم ويتفقد أحوالهم فيشجع الضعيف وينشط العاجز ويواسى المرضى ، ومن ناحية أخرى يخفف ازدحام الطريق إذ الناس مولعون بالتقرب إلى قلوب الملوك والالتفاف حولهم كمظهر من مظاهر الأبهة والحرص عليهم وقد ايد هذا القول صاحب الروضة حيث قال : فلما بلغ وادى المهجم وقد تقدمت جنوده قدامه ، وتأخر فقتله سعيد الأحول ، وهذه عادة القواد .

(١) كذا فى « خ » و « د » ، وفى « ط » وإنى لأخوه ابن أبيه وأمه . وما حكاه جياش عن أخيه الأحول من تكبره وشموخ آنفه عليه . كثيرا =

السيدة أسماء ويعفو عمن معها من بنى الصليحى وهم مائة وسبعون سلطانا كان الصليحى خاف منهم أن ينافقوا بعده ، ويعفو عمن معها من ملوك قحطـــان وهم خمسة وثلاثون سلطانا وأن يكتب على يديها إلى ولدها المكرم بن على الصليحى إنا أدركنا ثارنا واسترجعنا ملكنا وقد أحسنا إليك وحملنا إليك بصيانة أمك والعفـو عن بنى عمك وقلت له

= ما تغتر النفس بمظاهر الأمارة وينخدع بها الإنسان فيهزء الناس ويستخفهم ويترفع عنهم ويستثقل ظلهم ويتنكر لأخوانه وأصدقائه وأعز الناس عليه وكأنه مخلوق آخرو من طينة غير طينة بنى الإنسان وقديما شكا الناس تنكر الأصدقاء لأمارة أو نحوها من الثرا والجاه وقد قال على بن أبى طالب رضى الله عنه . الأمارة مضامير الرجال : أى أنها مخبر لأخلاق الناس وقال الشاعر :

كفى حزنا أن لا صديق والأخ   يفيـد غنى إلا تداخله الكبر
وخطب عظيم أن علا فوق تحته   وأضحى أميرا لا يرد له أمر

وقال محمد بن يزيد المبرد الأزدى الثمالى :

إذا نلت الأمارة فاسم فيها   إلى العليـا بالأمر الوثيق
ولاتك عندها حلواً فتحسى   ولا مراً فتنشب فى الحلوق
فكل إمارة إلا قليـــلا   مغيرة الصديق على الصديق

وتقول العرب : تعرف إخلاق المرء فى ثلاثة مواطن عند غناه بعد فقره ، وعند إن يكون عاطلا من الإمارة خلوا عنها ثم يرتقى منصبا ، وعند أن يتزوج الشاب لأول مرة وله أقران وأخدان لم ينالوا حظ الزواج فإن فرحة العروس تنسيه أصدقائه ، ولقد عرفت من هذا النوع كانوا أخوانا كراما وزملا أعزا فامتحنوا بالأمارة ونحوها فرأيتهم على الكراسى وهم شىء فلما ازيلوا عنها رأيتهم شيئاً آخر ، وهذا من ضعف الإنسان جنبنا الله مهاوى الزلل وعرفنا قدر نفوسنا .

والله يا مولانا . لئن فعلت ذلك لا نازعتك قحطان فى ملك تهامة ولئن كرهت ذلك لتهيجن حفائظها ولتطلبن ذحولها[1] فأجابنى سعيد الأحول بقول الأول[2] .

لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها إن كنت شهما فاتبع رأسها الذنبا .

ثم أمر بالصليحيين فقتلوا عن آخرهم ولقد رأيت شيخاً منهم أتقى الحربة بولده فنفذت منهما جميعا نعوذ بالله من جهد البلا .

قال جياش : لا أنسى انتصاب رأس الصليحى فى عـــود المظلة وقرأة

---

(١) الذحول بالذال معجمة . والحاء مهملة وهو الأخذ بالثار والكلمة مستعملة وفى « ط » بالخاء المعجمة وهو وهم .

(٢) فى « خ » و « د » فاجابنى بقول الشاعر وفى « ط » زيادة « من الشعراء والبيت الشعر من قصيدة لأبى أذينه يحرض بها الأسود بن المنذر اللخمى بقتل آل غسان وكانوا قتلوا أخاه وأولها .

ما كل يوم ينال المرء ماطلبا ولا يسوغه المقدور ماوهبا
واحزم الناس من أن فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول منقضبا
وانصف الناس فى كل المواطن من سقى المعادين بالكأس الذى شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم بحد سيف به من قبلهم ضربا
والعفو إلا عن الاكفاء مكرمة من قال غير الذى قد قلته كذبا
قتلت عمرا وتستبقى يزيد لقد رأيت رأيا يجر الويل والحربا
لا تقطعن إلخ :
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزرا وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
أن تعف عنهم يقول الناس كلهم لم يعف حلما ولكن عفوه رهبا
هم أهلة غسان ومجـــدهم عال وأن حاولوا ملكا فلا عجبـــا
وعرضوا بفداء واصفين لنا خيلا وإبلا تروق العجم والعربا
ايحلبـــون دما منا ونحلبهم رسلا لقد شرفوا بين الورى حلبا

المقرى : قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير »[1] .
ولا أنسى قول الشاعر العثمانى[2] من قصيدة ارتجلها فى ذلك المقام يصف المظالة .

ما كان أقبح وجهه فى ظلها ... ما كان أحسن رأسه فى عودها

ثم ارتحل سعيد إلى زبيد بعد ثلاثة أيام من الوقعة ، وقد حاز من الغنائم ملكا عظيما ، ومغنما جسيما ، ومما غنم ألفا فرس بعددها وثلاثة آلاف جمل بعددها .

(وحدثنى الشيخ الحاسب المؤدب لاولاد جياش بن نجاح قال : كنت واقفاً على باب زبيد ثم خرج الصليحى إلى المهجم وبين يديه خمسمائة فرس مجنوبة بمراكب الفضة والحامل المحرقة وخمسون دواة من ذهب وفضة وخمسمائة هجان بالأكوار الفضة وركب الفضة وغير ذلك من الزينة ما لا يدخل تحت الحصر ورأيت الملك سعيد بعد ذلك بمدة يسيرة وقد دخل من باب زبيد وكنت واقفاً بحيث كان وقوفى يوم خروج الصليحى فرأيت جميع ما خرج به الصليحى مع سعيد الأحوال ، ولما حصل فى الدست انشد بين يديه يقول فى أحولها حيث يقول :

يا مالكا أصبحت الرعية من ... عياله والملوك من خدمه
نازلت كبش الجيش فى رهج ... ضرجت منه قميصه بدمه
فأصبح الدين وهو مبتسم ... يضحك مما فعلت ملأ فمه)[3]

ودخل زبيد يوم السادس عشر من ذى القعدة سنة (تسع وخمسين

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٦ .
(٢) تأتى ترجمته فى الأدباء .
(٣) ما بين القوسين موجود فى « ض » وغير موجود فى « خ » و « د » وساقط من « ط » .

وأربعمائة)[1] ورأس الصليحى وأخيه أمام هودج أسماء بنت شهاب حتى أنزلها بدار شحار ونصب الرأسين قبالة طاقتها ، وهرب أسعد بن شهاب من زبيد إلى المكرم بصنعا[2] وامتلأت صدوز العرب هيبة من سعيد بن نجاح بعد مقتل الصليحى وتغلب ولاة الحصون على ما فى أيديها وكاد أمر المكرم أن يتضعضع[3] واستوثق الأمر بتهامة

---

(١) كان فى الأصل سنة ثلاث وسبعين (والتصحيح مما تقدم) .

(٢) يذكر فى كتاب الصليحيون أن اسعد بن شهاب كان قد مات ولا وجود له فى هذه الحادثة ، كما يدل كلام عمارة هنا أن سعيد الأحول لم يحدث حدثا عند خروجه من زبيد ليقتل الصليحى بينما يقول أنه خرج من زبيد وإنه كان مختفيا هنالك ، كما وأنه قد سبق كلام ابن سمره وما عمله سعيد فى زبيد ، وهو الكلام الراجح .

(٣) بل تضعضع وخرج اليمن من يده وانقلبت عليه الدنيا رأسا على عقب وتكالب عليه قبائل الشمال والجنوب ومن كل حدب وصوب ومن أعلاها وأسفلها وضايقونه فى مقر ملكه بأن حاصروه فى صنعا عدة شهور (ابتغاء النهب والسلب وهتك الحرمات وكلما رتق فتقا اخترم ثقب وكلما ارضا فئة أغضب فئة أخرى حتى نفدت الأموال واجتحفت خزائنه وخلت يده من الذهب والفضة وهو فى كل ذلك يداريهم بالحسنى ويماطلهم بالقول اللين فلم يرعوا ونفد صبره . فامتشق الحسام وصمد مع المخلصين من قواده وهم يعدون بالأصابع إذ عرف أن كل تلك المحاولات التى بذلها لا تجدى عندهم — ففك الحصار عن صنعا وبدأ يهاجمهم ويغزوهم إلى عقر دارهم وبعد أن كان مدافعا صار مهاجما وهكذا أخضع القبائل بقوة السيف حتى أعادهم إلى حظيرة الطاعة وغزى نجران وأعادها إلى ملكه وكل شبر مما كان مستوليا أبوه عليه وكانت معارك دامية لاينادى وليدها ، ورعاية للاختصار أجملت ذلك وللتاريخ الكبير إنشاء الله .

=

لسعيد ، وبعث بالأموال إلى بلاد الحبشة من اشترى له عشرين ألف حربة وانقطعت الأخبار بين المكرم وبين أسماء حتى كان من زوله وأخذها من زبيد ما قدمنا ذكره .

ثم عاد سعيد إلى زبيد فملكها وأخرج منها ولاة المكرم ولم يزل مالكا لتهامة حتى كان ما قدمنا ذكره من قتله فى وقعة حصن الشعر بتدبير الحرة الملكة السيدة إبنة أحمد زوج المكرم سنة إحدى وثمانين وأربعمائة(١)

ذكر دخول الملك جياش ابن نجاح إلى الهند ، ومعه الوزير قسيم الملك أبو سعيد خلف بن أبى الطاهر الأموى من ولد سليمان بن هشام ابن عبد الملك ، قال الملك جياش : ثم تنكرت ودخلت إلى عدن ومعى

= وما أشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة فالتاريخ يعيد نفسه فنحن اليوم فى عهد الجمهورية عهد الثورة نعيش فى تلك المأساة التى عاشها الملك المكرم قبل تسع مائة سنة .

وانه لمن المؤسف أن أسجل هنا هذه الوصمة لتاريخ قومى الذين أعتز بهم

هم قبيلى وهم حصنى وهم عددى فى النائبات ولحمى منهم ودمى

ولكن للعظة ورجا أن قومى يفيئون إلى رشدهم ويقلعون عن هذه العادة القبيحة السيئة التى تسىء إلى سمعتهم وسمعة بلادهم وأنه شعب يأكل لحم أخيه ويمتص دمه ويخرب البلاد ويضر بالعباد لقاء دريهمات معدودات ، ولقد آن الأوان أن يغير من عقليته ويصرف ذهنه الذكى إلى عمارة البلاد وإعادة حضارته ومجده لتكون أمة لها كيانها ولها احترام شخصيتها .

كما أنى أهيب بكل غيور يتولى أمته أن يكون شهما أبيا رحيما عالماً بالسياسة ومصائر الأمور ويبدأ بنفسه فيحاسبها .

(١) فى الصليحيون سنة احدى وستين وأربعمائة وهو الذى يتناسب والمصادر التى ذكرناه .

الوزير خلف ودخلنا الهند فى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة[1] فأقمنا بها ستة أشهر ثم رجعنا إلى اليمن فى تلك السنة بعينها.

قال: ومن عجيب ما رأيته فى الهند أن إنسانا قدم من سرنديب[2] ولم يبق أحد إلا فرح به وزعموا أنه عالم باخبار المستقبلات وسألناه عن حالنا فبشرنا بأمور لم يخرم قوله منها شيئاً واشتريت جارية هندية علمت منى فى الهند ودخلت بها اليمن وهى فى خمسة أشهر وحين قدمنا الى عدن قدمت الوزير خلفاً إلى زبيد على طريق الساحل وأمرته أن يُشيع موتى فى الهند وأن يستأمن لنفسه ويكشف لى عن حقيقة أحوالها ومن بقى من قومنا الحبشة فى أعمالها وصعدت إلى ذى جبلة فكشفت أحوال المكرم بن على وما هو عليه من العكوف على لذاته واضطراب جسمه وتفويض الأمور إلى زوجته السيدة بنت أحمد ثم انحدرت من الجبال إلى زبيد ثم اجتمعت بالوزير خلف فأخبرنى بأحوال طابت بها النفس عن أوليائنا وبنى عمنا وعبيدنا وأنهم فى البلاد كثير وإنما يعدمون رأساً يثورون معه.

قال جياش: وجريت على عادة الهند فأخذت شعر وجهى وطولت أظفارى وشعرى وسترت عينى الواحدة بخرقة سودا وكنت قريبا من الدار السلطانية وإذا افترق الناس من الصباح قصدت مصطبة على ابن القم[3] وهو وزير الوالى من قبل المكرم فسمعته يوما وهو يقول:

---

(١) كذا فى الأصل وفى الصليحيون سنة إحدى وستين وأربعمائة، والذى فى سيرة ذى الشرفين أن جياش بن نجاح أمد الشريف الفاضل وأخاه ذى الشرفين بمادة قوامها ألف دينار وذلك سنة ثلاث وستين وأربعمائة لا كما فى عمارة فذلك عن وهم بلا شك.

(٢) سرنديب هى ما تسمى اليوم جزيرة سيلان.

(٣) المصطبة بكسر الميم المكان الممهد قليل الارتفاع عن الأرض يجلس عليه. وهى فى عصرنا هذا [illegible] تكون [illegible] باب الدار.

والله لو وجدت كتاباً من آل نجاح لأملكته زَبيد وذلك لشر حدث بينه وبين الوالى وهو اسعد بن شهاب .

قال جياش : وخرج الحسين بن على بن القم الشاعر وهو يومئذ رأس طبقة أهل زبيد فى الشطرنج فقال لى : يا هندى تحسن تلعب بالشطرنج فقلت نعم فتلاعبنا فغلبته فكاد أن يسطو علىّ ثم دخل على أبيه فقال له : غلبت فى الشطرنج قال له والده : ماهنا من يغلبك الا جياش بن نجاح وقد مات بالهند ثم خرج على والده الحسين وهو طبقة عالية فلعبت معه فكرهت غلبه فخرج الدست مانعا فاغتبط بى وخلطنى بنفسه وهو فى كل يوم وليلة يقول عجل الله علينا بكم يا آل نجاح(١) فإذا كان الليل اجتمعت أنا والوزير خلف ثم نفترق بالنهار وأنا فى أثناء ذلك اكاتب الحبشة المفرقين فى الأعمال وآمرهم بالاستعداد .

قال جياش فحين حصلت حول المدينة خمسة آلاف حربة متفرقة فى الحارات وداخل البلد قلت للوزير خلف أن لى عند عمر بن سحيم مالا فخذ منه عشرة الآلاف دينار وانفق فى الرجال الذين اجتمعوا ففعل ذلك ثم لقيت الوزير ليلة فقلت له إن مولاى القائد أبا عبد الله الحسين بن سلامة أتانى(٢) فى النوم قال لى يعود إليك الأمر الذى تحاوله ليلة ولادة هذه الجارية الهندية ثم التفت الحسين إلى جانبه الأيمن فقال لرجل معه أليس كذلك يا أمير المؤمنين قال : بلى ويبقى الأمر فى هذا المولود برهة من الدهر .

قال جياش : ولقد أذكر يوماً أن على بن القم عاد من دار السلطان إلى داره وهو مغتاظ فلما سكن غيظه ، قال لى أصعد يا هندى حتى العب معك فلما أن لعبنا جاء الحسين ابنه فضرب عبداً له بالسوط فنالنى طرفه

---

(١) لا يبعد أن يكون عند على بن القم خبر جياش ولكنه يغالط بذلك

(٢) هذه الزيادة من حديثنا ليتم الكلام .

وأنا غافل فاعتزيت وكانت عادة لى أقولها عند كل مهم يتعنى وقلت أنا أبو الطامى فقال الشيخ : ما أسمك يا هندى فقلت أسمى بحر فقال : بحر والله يصلح أن يكنى أبا الطامى قال جياش . وندمت عليها وسآت ظنونى بالقوم قال جياش . فلما أراد الله رجوع هذا الأمر إلينا تلاعبت أنا والحسين الشاعر ابن القم الشطرنج وليس معنا إلا أبوه على سرير وهو يعلم ولده قال له أبوه . أن غلبت الهندى أوفدتك على المكرم وعلى السيدة بارتفاع هذه السنة ودفعت لك الوفادة التى يدفعونها لعامل تهامة وهى ألوف من الدنانير فتراخيت له حتى غلبنى قصدا فى التقرب إلى قلب أبيه فطاش الحسين بن على من الفرح فدفه على بلسانه فاحتملته لأبيه فمد يده إلى الخرقة التى كانت على وجهى فاحفظنى فقام أبوه فقبح عليه وقمت من الغيظ فاعتزيت وقلت . أنا جياش بن نجاح على جارى عادتى ولم يسمعنى سوى الشيخ فوثب على بن القم خلى حافيا يجر ردائه حتى أدركنى فامسكنى وأخرج المصحف فحلف لى بما طابت به النفس وحلفت له وليس معنا أحد ثم أمر باخلاء دار الأعز بن الصليحى وفرشت وعلقت ستورها ونقلت الجارية الهندية إليها وحمل إليها وصائف ووصفان وماعونا وأثاثا وعاقنى عنده إلى الليل ثم إذن لى بالانصراف فدخلت فوجدت الجارية قد وضعت بين المغرب والعشا ولدى الفاتك ثم أتانى على ابن القم ليلا وقال . خبرنا لا يخفى عند أسعد ابن شهاب[1] قلت إن معى فى البلد خمسة آلاف حربة قال ابن القم لجياش فقد ملكت البلد فاكشف إمرك .

قال جياش : فانى أكره قتل أسعد بن شهاب[2] لأنه طالما قدر على أهلنا وذرارينا فعفا عنهم وأحسن إليهم قال ابن القم : فافعل ما تراه

---

(١) كذا فى الأصول وصوابه اسعد بن عراف .

(٢) كذا فى الأصول والصواب ابن عراف .

فضرب جياش الطبول والأبواق وثارت معه عامة المدينة وخمسة آلاف من الحبشة فأسر ابن شهاب فقال ابن شهاب ما يومنا منكم يا آل نجاح بواحد[1] والأيام سجال بين الناس ومثلى لا يسئل العفو قال له جياش ومثلك لا يقتل يا أبا حسان ثم أحسن جياش إليه وأولاه خيرا وسيره بجميع ما ملك من أهل ومال قال جياش وتسلمت دار الأمارة بما فيها صبيحة الليلة التى ولد فاتك ولدى وصح ما كان الحسين بن سلامة أخبرنى به فى النوم من رجوع الأمر إلى عند ولادة الحامل التى كانت عندى ثم لم يمض شهر حتى صرت اركب فى عشرين ألفا من عبيدنا وبنى عمنا الذين كانوا مستضعفين فى البلاد فسبحان المعز بعد الذلة والمكثر بعد القلة ولم يكن من المكرم بن على بعد ذلك كثير نكاية فى جياش أكثر من غارات على أعمال زبيد وفى هذه الحال يقول ابن القم الشاعر يخاطب جياشا حين قتل قاضى القضاة الحسن بن أبى عقامة .

يفر إذا جر المكرم رمحه وتشجع فيمن ليس يحلى ولا يمرى[2]

وفيه أيضاً يقول .

أخطأت يا جياش فى قتل الحسن فقأت والله به عين الزمن

ولم يزل جياش مالكا لتهامة من سنة اثنين وثمانين وأربعمائة إلى سنة[3] ثمان وتسعين وأربعمائة ثم مات فى ذى الحجة منها وترك من الأولاد الفاتك ابن الهندية ومنصورا وابراهيم وعبد الواحد والذخيرة ومعاركا وقيل مات جياش سنة خمسمائة فى شهر رمضان منها والأول أظهر وولى بعده ابنه الفاتك وخالف عليه أخوه إبراهيم بن جياش وكان إبراهيم فارساً جواداً متأدبا فاضلا وخالف عليه أيضا أخوه عبد الواحد

---

(١) لفظ بواحد ساقط من « ط » .

(٢) فى « ط » لم يفر وتشبح وهو وهم .

(٣) كذا فى الأصول وقد صححناه فيما سبق .

ابن جياش وكان العسكر تحبه وتأمنه وجرت بينهما وقائع وحروب واقتسمت عبيد أبيهم عليهم وآلت الحال إلى أن ظفر فاتك بن جياش وأخيه عبد الواحد فعفا عنه واكرمه واغناه وارضاه .

وأما ابراهيم بن جياش فنزل بأسعد بن وائل الوحاظى ففعل معه من الاكرام مالم يسبقه إليه أحد وكانت عبيد فاتك بن جياش قد عظم شأنها وكثرت واشتدت شوكتها ثم مات فاتك بن جياش سنة ثلاث وخمسمائة وترك ولده المنصور بن فاتك صغيراً دون البلوغ فملكته عبيد أبيه وحشد إبراهيم بن جياش بعد موت فاتك أخيه وهبط إلى تهامه فالتقا هو وعبيد فاتك فتوافعوا على قرية يقال لها الهويب[1] .

وحين خلت زبيد من عبيد فاتك واشتغلوا بابراهيم بن جياش ثار عبد الواحد بن جياش فى زبيد فملكها وحاز دار الامارة وخرجت الاستاذون والوصفان بمولاهم منصور بن فاتك ، أدلوه من سور البلد ليلا خوفا عليه من عبد الواحد ولحق المنصور بعبيد أبيه فاتك وتسال الناس عنه وعنهم إلى عبد الواحد بن جياش حين ملك زبيد وكانت العساكر تحبه وملكه .

فلما رأى إبراهيم بن جياش أن أخاه عبد الواحد قد سبق إلى الأمر والحصول على زبيد توجه إلى الحسن بن أبى الحفاظ الحجورى وهو يومئذ بالجريب وبنو أبى الحفاظ من بنى حريث بن حريث بن شراحيل[2] وهم يعودون إلى همدان .

وأما عبيد فاتك بن جياش ومولاهم المنصورين فاتك فانهم نزلوا بالملك المفضل بن أبى البركات الحميرى صاحب التعسكر وبالسيدة الملكه أبنت أحمد بذى جبله فاكرمت مثواهم والتزمت عبيد فاتك المفضل بن أبى

---

(١) لازالت معروفة لهذا التاريخ وهى بالتصغير .

(٢) سيأتى ذكر الحسن بن أبى الحفاظ وذكر الجريب فى الادباء والشعراء

البركات ربع البلاد على نصرتهم من عبد الواحد بن جياش فسار معهم المفضل ناصراً لهم على عبد الواحد بن جياش فأخرجه من زبيد وملكها لهم وهم المفضل أن يغدر بآل فاتك ويملك البلاد عليهم حتى بلغه أن حصن التعكر قد ملكه جماعة من الفقها واستولوا على ملك لاينبغى مثله ففارق المفضل زبيد يريد الجبال لايلوى على أحد حتى كان ماقدمنا ذكره من قتله نفسه بالسم لما نظر إلى حظاياه بين الرجال وهن بالمصبغات الطارات بايديهين وهن يغنين .

ثم إن الأمر بتهامة استقر لمنصور بن فاتك ولعبيد أبيه فمن أولاد فاتك الأمراء ومن عبيده الوزرا فاما الأمراء فنهم المنصور بن فاتك ثم فاتك ابن منصور وهو والحرة الصالحه الحجاجة (١) ثم لما مات فاتك ولدها بن المنصور انتقل الأمر إلى ابن عمه واسمه الفاتك بن محمد بن المنصور بن فاتك بن جياش وانتقل الأمر إلى هذا فاتك بن محمد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة وقتلته عبيده فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وعنهم زالت الدولة إلى على بن المهدى الخارج باليمن فى رجب سنة أربع وخمسين وخمسمائة ولم يكن لاولاد فاتك ابن جياش من الأمر سوى النواميس الظاهرة من الخطبة لهم بعد بنى العباس والسكة والركوب بالمظلة فى أيام المواسم وعقد الارا فى مجالسهم وأما الأمر والنهي والتدبير وإقامة الحدود وأجازت الوفود فلعبيدهم الوزرآء وهم عبيد فاتك بن جياش وعبيد منصور ابنه وهم وأن كانوا حبشة فلم تكن ملوك العرب تفوقهم فى الحسب إلا فى النسب وإلا فلهم الكرم الباهر والعز الطاهر والجمع بين الوقائع المشهورة والصنائع المأثورة .

وأول من وزر منهم أنيس الفاتكى وكان من بطن من الحبشة يقال لهم الجزليون وبطون بنى نجاح من هذا البطن وكان أنيس هذا جباراً

---

(١) فى « ط » الحاجة ، والحجاجة صفة مبالغة كثيرة الحج .

غشوماً شجاعاً متهوراً جواداً وله فى العرب وقعات تحاموا تهامة من أجلها
ثم طغى هــذا أنيس وبنا دارا واسعة فيها حجر كبار واسعة أرضية
عرض كل قاعة ثلاثون ذراعا وعرض كل مجلس فيها أربعون وهى
قصور واسعة وعمل لنفسه مظلة الركوب وضرب السكة باسمه وهم
أن يفتك بمولاه المنصور بن فاتك فاشتهر الأمر من ندمائه بعبيد فاتك
فدبروا عليه الرأى حتى عمل منصور بن فاتك مولاهم وله وليمة فى
قصر الامارة واستدعى أنيسا إليه فلما حصل عنده قطع رأسه واصطفى
أمواله وحريمه فممن صار إليه بالابتياع من ورثة أنيس جارية حسنة
مغنيه يقال لها علم فاستولدها منصور ولداً يدعى فاتكا وهى الحره
الصالحة التى كانت تحج بأهل اليمن برآ وبحرا فى خفارتها من الأخطار
والمكوس .

ومن جملة الوزراء بعد أنيس هذا الشيخ أبو منصور من الله الفاتكى
وهو الذى سور زبيد بعد الحسين بن سلامة وأفعاله مقسومة له وعليه
فأما الذى له فالكرم الباهر والشجاعة والهيبة وهو الذى كسر ابن نجيب
الدولة على باب زبيد وقتل من أصحابه مائة من العرب وثلاثمائة أرمنى
رماة وخمسمائة أسود وله وقعة أخرى مع اسعد بن أبى الفتوح قتل فيها
من العرب ما ينيف على الألف وهو الذى تصدق على مدارس الفقهاء
الحنفية والشافعية بما أغناهم عمن سواهم من الأراضى والمرافق والرباع
وكان يثب على المدح ثوابا جزيلا حتى قال لى الفقيه أبو عبد الله محمد
بن عبد الله السهامى رحمة الله عليه وكان يؤدب أولاد الوزير مَنّ الله
قال أذكر أنى جلدت مما مدح به الوزير عشرة أجزاء من شعر
المجيدين المشاهير وهو الذى أخرج أحمد بن مسعود الجزلى ومفلحا
الفاتكى وكانا كبشى الكتيبة وصاحبى الحل والعقد بزبيد فشردهما خوفه فى
الجبال كل مشرد وبخروجهما دانت له الدنيا وعلت كلمته .

وأما الذى عليه من أفعاله فإنه وزر بعد قتل أنيس لمنصور بن فاتك

ابن جياش سنة سبع عشرة وخمسمائة فلم يقدم شيئاً على أن قتل منصوراً مولاه بالسم وملك ابنه فاتك بن منصور وهو يومئذ طفل صغير .

ومات منصور بن فاتك وأبوه فاتك بن جياش وغيرهما من آل نجاح عن أكثر من ألف سرية(١) ما منهن أحد سلم من الوزير مَنّ الله الاعشر نساء من حظايا منصور بن فاتك منهن الحرة الملكة أم فاتك ابن منصور فإنها أعتزلت القصر وسكنت خارج المدينه وبنت لها داراً لايتطرق الوزير إليها بعذر ولاسبب ، هذا والملك لولدها ولكنها حسمت المادة بالبعد عن قصور ولدها ووكلت كفالته إلى عبيد أبيه الاستاذين .

ومنهن أم أبي الجيش وهي مولدة وكانت لها بنت من منصور بن فاتك وسميت أم أبي الجيش أيضا الحرة بسبب هذا البنت وكانت فائقة في الجمال وحسن الغنا وأنا أدركتها وكنت أدخل إليها واقعد بين يديها في رسآئل كانت تجرى بينها وبين السلطان عبد الله بن اسعد بن وائل الوحاظى لأنه كان تزوج بنتها التي رزقتها من منصور بن فاتك ومنهن الحرة رياض ومنهن الحرة أم أبيها ومنهن جنان الكبرى ومنهن تمنى وما أدراك ماتمنى جمالا واجمالا ولم يكن لام فاتك ضرة سواها .

ولما أراد الله هلاك من الله حاول بنت معارك بن جياش وراودها وكانت موصوفة بجمال فافتدت نفسها منه بأربعين بكرا من جواريها فأبى فكشفت أمره إلى عبيد عمها وعبيد ابن عمها منصور بن فاتك فهابوه ولم يقدروا على شيء فقالت لهم الحره أم أبي الجيش أنا أكفيكم أمره ثم أستخرجت ابنة معارك بن جياش التي راودها الوزير من قصر الامارة إلى قصرها .

ثم أرسلت إلى مَنّ الله الفاتكي تقول له إنك قد اسئت السمعة عليك وعلينا فيما تقدم ولو دمت أعلمتنى خدمتك أتم خدمة ولم يعلم بك أحد

---

(١) بالضم . الأمة التي تقام في بيت .

ففرح الوزير بذلك وتواترت الرسائل بينه وبينها حتى قال فإنى أزورك فى هذه الليلة إلى دارك متنكراً قالت لرسوله : إن الله قد أجل قدر الوزير عن ذلك بل أنا أزوره فى داره فلما أمسى الليل جاءت إليه فغنت له وشرب وطرب ومكنته من نفسها ثم وقع عليها ومسحت ذكره عند الفراغ بخرقة فيها سم قاتل فتهرا ومات من ليلته فدفنه ولده منصور فى اصطبله وسوى به الأرض فلم يعرف له الناس قبراً إلى اليوم وكانت وفاته ليلة السبت الخامس عشر من جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وخمسمائة ،

ثم وزر بعده لفاتك بن منصور زريق الفاتكى وكان شجاعا كريما أما شجاعته فقال لى محمد بن عبد الله اليافعى[1] ثم الحميرى وكان كاتب زريق قال رأيت زريقاً الفاتكى يوم الحيعة[2] وكان لمفلح على أهل زبيد وقد اشتجرت فيه سبعة أرماح وهو مضاعف درعين لحصد أكثرها بسيفه واندق فيه منها رمحان وهو ثابت فى سرجه ومفلح ينادى اعقروا به الفرس وإلا فما يسقط الأرض ثم حمل على مفلح فضربه ضربة وقعت على معقد الرديف من فرس مفلح فقسمت الفرس نصفين وسقط مفلح حتى ردت عنه بنو مشعل[3] وهم عرب .

وأما كرمه فكان أكثره على الشعراء ولم يكن فى زمان من يقدر على مايقدر عليه من الأكل حتى كان يضرب به المثل وكان له بنين ذكور واناث ثلاثون ولداً وتناسخت فريضته وفريضة من مات من أولادهم قبل

---

(١) فى «ط» الباقى وهو وهم وكذا مافى هامشه .

(٢) كذا فى الأصل وكذا فى «خ» أى بالحاء المهملة ثم ياء مثناة من تحت ثم عين مهملة وهاء وكانه اسم موضع وفى «ط» يوم الجمعة وهو وهم وفى «خ» زيادة . وكان يوما مشهوراً بينه وبين القائد أبى محمد مفلح .

(٣) قبيله بنى مشعل لهـا بقية فى تهامة من عك .

وأولادهم قبل القسمة فانتشرت واتسعت حتى لم يقدر احد من العلماء على قسمتها وكان الوزير مفلح والوزير أقبال والوزير مسعود الفاتكيون قد أراد كل واحد منهم أن يبتاع من ورثة الوزير زريق أراضى ورباعا فلم يصلوا إلى ذلك لعدم القدرة على صحة سهام كل وارث .

ولما كان فى سنة تسع وثلاثين وجدت فى عدن شيخاً من أهل حضرموت يسمى أحمد بن محمد الحاسب وكان حاسباً فرضياً قد جاوز الثمانين وهو يريد الحج وكان صرورة[1] ولم يملك مذخلقه الله تعالى عشرة دنانير ولايصدق من يقول له : رأيت ألف دينار لأنه كان ناشئا فى بلدكندده مما يلى الرمل[2] وانكسر مركب فى ساحل البحر المجاور لهم فوقع منه إلى رمل كندة رجل عالم زاهد وهو شيخ هذا أحمد الفرضى فأخذت هذا الفقيه إلى منزلى بعدن وكسوته وأمرت من كان معى باكرامه وإطعامه وتنظيفه من فضلات البدن وخضاب لحيته وأطرافه بالحنا فلما حسنت حالته عاذلنى فى محمل من عدن إلى زبيد ووعدته أن احج به معى واكفيه كل مؤنته ففرح بذلك ووثق به وسكن إليه وذاكرته ونحن على الحمل فريضة بنى رزيق وهى أحدى وخمسون بطنا فاندفع فيها كأنه يحفظها غيبا حتى طلع الفجر ولم يأخذنى نوم لفرط المسرة بعلمه ثم قال إن شئت إن نترك السفر هذا اليوم ونقيم على هذه البئر ثم أصل صلاة الظهر حتى صححت الفريضة وعرفتك سهام كل وراث على الانفراد ففعلت ذلك فناولنى الفريضة مكتوبة بخطه عند الغداة ووالله لقد طالما اجتمع عليها عثمان

---

(١) الصرورة بالصاد المهملة هو الذى لم يحج وهى لغة حية مستعملة لهذه الغاية وتطلق أيضاً على الذى لم يتزوج أو لم يدخل بلداً ويعرف شيئاً ، وفى « ط » وكان ضرورة بالضاد المعجمة وهو وهم .

(٢) المراد بالرمل رمل الاحقاف .

بن الصفار ومحمد بن على السهامى ونظراءهما من الفرضيين وما منهم إلا من يرى أن ابن الايان من اتباعه فى علم الفرائض والوصايا والدور والجبر والمقابلة الزمان المتطاول يصنع الوزراء لهم الولائم ويخلون لهم المنازل ويوسعون لهم فى الصلات ثم يفترقون فيها على غير شىء .

ولما وصلت إلى زبيد أسكت الفقيه فى أخر الدار بحيث لايراه أحد غيرى وكنت بالليل اقرأ عليه الفرايض وبالنهار اقرأ عليه حرف أبى عمرو بن العلا [1] فى القرآن وكان فيما يقرأون القراء السبعة ثم أخذت اكرر المسئلة التى لورثة زريق إلى أن صرت اتحدث بها مع نفسى غيبا ثم تقدمت إلى القائد سرور فادعيت عنده معرفتها وهو من أشد الناس حرصا على الأبتياع من آل رزيق فقال أن صحت دعواك دفعت لك كذا وكذا مبلغا قد أنسيته فلما صحت احضر المال فدفعه إلى الفقيه أبى عبد الله محمد بن القاسم الأبار وهو رأس الشافعية يومئذ بزبيد بل باليمن وعليه قرات المذهب ثم جمع الفقهاء إلى قاعات أرضية مفروشة بحر الرمل وجلس كل قوم يضربون فى الرمل ناحية عن غيرهم فإذا صح لهم بطن نقلوه من الرمل إلى الأوراق إلى أن صحت لهم الفريضة جميعا ولم يبرح من هنالك حتى قسم المال بين الفقهاء واجزل نصيبى منه ورجعت ال منزلى فاحضرت المال إلى الفقيه الحضرمى فقال استغفر الله ياولدى فقد كنت اكذب من يقول أنه راى مائة دينار ثم دفع المال إلى وقال ، لاحاجة لى به وأنت تكفينى لحججت به ومات رحمة الله عليه بعد قضاء الحج .

ولما همت الحبشة أهل زبيد بقتلى فى سنة خمسين قال لهم القائد سرور أليس هو صاحب مسئلة زريق لا والله لا يقتل وأما رريق فلم يكن له

---

(١) راجع ترجمة عمرو بن العلا فى الجزء الأول الأكليل ص ١٠ ، وابن خلكان ج ٢ ص ٣٢١ .

نفاذ فى سياسته العسكرية ولا خبرة بإقامة نواميس السلطنه فلم يلبث فى الوزارة حتى استقال من الوزارة واستدعى لها الوزير أبو منصور مفلح الفاتكى وكان غائباً بالجبال .

وزارة مفلح الفاتكى

أما جنسه فبطن من الحبش يقال لها سحرت[١] وكان يكنى أبا منصور ولد له وكان هذا منصور من الأعيان أهل الخبرة والفقه والأدب والصباحة والسماحة والشجاعة والرياسة الكاملة وكان الناس يقولون لو كان له نسب من قريش كملت له شروط الخلافة وكان عبيد فاتك وهم صغار ينبزون مفلحا بالبغل فكان يقال له مفلح البغل (ولا يغضب من ذلك)[٢] .

وحدثنى كاتبه حمير بن أسعد قال : إنما سمى البغل لأنه كان يدلى آلة مثل التى يدليها البغل وكان مع ذلك عفيف الذيل لم تعلم له صبورة فى صغر ولا كبر قال حمير ولقد أذكر يوماً من عفافة أنه دعانى وهو وزير فقال قد تنكد على العيش بسبب ما اسمعه كل حين من غناء وردة جارية الأمير عثمان الغزى ويوصف لى من جمالها ولقد انسدت على أبواب الحيلة فى حصولها عندى فقلت له إن كنت تريدها سفاحا أبذلت وسعى فى خدمة الوزير فقال : والله ما عصيت الله تعالى بفرجى منذ خلقت قلت فبكم يشتريها الوزير قال بكاما يقترح مولاها وكان مولاها أميرا جليلا كبير القدر له وجاهة ومنزلة فى الدولة ثم هو مقدم الغز الذين استدعاهم الملك جياش لمحاربة سبأ بن أحمد الصليحى وعثمان أميرهم وشيخهم وهم أربعمائة فارس رماة وبهم امتنعت دولة الحبشة من العرب وكان الملك جياش استدعى منهم ثلاثة آلاف قوس فلما فصلت منهم عن مكة الفان إلى

---

(١) سحرت قبيلة لا يزال لها بقية فى الحبشة إلى هذه الغاية .

(٢) هذه الزيادة غير موجودة فى « ط » .

زبيد ندم جياش على رأيه وعلم أنهم يخرجونه من البلاد ويستولون عليها فتقدم جياش على ولاته الذين تمر بهم الغز من مكة عليهم أن يطرحوا لهم السموم فيما يأكلون ويشربون ويلبسون فمات منهم بشر كثير وخلص منهم إلى زبيد ألف فارس أودونها فجهز منهم خمسمائة إلى الجبال ففتحوا منها ما وطئ الحافر ولما حصلوا فى بون صنعا [1] دس عليهم جياش من قتلهم بالسم وفرق كلمتهم بالحروب والأموال وبقيت عنده بتهامة أربعمائة وخمسون فارسا فاقطعهم واديا واسع الأعمال يقال له ذوآل ورعيته من عك وبلاد الأشاعر وعرضه يوم وطوله من الجبل إلى البحر يومان أو دونها بينه وبين زبيد يوم واحد [2] ولم يزل الغز يستأذون [1] خراج هذا الوادى من سنة ست وثمانين وأربعمائة إلى سنة أربع وعشرين وخمسمائة فأثرت الغز وحسنت حالهم وتملكوا ورياستهم تنتهى إلى ساولى وطنيطاس وهذا عثمان ثم مات الاثنان وبقى هذا عثمان ولم يبق من الغز إلا مائة فارس شيوخ فأما أولادهم المولودون بزبيد فلم يفلحوا ولا جاء منهم بأس يتقى ولا معروف يرتجى .

---

(1) لم أجد احداً من المؤرخين من ذكر هذه الحادثة غير عمارة إلا أن الحجورى ذكر فى روضته ما يلى . خرجة الغز الأولى دخلت الغز صنعا الدخلة الأولى يوم الجمعة لخمس وعشرين ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وأربعين وخمسمائة ودخلوا صعدة وسمى درب الغز بصعدة من ذلك الوقت ثم رجعوا إلى العراق وخروجهم للمرة الثانية فى أيام على بن المهدى الحميرى قال أبوعبدالرحمن وهم بنو أيوب والبون: حقل كبير شمال صنعاء وهو بفتح أوله راجع الجزء الأول من الأكليل وصفة جزيرة العرب وتعليقنا لقرة العيون .

(2) سبق الكلام على ذوال .

(1) فى « خ » يستغلون وهو الصواب وفى « ط » ليستادون .

قال الشيخ حمير بن أسعد كاتب الوزير ففكرت فى حيلة توصل بها إلى غرضه فوجدتها وهى أنى قلت للوزير تأمره بنقض قسمة الأعمال القديمة فإن الرجال التى كانت تنفع قد ماتت وبقيت الإقطاع الجيدة فى يدى أولادهم الذين لا ينفعون وتصلب فى ذلك وتقدم على الناس بالحشود من الأعمال إلى زبيد وتنقل قوماً إلى عمل الآخرين قال حمير . فلما فعل ذلك الوزير ضاق الأمر على جماعة من أكابر الدولة ولا كضيقة ، على عثمان الغزى فإن أموال الغز الذين ما توا من رفاقه صارت إليه .

فلما كاد عثمان أن يخرج من زبيد ومن معه من قومه ويشق العصا دخلت عليه وشربت عنده وغنت لى وردة وغيرها ممن عنده ولم يكن أحد من أهل تهامة يحجب عن حمير لا مغنية ولا أم ولد لأن أكثر سراريهم ومغنياتهم من تخريجه وتربية داره وتعليمه الغنا والطبخ وخزن الثياب وعمل الطيب ونادم وخدم جماعة من ملوك الجبال ثم نزل تهامه فاختص بصحبته أحمد بن مسعود بن فرج المؤتمن صاحب حيس ثم كتب بعده للشيخ منّ الله الفاتكى ثم كتب للشيخ أبى منصور مفلح الفاتكى ومن عند هذا حمير يبتاع السم الذى يقتل به الملوك لأن له أخوة وأعماماً فى بلاد بكيل وحاشد تنبت هذه الشجرة فى بقعة من الأرض ليست هناك إلا لهم وبين حصونهم وهم يحتفظون بها ويشحون عليها كما يحتفظ فى الديار المصرية بالشجر الذى منــــه دهن البلسان [١] وأرفى وكل من مات بالسم من ملوك بنى نجاح ووزرائهم فمن عند حمير بن أسعد حتى كانوا إذا نادموه قالوا له يا أبا سبا نأكل ونشرب ونحن فى حسبك[٢] فيضحك ويقول ، نعم وكان حلو المحاضرة كثير المحفوظات حسن النادرة كثير البذل فى ذات الله وفى سبيل المعروف يترسل بين الملوك من الحبشة

---

(١) دهن البلسان معروف .

(٢) أى فى أمانة ، وفى «ط» حبسك بتقديم الباء على السين .

فيرفع الخلل ويهون الجلل ثم سكن الكدرا عند القائد إسحق ابن مرزوق السحرتى فأكرمه وخلطه بنفسه وبها مات سنة ثلاث وخمسين وقد جاوز التسعين وكان ينزل عندى إذا دخل زبيد وعند أصدقائه ولم يكن بها أهله وبهذا السبب كان يسترسل معى قال حمير : فلما أخذت النشوة من عثمان مأخذها قال لى كنت حريصا على لقائك طمعاً فى إصلاح أحوالنا مع هــذا العبد الطاغى وتركنا على اقطاعنا وأملاكنا التى لم نستفدها فى أيامه ولا من إنعامه قلت له هــو مع ما فيه من الأعجاب والتكبر حسن الباطن قريب الرجوع وأنا اجتهد فى غد إنشاء الله إذا دعانى من الصباح على مولانا أن يصل ضيفاً عندك وأنا أعلم أنه إذا أكل طعامك وشرب شرابك وغنى حريمك استحيا منك وخجل وعاد عما فى نفسه فكاد عثمان أن يطير فرحا ولم يصدق أن الوزير يزوره وأشرت على عثمان أن يَـطفّـلَ بالليل على الوزير ويركب إلى داره ويقول ضيف يشتهى أن يشرف بالسماع والشراب قال فلما أمسينا ووصل عثمان إلينا أشرت على الوزير أن يخرج المغانى والوصائف الساقيات علينا ففعــل ذلك ووعده الوزير أنه فى غد ضيفه فحمل لى عثمان فى تلك الليلة مالا جزيلا وعدنا من الركوب من دار مولانا إلى دار عثمان فوجدنا أسمطة واسعة عددت فى واحد ثلاثين خروفاً مشوية وثلاثين جاماً من الحلاوة وأما الذى جلس عليه الوزير وكان فى طول قاعة البستان التى لعثمان وهى خمسون ذراعاً فامتعض الوزير من ذلك حسداً لعثمان على همته وسرعة ما تأتى من تلك الأسمطة وكانت أربعة ثم فرق على حواشى الوزير خمسمائة خروف وانهب العسكر تلك الأسمطة وفرق على حواشى الوزير ثلاثة أبهرة سكر وهى تسعة قناطير ثم انتقلنا بمجلس الشراب وكنا سبعة وأنا الساقى فأسكرت الخمسة الذين حضروا فلما انصرفــوا قلت لعثمان انك بهيمة لا عقل لك أترى الوزير إنما زارك لأكلة أو شربة ما أنصر

همتك وأعمى بصيرتك قال لى فدبرنى قلت أعوض على ما عندك فذكر الخيل والعدد والمال والألطاف والذخائر فأظهرت له فى كل شىء نقيضه وقبحته عليه قال : فما ترى قلت انظر هدية لا تخبأ فى الخزاين ولا تغيب عن عينه فإن المقصود أن يكون يذكرك بهديتك كلما نظر إليها قال : ما عندى سوى وردة وهى روحى فإن كانت تصلح له نزلت عنها وإن كنت أموت قلت إن قبلها فهى مما تصلح قال فتحدث معه فيها فإن قبلها فلك عندى ألف دينار ثم أمر بإحضارها عاشرة عشر فقبلن يد الوزير ثم اندفعن يغنين بين يديه مكشوفات الوجوه وأوصيت الوزير أن يعرض عن وردة ويستحسن غيرها ففعل وكان ذلك مما قوى عزيمة مولاها فى[١] قبولها منه فلما سكر عثمان ونام وسكر النسوة إلا وردة فإنى كنت أريد صحوها فقمت إلى المستراح واستدعيت وردة فاعلمتها القصة فقالت لا أرغب إلا فى مولاى فاستدعيت الوزير إلى مجلس ودخلت أنا ووردة إليه فوعدها ومناها وهممت بالخروج عنهما فأمسكنى وقال والله لا يكون هذا أبداً ثم عدنا جميعاً إلى المجلس ووالله ماملأ عينه منها ولا مكنها من يده عند السلام .

فلما صحى مولاها استاذناه فى الخروج وكان ذلك عند العشا الآخره .

فلم تخرج إلا ووردة بين أيدينا فاما عثمان فاصبحت فغدوت إليه للألف الذى كان وعدنى به وحجج لى بها إلى ضيعة ذوال التى له فأعدت إليه الألف الدينار التى كان دفعها لى وسألته فى ضيعة ذوال فوقع لى بها .

وأما الوزير فاحضرنى إليه وخلع على وقال : أن بنتك وردة أقسمت على لا دنوت منها حتى يرضى حمير فما الذى يرضيك قلت ضيعة

---

(١) فى هامش الأصل . فغدوت إليه للألف الذى كان وعدنى بها وحجج لى بها إلى ضيعة ذوال التى له .

العبادى[1] بما فيها من زروع وبما فيها من أبقار فوقع لى بها وهى الضيعة التى لا ضيعة على من ملكها .

ونعود إلى أخبار الوزير مفلح .

فمنها ما حدثنى به الشيخ أبو الطامى جياش بن البوقا قال ، قدم علينا إلى زبيد فى أول وزارة الشيخ مفلح أبو المعالى بن الحباب من الديار المصرية فابتاع وصيفا حبشيا برسم الخدمة ثم هرب الوصيف فتعلق بغلمان الوزير مفلح فكتب أبو المعالى إلى الوزير بسبب غلامه بيتين وهما .

وأنت سحاب طبق الأرض صوبه ... وعاقته عن سقياى أحدى عوائقه

فإن لم تجد لى هاطلات غمامه ... فلا تدن منى محرقات صواعقه

فلما وقف منصور بن مفلح على البيتين أعجب بهما وتنبه على فضل أبى المعالى واستدعى الغلام فرده إليه خامس خمسة من جنسه ثم استدعى أبا المعالى وأمره أن يمدح الوزير بقصيدة ففعل ذلك وأحضره إليه فانشده ودفع له خمسمائة دينار ووصله أيضاً منصور بن مفلح عنده بثلاثمائة دينار ثوابا على قصيدة أخرى مدحه بها وحمله إلى مكة حرسها الله تعالى :

وأما أحوال مفلح على العسكر فإن قصر الملك فاتك بن منصور نشأت به رجال من عبيد الحرة الملكة أم فاتك بن منصور وهم صواب ويمن وريحان وعز وريحان الأكبر وهؤلاء أزمة أعيان أكابرهم ومن الفحول إقبال وبرهان ومرور وبازة وسرور وهو أمير الفريقين مكانة وغناء .

وكان هؤلاء الجماعة هم الذين يتكلمون على لسان السلطان وصار الوزير فى أمور السلطان اجنبيا معهم وعظم بها جانب الحرة واستمالوا كثيرا من الفارس والراجل ثم دبروا فى حيلة يخرجون بها مفلحا من زبيد فقال لهم سرور ما عندكم حيلة أحسن من مخاطبته على حج مولاتنا

---

(١) لا تعرف اليوم هذه الضيعة .

إلى مكة وتجهيزها بثلاثين ألف دينار فلما أرسلوا فى ذلك امتنع وقال صرف الأموال إلى محاربة أعداء الدولة أولى من هذه الخرافات ولمولاتنا المغزل ولزومها كسر بيتها شغل[1] ولم يزالوا يراجعونه فى ذلك إلى إن قال لهم . إن مولاتنا إلى غير الحج محتاجة فانظروا لها فيه فإنه يسليها عن هذا قالوا : وما هو قال شيء فى طول هذا وقبض كفه ومد ذراعه لحدث فى النفوس من هذه الكلمة شر لم يستدركه مفلح إلا بالآذن لها بالحج وتجهيزها بثلاثين ألف دينار ومسير ولده منصور معها إلى مكة .

ثم كان من تدبير سرور على خروج مفلح مسيره إلى عدن لمحاربة لمبأ ابن أبى السعود وعلى بن أبى الغارات الزريعيين فلما خرج مفلح من زبيد على ليلة ثار محمد بن فاتك[2] فى زبيد على الحرة وولدها فقضى ذلك برجوع مفلح إلى زبيد ثم دبر سرور على خروج مفلح أنه كاتب عرب الزعلى والعمرانى[3] بالنفاق على أعمال المهجم وفيها يومئذ القائد مسعود الكردى فقضى ذلك خروج مفلح إلى المهجم وهى من زبيد على ثلاثة أيام فما هو إلا أن خرج مسير ليلة من البلد حتى تسلل الناس عنه ورجعوا إلى المدينة إلى أن بقى من خاصته فتوجه إلى جبال برع وملك حصن الكرش[4] وراوح تهامة وغاداها بالغارات وعبيد فاتك تقاتله بالمراكز والأموال ثم انتقل من الحصن وترك به حريمه إلى عرب المهجم وهم بنو مشعل وعمران وزعل وهم الفرسان والانجاد فأسكنوه حصنا لهم يقال له

---

(١) فى « خ » زيادة عن الحج وفى « ط » شغل شاغل عن الحج .

(٢) فى « خ » زيادة . ابن جياش .

(٣) قبيلة الزعل وبنى عمران لها بقية فى حدود المهجم والواعظات . وفى « ط » بالاتفاق .

(٤) حصن الكرش فى أعلاقة جبل برع وهو خراب .

ديسان[1] وبينه وبين المهجم يوم أو دونه فشن الغارات على أعمال المهجم .

ثم كاتب الأمير الشريف غانم بن يحيى السليمانى ثم الحسنى وهو يومئذ مالك مخلاف ابن طرف واشترط مفلح للشريف وابنى عمه إسقاط الاتاوة عنهما المستقرة لصاحب زبيد على غانم فى كل سنة ومبلغها ستون ألفا وإن يضيف لهم مفلح إلى ذلك أعمال الواديين وهى واسعة فسار الشريف فى ألف فارس وعشرة آلاف راجل ناصراً لمفلح على أهل زبيد فلقيهم القائد سرور فكسر مفلحا وكسر الأشراف وكسر العرب على المهجم وخرج إليه من زبيد وهو مقيم بالمهجم تقليد بأعمال المهجم وما معها من الأعمال وهى مور والواديان فاستقر سرور بها وعاد مفلح إلى حصن كرش فمات به سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

فاما ولده منصور[2] بعد أبيه فناوشهم حروبا وأذاقهم من الشر ضروبا ثم خذله أصحابه وتقللوا عنه وسأم الناس عض الحديد وفراق الأوطان فأستأمن منصور على يد سرور ودخل معه إلى زبيد والوزير بها يومئذ إقبال الفاتكى فخلع على منصور وانزله فى دار أبيه فلما كان من الغد قبض عليه وقتل ليلا بيد الوزير إقبال فانكر الملك فاتك وهم بإقبال ثم أبقاه على دخن[3] .

قال حمير بن أسعد فابتاع منى رسول إقبال سما والله ما علمت لمن هو وتلطف إقبال حتى سقا مولاه فاتكا ولد الحرة ذلك السم سراً فمات فاتك ابن منصور فى شعبان سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة .

---

(١) وديسان بفتح الدال المهملة والباء الموحدة ثم سين مهملة وآخره نون . حصن لا يزال يحمل هذا الاسم إلى يومنا هذا ويقع فى الشرق الشمالى من المهجم فى حراز جبل ملحان .

(٢) فى « خ » فخلفه ولده منصور .

(٤) على غش ومنه هدنة على دخن .

قالت وردة جارية الوزير مفلح لما مات مولاى بالجبال بحصن الكرش أو مكرشه خطبنى الوزير إقبال والقائد سرور والقائد إسحاق بن مرزوق والقائد على بن مسعود صاحب حيس فوعدت رسول كل واحد منهم وعدا جميلا وشاورت منصور بن مولاى فى رسائل القوم فأشار بسرور وقال : استظهرى بمشورة الشيخ حمير بن أسعد قالت فاستدعيته من تهامة إلى الجبال فقال : فأما على بن مسعود فعنده تسعون سرية وأربع زوجات وأما إقبال فعنده عشرون مغنيه ثم هو عبد تاجر وتربية التجار[1] وبخلها مصور بين عينيه[2] إلى هذه الغاية .

وأما القائد إسحاق فعنده ابنة عريد أم ولده فرج وعنده أبنة عمه أحمد ولا والله ما تمشى بأرض تهامة مثلها ولكن أشير عليك بالقائد أبى محمد سرور الفاتكى فإنه ملك واسع الهمة ثم هو تربية الملك منصور بن فاتك وتربية مولاتنا أم فاتك بن منصور قالت فتزوجنى القائد أبو محمد سرور الفاتكى فوجدت رجلا مشغولا عن الدنيا وعن النساء وعن التنعم بالنظر فى معالى الأمور فلم أزل به حتى ملكته[3] ثم تدرجت فى عشرته فكان على خشونته ويبسه وهيبته وانقباض جواريه منه لا يخالفنى فيما أراه وإذا غضبت عليه كاد أن يفارق الحياة ودليل ذلك ما حدثنى به الشيخ مسلم بن سنجت[4] وزير الأمير الشريف غانم ابن يحيى قال : قدمت من بلادى رسولا إلى القائد سرور الفاتكى بالمهجم فى عقد هدنة بيننا وبينه فقال وزيره عبيد بن بحر : ليت قدومك تقدم أو تأخر فانك صادفت القائد مشغول الخاطر ، فأقمت يومين أو ثلاثة أيام

---

(١) فى « ط » وهو من تربية التجار .

(٢) فى « ط » خبط فى العبارة .

(٣) فى « ط » حتى حللته ولا معنى له .

(٤) كذا فى الأصل وفى « ط » ينسحب .

ولم أجتمع بالقائد ثم قدم علينا حمير بن أسعد فقال لى عبيد بن بحر : وزير القائد الآن انجلت عقدتك بعد قدوم حمير قلت : وكيف ذلك قال : ان عمر وردة ساخطة عليه واقسمت لا تكلمه ولا تأذن له فى الدخول عليها حتى ياتى أبوها وهو الشيخ حمير ابن اسعد قال مسلم : ولما كان من تلك الليلة دعينا إلى مجلس فيه شراب وغناء وطيب لمجلسنا وإذا القائد قد طلع علينا فسلمنا عليه ثم سمعنا من خلف الستارة جلبة وجرس حلى لم يكن وإذا هى وردة اصلح بينها وبين القائد فجاءت لتغنى له فوقع فى نفسى من تعجيز القائد سرور وضعف عزيمته بعض ما يقع وكأنه توخى بما فى نفسى فاقترح عليها قول الشاعر(١) .

نحن قوم تذيبنا الحــدق النجـ ل على أننا نذيب الحديدا

ومن عبيد فاتك من جعلت ذكره ختامهم وأخرته وإن كان إمامهم وهو القائد الأجل أبو محمد سرور الفاتكى وجنسه من الحبشة أمحره(٢) وكلما أورده عنه فهو نقطة من بحر فضله ونبله .

فمن مبادى أمره أن منصور بن فاتك لما قتل الوزير انيسا وأبتاع من ورثة الحرة السيدة الصالحة حرة زبيد واستولدها ولداً أسماه فاتك بن منصور ابتاعت لولدها من الحبشة وصفانا صغارا كان هـذا سرور

---

(١) الشاعر هو عبد الله بن طاهر الخزاعى أحد أجواد العرب ونبلائهم المتوفى سنة ثلاثين ومائتين هجرية وبعد البيت .

طوع ايدى الظبا تقتادنا العـ ين وتقتاد بالطعان الأسودا
نملك الصيد ثم تملكنا البيـ ـض المصونات أعينا وخدودا
تتقى سخطنا الأسود ونخشى سخط الخشف حين يدى الصدودا
فترانا يوم الكريهة أحراراً وفى السلم للغوانى عبيدا

(٢) أمحره قبيلة معروفة فى الحبشة محتفظة باسمها إلى هـذه الغاية راجع اليمن الخضراء .

أقدمهم (١) وربى فى حجرها ولم يلبث أن ترعرع وبرع وولته زمام المماليك وصرفت إليه الرياسة على كل من فى القصر فساد وسدد ولين وشدد ثم ولى العرافة على طائفة من الجند فملكهم بالإحسان والصفح عنهم ثم ترقت الحال إلى أن ولى الخطابة بين السلطان وبين الوزرا الأكابر واستغنى به عن الأزمة وكان الزمام الناظر يومئذ وهو الشيخ صواب وكان يميل إلى الدين والتخلى بالعبادة فإذا عوتب على ذلك قال القائد أبو محمد سرور صاحب الأمر والنهى على وعليكم وعلى مولانا وعلى مولاتنا وليس نخرج عن أمره وهو أهل أن يتقلد أمور الناس فى الثواب والعقاب والحل والعقد وترقت الحال بسرور حتى أخرج الوزير مفلح من زبيد ولم يزل سرور يحارب مفلحا حتى مات مفلح فى الجبال بعد أن جرت بينهم وقائع يموت فى كل واحد منها العدد الكثير بين الفريقين وكانت العاقبة لسرور والدولة .

وحدثنى الشيخ عبد المحسن بن اسماعيل وكاتب القائد سرور ووزيره قال : أذكره وقد سار الأمير الشريف غانم بن يحى الحسنى فى نصرة الوزير مفلح على سرور ومع غانم ألف فارس ومن الرجال عشرة آلاف وانضاف ذلك إلى عساكر مفلح وانضمت إليهما من العرب بنو مشعل وهم احلاس الخيل (٢) وفرسان الليل وبنو عمران وبنو حرام والحكميون فى طموم (٣) وزحفوا إلينا ونحن فى عدد يسير وقد كتب القائد سرور إلى زبيد يستنفر الناس وكانت الوقعة على المهجم وبعدها من زبيد ثلاثة أيام قال : للقائد إن هذا تهور وإنما نحن فى هؤلاء كقطرة فى أليم أو لقمة فى الفم فقال إمسك عليك فو الله إن الموت لعندى أهون من الهزيمه ثم التقا الناس فكانت الدائره على مفلح وغانم ومن معهما وتضاعف حظ القائد سرور فى نفس المؤالف والمخالف وقبل ذلك

---

(١) وفى « ط » أحدهم .

(٢) الأحلاس جمع حلس بالكسر وهو ما يوضع تحت السرج .

(٣) كذا فى الأصول وفى « خ » و « د » جموع ولعل معنى طموم فى جموع

عما كان خروج الوزير مفلح طالبا بعدن إلى أن حصل فى زبيد على نصف مرحلة وثار محمد بن فاتك بن جياش بن نجاح على الحرة وعلى ولدها فاتك ابن منصور فى زبيد وحين خلت من العساكر وملك هذا محمد دار الإمارة ليلا ووقف القرآء بين يديه وفاضت البلد عليه بالتهنئة ووزر منصور بن الوزير مَنّ الله الفاتكى واستعصمت الحرة هى وولدها بعلو الدار ونمى الخبر إلى القائد سرور وهو فى ساقة العسكر فانثنى راجعاً وتسور سور الحصن ودخل المدينة ونادى إلى مولاته من خلف دار الملك أرموا إلى الحبال أنا فلان فرفعه الأستاذون والنسآ بالحبال حتى وصل إلى مولاته ومولاه فسلم عليهما وسكن روعتهما وقال : هذه العساكر خلفى متواصلة ثم أخذ مائة جارية وخمسين أستاذاً فالبسهم زى الرجال من الدروع والسلاح وفتح الطيقان وصاح الجميع صيحة واحده يافاتك بن منصور هذا ومحمد بن فاتك جالس على سرير تحت طيقان الدار وإن القائد سرورا رمى بحجر فلم تخط وجه محمد بن فاتك فهشمت آنفه عند تلك الصيحة العظيمة فانهزم هو ووزيره فى تلك الساعة ومن معهما وخرجوا من باب البلد ليلا ولم تصل العساكر إلى البلد إلا فى الظهر من صبيحة تلك الليلة فهذه بعض المقدمات الموجبات لتقدم القائد سرور على كافة أهل الدولة .

ثم ولى المهجم وهو كرسى الملك وكثر تشاغب العرب المشاعله [1] وبنى عمران وبنى زعل وشاغب الحكميون وشاغب الأمير غانم بن يحيى الحسنى ودولته ظاهرة وكان هذا القائد مقيما فى زبيد من هلال ذى القعدة إلى آخر يوم من شعبان ثم يخرج من زبيد ثم يصوم رمضان فى المهجم ويصلح أحوال تلك الأعمال وتتسع نفقاته وصلاته فى شهر رمضان حتى قال لى الشيخ عبيد بن بحر وزيره وكاتب وظيفة مطبخه مدة شهر رمضان فى كل يوم ألف دينار وكنت أشاهده عدة سنين إذا جاء من المهجم يريد زبيد احتفل

---

(١) فى «ط» سقط بعض العبارات .

الناس بالخروج للقائد على اختلاف طبقاتهم ويقف الناس على تل عال فأول طائفة تسلم عليه الفقها المالكية والحنفية والشافعية وكان يترجل لهم ولا يترجل لأحد قبلهم ولا بعدهم ثم ينصرفون ويجيء بعدهم التجار فإذا انصرفوا جاءت العسكرية افواجا وإذا دخل المدينة وقضى حق السلام على السلطان مضى إلى دار مولاته الحرة فإذا دخل عليها انفض الناس من عندها الصغير والكبير ولم يبق عندها إلا غزال جاريتها وهى أخت زوجته وجاريتا مولاها منصور بن فاتك وهؤلاء النسوة يمشين فى الخير على منوالها ويتشبهان فى الصلاح بأفعالها فإذا وصل إليها نزلت عن سريرها إلى الأرض إكراما له وتبجيلا لقدره وقالت له أنت يا أبا محمد وزيرنا بل مولانا بل رجلنا الذى لا يحل لنا أن نخرج عن طاعتك فى شيء فيضج بالبكاء بين يديها ويعفر خده فى الأرض إلى أن تتولى رفعه بيدها عن الأرض ثم تتأخر النسوة الثلاث فى طرف المجلس غير بعيد بحيث يفضى إليها بما يحسن عنده من التدبير فى تلك السنة من ولاية وعزل وإنعام وقتل ولا يزال جالسا بين يديها والنسوة الثلاث واقفات على راسه حتى يقوم إلى صلاة الظهر فيعود إلى مسجده وهو على باب داره فنجده لا يتسع من كثرة الناس الذين لا يستطيعون على الخروج فى لقائه .

فصل فى ما شاهدته بخط كتابه رأيت جريدة الصدقات التى يدفعها عند دخوله إلى زبيد للفقها والقضاة والمتصدرين فى الحديث والنحو واللغة وعلم الكلام والفروع اثنى عشر ألف دينار كل سنة خارجا عن صلة العسكرية مع كثرتهم وحكى لى عبيد بن بحر وغيره أن الهدايا التى يدفعها فى كل سنة برسم حواشى السلطان من الجهات والأزمة[1] ووصفان الخاص عشرون ألف دينار هدية وصلة خارجا عن أرزاقهم المستقرة .

وحدثنى غيرهم أن المحمول من أعماله إلى بيت مال مولاه فى كل سنة ستون

---

(١) الجهات جمع جهة يكنى بها عن حريم السلطان والملوك .

ألف دينار وأن المحمول إلى بيت مولاته الحرة وحواشيها وترائبها ومن يلوذ بها على جهة الهدية خمسة عشر ألف دينار .

فصل كان القائد أبو محمد سرور الفاتكى رحمه الله يخرج إلى مسجده بعد نصف الليل أو ثلثه وكان أعلم الناس بالمنازل والانوا وقال أنا أخرج فى هذا الوقت لعل أحداً من أهل البيوتات وأرباب الستر لا يقدر على الوصول إلى عندى بالنهار أما لكثرة الناس أو لفرط الحياء فإذا صلى الصبح ركب أما إلى فقيه يزوره أو مريض يعوده أو صحبة ميت يحضره[١] أو وليمه أو عقد نكاح وما يخص بذلك أكابر الجند والعلماء والتجار دون أصاغرهم بل من دعاه أجابه وكان المتظلم من الرعيه يجفو عليه ويفحش له بالقول وهو آمن من حميته وعزته وغضبه وكان يدعى إلى الحاكم فيحضر ولا يوكل ويقعد بين يدى الحاكم تواضعاً لا وضاعه ودخولا لأوامر الشرع تحت الطاعة ثم يعود بعد ركوبه بالغداة فيسلم على السلطان ويشتغل بتدبير أمور العسكرية إلى وقت الغدا ثم يخرج إلى المسجد فى زوال الظل ولا يشتغل بشيء سوى المسندات الصحيحه[٢] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صلاة العصر ثم يدخل داره ويخرج قبل المغرب إلى المسجد فإذا صلى المغرب تناظر الفقها بين يديه إلى العشا الآخرة وربما يطيل المناظرة فى بعض الليالى وركب حماراً واحداً ووصيفا واحداً بين يديه حتى يجتمع بالحرة المالكة للمشورة ولم تزل هذه حاله من سنة تسع وعشرين وخمسمائه إلى أن قتل فى مسجده[٣] هذا بزبيد فى الركعة الثالثة من صلاة العصر يوم الجمعة الثانى عشر من صفر سنة

---

(١) فى (خ) أو إلى ميت يحضر دفنه .

(٢) فى «ط» المستندات وهو وهم .

(٣) هو المعروف بمسجد سرور وهو عامر يصلى فيه ويقع فى الجهة الشرقية فى نفس مدينة زبيد قرب المرباعة التى تباع فيه المواشى .

لإحدى وخمسين وخمسمائه قتله رجل يقال له محرم من أصحاب على بن مهدى ثم قتل قاتله فى تلك العيشة بعد أن قتل جماعة من الناس ولم تلبث الدولة بعده إلا يسيراً حتى أزالها ابن مهدى وملك زبيد وأعمالها فى سنة أربع وخمسين وخمسمائه .

وعلى ذكر على بن مهدى باليمن وهذا فصل أشير فيه إلى جمل من بدايته وغايته أما نسبه فمن حمير (١) وأما اسمه فعلى ابن مهدى من أهل قرية يقال لها العنبرة (٢) من سواحل زبيد كان رجلا صالحا سليم القلب ونشأ ولده على طريقة أبيه فى العزلة والتمسك بالصلاح ثم حج وزار ولقى حاج العراق وعلمائها ووعاظها وتضلع من معارفهم وعاد إلى اليمن فاعتزل وأظهر الوعظ وإطلاق التحذير من صحبة العسكرية (٣) وكان صبيحاً فصيحاً (٤) حسن الصوت طيب النغمة حلو الأيراد غزير المحفوظات قائماً بالوعظ والتفسير وطريقة الصوفية اتم قيام وكان يتحدث بشىء من أحوال المستقبلات فيصدق فكان ذلك من أقوى عدده فى استمالة قلوب العالم .

وظهر أمره بساحل زبيد بقرية العنبرة وقرية واسط وقرية القضيب

---

(١) هو كما قال « خ » أبو الحسن على بن مهدى بن على بن داود بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن أحمد بن عبد الجاهر بن عبد الله بن الأغلب بن أبى الفوارس بن ميمون الحميرى الرعينى .

(٢) العنبرة فى عربى زبيد وهى اليوم تسمى العنبرية مزرعة نخيل وتبعد عن زبيد بعشرة أميال .

(٣) فى «خ» زيادة ملوك وحواشيهم وكان ظهوره سنة إحدى وثلاثين وخمسمائه .

(٤) فى «خ» زيادة أخضر اللون ملون الخدين ألحى - أى طويل اللحيه طويل القامة مخروط الجسم بين عينيه سجدة .

والأهواب والمعتق وساحل الفازة (١) وكان ينتقل بينهم وكانت عبرته لا ترقأ على مر الأوقات وكنت يومئذ ملازماً له منقطعاً إليه فى أكثر الأوقات مدة سنة ثم علم والدى أنى تركت التفقه ولزمت طريق التنسك فجا من بلاده مسافراً حتى أخذنى من عنده وأعادنى إلى المدرسة بزبيد وكنت أزوره فى كل شهر زورة فلما استفحل أمره انقطعت عنه خوفا من أهل زبيد ولم يزل من سنة أحد وثلاثين يعظ الناس فى البوادى فإذا دنى موسم مكة خرج حاجا على نجيب إلى سنة ست وثلاثين ثم أطلقت الحرة أم فاتك بن منصور له ولا خوته ولا صهاره ولمن يلوذ به خراج أملاكهم فلم يمض بهم هنيهة حتى أثروا واتسعت بهم الحال وركبوا الخيل فكانوا كما قال المتنبى .

فكأنما ولدت نتاجا تحتهم وكأنما ولدوا على صهواتها (٢)

ثم أتى بقوم من أهل الجبال حالفوه على النصرة فخرج من تهامة إليهم سنة ثمان وثلاثين وجمع جموعاً تبلغ أربعين ألفاً وقصد بهم مدينة الكدرى فلقيه القائد اسحاق بن مرزوق السحرتى فى قومه فهزموا أصحابه وقتلوا خلقاً من جموعه وعفوا عن أكثرهم وعاد ابن مهدى إلى الجبال فأقام بها إلى سنة أحدى وأربعين ثم كاتب الحرة بزبيد وسألها فى الذمة له ولمن يلوذ به ويعود إلى وطنه ففعلت الحرة له ذلك على كره من أهل دولتها ومن فقهاء عصرها ليقضى الله أمراً كان مفعولا وأقام ابن مهدى بشغل أملاكه سنين عديدة وهى مطلقة من الخراج واجتمع من ذلك مال وكان يقول فى وعظه أيها الناس دنى الوقت وازف الأمر كأنكم بما أقول لكم وقد رأيتموه عيانا فا

---

(١) قرية واسط لا تعرف والقضيب بالتصغير لا يزال عامراً وكذا الأهواب والمتعفى لا يعرف والفازه بالفاء وتشديد الزاى ، والهاء أهلة بالسكان من ساحل زبيد .

(٢) فى «ط» فكأنها نتجت قياما تحتهم . وهو الذى يوافق ما فى الديون .

هو إلا أن ماتت الحرة فى سنة خمس وأربعين حتى أصبح فى الجبال فى موضع يقال له الداشر من بلاد خولان (١) ثم ارتفع منه إلى حصن يقال له الشرف (٢) وهو لبطن من خولان يقال لهم خيوان (٣) باسكان اليآ وسماهم الانصار وسمى كل من صعد معه من تهامة المهاجرين .

ثم ساء ظنه بكل أحد من هو فى صحبته خوفا منه على نفسه فاقام الانصار رجلا من خولان يسمى سبا والمهاجرون رجلا يسمى التويتى نعته شيخ الأسلام وجعلهما نقيبين على الطائفتين فلا يخاطبه ولا يصل أحد إليه سواهما وربما احتجب فلا يرونه وهم يتصرفون فى الغزو ولم يزل يغادى الغارات ويراوحها على تهامة حتى أخرب الحزوز (٤) المصاقبة للجبال والحبشة يومئذ تبعث الأبذال (٥) فى المراكز فلا يغنون شيئاً لوجوه كثيرة منها أن الموضع الذى هو حصن الشرف حصن منيع بنفسه وبكثرة خولان ومنها أن الانسان إذا أراد أن يصل إلى حصن الشرف مشى فى وادى ضيق بين جبلين مسافة يوم كامل وبعض يوم فإذا وصل إلى أصل الجبل الذى فيه الحصن احتاج إلى طلوع الثقيل إلى نصف يوم حتى يقطع العقبة ومنها أن الوادى يتصل مسيله من

---

(١) حصن الداشر بالشين المعجمة بعد الدال المهملة آخره راء معروف إلى هذه الغاية فى وصاب السافل ويسمى اليوم المصباح وليس وصاب من خولان وإنما خولان تنزل للريف والخصب .

(٢) حصن الشرف معروف فى وصاب من بلاد حمير .

(٣) خيوان ليست من خولان وإنما هى من حاشد .

(٤) الحزوز جميع حزه وهى منخفضات الجبال مما يلى تهامة والكلمة من الدارجات .

(٥) الابذال وهو ما يبذل من العطا .

تهامة بحراج عظيمة (١) إذا كمنت فيه الجيوش العظيمة الجرارة شهراً لم يعلم بهم أحد .

وكانت غوادى (٢) ابن مهدى إذا غارت على بعض أعمال تهامة ونهبت وأحرقت وادركها الفجر قبل ذيل الجبل وكمنت (٣) فى تلك الحراج فلا يوصل إليها ولا يقدر عليها ولم يزل ذلك من فعله مع أهل زبيد إلى أن أجلا جميع أهل البوادى وقطع الحرث والقوافل وكان يأمر أصحابه أن يسوقوا الانعام والرقيق وما عجز عن المسير عقروه ففعلوا من ذلك ماأرعب وأرهب وقضا بخراب الأعمال .

ثم لقيت هـذا على بن مهدى عند الداعى محمد بن سبأ صاحب عدن بمدينة ذى جبله سنة تسع واربعين يستنجده على أهل زبيد فلم يجبه الداعي إلى ذلك وعرض علىّ صحبته وعتدلى أن يقدمنى على كل من أصحابه ولما عادا بن مهدى من ذى جبله فى سنة تسع إلى حصن الشرف دبر على قتل القائد سرور الفاتكى فقتل فى صفر السادس منه سنة إحدى وخمسين وكان مما أعان ابن مهدى على أهل زبيد اشتغال رؤسائهم بالتنافس والتحاسد على رتبه القائد سرور فانفتح على الدولة بعده باب الشر المسدود وانحل عقدها المشدود وفارق ابن مهدى حصن الشرف وهبط إلى الداشر وبينه وبين زبيد أقل من نصف يوم ونفرت الرعايا إليه وعرب البلاد وهم كانوا رعايا الحبشة .

وكان الرجل من أصحاب ابن مهدى يلقا أخاه وقريبه وهو مع الحبشة إما مزارع أو جمال أو راعى ماشية لهم أو حارس ضيعة فيفسده

---

(١) الحراج جمع حرجة وهى الارض الملتفة بالاشجار الكبار والعشب قلة مستعملة .

(٢) الغوادى التى تغدو صباحاً مبكرة ــ جمع غادية .

(٣) فى « ط » تعدل إلى الجبال فى الوادى التى فيه الشعاب فتمكث

ولم يزل الأمر كذلك حتى زحف ابن الهدى لهم إلى باب المدنية فى عوالم لا تحصى .

وحدثنى غير واحد من أهل اليمن ممن أدرك الحصار بزبيد قالوا لن تصبر أمة على الحصار والقتال ما صبر أهل زبيد وذلك إنهم قاتلوا ابن مهدى أثنين وسبعين زحفا يقتل فيها منه مثل ما يقتل منهم وانالهم الضر والجوع حتى أكلوا الميته من شدة الجهد والبلا ثم استنجدوا بالشريف الزيدى ثم الرسى أحمد بن سليمان صاحب صعده (١) فانجدهم طمعاً فى الملك وشرطوا له أن يملكوه عليهم فقال لهم الشريف أن تقتلوا مولاكم فاتكا حلفت لكم فوثب عبيد فاتك بن محمد بن فاتك ابن جياش بن نجاح مولى مرجان ومرجان مولى أبى عبد الله الحسين بن سلامة والحسين مولى رشيد الزمام ورشيد مولى زياد بن ابرلهيم ابن أبى الجيش اسحاق بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن زياد فقتله فى شهور سنة ثلاث وخمسين

ثم عجز الشريف عن نصرتهم على ابن مهدى وجرت بعد ذلك بينهم وبين ابن مهدى مصاف يتحصنون منه بالمدينة إلى ان كان فتحه لها وزاوال دولتهم واستقرآره بدار الملك فى يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة اربع وخمسين وخمسمائة وأقام بها على بن مهدى بقية رجب وشعبان وشهر رمضان ومات فى شوال من السنة فكانت مدة ملكه شهرين واحدى وعشرين يوما .

ثم انتقل الامر إلى ولده المهدى ثم إلى ولده عبد النبى ثم إلى ولده عبد الله ثم عاد إلى عبد النبى والأمر اليوم فى اليمن باسره إليه ما عدى عدن فان أهلها هادنوه عليها بمال فى كل سنة .

واجتمع لهذا عبد النبى ملك الجبال والتهائم وانتقل جميع ملك اليمن وذخايرها وحدثنى محمد بن على من أهل ذي جبلة أنه حصل فى خزاين

(١) انظر ترجمته فى قرة العيون وله سيرة .

أبن مهدى ملك خمس وعشرين دولة من دول أهل اليمن فمنها أموال أهل زبيد وما من عبيد فاتك وجهاته واعيان دولته الا من مات عن أموال من العين الجزيل [١] صارت إليه لأنه ملك الذراري والنساء فاظهوروا له كنوز أموالهم وكذلك المصوغ واللؤلوء [٢] واليواقيت الفاخرة والملابس الجليلة على اختلاف أصنافها وكانوا كما قال الله تعالى «كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين « كذلك واورثناها قوما آخرين » [٣] ، وانتقل إليهم ملك بنى وائل أهل وحاظة وهم أهل دولة متأثلة وكذلك معاقل من بقايا بنى الصليحى (منها نعمان وصاب وعتمة ويفعان ومسوراً) [٤] وغير ذلك كل معقل منها له الاعمال الواسعة والارتفاعات الكثيرة تاما ملك الملك المنصور بن المفضل بن أبى البركات الحميرى فانه حاز جميع حصونه وهى ما هى وجميع ذخائره وإنما هى ذخائر الداعى على محمد الصليحى وذخائر المكرم أحمد بن على زوج السيدة الحرة وذخائر زوجته الحرة الملكة وذلك أن الجميع انتقل إلى الحرة فاودعته فى حصن التعكر وتغلب المفضل بن أبى البركات على الحصن وعلى مافيه وانتقل ذلك بأسره إلى ولده منصور بن المفضل لأنه عمر فى الملك ثمانين سنة ومات فى عشر المائه والتسعين .

---

(١) فى « ط » عن أموال جليله من العين الجزيله .

(٢) فى « ط » زيادة . والجواهر .

(٣) سورة الشعرا آية ٢٥ ، ٢٧ .

(٤) مابين القوسين من هامش الأصل وعتمه بضم أوله وسكون التاء المثناة من فوق وآخره هاء صقع خصب وكان معدوداً من مخلاف وصاب ويقع فى الجنوب الغربى من صنعاء بمسافة ثلاثة أيام .

ومما انتقل إلى ابن مهدى حصن المجمعة (١) وأمواله وحصن التعكر وامواله ومدينة ذى جبلة وهى مقر الدعوة وكرسى الملك لبنى الصليحى وكذلك مدينة الجند واعمالها وكذلك تالبة وشرياف وذخر واعماله (٢) وليس ملك هذا على بن محمد صاحب ذخر دون الملك المنصور بن المفضل والسوا لابن السبائى الخولانى (٣) ومعاقل الداعى عمران بن محمد التى صارت لابن مهدى وهى حصن سامع وحصن مطران وحصن يمين (٤) وهذه الحصون هى إقليم المعافر وانتقل إليه معقل اليمن الذى ليس بعد التعكر وحب سواه وهو حصن السمدان وبه يضرب المثل وهو الحصن الذى ليس لمخلوق عليه اقتدار ما لم يعنه الخالق بما ضيات

---

(١) المجمعه بفتح الميم وسكون الجيم ثم فتح الميم آخره هاء حصن فى أعلا عزلة شعب يافع من مخلاف الشوافى فى الشمال الغربى من مدينة إب بمسافة يسيرة ويسكنه اليوم آل القاسم الكلاعيين . ويفعان بفتح أوله وآخره نون محل حصن فى ريمه جبلان وكذلك مسور وهو غير مسور حمير الذى يدعى بمسور المنتاب وقد بسطنا الكلام على هذه الاماكن فى غير هذا التعليق .

(٢) تالبه بالتاء المثناه من فوق والباء رابع الحروف وآخره هاء وشرياف بكسر الشين المعجمة وسكون الراء آخره فاء وكلاهما حصنان وذخر بفتح الذال وكسر الخاء المعجمتين وآخره راء وهو جبل حبشى وهو صقع سبق ذكره راجع تعليق قرة العيون وفى « خ » زيادة ، وهو مخلاف واسع ومدينة ذى اشرق ومدينة إب وحصون خولان وحصونة بنى ربيعة وهى عزان وحب والشماحى وفى « ط » زيادة ثم ملك بنى الزر أخذ أبا النورين أبى الفتح .

(٣) سبق ذكر السواء وحصنه يقال له اليوم قلعة خولان راجع نسبه السبأيين الخولانيين . طرفه الاصحاب .

(٤) سبق ذكر ذلك .

الأقدار وهذا الذى سميته نقطة من بحر مالك ابن مهدى ، هذا ولم أذكر بلاد بنى المظفر سبأ بن أحمد الصليحى ولا إقليم حراز وبرع ولا بكيل ولا حاشد . ولا حلية وحصونها وأعمالها ولا وادى عنة[1] ووادى زبيد ولا غير ذلك من جبال وادى رمع وهى مسيرة أيام .

فاما المذهب الذى كان على بن مهـــدى يعتقده فكان حنفى الفروع ثم أضاف إلى عقيدته فى الأصـول التكفير بالمعاصى والقتل بها وقتـل من خالف اعتقاده من أهـل القبلة واستباحة الوطى لسباياهم واسترقاق ذراريهم وجعـل دارهم دار حرب يحكم فيـه حكمه فى أهل دار الحرب وحكى لى عنه والعهدة على الحاكى أنه لم يكن يثق بإيمان أحد من المهاجرين حتى يذبح ولده وأباه أو أخاه أو أمه ويقرأ عليهم « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليـوم الآخر يوآدون من حآد الله ورسوله ولو كانوا إباءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمـان وأيدهم بروح منه »[2] وأعرف منهم صبيا كان جاراً لى وكان يتفقه معى راحت والدته إليه تزوره فذبحها .

وأما اعتقاد أصحابه فيه فهو فوق ما يعتقده الناس فى الأنبياء صلوات الله عليهم وذلك أن الواحد من آل مهدى هؤلاء يحسن عنده أن يقتل جماعة من عسكره ثم إذا قدروا عليه لم يقتلوه دينا وعقيدة وإذا غضب على رجـل من أكابرهم وأعيـانهم حبس نفسه فى الشمس ولم يطعم

---

(١) حلية : بفتح الحاء المهملة وسكون اللام ثم ياء مثناة من تحت ثم هاء اخره ولا تعرف بالتحديد وحلية أيضا من المخلاف السليمانى الحكمى وحلية أيضا بليدة من عزلة الاشراف من أعمال ذى السفال .

(٢) سورة المجادلة ٢ .

ولم يشرب ولم يصل إليه ولد ولا زوجة ولا يقدر أحد أن يشفع فيه حتى يرضى عنه إبتداء من نفسه ، ومن طاعتهم له أن كل واحد منهم يحمل ما تغزله زوجته وبناته إلى بيت المال ويكون ابن مهدى هـو الذى يكسو الواحد منهم ويكسو أهله من عنده وليس لأحد من العسكرية فرس يملكه ولا يرتبطه فى داره ولا عدة من سلاح ولا غيرها بل الخيل فى إصطبله والسلاح فى خزائنه فإذا عن له أمر دفع لهم من الخيل والعدة ما يحتاجون إليه[١] .

ومن سيرته أن المنهزم من عسكره تضرب رقبته ولا سبيل إلى حياته ومن سيرته قتل من شرب وقتل من سمع الغناء وقتل من زنا وقتل من تأخر عن صلاة الجماعة أو مجلسى وعظه وهما يوم الخميس ويوم الأثنين وقتل من تأخر منهم عن زيادة قبر أبيه وهذه الرسوم إنما هى على العسكرية[٢] .

أما الرعايا فالأمر فيهم الطف من العسكرية وقد بلغنى فى هـذا الوقت وهو سنة ثلاث وستين وخمسمائة أن الأمر قد هان مما كان عليه من هذه الشـدة :

فصل فيمن ولى الدعوة الفاطمية باليمن الصليحى على بن محمـد جمع بين الدعوة والملك ثم ولده المكرم أحمد بن على جمع بين الدعوة والملك ثم ابن عمه إلا وحد سبأ بن أحمد جمع بين الدعوة والملك ثم سليمان الزواحى ولى الدعوة دون الملك ثم ملك ابن مالك الصليحى[٣] ولى الدعوة دون الحكم ثم يحيى بن مالك جمع الدعـوة والحكم دون الملك ثم على بن

---

(١) هذه الاشتراكية على أن يكون القائد نزيه عفيف فى مصاف الأنبياء وأيضا هذا منه حذر وضبط للعسكر من الخيانة وانقلابهم عليه .

(٢) هذه أن صحت فقد أخرجته عن حدوده ،

(٣) فى « ط » القاضى ملك بن مالك الحمادى الهمدانى عن تصحيح لا عن أصل النسخه . ولنا حول بن مهدى كلام .

إبراهيم بن نجيب الدولة ولى الدعوة وملك بأمر الحرة بعض أعمالها(١) .

ثم انتقلت الدعوة إلى آل زريع فهم الأمـــير الأوحد سبا بن أبى السعود ابن زريع جمع الدعوة والملك ثم ولده الداعى المعظم محمد بن سبا جمع الدعوة والملك ثم ولده عمران بن محمد جمع الدعوة والملك فبدأنا فى المختصر بجمل من أخبار اليمن :

أما بعد فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لا يحصى لها عدو لا تقف عند أمد ولا حد ولا تنتهى إلى الإحاطة بها الظنون لكونها كالسحاب الذى كلما انقضى منهـــا سحاب اعقبه سحاب هتون فهى كالشمس الساطعة الأشراق الدائمة الانتظام والاتساق والغيـــوث المتتابعة الاتصال ، المتواليه فى الغدو والأصال ، ومن أشرفها لديه قدرا وأعظمها شأناً وذكرا وأسناها جلالا وفخرا الموهبة بما جدده الآن بأن رزق مولودا زكيا مرضياً براتقيا وذلك فى الليلة المصبحة بيوم الأحد الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمسمائة ارتاحت إلى طيب ذكره

---

(١) فى « ط » الزيادة ما يلى . ثم وصل سجل مولانا الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين عليه السلام بالبشارة بولادة مولانا الإمام الطيب أبى القاسم ابن الإمام الآمر بالنص عليه بالإمامة إلى حجته بهذه الجزيرة اليمنية ما مثالة بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله ووليه المنصور إلى على الآمر بأحكام الله ، أمير المؤمنين إلى الحرة الملكة السيده الرضية ، الطاهرة الذكيه وحيدة الزمن وسيدة ملوك اليمن عمدة الأسلام خاصة الإمام ذخيرة الدين وعمدة المؤمنين كهف المستجيبين عصمة المسترشدين ووليه أمير المؤمنين وكافلة أوليائه الميامين ادام الله تمكينها ونعمتها وأحسن توفيقها ومعونتها ، سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد الله الذى لا إله إلا هو ويسأله أن يصلى على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى إله الطاهرين الأئمة المهتدين وسلم تسليما .

أسرة المنابر وتطلعت إلى مواهبه آمال كل باد وحاضر ، وأضاءت بأنوار غرته وبهجة طلعته ظلم الدياجر وانتظمت به الدولة الزاهرة الفاطمية عقود الفضائل والمفاخر أستخرجه من سلالة النبوة كما يستخرج النور من النور ومنح أمير المؤمنين منه ما قدح زناد السرور، وسماه الطيب عنصره وكناه أبو القاسم كنية جده أبو الهدى المستخرج جوهره من جوهره وأمير المؤمنين يشكر الله تعالى على ما من به من أطلاعه كوكبا منيرا فى سماء دولته وشهابا مضيئاً فى فلك جلالته ورفعته شكرا يقضى باستدامة نعمته وإدرار سحائب طوله ورأفته ويسأله أن يبلغه فيه كنه الآمال ويصل به حبل الأمامة ما اتصلت الأيام بالليالى ويجعله عصمة المسترشدين وحجة على الجاحدين وعونا للمطرين وعونا المنتجعين ووازرا للخائفين وسعادة للعارفين لتناول الدنيا بسعادته وأوفى حظوظها وقسمها وتصبح الأيام مفترة عن ناجذ مبسمها ولمكانك من حضرة أمير المؤمنين المكين ومحلك عنده الذى امتنع عن المماثل والقرين ، أشعرك هذه البشرى الجليل قدرها العظيم فخرها المنتشر صيتها وذكرها لتأخذى من المسرة بأوفى نصيب وتذيعيها فيمن قبلك من الأولياء والمستجيبين إذاعة يتساوى فى المعرفة بها كل بعيد منها وقريب لينتظم بها عقد السرور ويتضوع عرفها تضوع المندل الرطب منها فى البادية والحضور فاعلمى هذا واعملى به أن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وكتب بالتاريخ المذكور والحمد لله وحده وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وعلى إله الأئمة الطاهرين وسلم وشرف وكرم إلى يوم الدين .

ثم انتقل الأمر عن مولانا الآمر وولى الحافظ فكان أول سجل وصل منه إلى الحرة الملكة من ولى عهد المسلمين وفى السنة الثانية من أمير المؤمنين فأقامت الحره الملكة الداعى الأجل إبراهيم بن الحسين الحامدى ثم نقلت دعوة الحافظ إلى آل زريع وقالت (حسب بنى الصليحى ما علموه من أمير مولانا الطيب) ثم صارت الدعوة فى ولده حاتم بن إبراهيم ابن الحسين الحامدى إلى هذه المدة فانتقلت من ولاية الحافظ إلى آل زريع

فنهم الأمير الاوحد سبا بن أبي السعود بن زريع بن العباس اليامى جمع بين الدعوة والملك ثم ولده الداعى المتوج المكين داعى أمير المؤمنين محمد بن سبا جمع بين الدعوة والملك[1] .

وهذا أوان الشروع فى ذكر الشعر من ملوكها وعلمائها وأعيانها وأدبائها ممن روى لى عنه ورأيته .

فنهم أبو عبد الله الحسين بن على القمى[2] ومولده بزبيد وبها تأدب

---

(١) هذه الزيادة فى (ط) بينما الأصول كلها غير موجودة والله ولى التوفيق انتهى تحريره فى ٢٨ رمضان سنة ١٣٨٤ أربع وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم .

ثم تهيئت لى ظروف زرت فيها القاهرة المعزية فى شهر القعدة سنة ١٣٨٥ وتعرفت بدار الكتب المصرية التى تعتبر مفخرة من مفاخر مصر الكثيرة فقدم لى الأخ العلامة الفاضل فؤاد سيد أمين مخطوطات الدار نسخة من المفيد مذيلا بتاريخ الأدباء ، ولم أجد فيه هذه الزيادة . كما لم أتمكن من مقابلة نسختى على نسخة الدار لفوات الفرصة لكونه قد دخل فى دور الطباعة وأنجزت منه عدة ملازم فلا معتبة فقد بذلت الجهد وتوخيت الصواب والله ولى الأمر كله ، والحمد لله آخراً وأولا وصلى الله على خاتم أنبيائه وآله وسلم .

(٢) لم يرد ضبط ابن القم وهل بكسر القاف أو بضمها فى أى مصدر تحت أيدينا إلا أنه يظهر أنه من قبيلة بام لما يعتز بها ويكثر الثنا عليها وينتمى إليها فقد نقل من شعره مؤرخ وصاب قوله ولابن القم فى قبيلة بام قوله ولاس النعم فى قبيلة بام :

القائدوا الخيل شعثا ضمراً عبسا ... شعثا قوانسها يمرحن فى اللجم

والمنهلون صدور السمر من نهج ... الإعداء والمغمدون البيض فى الغمم

والساحبون ذيول السرد دمغة ... والناقضون صفوف لجحفل العرم .

وكان أبوه على يشهر وبهاد أبوه فى أيام الداعى على بن محمد الصليحى ووزر لا سعد بن شهاب فى زبيد سنة خمس عشرة ، ثم فوضت الحرة الملكة زوج الملك المكرم إليه النظر فى أعمال تهامة بعد انتقال المكرم من صنعاء إلى ذى جبله فعظم شأنه وضرب ولده هذا الحسين الشاعر على خط ابن مقلة فحكاه وكان شاعرا ومترسلا يكتب عن الحرة السيدة إلى الديار المصرية والأقطار النازحة وكان من علو الهمة وسمو القدر فيما يلبسه ويمتطيه على غاية منيفة وجملة شريفة طريفة .

وحدثنى الفقيه أبو السعود بن على الحنفى قال حدثنى ابن أبى الصباح ودخل العراق قال : حضرت مجلس الوزير وعنده جماعة يتذاكرون الشعر فقال لى هل تحفظ شيئاً لاحد من أهل اليمن فانشدته قول ابن القم من قصيدته التى يقول فيها :

الليل يعلم أنى لست أرقده	فلا يغرنك من قلبى تجلده
فإن دمعى كصوب المزن أيسره	وأن وجدى كحر النار أبرده
لى فى هوادجكم قلب أضربه	فسموه وإلا قمت إنشده
وبان للناس ما قد كنت اكتمه	من الهوى وبدا ما كنت اجحده

وكان الوزير متكئاً فاستوى جالساً واستعادها مرارا ثم بعثنى فى الموسم إلى مكة ابتاع له ديوان ابن القم فلما جئته به كان أقوى الذرايع فى خلطته والانقطاع إلى جملته .

ومن مديحه فى الداعى سبأ بن أحمد الصليحى وكان يسكن معقلا يقال له أشيح .

إن ضامك الدهر فاستعصم باشيح أو	أزرى بك الفقر فاستمطر بنان سبا
ما جاء طالب يبغى مواهبه	إلا وأزمع منه فقره هربا
يخال صارمه يوم الوغى نهراً	تضرمت حافتاه من دم لهبا
بنى المظفر ما امتدت سماء علا	إلا والفيتم فى أفقها شهبا

إن أمراء كنت دون الناس مطلبه   لأجدر الناس أن يحظى بما طلبا

وقال : من قصيدة يمدحه بها .

سرى طيف سعدى بعدما هجع الركب   ونجم الثريا قـد تضمنه الغرب

وليس الردى ما تفعل البيض والقنا   ولكنه ما يفعل الصد والحب

تكلفنى العذال حب سواكم   وسلوتكم حتى كان الهوى عضب

وما يلتق صدق الوداد وطاعة   العذول ولا كف ابن أحمد والجدب

كريم إذا جادت فواضل كفه   تيقنت أن البخل ما يفعل السحب

أجار فلا خوف وأحيي فلا ردى   وجاد فلا فقر ورام فلا صعب

ويثنى على قصاده فكأنه   يجاء بما يجدى ويحبى بما يحبوا

كتبت إليه والمفاوز بيننا   فكان جوابى جود كفيه لا الكتب

وما كنت أدرى قبل قطع هباته   إلىّ الفيافى أن أنعمه ركب

وله من قصيدة يهنى بها المكرم بن على زوج الملكة الحره بدخوله عليها .

وكريمه الحسبين يكنف قصرها   أسد تهاب الأسد من صولاتها

وتكاد من فرط الحياء تغض عن   تمثالها المرأى فى مرآتها

ظفرت يداك بها فبخ إنما   لك تذكر العلياء مضنوناتها

حدثنى الشيخ سعيد بن أبى الطاهر ابن أخى الوزير خلف قال حدثنى محمد بن العبيد الشاعر الحكمى قال حججت عام ثلاث وستين وأربعمائه فلقيت بمكة محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الحلبى فانشدنى قصيدة له يمدح فيها ناصر الدولة أبا على يقول فيها .

وفيكم روى الناس المديح ومنكم   تعلم فيه القوم بذل الرغائب

فدعنى وصدق القول فيك لعله يكفر من تلك القوافى الكواذب
وما كنت لما أعرض البحر زاخراً أقلب طرفى فى جهام السحائب

وهذا هو البيت المقصود وهو قوله :

طويت إليك الباخلين كأنما سريت إلى شمس الضحى فى الغياهب

قال ابن العبيد ثم اجتمعت بابن القم عند الداعى سبأ بن أحمد وقد جاء هارباً من صاحب زبيد فانشدته قصيدة الحلبى هذه فقال : تعلم والله إنى أخذ هذا البيت من الحلبى أخذا يترك ثم بتنا معاً فلما أصبحنا قام ابن القم لينشد سباه مقطوعاً عمله فى تلك الليلة فمنعه من القيام ورمى له بمخدة وأقعده إكراماً له ورفعاً عنا ثم قال له الداعى أنت يا أبا عبد الله كما قال المتنبى :

وفؤادى من الملوك وإن كان لسانى ترى من الشعراء

قال ابن العبيد ثم أنشده ابن القم قوله :

ولما مدحت الهزبرى بن أحمد أجاز وكافانى على المدح بالمدح
فعوض عن شعرى بشعر وزادنى
عطاء فهذا راس مالى وذاربحى
شققت إليه الناس حتى رأيته فكنت كمن شق الظلام إلى الصبح

وهذا البيت هو بيت الحلبى بعينه .

وقال ابن القيم من قصيدة

مشهر الفضل إن شمس الضحى احتجبت
عن العيون آضاء الأفق سؤدده
مات الكرام فاحيتهم مآثره كأن مبعث أهل الفضل مولده
لولا المخافة من أن لا تدوم له إرادة البذل اعطت نفسها يده
كأنه خاف أن ينسى السماح فما يزال منـــه له درس يردده

الموقدون إذا باتوا فواضل ما ظل الطعان بأيديهم يقصده
بكل عضب تخر الهام ساجدة : إذا رأته كأن الهام تعبده

وله من قصيدة يمدح بها عبد الواحد بن بشارة وأحسن فى الخروج إلى مدحه :

ولئن ذكرت هوى الضعائن جملة والقصد صاحبة البعير الواحد
فكما يعد الأكرمون جماعة والواحد المرجو عبد الواحد
نبئت أنك قد اتتك قوارض منى تنبئك عن الضمير الواجد
عملت رقى الواشين فيك وإنها عندى لتضرب فى حديد بارد

وقال يمدح الأوحد سبأ من قصيدة

معاليك لا ما شيدته الأوائل ومجدك لا ما قاله فيك قائل
وما السعد إلا حيث يممت قاصداً وما النصر إلا حيث تنزل نازل
إذا رمت صيداً فالملوك طرائد أمامك تسعى والرماح أجادل
مصائبها أن سالمتك مواهب وأعضاؤها أن حاربتك مقاتل
ومذ رمت إيراد العوالى تيقنت نفوس الأعادي انهن مناهل
وقد عشقت أسيافك الهام منهم فكل حسام مرهف الحد ناحل
مليك يفض الجيش والجيش حافل
ويخجل صوب المزن والمزن هاطل
سحاب غواديه لجين وعسجد وليث عواديه قنا وقنابل

وله يعاتب سبأ بن أحمد الملقب بالأوحد.

أبا حمير إن المعالى رخيصة ولو بذلت فيها النفوس الكرائم
وجدت مطاراً يا ابن أحمد واسعاً إلى غرض لو ساعدتنى القوادم
وما أنا إلا السهم لو كان رائش وما أنا إلا النصل لو كان قائم
ولا عار أن جار الزمان وأن سطا إذا لم تخن همتي والعزائم
فلا تحتقر جفناً يبيت مسهداً ليدرك ما يهوى وجفنك نائم

نبذه من شعره فى الفخر وسائر الفنون . قال من قصيدة أولها :

أما ونعمة عاف مخفق الطلب   يرمى إلى غاية نحوى فلم يخب
لا قنعن بعيش دائم الرتب   حتى أبلغ نفسى أشرف الرتب
لم لا أروم التى أسبابها جمعت   عندى وقد نالها قوم بلا سبب
أخيفة الموت أثني النفس عن شرف   إذا برئت عن العليا والأدب
لا خير فى رجل لم يوه كاهله   حمل اللوا أمام الجحفل اللجب
يظن هندية هنـداً فليثمه   فما يزال بلبل معرس العزب

ومن مليح ما قيل فى هذا المعنى قول المعرى :

يقبل الرمح حباً للطعان به   كأنما هو مجموع من اللعس[1]

منهـا :

كسا نما فى غروب البيض من شنب   مكان ما فى غروب البيض من شطب
فقل لقحطان إن طال الهوان بها   لا أرغم الله إلا آنف العرب
إن أغض أغض على ذل ومنقصة   وإن أصل لا أجد عوناً على النوب
وغالب الظن أنى سوف تحملنى   علو نفسى على الإقدام والعطب

وقال فيه :

رق لى قلبها وقد كان فظاً   فارتنى درين دمعاً ولفظا
ثم قالت ألست تقبل نصحاً   من نصيح ولست تقبل وعظا
بت يا بارد الجوانح خلواً   من غرام قلبى به يتلظاً
فاز كل بالحظ فى هـذه   الدنيا وما نلت من زمانك حظا
أنا مولى محمـد وعلى   لست مولا بنى زياد فاحظا

---

(١) اللعس . سواد مستحسن فى الشفة

وله يعاتب جياشاً صاحب زبيد من قصيدة :

أذاع لساني ما تجن الأضالع وأعربن عما في الضمير المدامع
وإني مما يحدث الهجر جازع وما أنا مما يحدث الدهر جازع
فيا ابن نصير الدين دعوة هاتف دعانك للجلا فهل أنت سامع
وقد كنت أرجو أن أكون مشفعاً لديك فهل لي عندك اليوم شافع

هذا من قول الأول :

مضى زمن والناس يستشفعون بي فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

ومنها :

فأصبحت أغضى الطرف من كل مجلس وأكتم أمري وهو في الناس ذائع
وأظهر بشرى للجليس وغبطة وبين جناني الشفار القواطع
وما أنت إلا البدر أظلم منزلي وكل مكان نوره فيه ساطع
أخذه من البحتري(١) حيث يقول :
تقلص عني الظل والظل شامل وأقصر عني الفضل والفضل واسع
أترضى وحاشا المجد أن يشبع الورى جميعاً ويمسى ضيفكم وهو جائع
ومما كتبه على كاس من شعره :
إن فضلي على الزجاجة أني لا أذيع الأسرار وهي تذيع
ذهب سائل حواه لجين جامد إن ذا الشيء بديع
وله في وصف شعره :
فلأهدين إليك كل كريمة يمسى الحسود بها مغيظاً موجعاً

(١) البحتري هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي الشاعر المشهور

طوراً ترى بين الورى جوالة … فى الأرض تقطع مغرباً أو مطلعا
كالدر نظمه بديع الفكر فى … سلك على الأيام لن يتقطعا
حلل تزيد على ابتذال جدة … أبداً وتخلق أن تصان وترتعا
البستنى حللا سيخلقها البلا … فلا ألبسنك حلة لن تخلعا

وقال يخاطب بعض الكتاب .

نبئت أنك إذ وقفت على … درج الرسوم نقصت من حقى
وعجبت إذ عشنا إلى زمن … أصبحت فيه مقسم الرزق

وله

إنى وإن كنت عبدك … وكنت أضمر ودك
لا أشتهى أن ترانى … بحالة النقص عندك

وقال معاتباً لبعض إخوانه .

عذرت على الصد بعد الوزاره … من كل واصل من أجلها
فما عذر من صد لما انقضت … وكان أخياً لى من قبلها

وقال :

إذا تضايق عن رحلى فنا ملك … وسعتنى أبداً من دونه الهمم
كل البلاد إذا لم تنب لى وطن … وكل أرض إذا يممتها أمم

وقال بديهاً ، وقد طرحت فريسة لسبع فأعرض عنها بين يدى السلطان .

يا أكرم الناس فى بؤس وفى نعم … وخير ساع إلى مجد على قدم
لا تعجبن لمموم إلا من فى بلد … أضحيت فيها فأضحت منك فى حرم
أما ترى الليث لما إن طرحت له … فريسة حاد عنها وهو ذو قدم
ملئت بالخوف أكباد الورى ذعرا … فعندك الليث لا يسطو على الغنم

وقال وقد كان أسند إلى سلطان يقال له ابن فضل ، فأعطاه رعه ذماماً ، فلما انقضت مدة ذمامه أتاه يلتمس منه إعادة الذمام .

كنت أعطيتنى ذمامك لما ... خفت من صولة الزمان ذماما

فإذا ما رددته ياابن فضل ... فبماذا أطاعن الأياما

وقال يصف قصيدة .

إذا ما أدعت فضلا رأيت شهودها ... تبرع من قبل السؤال وتقسم

وما قللت إذ لم تقلها كثير ... وما نقصت إذ غاب عنها متمم(١)

وله وهو مما سار .

إذا حل ذو نقص محلة فاضل ... وأصبح رب الجاه غير وجيه

فإن حياة المرء غير شهية ... إلى وطعم الموت غير كريه(٢)

وله يعاتب جياشاً بزبيد :

يا أيها الملك الذى ... كل الملوك له رعيه

إن كنت من خدامكم ... فعلام لا أعطى جريه

أو كنت من ضيفانكم ... فالضيف أولى بالعطيه

أو كاتباً فلسائر الكتاب ... أرزاق سنيه

والله ما أبغى الخمول ... على وليك من بقيه

وحق رأسك أن حالى ... لو علمت بها رزيه

وإذاهممت بكشف باطنها ... أبت نفس أبيه

لا تنظرن إلى التجمل ... إن عادته رديه

قف لى بوعدك إننى ... وعلاك من أوفى البريه

لله أو لمدايحى ... أو خدمتى أو للحميه

وقال فى الغزل .

---

(١) كثير عزة بالتصغير وعزة بالفتح التى يتغزل بها واسمه عبد الرحمن خزاعى النسب شاعر إسلامى فى أيام الدولة الأموية مشهور ومتمم بن نويرة بضم أوله اليربوعى شاعر مشهور إسلامى ، وهو أخو مالك بن نويره صاحب القضية مع خالد بن الوليد .

(٢) هذان البيتان ضمنهما محمد بن حمير فى مقطوعة له ضمن رسالة .

يا سمى النبي عيسى فدتك النفـ ـس لم لم تكن كعيسى النبي
ذاك يحيي الموتى وأنت بعينيـ ـك تسوق الردى إلى كل حي

وله :

يا صاحبي قفا المطى قليلا يشفي الغليل من الديار غليلا
هـــذي طاولهم أطلال وتركن قلبي من عزاى حالولا
ولئن خلت منهم مرابعهم فقد غادرن قلبي بالغرام أهيــلا
لو أن عيسهم غداة رحيلهم حملن وجدى ما أطقن رحيلا
من كل ريم لا عديل لحسنها رحلت فكان لها الفؤاد عديلا
كالبدر وجها والغزال سوالفا والرمل ردفاً والقناة ذبولا
غادرنني جاري المدامع حائراً وتركنني حي الغرام قتيـلا

ومن مراثيه :

لهفي لفقدك لهفاً غير منقطع ما كان أقرب يأسي منك من طمعي
إن تسترح فأنا المبلو بعدك بالأحـ ـزان أو تسل إني دائم الجزع
كيف التذاذي بدنيا لست ساكنها أو اغتباطي بعيش لست فيه معي

وقال يرثي أسد بن عمران من قصيدة أولها :

صدور آل قليد مألف الأسل ليت الرماح افتدتك بالغل والوجل
تشتاقهم كاشتياق الجود أيديهم ألا جفتهم جفاء الجبن والبخل
قوم إذا استنجدوا قل اعتلالهم فكثر الموت منهم قلة العلل
كأنما الحرب أن لم يجل معركها بما جد منهم تخشى من العطل
لم يلبسوا السرد الأعادة لهم في الحرب للحزم لا خوفا من الأجل
أمنت بعدك ما أخشى وكان(١) البقا على الأشفاق والوهــل

ومن شعره في الهجاء .

ولقد حدست الحمد فطال ما كذبت حدسي

---

(١) كذا في الأصل وفيه زحاف .

أضحى على ما سائى متصبراً وعليه أمسى
أرجو غداً فإذا أطل حمدته وذممت أمسى

وقال يهجو بشارة وكان أحدهم قد أخذ له درجا :

بنى بشارة ردوا على بالله درجى
فليس كل طويل مـــدور أبرزنجى

وقال أيضاً يهجو :

أن كنت أخشاك أو أرجو ندرك فما
فى الناس مثلى فى جبن وفى طمع

وقال يهجو طبيباً اتخذ باباً فوسعه فوق المعتاد :

ما طول الباب الطبيب لأنه شىء يزينه
لـكنه رام الدخول فلم تطاوعه قرونه

وقال من قصيدة :

لم يا عذول وفند إن أخلق بى من الثناء لتوبيخ وتفنيد
إنى نزلت بقوم ضيفهم أبداً على لذاذته بالموت محسود
كأنما زرتهم أرتاد موعظة فقولهم لى ترويع وتزهيد
ياليت كفى كانت عندهم أذنا فإن كفى أغنتها المواعيد (١)

ومن شعراء اليمن سليمان ابن أبى الحفاظ صاحب الجريب (٢) قوله

(١) أورد الخزرجى فى كتابه طراز أعلام الزمن كثيراً من شعر ابن القم غيرما اثبته عمارة هنا كما أورد له رسالة وكنا نحب أن نسطره هنا إكمالا للفائده ولـكنا آثرنا الاختصار وذكر فى كتاب الصليحيون أنها توجد رسائله ونتف من شعره فى مكتبة لندن .

(٢) الجريب بفتح الجيم وكسر الراء اشهر من ضم الجيم وفتح الراء وهو سوق ومدينة مقر مملكة بنى أبى الحفاظ المذكورين وعاصمة بلد حجور أوردها الهمدانى فى كتابه «صفة جزيرة العرب» فقال سوق لأهل تهامة ومكة وعثر =

كنتم تمنون ريحا أن تهب بكم من النسيم ولو يومين تتصل
فجائكم مثلما عادية هبلت من العقيم التى عاد بها هبلوا (١)

ومن شعرائهم المجيدين أخوه الخطاب بن أبى الحفاظ وكان قد أخرج أخاه سليمان (٢) من مدينة الجريب إلى زبيد ثم كتب إليه يتلطف به حتى إذا

= جميع بلد همدان يتسوقه يوم وعده ما يزيد على عشرة الآف إنسان ، قال الخطاب بن أبى الحفاظ يذكر الجريب .

أقسمت بالله رب الناس كلهم بارى الانام وما يخشى به القسم
إن الجريب لمشكال لساكنها لكننا قد نراها أنها إرم

وتقع فى عزلة بنى جل أو فى جبل قلحاح من مخلاف الشرف المشهور المربوط بلوا حجه فهناك مأثرة عظيمة وعمارة كبيرة وهى اليوم اطلال وخرائب ، والجريب الأعلا من مخلاف شبام اقيان ، والجريب أيضاً بأرض نجد والجريب من سرو مذحج : بلاد البيضاء .

(١) فى الصليحون . هلكوا .

(٢) سليمان والخطاب هما ابنا السلطان الحسن بن أبى الحفاظ بن شرحيل بن الحارث الحجورى نسبة إلى حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد وفى انتسابهم إلى حجور يقول الخطاب .

قومى حجور جناح لى المير به وأهل عزمى من دون الورى قدم
لا يبدلون لرسم حين ارسمه ولا أبدل رسما غيرما رسموا .

وكان يقال للأخوين المذكورين مقولا قحطان لما تحليا به من العلم والأدب والفصاحة وبلاغة الشعر ورقته وكان لهما منزلة جليلة ومرتبة وفضيلة مع زهد وورع وملك وسؤدد ومكارم ومفاخر وشجاعة وبأس وعلم وفكر وحكمة وما منهما إلا وله عدة مؤلفات فى مذهب الباطنية ، وقد أجيز لسليمان فى ستمائة كتاب قرأة ولأخيه الخطاب فى أربعمائة ، ويقال إن الخطاب لم ، يمدح أحداً =

قدر عليه غدره وقتله فمن شعره قوله وليست من جيد شعره وإنما هى التى اتفق حضورها وكتب بها إلى سليمان وهو بزبيد .

= من معاصريه إلا الحرة الملكة السيدة بنت أحمد الصليحيه وكان الخطاب أخا الملكة المذكورة من الرضاع ، ولما بلغا من السلطان والنفوذ الغاية كان يركب سليمان فى ثلثمائة فارس والخطاب فى خمسمائة فارس . حتى آذنت دنياهما بالزوال .

ولكل شىء إذا ما تم نقصان

فدخل بين الأخوين التنافس على السلطان وحب الظهور والاحتفاظ بمركز الجريب وحيازتها له فأنهت حياتهما ، بموجعات القلوب إذ غدر الخطاب بأخيه سليمان عرغرة وختر وبعد فترة وجيزة لم يتمتع فيها الخطاب فقتله أولاد أخيه سليمان . وخلفا أكبر العبر وأعظم العظة .

وديوان الخطاب مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية حسبما حكى ذلك العلامة الدكتور الحسين بن فيض الله الهمدانى فى كتابه الصليحيون وأما ديوان أخيه سليمان فقال : أنه بحث عنه بدون جدوى بينما نقل عن إدريس أنه موجود فى زمانه ، قلت . وكان ديوان الأخوين المذكورين ، موجود مع العلامة الشرفى صاحب اللآلى المضيئة شارح البسامة من أعيان القرن الحادى عشر وقد نقل عنهما لحلينا جيد هذا التعليق بما نقل الشرفى عن ديوانهما لنشف عن أسلوبهما الشعرى وكان مقالا قحطان معاصرين للسيدة الملكة الصليحية فمن شعر سليمان بن الحسن يذكر قتل الخطاب لأخيه أحمد بن الحسن .

ذرفت دموع العين فى الخدين ⁂ وتعلق الأرق الطويل بعينى
وفقدت سيد يعرب وهما هما ⁂ رحب الفنا مشرف الجدين
ليث فضـــافضة همام ضيغم ⁂ فرس الليوث بساحة الدارين
شهدت حجور والبياض جميعها ⁂ أن المهذب فارس [illegible] =

. . . .

=إلى أن قال فيها .

ياقاتل الأسد المصور قتلته وقبلت فيه مشبورة العبدين
ما كان يحسن فى أبى الحسن الذى يحمى الذمار يكون مقضى الدين
اقتلت صنوك طالبا شرف العلا ليس العلا بقطيعة الصنوين
إن العلى من السماء مركب فانظر لنفسك فى اتى الملكين
أطمعت فى مال تخلف بعده والمال لا يربى على الظلمين

فأجابه أخوه الخطاب فقال .

الحق أبلج واضح النورين والله لا يرضى بذى الكفرين
ياقاتلا أبدى فضائح نفسه أضحت باقصى الشام واليمنين
قف واستمع منى الجواب مبرهنا كالشمس يخطف نورها العينين
ما كان يحسن كشف فعلة أحمد ألا تكون بأبشع الشرين
لكن إذا قد شئت كشف فعاله فأنا بذلك أبيض الثوبين
لا تحسبن بأنني لم أفنه إلا مخافة شركة الأمرين
والله ما بى ذاك إلا أنه ابدا طرائقة إلى الظلمين
ترضى لاحمد سفكه دم أخته أترا بذاك تواصل الاخوين
متجردا بالسيف يضرب رأسها فكأنما أضحت صريعة دين
فنذرت حين أتى بسوء فعاله أجريت منه الموت فى الودجين
طهرته بالسيف يوم قتلته ومذيت(١) عنى اخبث القولين

وهى كبيرة وقال السلطان سليمان فى معنى ذلك أيضاً .

يا ضاحك البرق فى باك من السحب بالله جد ساكن الروحا والجدب
وصب منهمر الشؤبوب أرض بنى سمى لانهم من أنجد العرب
والواشحيين والأنجاد خالصة من العوازم أعوانى على النوب
ولا تغادر بنى جيش وأخوتها بنى جميلة أهل الفضل والأدب

(١) فى القاموس : امذ بعنان فرسك : تركه

. . . .

ولا رجالا من الامرور اهم هم بلوغ مالى من هم ومن ارب

ومعقل الكل شيخ الحىّ من قدم محمد المبتنى مجدا على الشهب

والأروع السيد الصنديد ذو الحسب الوضاح جحجاح زاكى العقل والنسب

ينميه للمحتد القدموس والده عبد الرحيم رفيع القدر والحسب

واذكر معالى شمر فهى عالية قد أعجبت للنجوم الزهر كالعذب

وفت ولم تنتقض شمر ولا قطعت أسبابها السادة الانجاد من سبب

لله ما أعقب الشيخ العفيف أبو العشـــيرة ابن النـــدب من عقب

والأنجم الزهر من خولى فإنهم شيوخ مخلافنا صدقا بلا كذب

شوش غطارفه شم جحا جحة لله درهم من سادة نجب

ودر اصدافنا وعدا وانجزنا بنو مديخة عند الضرب بالقضب

وأن بالطرف المحلال أسد شرى منهم إذا حربوا بالبيض واليلب

وبالقفيل مغاوير إذا استعرت نار الهياج غداة الحرب باللهب

عشائرى وبنى عمى ومن جمعت اعراقنا جمعتنا لحمة النسب

وأهل بيعة شيخى يوم صيرها لى منهم ودعاهم نحو ذاك أبى

وقال: هذا الذى أرضاه من ولدى لكم رئيساً إذا ما اجتاحنى سحب

واستخلف الكل لى منهم بوفرتهم على السلامة من سقم ومن نصب

صحيح جسم معا فى ليس يعجزه ما يعجز الناس من خوف ومن نصب

ويستقيم بطول اليوم منتصبا فى السرج يخلط ركض المهر بالقرب

ولم أدع بعدها تلك اليمين فتى من أشيب من ذوى أسنانهم وصبى

إلا وقد زادنى عهداً واكده لله تكرير لى الأينق الحرب

ياليت شعرى أهم ناسون ما وضعوا عليه أيديهم فى أشرف الكتب

أم ذاكرون لما بينى وبينهم من المواثيق والإيمان والصحب

لقد تربيت منهم بعد ما رضيوا بقتل أحمد هذا اعظم الريب

. . . .

إلى آخرها وهذا جوابه قيل هو لأخيه الخطاب وقيل لبعض شعراء قدم ولعله الصحيح لأن فيه ما يدل على ذلك والله أعلم .

ياقيل قحطان ياذا الفضل والأدب ... ويا سنا يعرب يا أوحد العرب
إن البروق التى أصبحت تسالها ... ريا لقومك بالروحاء والخندب
نأت لنأيك فالأرجاء خاشعة ... شوقا إليك ولا شوقا إلى السحب
لا تحسين رضينا ما اتيت به ... وما عزاكم جميعا ياذوى الأدب
إذ ليس فى قدر مأوى لذى حنك ... ما للنوائب الافادح الكرب
سل عن نبيك ما القاه معشره ... وما تجرع فيه من أبى لهب
وسل عن السيد المسجون يوسف ما ... القاه أخوته فى الجب وهو صبى
وهل رأيت بنى الزهرا ما فعلت ... بها الأعادى وهم أصفا من الذهب
فاصبر على الأمر ياتى وارتقب فرجا ... فالدهر ذو قلب والأمر ذو عقب
فانما أنت من فرع أرومته ... اذكى من المسك بل أحلى من الضرب
ونحن ما نحن لا خلف ولا حنث ... بالعهد تذكره يا مدرك الطلب
فقد رمينا بملك كان يكنفنا ... أودى فاضحى يقول المجد يا حربى
لم ترض قتل أخى العليا أبى حسن ... وأن نوبته من أعظم النوب

(إلى قوله) :

قالت سمى وقالت وشح وبنو جـ ... ـل وفائش قولا غير مؤتشب
ثم العوارم والأمرور ثم بنو ... جيش وشمر وخولى ذوو حسب
والجى من قدم فأعلم مديخة من ... إقطارها وقفيلا كل ذى أدب
لا تنس لا تنس عهداً كان من حسن ... إلى سليمان محكياً إلى الكتب

وقال سليمان فى أخيه الخطاب .

يرجى شفاء الفتى المشفى على السقم ... ولست ترجى لا قلاع ولا ندم
أخذت منا فلا تاساه غدرك بى ... يا أغدر الناس من عرب ومن عجم

إلى قوله :

هذا الأمير أبو الغارات راشك با ... لأيدى الجسام وبالأيدى من النعم
وشال منك بطبع كان قبل لق ... وكان أضيع من لحم على وضم
مكابراً بك حتى قمت فى زمن ... مزر ولولا أبو الغارات لم تقم
وكان أكثر عون فى القيام بنو ج ... ل بغير توان لاولا سأم
والعبر والطرف اختاروك واصطنعوا ... منك أمراء ليس للأيدى بملتزم
وشمر شمر منها فى رضاك وفى ... ما رمت كل طويل الساعدين حمى
وعك أعطتك فى حربى مقادتها ... بغير ذنب إليها لى ولا جرم
أما الأمير فما أبقى هجاك له ... جنبا صحيحاً جهارا غير منكتم

إلى قوله :

وكنت آخرته قبل الهجاء له ... بأنه أطلس فى العيب ذو طغم
ثم اشتملت أهاويشا تغيربهم ... عليه ليلا ويوما غير محتشم
فأحرقوا وأصابوا الضعف واخترىوا ... أموالهم وسبوا مستورة الحرم
ونوبة فى بنى جل بشيخهم ... سارت بها الركب فى الموارة الرسم
وأخذ أموالهم شاعت شوايعه ... على الذى كان من أمن ومن ذمم
وقبل ذاك بنوجيش وشيخهم ... أبو العشيرة لم يبرح ولم يرم
حتى اصطفا ماله ظلماً وكان على ... ما ناله منه فى شيخوخة الهرم
لا ظلمه لاولا الضعف المضربه ... حاشاه منه ولا ما كان من ذمم
ونوبة العبر كانت نوبة عجباً ... على الذى قدموا من صالح الخدم
أخلق بنوبة شهران تشاكلها ... وأن تماثلها بالعين والعلم

وقال سليمان يمدح الجريب وهو مسكنه ويذم أخاه الخطاب .

إذا الله عم الأرض منه برحمة ... فروى منها محلها وخصيبها

فلا تخطئن أرض المحافر سهلها   وأوعارها قبل البلاد نصيبها
بلاد تساوى بردها وحرورها   فسيان كانون بها وأبيبها
غزيرة أنهار تفيض مياهها   وغير حرور حيث كان قليبها
وأعذب أرض الله ماء لشارب   وخص بها طيبا وبردا جريبها
إذا كانت العذرآ للشمس منزلا   وقابل أيام الخريف ضريبها
ومن حلو رمان وتين ومشمش   وأصناف أرطاب كثير ضروبها
وأصفر كمثرى وانجاص أحمر   كحمرة لون الشمس حان غروبها
وموز واترنج وليم جميع ما   اسميه موجود يراه طلوبها
وفيها من الفتيان كل سميدع   تعاف الدنايا نفسه وتعيبها
تذكرتها ذكرا لبغى شبا بها   وقد حال عما تبغين مشيبها
وذكرنيها جذوة بى سحابة   من البرق يعلو مستطيرآ لهيبها
واغراه أقوام إلى أن أصابنى   على الأمن فالله العزيز حسيبها

إلى قوله .

سعت بيننا يوماً عقارب احنة   وبغضاء لا يألو سريعا دبيبها
والفواصبيا لادراية عنده   بضغن واحقاد طوتها قلوبها
ولا بأمور بيننا وغبائن   تزر عليها منذ كانت جيوبها
ولو أننى حاذرت منه الذى أتى   تباعد عنه عند ذاك قريبها
ومن أين ياتينى البلا بكفه   ونعماى نمتوح عليه صبيبها
وربيته مستقصيا فى كرامتى   له وهو مخضر القناة رطيبها
ولم اعتقد فيه الذى كان ينطوى   عليه له نفس خبيث عيوبها
وإن كنت لم أترك له نفع درهم   ولا غلة من زرع أرض يصيبها
ولا ساكن مابين حمى كنانة   إلى الشرف والا وحش ضبع وذيبها

. . . .

ومن ساحل المرباح شاماومصعداً   إلى العرق ففرا دورها ودروبها
شننت عليها غارة بعد غارة   إلى أن ملت شرقا وغربا نصوبها
واذرعت فى سكانها القتل كى يروا   بانى أحميها وأنى أريبها
وأبدى لهم تقصيره عن حمآئهم   ومنعى عنها وهى تدمى ندوبها
فلما رأيت السيف افنى رجالها   شجانى فناها ضيعة وذهوبها
وذكرت نفسى العفو عنها وأننى   لصافح اجرام الجبات رهوبها
ومن هى حتى اجعل الحال منهم   ويعظم فى صفحى وعفوى ذنوبها

إلى آخرها .

وقال سليمان أيضا ولعلة حين استجار ببعض القائل الذين أشار إليهم فلم يجيروه ولم يمنعوه .

من عادة الرجل الأعز الأكرم   أن لايهجن عرضه فى ملزم
ولو أن فى أبنا حجور سيداً   ممن علمناه ومن لم نعلم
كالشيخ مفلح ما اعتمدت جواره   من بين من تنمى ولادة أسلم
لكن علمت حقيقة أن الفتى   يحمى المخيم فى ذراه ويحتمى
ولقد رأيت لديه جيرانا فما   يرضى بنقض أقلهم فى درهم
مالى أرى مالى استحل تراهم   لم يعلموا تحريم مال المسلم
أو لم يروانى أدين الله فما   نتهبوا عبيدى نهبة المستغنم
هبنى من القوم الذين حمتهم   ذمم النبى الهاشمى الأكرم
كيف استحلت بينهم أموالنا   ولنا محل الوادع المستسلم
يا من بقا من راغب فى أخذنا   إنا على إثر الرحيل فصمم
أدرك قبل فواتنا ماتشتهى   من صامت أو ناطق مستخدم
لو فى بنى الجار(١) ابن موله طنبت   أو تادبيتى ما أعيد بمغنم

(١) أى الجابر أو الحارث

. . . .

أو بين حى أوام كانت حلتى   وعليهم القيت رحل مخيمى
كان احتياطهم لمالى صاينا   ورماه طالبه مكان الأنجم
لا سيما فى آل دوس إنهم   فى ذروة الشرف الأعز الأكرم
لهفى على العلوى لهفاً إنه   اشدد به لحمى الذمار وأكرم
وابن القطيع سقى محل سطاهموا   أنواء مغتبق الغمام الأنجم
ولو إنها حلت بداود لما   كانت لعمرى عرضة المستهضم
أو فى بنى سفيان ضمخ أنف من   ينوى تعرضها بمنهل الدم
أو بابن جابر والشجاع لأصبحت   قد أسكنت دار المعز المكرم
ولو أنها ببنى جيرة ذوى الندى   حلت لأمست فى محل الاعصم
أو فى بنى مسروح أو فى عامر   كان ارتحالى نحوهم وتقدمى
كانت لعزتها بحيث تبوأت   بيض الأنوف وحيث فرخ القشعم
أو فى ذرى نُهْم وأفلح أو ثوت   بالأنصباء جنت ثمار الأنعم
أو بين قحطان وجدى العلو   من بالمحافر من ذليل مرغم
عزت وحسبى من سعى متطمعا   فيها علانية كؤوس العلقم
لكن رضى إنا أقناها هنا   كشفا برغم الأنف غير تجمجم
هل تبلغ العلم الذى أعطيكه   ياراكب الحرف العسوف العيهم
أحياء همدان بن زيد حاشداً   وبكيلها من منجد أو متهم
من لحمهم لحمى ومن دمهم دمى   وإليهم من بين يعرب انتمى
إنى على غصن الزمان وروضه   متنصلا لعياله لم أحجم
لم استجر من عامر رجلا فلم   تلذع غوائله حشاى بميسم
سل عن فعال بنى عقال معى وقد   جاورتهم وهمت عليهم انعمى
واسئل بعقر رفاعة السهل الذى   لم يخف عن متعرب أو أعجم
وبفعل أحمد وابن يوسف والفتى   جلحاب أسفل بالذليل الأدغم

. . . .

أو ما عتبرت بعامر الشام التى ... هى فى المخازى قبلة المتأمم
أو لم يكن لى فى بنى نشر وما ... فعلوه معتبر برأى محكم
حتى رددت إلى عواير أينق ... أبغى السلامة بالإقامة فيهم
فرموا على الزوراَ شخصى منهم ... لتوقع العتبي ثياب المجرم

وقال الخطاب جواباً على الأمير جعفر بن محمد بن جعفر بن قاسم العيانى وقد وصله شعر منه يهدده :

حلفت برب المعلمين رمت بهم ... فجاج الموامى محرمين نياق
وماضم جمعا والمحصب من منى ... وقادوه من هدى إليه وساقوا
لقد زهدت فى العرف أبناء هاشم ... وسر بهم للاصطناع مذاق
فما ليدٍ تسدى إليهم صنيعة ... مكافئة إلا أذى وشقاق
إفك ولم أمنن يدى يوم تمة[1] ... لجعفر من أسر المنون وثاق
وارخى عنه والغلاصم ضيقة ... بحوباه بى دون الأنام خناق
فاضحى منيراً بعد أن كان كاسفاً ... وتم وقد خط التمام محلق
وارعى له حسن اعتقادي جدوده ... وللدين فوقى والولاء رواق
فكان مكافاتى لديه تهددى ... وأحواله عما يقول دقاق
وشر مقال المرء ما كان حاله ... ينافيه إذا بعد الكلام يساق
وما أنصفتنى هاشم ومذاقى ... لها دون طعم النحل حين يذاق
على أن ما ألقاه مذ كنت منهم ... حميم إذا ما ذقته وغساق
توسط بين الغول والنجد منزلى ... قريباً لهم مالى بذاك خلاق
لهم كل يوم أسهم فى عداوتى ... تراش على حبى لهم ونفاق
أجعفر هل كان التهدد عنوة ... لنعماى لما أن منتت صداق

---

(١) موضع بنواحى بلاد الشرف .

. . . .

ألا ربما زفت إلى غير كفؤها عروس ففاجأها لديه طلاق
فهل علمت بطحاء مكة والصفا ومصر بما كافيلنى وعراق

إلى آخرها .

وقال السلطان سليمان فى جوابه على الأمير المذكور :

عليك سلام طيب النشر بعده سلام وكأس للمنون دهاق
بأيدى رجال مصلتين كأنهم وأنت هلال فى السرار محاق
إذا زأروا فى الحرب هزله الظبا فوارته أجسام عليه طباق
أأنكرت زئر الأسد ماحول ثمة ومنك خوار عندها وعقاق
رجال شروا بالأمس ما كنت بعته وقدت إلى حوض المنون وساقوا
ضراغم غلب من حجور وقادم بأيديهم بيض جلين رقاق
ومن جار ابنا أبى جبر أسرة علوت بهم والخد منك طراق
فطلق ثلاثاً يا أبا الفضل بتة شهارة أنى حان منك فراق
فإن سيوفاً أولغت فى دمائكم بها وله شوقاً لها ورهاق
تهددنى بالأنجدين بنى أبى وهم قدم أسعى عليه وساق
علاى علاهم وافتخارى فخارهم أحن إلى ذكراهم وأشاق
فخبرنى ظنى بأنك راجع إلى الرس ملوى عليك خناق
أبت أن تزكى مالها لك حاشد وضاق فتى همدان عنك وضاقوا

إلى آخرها إذ لم نجد تمامها .

وقال السلطان الخطاب يهجو الأمير غانم بن يحيى بن حمزة السليمانى صاحب المخلاف السليمانى حين لزم ولده :

من وصف ذا النسب الأصح الأشهر الأوضح المعروف غير المنكر
ألا يكون خطوطه وعقوده شركا لذى ثقة به لم يحذر
لاسيما من كان مثلك يقتفى نسباً إلى آل البتول وحيدر

. . . .

يا غادراً من كان لا فى هـــذه ... قل لى بأية ذمة لم تغـــدر
أرأيت خطك لى وذمتك التى ... قطعت من الثوب الحرير الأحمر
وأتى بهـا المنتاب عنك مسفرا ... نحوى فيـا لله رأى مسفر
ماذا أردت بفتنتى وخـــديعتى ... طلبـا لتظفر بى فقد لا تظفر

ومنها :

والله حلفة صادق إن لم تطب ... وتنق من دنس العيوب وتطهر
لأعممن بك الحمير الدغم فى ... أسواقنا من كل أجدع أبتر
ولأجعلنك مسمرا يلهى بهـا ... فى كل ناد للأنام ومحضر
لا تحسب الرجل الذى بالغدر قد ... أضحى لديك محـبراً بمحـبر
والله لو قطعتـــه وذريته ... فى الريح ما أفرحت قلبي فأشعر
أن يبق يأت برغم أنفك سالمـاً ... أو تقض ميتته بكفك أثأر
هو مـــن يعز على إلا أننى ... لم آس قط لغايب من معشرى

قال الشرفى وقد أقذع فيها ، أى فيما لم يرد هنا وهذا دأبهم يسيئون إلى الناس فإذا أنافحوا عن عروضهم رموه بكل عضيهة .

وقال أيضا يمدح العشائر ويشكو عليهم فعل الأمير غانم :

أقر السلام عشائرى وبنى أبى ... كالروض غب العارض المتصبب
ضاع النسيم له وسيف الفجر قد ... سلته يومئـذ يمـين الغيهب
واخصص به حيى أوام ومولة ... قومى ذوى النسب الأمس الأقرب
أحياء حيران واسلم والذرى ... من ضاعن شم الأنوف وأعشب
والأنصبا الأكرمين وعاهماً ... والصيد من نُهم غياث المجدب
والأفلحيين الذين علاهم ... أرست قواعده فويق الكوكب
قومى الذين تقول لى أنسابهم ... لا تخذل فارض على عدوك واغضب
من حل منهم فى السهول ومن ثوى ... منهم بكل أشم أغيـد أشذب

. . . .

وأشرح لهم شكواى فيما كان من   غدر الدعى على وثيق العقد بى
ذمم ثلاث من ملابسه التى   دنسن منه بجسم أطلس أعيب
وإتاوة حملت إليه وطاعة   شاعت بمشرق أرضنا والمغرب
جعل الجميع إلى الذى أنا ذاكر   شركا لذى ثقة به لم يرهب
ولو أنه نقض العهود وجاء عن   طيب بنقض عهوده لم تنسب
لكن أتانى غرة وعقوده   بيدى فصال الغادر المتعيب
إقدام مقدام على الحرساة مذ   رثت به أثواب ذاك المنصب
حاشا ليحي أن يكون له وإن   صدقوا فحاشا أل أل الطيب
غدر الدعى وتلك منه طبيعة   جرت من الأم الخبيثة والأب
لا تعجبن من غدره بعقوده   لكن من ثقتى به أنا أعجب

ومن شعر السلطان خطاب إلى الشرفا بنى سليمان مادحاً لهم وموبخاً أخاه سليمان .

لعمرى وما عمرى على بهين   لقد صدقتنى بالمواعيد هاشم
ولبت نداى شيبها وشبابها   وفاء بما كانت عليه اللوازم
ولم تولنى السمع الأصم تناوما   كما يفعل المسترقد المتناوم
ولكنها سارت بارعن حشوة   جياد وارماح وبيض صوارم
وصيد من الشم الأنوف ضراغم   تواضع من خوف لهن الضراغم
فمن مبلغ منى مقالة ناصح —   من الله لم تشرح عليه الحيازم
وذلك أن الشم من آل هاشم   اتتك ببحر موجه متلاطم
اتتك ورب البيت تلعة معبر   تهادى بها القب العتاق السواهم
أغرك إغضا ابن يحي على القذى   مراراً ولم تفتح لك الطرف غانم
وخلف سليمان الغطاريف بينها   فكل بكل بالملاحاة قائم
فسمتهم سوم الذليل وإنهم   أسود شرى عند اللقاء ضراغم

. . . .

فلما رأت ما أنت فيه تألبت وزالت حقود بينها وسخائم
وألقت مقاليد الأمور بأسرها إلى ملك منها له السعد خادم
فسار بها ماضي العزيمة ماجد تساوى المواضى عنده والعزائم
أمن بعد ما ألوت بغنائم قومه كما تلبس الخمس البنان القوائم
تحاول بعد اليوم منه ومنهم نجاة وما منهم لك اليوم عاصم
أتاك أبو الغارات يدلف غاضباً لأصهاره والصهر للصهر لازم

وهى أوسع من هذا وكان بين الخطاب وأخيه سليمان مشاقة ـ ومحاربة ومهاجاة ومنافسة على الأمارة وقتل الخطاب أخاه أحمد بن الحسن بعد قتل أحمد بن الحسن أخته فقتله قصاصا كما زعم وكان ذلك مما قوى غضب سليمان وهرب سليمان عن بلاد أخيه الخطاب وكان يغزوه بمن اطاعه من القبائل الخارجة عن طاعة أخيه حتى أدى ذلك إلى ضعف البلاد وخرابها .

ومن ذلك قول السلطان سليمان يخاطب أخاه الخطاب ويعنفه على قتل أخيه أحمد بن الحسن .

أمن المنازل بالعلاية تعجب وخرابها وكذا العمارة تخرب
خربت لشرب ترابها دم أحمد لما غدت أوداجه تتشخب
ما كان بدعا من نوائب دهرنا أن يعف رسم أو يعطل ملعب
هربوا مخافة نقمة من ربهم أو هل من الله المهيمن مهرب
ياهارباً ترجو النجاة وفى يدى من هو منه هارب يتقلب
لا تحسبن الله مهمل قتله ظلماً وانت بذاك جهلا تحسب
ولقد أتى عن سيد البشر الذى ختم النبوة مخبرا لايكذب
خبر باسناد الرواة فبعضهم يملى وبعض فى الصحايف يكتب
يكفيك بالأعدا أن ترهم على ما يؤسف الله الكريم و[illegible]

. . . .

أضحت منازلنا خرابا كلها   وبلادنا بعد العمارة سبسب
ومضت عشائرنا هلاكى واستوى   ذو المال منهم والفقير المترب
هلكى ذلا لاقد مضوا أيد سبا   فشائم ومشرق ومغرب

فأجابه الخطاب

مالى ألام على العلى وأنب   حتى كأنى إنما أنا مذنب
يامن يلام على العلى وطلابها   جهلا ويمعن فى الملام ويطنب
ويقول فى هذيانه قول امرىء   ينبى عن العزم الركيك ويطنب
أمن المنازل بالعلاية تعجب   وخرابها وكذا العمارة تخرب
خربت لشرب ترابها دم أحمد   لما غدت أوداجه تتشخب
قف واستمع منى الجواب مبرهنا   كالشمس ضوء شعاعها لايحجب
فتكت يداى باحمد فى سفكه   دم خير من نجلته أم أو أب
ذاقت يداه لها المنية عنوة   فغدت بها كاس المنية تشرب
متجردا بالسيف يضرب رأسها   شلت يمينك أى رأس تضرب
ايجوز قتلكما وكيف وانما   أخوان يجمعها إليك المنصب
وإذا أردت بأن تصير مصيره   فافعل كذلك كى ترى مايغضب
وذكرت نقلى للجريب وأهله   إنى بهم من خوف باسك أهرب
أفما استحيت ولا احتسبت جواب ما   تحكيه كيف يخيف ليثا ثعلب
والله ما أدرى أأنت على الثرى   أم أنت فى طى التراب مغيب
ما كان نقلى للجريب مخافة   ومن المخوف ومن عليها أرهب
لكن رغبت بمنزلى عن موطن   آثار فسقك منه ليست تذهب
عفى فجورك ربعها فأبادها   ما كنت من جرم المحارم تركب
فنقلتها وعلمت أن مقامنا   منها يدمرنا فها هى سبسب

إلى آخرها وقال السلطان سليمان حين ابنه رقتله .

عينك عين الرشاء الجادل   والجيد جيد الظبية العاطل
قد كنت إذ تعقل ولكـ   ـن الهوى يلعب بالعاقل
كأنها من حسنها درة   أخرجها الموج إلى الساحل

دعانى لحب المسلمين وداد   ورق لهم منى حشا وفؤاد
وكنت أراهم لاقتراب منيتى   قرابا وهم من راحتى ، بعاد
فاوقفت نفسى فى الهلاك ولم أكن   جهلت ولكنى وثقت وقادوا
وقد كان حدى ما بلغت وإنما   إشاعتها فى العالمين أفادوا
نظرت بياضاً فى البياض فغربى   إذاً وبياض فى البياض سواد
فمن مبلغ عنى بكيلا وحاشدا   بأن قتال الماكرين جهاد
بعدت عن الخطاب بعداً ولم يكن   لقربى إليه مرجع ومعاد
فقرَّ بى منه شيوخ أتقتهم   وما كان فى قربى إليه سداد
فإن حضرت منى الوفاة فإنهم   وفاتى وقربى للوفاة أرادوا
وما أسفى فيما اتاه وإنما   أسفت كما لجوا على وزادوا
وإلا فللخطاب عشر يديرها   فاحرزها لى مشمل وجواد
وبعدى بحمد الله لاشك ثروة   سيوفهم يوم الجلاد حداد
وقد بلغت نفسى من الأمر مبلغاً   يقصر عنه حمير وزياد
وهبت الجياد الجرد والآلاف بعدها   بها قلمى يجرى عليه مداد
وسيرت فى الجو البعيد عساكرا   تضيق لها يوم المسير بلاد
وسارت ملوك الجوجو تهامة   لطاعة أمرى قادة فاقادوا
وصبحت أصحاب الجريب بمقنب   يصيب ذكى القلب منه سهاد
فاقتل منهم فى جذيم جماعة   أدان عليها أعجم وتلاد
واتبعته من بعد ذلك مقنبا   خميسا به الخيل العتاق جراد

هذا ما عثرت عليه فى اللالى المضيئة أحببت تسطيره هنا ليأخذ القارى ملامح عن شخصية الأخوين الشاعرين وكيف كانت المأساة فيما بين الأسرة .

إذا بلغت العرق فاربع به(١) معرسا تعريسة النازل
واخصص سليمانا بها خير من يعلم من حاف ومن ناعل
أخى ومولاى ومن لحمه لحمى ومن حامله حاملى

ومنهم الوزير خلف بن أبى الطاهر الأموى وزير الملك جياش ابن نجاح صاحب زبيد وكان أحد أفراد الدهر نبلا وفضلا وصحب جياشا حين زال ملكه ودخل معه الهند وعاهده على أن يقاسمه الأمر ان ملك ونعته جياش قسيم الملك ولولا الوزير خلف ماتم لجياش ماتم من رجوع الأمر إليه .

حدثنى الشيخ محمد بن اليافعى الحميرى قال حدثنى أبى وجماعة من خواص الوزير خلف أن سبب الفساد الحادث بين الوزير خلف وبين جياش أن الوزير شرب ذات ليلة فى داره وغناه ابن المصرى .

وكان محسنا قول قيس بن الرقيات(٢) يمدح بنى أمية :

لو كان حولى بنى أمية لم ينطق رجال إذا هم نطقوا
أن جولسوا لم تضق مجالسهم أو ركبوا ضاق عنهم الأفق

---

(١) العرق مقبرة زبيد ، والعرق أيضاً بلدة فى حجور وهى المراد .

(٢) هو عبيد الله وقيل عبد الله بن قيس الرقيات ، من بنى عامر بن لؤى ولقب ابن قيس الرقيات لأن جدات له توالين تسمين رقية وكان انقطاعه إلى آل الزبير فمدح مصعب بن الزبير وهجا عبد الملك بن مروان بكلمته .

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ولما قتل مصعب بن الزبير نذر عبد الملك بن مروان دم ابن قيس الرقيات فاستجار بعبد الله بن جعفر بن أبى طالب فأخذ له الذمة والأمان من عبد الملك فى قصة طويلة ، راجع الاغانى وطبقات الجمحى ، ومن شعره .

يا ديار الحبائب بين صنعاء ومارب

تجيهم عوذ النساء إذا ما(١) أحمر تحت القلانس الحدق

قال : فطرب الوزير وشرب وخلع على من كان فى مجلسه وهم ثلاثة عشر رجلا ثم خلع عليهم ثلاث مرات ثم وصلهم ولم يزل يستعيد الصوت ويغنيه إلى أن أصبح ونقل المجلس إلى جياش فتوهم منه واستوحش خلف فافترقا فمن شعره قوله يجيب جياشا حين كتب إليه يستعطفه .

إذا لم تكن أرضى لعرضى معزة فلست وأن نادت إلى اجيبها

ولو أنها كانت كروضة جنة من الطيب لم يحسن من الذل طيبها

ومرت إلى أرض سواها تعزنى وإن كان لايعوى من الجدب ذيبها

ومن شعراء اليمن محمد بن زياد المأربى(٢) من مأرب مدينة السد كان مداحاً للملوك محسناً ووفاداً عليهم وكان أكرم الناس بما ملك ومدح

---

(١) عوذ النساء الحديثة النتاج من الظبا والإبل والخيل أو الذى ركب فيها العوذة وهى العزيمة والتميمة .

(٢) كان غالب أقامه محمد بن زياد المأربى فى نجران وكان شاعرا مفلقا مجيداً متلافا مدح الأمراء الزواحيين والملوك الصليحيين والحميريين وكان بينه وبين الفرقة المطرفية مصاولة ومناقشات وكان قرائته فى اللغه على علامتى اليمن ابنى رزين على وموسى واتصل المأربى بآل القاسم بن على الرسى واختص بجعفر من محمد بن جعفر وأدناه وأكرمه ورفع صيتة ، ولما وفد الذويب بن موسى الوادعى المأذون وهى مرتبة من مراتب الباطنية برسالة من جعفر المذكور على الملك المفضل بن أبى البركات إلى حصن التعكر دخل عليه ذات يوم وعنده ندماؤه وقد انتشىء فانشده من أشعار المأربى فى مدائحه ماهزه وارتاح له فقال من يقول فىّ هذا فقال : محمد بن زياد المأربى قال: لأن وقعت عينى عليه لأغنينه فأمر إليه أن يصل وكان بنجران فوصل وامتدحه فأعطاة ألف دينار ثم ألف بعد ألف حتى صار من أغنى الناس لكنه كان المأربى متلافاً لا يبقى لنفسه شيئا والمأربى نسبة الى مارب موطن أول حضارة يمنية التى فيها السد العظيم .

المفضل بن أبي البركات الحميرى فوصله بألف دينار فقال من شكره فى قصيدة له .

ووهبت لى الألف التى لو أنها   وزنت بصم الصخر كانت أبهرا

وأول من نوّه باسمه الشريف الأمير عيسى بن حمزه السليمانى ثم الحسنى صاحب عثر فإنه وصله بصلات جزيلة وعامله بمكرمات جميلة .

حدثنى والدى وعمره مائة سنة وخمس سنين قال لما كان من دخول صبابة الغز إلى اليمن ما كان أخذت الغز[1] الشريف الأمير يحيي بن حمزه أسيراً إلى العراق[2] وبقى أخوه الأمير عيسى بن حمزه أميراً فى البلاد فلم يزل يجتهد ويكاتب ويبذل الأموال حتى افتك اخاه يحيي بن حمزة من العراق .

فلما عاد يحيي إلى عثر دبر على أخيه عيسى فقتله وملك الأمر فقال محمد بن زياد هذا قصيدة يذكر فيها قتل عيسى ويرثيه وينعى على يحيي فعله فى أخيه ولم أكتب منها إلا ما علق بحفظى فى المكتب وهى طويلة فمنها بعد غزل طويل[3]

خنت المودة وهى الأم خطة   وسلوت عن عيسى ابن ذى المجدين
ياطف عثر انت طف ثانى[4]   يا يوم عيسى انت يوم حسين
قد كان يشفى بعض ما بى من جوى   لو طاح يوم الروع فى الجبلين
هيهات ان يد الحمـــام قصيرة   لو هز مطرد الكعوب رديني

---

(١) الصبابة البقية والغز قوم من الأتراك وقد تقدم ذكرهم .

(٢) راجع الحادثة المذكورة قره العيون مع التعليق .

(٣) مع الأسف لم نعثر على غير ما أورده عمارة والغز هم الذين خرجوا فى أيام جياش نجدة له كما سلف .

(٤) فى مطلع البدور طف آخر .

ابلغ بنى حسن وان فارقتهم لا عن قلى وحلفت باليمين
انى وفيت بود عيسى بعده لا لو وفيت قلعت اسود عينى

وكان محمد بن زياد المأربى المذكور لكثرة وجده على عيسى[1] نذر ان لا يرى الدنيا إلا بعين واحدة فغطى إحدى عينيه بخرقة إلى أن مات (فقال قرب موته) :

قرت عيون الشامتين ، واسخنت عينى على من كان قرة عينى

ولما انتهى الشعر الذى رثى به المأربى عيسى إلى أخيه يحيى القاتل غضب وقال جلدنى الله جلدة المأربى لأسفكن به دمه فقال المأربى :

نبئت انك قـــد أقسمت مجتهداً لتسفكن على حر الوفاء دمى
ولو تجلدت جلدى ما غدرت ولا اصبحت ألأم من يمشى على قدم

وله من غزل قصيدة يمدح فيها بنى نفاثة من آل همدان :

ما لقينا من الظباء العواطي خافقات القرون والأقراط
هجنت بالبدور والدر والورد وازرت بالرمـــل والأخواط

وقال يمدح أبا السعود بن زريع :

يا ناظرى قل لى تراه كما هو انى لأحسبه تقمص لؤلؤة
ما أن بصرت بزاخر فى شامخ حتى رأيتك جالسا فى الدملوه

وحدثنى الفقيه أبو على الحسن بن على الربعى قال هجا المأربى رجلا باليمن من سلاطينها فاعتقله لينظر فيما ذكر عنـه فخافت نفس المأربى أن يتم عليه مكروه فكتب المأربى من السجن إلى سلطان آخر وكان صديقا له هذين البيتين فركب ذلك الرجل فكسر الحبس واخرج المأربى وسلمه إلى من يمنعه من قومه ثم لقى السلطان فشفع إليه فيه واعتذر إليه من كسر الحبس والبيتان قوله :

---

(١) هذه الزيادة من مطلع البدور.

أسف ان طار أو طران أسف وان لان الفتى فاقس أو يقسوا الفتى فلن
حتى تخلصنى من قعر مظلمة فانت آخر سهم كان فى قرن

ومن شعرائهم السلطان زكرى بن شكيل بن عبد الله البحرى بطن من خولان يقال لهم بنو بحر :

يرمين افئـــدة تفد بها ولو قتلت أيكرم قاتلا مقتول
فقسيها اجفانهـــا وسهامها حدقاتهـــا ولحاظهن نصول

وقال يمدح جياشاً ملك زبيد بن نجاح :

كم لا تزال تسر وجداً ما سرى مزن وتسفح ماء عينك ما شرى
اطللت دمعك فى الطلول وأدمنت حرق الحشاد ومن تخال الاسطرا
عفا معـــالمها الغوادى والسوا رى والعواصف والأعاصر أعصراً
ولقل ما غرى القـديم بمحدث إلا واحدث فى القـديم تغيراً
فتنكرت فى العين وهى معارف فى القلب يكبر قدرها أن تكبرا
ولقد علقت بهـا غزالا أغيدا غنج اللحاظ أغن أحوى أحورى
اعدى بسقم جفونه قلبى فلو اعدى جفونى منة منه الكرى
يثنى الصباح بفرعه ليلا ويثنى الليل صبحاً ما بخـد مسفرا

ومن مديحها :

المشترى حلل الثناء بمـا حوت كفاه والحامى لها أن تشترى
والموقد النارين ناراً للوغى لا تنطفى أبداً وناراً للقرى
من كان يمدح للعطاء فإننى للفخر أمدحه وحسبى مفخراً
ملك تدارك غصنى الذاوى وقد عيث الزمان به فأصبح مثمراً

وله :

ان تحسبونى من احسابكم رجلا فالمندل المصطفى نوع من الخشب
أنى تحياون فضلى عن معادنه متى استحال نحاساً معدن الذهب

---

(١) هذه القصيدة تشبه قصيدة ابن عمار الأندلسى وابن عنين الدمشقى .

والدين والخيم والعليا تعرفنى أخرى بغدر وفاء المنعم الحدب

وله من قصيدة إلى ابنه شكيل :

قل للشكيل وسله ما المعنى بان أشقى بها وأنا المقيم ببابها
فاذا هوت دلوى تريد قليبها جات بجندلها معـا وترابها
وإذا بهـا أدلى سواى دلوه جاته مترعة إلى أكرابها(١)

وله من أخرى :

عظيم يهول الأعظمون لعزه فطلبه من كل أمر عظيمه
تاخر من جاراه فى حلبة العلى وقدمه إقدامه وقـديمه
كتائبه قبل الـكتائب كتبه ويغنيك عن بطش الهزبر زنيمه
فلولاه لم يثبت على الحمد حاؤه ولا وصلت يوماً إلى الدال ميمه
تميد قلوب العالمين وارضهم إذا ما سرت اعلامه وعلومه
يبيح لعافيه كرائم ماله ويمنع من أن يستباح حريمه
واحيا بلطف الرأى منه ومعظم العطايا رجائى فاستقل رميمه
يشكل فى إكرامه كل زائر ويسأل هذا جازه أو حميمه

وله فى جياش بن نجاح :

عد إلى الاغتباق والاصطباح وانج فى القصف من نصيح ولاح
واسقنى الراح أنها تجلب الروح وريحانها إلى الأرواح
قهوه طال عمرها فهى مما عتقتها الدنان للوضاح
نزلوها وأمتد منها بجو الليل نور أغنى عن المصباح
ما يزيل الهموم مثل اصطباح فى صباح لدى وجوه صباح

---

(١) الجندل الصخر والاكراب جمع كرب الحبل يشد فى وسط العراقى ليلى الماء فلا يعفن الحبل الـكبير فى الدلو .

وهو جرم أبو حنيفة قد رخص ... فيه قدما به من جناح
أو ترى الديك كالبعير وكا ... لأرض السموات أوفاتك صياح
وارع عينيك فى عيون من الدهر ... حلاها نور كنور الأقاح
من بنى عوهج منعمة الأطراف ... ريا الارداف غرثى الوشاح
شفتاها نقلى وماء ثناياها ... مدامى وخدها تفاحى
كيف يصحو من سكرة من لحاظ ... ورضاب عذب وقدّ رداح
قلت لما تكنف الروضة الأفراح ... والحسن من جميع النواحى
هذه الجنة التى وعد الله ... وما عن نعيمها من براح
وكانا فيها اختلسنا نسيما ... من سجايا جياش بن نجاح
فهو كان الذى يروقك حسناً ... لا رياض ولا نسيم أقاح
علم الجد ذى الفضائل فخراً ... لا مه المرتضى الفتى الجحجاح
غافر الذنب مسعر الحرب جالى ... الكرب غوث الموتور عون الجاح
لفظه فى الصحائف السود تغنيه ... وتكفى عن سل بيض الصفاح

ومنهم الشريف الأمير شكر بن حسن أمير الحرمين(1) قال :

---

(1) كان يلقب الأمير شكر فخر المعالى أو تاج المعالى شكر بن أبى الفتوح أصله من ملوك مكة السليمانيين نسبة إلى سليمان بن الحسن المثنى بن الحسن السبط « صبح الاعشى ج ٤ / ٢٦٨ — ٢٦٩ » تولى شكر ولاية مكة بعد موت أبيه سنة ٤٣٠ هـ وتمكن من بسط نفوذه على المدينة وأقام الدعوة المستنصر العبيدى صاحب مصر واستمرت الحال على ذلك حتى سنة ٤٥٣ هـ فراسله الملك الكامل على بن محمد الصليحى وحذره مغبة خروجه ثم تبودلت بين الطرفين مراسلات تنطوى على كثير من التهديد والوعيد من ذلك قصيدة للشريف شكر بعث بها إلى الصليحى جاء فى أولها .

لتفليق الجماجم والرءوس ... واقحامى خميساً فى خميس

وصلتنى الهموم وصلَ هواك   وجفانى الكرى جفاء لقاك
وحكى لى الرسول أنك غضبى   ياكفى الله منكم شر ذاك

ومنهم الشريف الأمير السيد العالم على[1] بن عيسى بن حمزة السليمانى وهو الذى رثى المأربى والده عيسى .

حدثنى الفقيه أبو على الحسن بن على الربعى قال كنت فى الحرم الشريف جالساً مع الشريف على بن عيسى وهو يومئذ رأس الزيدية بالحرمين حتى بلغه أن قوماً من الزيدية من حاج اليمن أمرهم إلى السجن

= فأجابه عمرو بن يحيى بن أبى الغارات الهيثمى على لسان الملك على بن محمد الصليحى بقصيدة عصماء أولها .

دم الأبطال فى اليوم العبوس   مدامى لا شراب الخندريس

« انظر الصلحيون ص ٧٩ » ومن شعر الأمير شكر مارواه ابن الأثير فى كاملة ج ١٠ / ض ١٢ » قوله .

قوض خيامك عن أرض تضام بها   وجانب الذل إن الذل مجتنب
وارحل إذا كان فى الأوطان منقصة   فالمندل الرطب فى أوطانه حطب

(١) يضبطه ياقوت فى معجم البلدان بضم العين المهملة وفتح اللام وتشديد الياء فى كل ماجا ذكره فى كتابه وضبطه أيضاً بالحرف ، ونفى ذلك الفاسى فى تاريخ مكة ج ٦ - ٢٢٠ حيث حدثه بذلك شيخه مجد الدين صاحب القاموس أن ضبطه كما فى ياقوت قائلا : وهذا بعيد أن يقع من الأشراف لفرط حبهم لعلى فلا يصغرون اسمه ولم أر ذلك فى شىء من الكتب المؤلفة . وتوفى على ابن عيسى فى نيف وخمسين وخمسمائه وهو فى عشر الثمانين

وفى تاريخ مكة للفاسى ج ٦ — ٢١٢ على بن عيسى بن حمزة بن وهاس بن أبى الطيب الشريف السليمانى أبو الحسن المكى المعروف ابن وهاس هكذا نسبه العماد الكاتب فى الخريدة قال وهو من أهل مكة وشرفائها وأمرائها من بنى=

فكتب الشريف على بن عيسى أبياتاً إلى الأمير هاشم بن فليتة بن قاسم أمير مكة يشفع فى القوم فوهبهم له وأمر باخراجهم إليه منها .

أبا قاسم شكر امرىء لك نصحه ... تفكر فيها خطه فتحيرا

على أى ما أمر تساق عصابة ... إلى السجن والوا جدك المتخيرا

ولم يعدلوا خلقاً بكم آل أحمد ... ولا أنكرو إذ أنكر الناس حيدرا

أتاك بهم ماطن فى مسمع الورى ... وسارت به الركبان عدلا ومفخرا

يجرون أطراف السريح على الوجا ... مناقلة بين الهواجر والسرى

لك الله جاراً من قلوب تطايرت ... حشاة ومن دمع جرى فنحدرا

ومن كل أواه وأشعث مخبت ... إذا صد عن قصد البنية كبرا

ومنهم الملك العادل أبو الطامى جياش بن نجاح صاحب زبيد وهو من المكثرين المجيدين ورأيت ديون شعره مجلدا ضخما وله ترسل

= سليمان بن جس وكان ذا فضل غزير وله تصانيف مفيده وقريحة فى النظم والنثر مجيدة قرا بمكة وبرز عليه وصرفت اعنة طلبه العلم إليه توفى فى أول فى سنة ست وخمسمائة فكان الناس يقولون : ماجمع الله بين ولاية عيسى وبقاء ولاية الأمير بن عيسى بن فليتة على بن عيسى .

ومن شعره ما مدح به شيخه أبا القاسم الزمخشرى :

حيث يقول :

وأحربان تزهو زمخشر بامرىء ... إذا عد من أسد الشرا زمخ الشرا

جميع قرى الدنيا سوى القرية التى ... تبوءها دارا فداء زمخشرا

وللزمخشرى فى ابن وهاس يمدحه :

ولولا ابن وهاس وسابق فضله ... رعيت هشيما واتقيت مصرنا

ولاجل ابن وهاس صف الزمخشرى : الكشاف وغيره

جيد[1] ومتوسط بعيد من الكلفة رأيت منه عدة مجلدات وهو كتاب ممتع

فمن شعره قوله .

وتحسدنى قومى وأكرمهم فهل … سواى حوى الإكرام منه حسوده

ولو مت قالوا أظلم الجو بعده … وغاض الحيا الهطال إذ غاض جوده

وله يذم أصحابه .

ما انتظار الدجال إذ أنا ألقى … اليوم كم من مداهن دجال

ليس فيهم من سائل عن صلاح … لى ولا من مقصر فى سؤال

وله :

إذا كان المرء حلم عون عدوه … عليه فإن الجهل ابقا وأروح

وفى الصفح ضعف والعقوبة قوة … إذا كنت تعفو عن كفور وتصفح

وكتب إليه الحسين بن على القمى :

يا أيها الملك الذى جرت له … غلب الملوك نواكس الأذقان

أترى الذى وسع الخلائق كلها … يا ابن النصير تضيق عن إنسان

فأجابه جياش

لا والذى أرسا الجبال قواعدا … ذى العزة الباقى وكل فان

ما إن تضيق برحبنا لك منزل … ولو أنه فى باطن الأجفان

وله :

تذوب من الحيا خجلا بلحظى … كما قد ذبت من نظرى إليكا

أهابك ملأ صدرى إذ فؤادى … بجملته أسير فى يديكا

ومما أجاد فيه قوله :

كثيب نقاً من فوقه خوط بانة … بأعلاه بدر فوقه ليل ساهر

---

(1) له رسالة إلى مؤدب أولاده اثبتناها فى تعليقنا على قوة العيون .

ومن مشاهيرهم عمرو بن يحيي بن أبى الغارات الهيثمي(١) شاعر الداعى على بن محمد الصليحى قال على لسانه :

سلى فرسى عنى ودرعى وصعدتى ... وسيفى إذا ما المشرفية سلت
أنا ابن ربيع المنشدين محمد ... إذا المعصرات السود بالماء ضنت
وسميت فى قومى علياً لأننى ... علوت فاحذيت الكواكب همتى

وقال على لسانه أيضاً .

جفى النوم عينيك اشفارها ... وقد كان لولا العلاجارها
وقلت لنفسى إن الحياة ... على العيب مسبلة عارها

وله على لسانه :

الحزم قبل العزم فاحزم وأعزم ... وإذا استبان لك الصواب فصمم
واستعمل الرفق الذى هو مكسب ... ذكر القلوب وجد وأجمل واحلم
واحرس وشن واشجع وصل وامنن
وصل واعدل وانصف وارع واحفظ وارحم
وإذا وعدت فعدبما تقوى على ... انجازه وإذا أصطنعت فتمم

وقال وقد رحل على بن محمد من صنعا واستخلف فيها ابنه المكرم

مالمن فارق الأحبة عذر ... إن نهى دمعه عن الفيض صبر
إن سيف الأمام كالبحر ذى الموج ... له فى البلاد مد وجزر
ولأن ساءنا فراق على ... فلنا فى محمد ابنه(٢) مايسر
ذاك بحر سقى به مكة الله ... وهذا لوفد صنعاء بحر

---

(١) كان له ديوان شعر ذكر ذلك ابن سمرة ص ١٠٦ ولم نعثر عليه بعد .

(٢) فى الصليحيون فبا حمد ابنه الخ وفيه زحاف وفى الأصل فبمحمد

صححنا ما ترى

ومنهم السلطان عبد الله بن يعلى الصليحى صاحب حصن خددله من قصيدة فى رجل ادعى أنه شاعر ومدح الملكة الحرة بما لم يستحق عليه جائزة فاستشفع به قوله.

قاس الأمور فلم يجد فى فكره ... أمراً يقوم بواجب من عذره
فضا يلفق راتقا من نثره ... وشرى ينفق كاسداً من شعره
ويظن أن حقوقك ابنت أحمد ... جل تقوم هوى وهى من قدره
هيهات منك وفوق ذاك وأنه ... قسما بحقك عاجزاً عن شكره
إن الذى يلق الصنيع بجحده ... مثل الذى يلقى الآله بكفره
ومتى أخل بواجباتك شاعر ... عن قدره هدمت مبانى فخره
إن الصنائع فى الكرام ودائع ... تبقى ولوفنى الزمان بأسره

ومنهم الصليحى على بن محمد القائم باليمن وكان ينبغى تقديمه قال :حين عزم على السفر إلى العراق : ويقال انها لغيره على اسانه .

وألذ من قرع المثانى عنده ... فى الحرب ألجم ياغلام وأسرج
خيل باقصى حضرموت أشدها ... وزئيرها بين العراق فمنبج

ومن شعره :

انكحت بيض الهند سمر رماحهم ... فرؤسهم عوض النثار نثار
وكذا العلا لايستباح نكاحها ... الا بحيث تطلق الأعمار

ومنهم القاضى العثمانى (١) قال من قصيدة أولها :

---

(١) العثمانى أسمه أحمد بن محمد من ولد الخليفة عثمان بن عفان قدم اليمن من العراق وكان بالبصرة ونزل على آل عبد المدان الحارثيين بنجران وكان عليه تواضع وهيبه وعفاف فلجأ إلى آل أبى طاهر إذ كانوا مقصد العافى وملاذ اللاجى وأمل الراجى فتظاهر بما أقنعهم منه فأعالوه وعياله وكانوا اماله وماله إلى أن بلغ نصرانياً بنجران كان من الأغنياء وأهل البصر والاسراف واللعب بالأموال يقال له رشد بن عبد الواحد أنه يتظاهر بالعفه تمويها على رايه =

ان من يعرف ايام الصبا صدّ اذ أبصر شيبي وصبا
والذى تعرف مهرى أدهماً انكرته اذ رأته اشهبا
إخوتى هبوا فقد هبت لنا نغم الطير وانفاس الصبا

=وتسترا على آل أبى طاهر وأنه يرى شرب الخمر، اتفق له ذلك فاخبر أحمد بن محمد الدوارى وغيره أن النصرانى بعث إلى العثمانى غلاماً له بقارورة من شراب قد خفى لونه وريحه . وقال له : يقول لك مولاى ، ما هذا الدهن فإنه لا يعرفه ودفع له رقعة ، وقال له إذا تعرّف مافى القارورة فادفع إليه الرقعة فاتى العثمانى بالقارورة فصب ما فيها فى راحته وتذوقه ودفع إليه الرقعة وإذا فيها .

لست أدرى من رقة وصفاء هى فى الكأس أم الكاس فيها

فشرب ما فى القارورة وكتب على ظاهر الرقعة :

قد اتقى يا ابن الأكارم راح هى راح لا بل علت تشبيها
ثم شعشعتها فلم اتبين هى فى الكاس أم الكاس فيها
فتمنيت أن غدوت جليسا أو أنيساً عبداً لمستعمليها

فلما رجع الغلام بالجواب بعثوا إليه ببغلة فركب وأتى مجلس النصرانى وفيه ندماء وكان ينادمه سلاطين بنى عبد المدان منصور بن المهلب ونباتة بن منصور بن منيع فاختلط بهم فأنسوا إليه وقال أشعاره الجهرية السيارة فى البلاد فى منادمتهم وكشف قناعه لآل أبى طاهر حين وثق بأخا المدانيين والنصرانيين فراح إلى منزله بينهم جهاراً سكران ثم قال قصيدة أولها .

قم فاسقنيها يا ابن عبد يسوع صهباء صافية كاون دموعى
واخلع عذارك عالماً أن الذى قد فاز باللذات غير خليع
وارشد بنا ما دام رشداً باقياً فى عزة ونباتة ابن منيع

ومنها فى كشف عتوه وعناده :

وشربت حتى صرت ليس بعارف من أين جئت ولا إلى أين رجوعى=

. . . .

= وظللت أنشد من لقيت بسكرتى   أين الطريق لدرب آل ربيع
غيظاً اسقى يحـرم شربهـا   بعـد الصلاة وغيظ آخر شيعى

ثم تمرد وتجرد فقال :

حرموها بعد ما قد قبضوا   ثمن الطابة ماء أطيبا
وأحلوا بيعها مرهوطة   لو أرادوا الحل باعوا عنبا
رب من يجهل منا رشده   لا يرى الحق إذا ما وجبا
يحتيسها وقت ريعان الصبا   ويخليها إذا ما اضطربا
كالتى فى رمضان لم تصم   بلها منها وصامت رجبا

ثم قال قصيدته الرائيه التى أولها ما العيش وستأتى فى الأصل

وقد أجابه أبو منصور محمد بن عبدون البصرى الذى قدم إلى نجران بقصيدة أولها .

لعبت بلبك كاعب وعقار   وأسـال ماء حياك الخمار
وسرت إليك يد الأمانى إذ سرت   وارتك أن الموبقات صغـار
وصبا فؤادك فاستقدت لمعشر   حسووا الكؤس فقلت هم اخيار
وأتاك إبليس يجر رداءه   لما رآك وما عليك وقار
فلقيته نشوان مسلوب الحجا   فى حالة تزهو بهـا الفجار

وهى أكثر من هذا وامتدح العثمانى قواد الحبشة وملوك عدن والصليحين فلما قتل على محمد بن الصليحى بالمهجم من سردد قلب المجن للاصلوح . فهجاهم وهنأ سعيد بن نجاح والحبشة بقتله كما ياتى فى شعره ولما بلغ المكرم شعره خاف العثمانى فهرب فلم تقبله الأرض حتى استامن له القاضى عمران بن الفضل اليامى

روى ادريس بن حسن بن عبد الله بن الالف فى كتابه «العيون» أن الملك المكرم لما ظفر بابن نجاح الأحول وقتله وقتل الحبشة ونفاهم طلب العثمانى =

. . . .

= وبذل فيه الأموال الجزيلة فنجا العثمانى من بلد إلى بلد حتى انتهى إلى نجران وعلم أنه لا ينجيه الهرب وأيقن أنه مدركه بالطلب وكان العثمانى قد سمى له ولدا (عمران) وجعله سميا لعمران بن الفضل اليامى ، وعمران بن الفضل صاحب الأمر عند الأمير المكرم وأمير الجيوش وله الوزارة والتصرف فى جميع بلاد المكرم فصنع العثمانى قصيدة وانفذ بها ولده ، المسمى عمران ، إلى عمران بن الفضل وهو يومئذ فى المنظر من ضواحى صنعا ، هى الروضة ، والملك المكرم فى صنعاء فتقدم عمران بن الفضل إلى الملك المكرم وابن العثمانى صحبته

وكانت عادة عمران بن الفضل إذا دخل على الملك المكرم أن يقوم له الملك المكرم لاقباله وينزل من سريره ويأخذ بيده فيصعده إلى السرير معه فلما نزل الملك المكرم عن السرير كعادته وأخذ بيده ليصعده إلى السرير فقال عمران بن الفضل : لا أفعل حتى تقضى لى حاجتى فقال الملك المكرم هى مقضية ولو كانت فى أمان العثمانى فقال عمران ذلك أريد وهذا الغلام ولده ومعه قصيدة وصعد السرير وقام الغلام فانشدها قال الملك المكرم بعد تمام النشيد إن صدقنى ظنى فانك تجد أباك قد هلك انى أجد هذا الشعر من آخر نفسه فوصل الغلام وقد هلك أبوه

والقصيدة قرابة أربعين بيتا أوردها صاحب العيون بأكلها كما ذكر منها ابن أبى الرجال وهو ما اقتطفناه كما يلى واعتقد أن الملك المكرم أرسل من يغتال العثمانى فأتى بتلك الكلمة كبير له ، وحرى أن يقتله ، وهذا بعض ذلك الشعر الذى يصف فيه خوفه وجزعه أوله .

ماذا ترد على الركبان عدنان إن لم تجد بجميل الصنع قحطان
بالبيت شعرى يا ابن الفضل مالكنا هل عندكم لعظيم الذنب غفران =

فاصرفوا الهم عن أضيافكم(١) وخذوا من عيشنا ماوهبا
ضم شمل الود منا مجلس ترقص الأركان فيـه طربا
كل سمح الكف لو تسأله كلما يملك جودا وهبـا
رب شمطاء تركناها وقد ركد الليل وأرخى الطنبـا
قالت الطارق من قلت أنا واصيحابى وقالت مرحبا
ثم أومت نحو مصباح لها كاديخبو سحراً أوقد خبـا
دفعت فى صحن دن خلت فى جنبات البيت منها لهبـا
فسقونى منه حتى صرت من سكراتى احسب مهرى ارنبا
ان من قد عانها من بعد ما عتقت فى دنها لى حقبا
يحتسيها عند ريعان الصبى ويخليها إذا ما اضطربا
كانى فى رمضان لم تصم بلها منها وصامت رجبا
قل لعبد القيس يا أكرم من مد كفا بحياء واحتبا
فارس الخيل إذا ماركبا اكرم الناس إذا ما وهبا
أصبحت نجران لى مرتبعا والمدانيون أما وأبا
فى بها ليل صحوا أو سكروا اكرمونا واهانوا الذهبا

= ومنها:

يوما احصر(١) جـــدى يخيل لى عن حيث سرت بأن الأرض نيران
وكل صادحة للطير صارخة وكل رنانة فى الأرض مران
وإن عنت لى عين قلت عينة وإن بدت لى ظباء قلت فرسان
حتى كان نجوم الروض من جزع ولامع البرق أسياف وخرصان

ومنها:

تقول بنتى أمعن فى الفرار وهل من ابن اسماء يغنى اليوم امعان

(١) هنا مزق فى الأصل فلم نضع ذلك إلا حدساً.

(١) هكذا فى الأصل وفى العيون: قوما احصر حدتى انى يخيل لى الخ وكلاهما محتاج لفضل نظر

وله فى على بن محمد الصليحى لما قتله سعيد بن نجاح من قصيدة قالها ارتجالا

بكرت مظلته عليه فلم ترح　　إلا على الملك الاجل سعيدها
ما كان اقبح وجهه فى ظلها　　ما كان احسن راسه فى عودها
سود الأراقم قاتلت اسد الشرى　　يارحمتا لأسودها من سودها (١)

ولما طلب بسبب هذه الابيات هرب وقال من نطعة وعنى الصليحى:

قتلته حرابة ابن نجاح　　وطلبتم بثاره العمانى

وله:

ما العيش الا كاعب وعقار　　واكارم نادمتهم اخيار
قم فاسقنى بالكاس من تلك التى　　أهل النهى فى وصفها قد حاروا
وأشرب ولايلحقك خوف عقوبة
فيها فرب حسابها غفار
خذها فان حلت أصبت وأن تسكن　　حرمت فمحو ذنوبها استغفار
لاتصرفوا عنى الكبير فإنما　　فى شرب كاس كبيرها إكبار

---

(١) ومن القصيدة:

ياسيف دوله دين آل محمد　　لاسيف دولة خيبر ويهودها
لاقيت يوم السبت تقدم فتية　　تلق الردى بنحورها وخدودها

ومنها:

صبراً فلم يك غير جولة مرود　　حتى أنطفت جمرات ذات وقودها
ورأيت أعداء الشريعة شرعاً　　صرعى وفوق الرمح رأس عميدها
أوردتها لهب الردى وصدرت فى　　ظلى مظلتها وخفق بنودها
ياغرة لعلى بن محمد　　ما كان اشأم من صدى غريدها

ومنها:

واراد ملك الأرض قاطبة فلم　　يظفر بغير الباع من ملحودها =

لو كان فيها ريبة ماكان فى جناتة منها لنا انهار(١)

ومن مديحها فى بنى فى عبد المدن :

وأخافنى ملكى فلما زرتم أصبحت أقصد مثلهم وأزار

ومنهم الشيخ اسماعيل بن محمد المعروف بابن النوقا ونال وزارة القلم للملك جياش بن نجاح ثم للملوك من اولاده وهم الفاتك بن جياش بن نجاح والمنصور وعبد الواحد ومامنهم إلا من أكرامه وعظمه وكان فى نفسه سيدا رئيساً جليل القدر واسع الخير بماله وجاهه مأمون الغائلة ظاهر المحضر والصدر واللسان وأدركت أولاده بزبيد سعيد وسعد وعبد المفضل وعبد المحسن ولهم من نباهة القدر وارتفاع الوجاهة وبعد الصيت ماهو مشهور لهم معروف منهم وعنهم وشعر أبيهم اسماعيل كثير يتغنى بغزله رشاقة ويتمثل بجزله وثاقة فمن غزله قوله :

عند روض الربيع لى أوتار تقتضيها الصهباء والأوتار

اضحى على خلاقها متعظماً جهلا فالصق خده بصعيدها

تمساً لأيام الروافض إنها رفضت مروتها لنقص عهودها

ما كان أكذب شعرنا فى مدحها ما كان أنزر حظنا من جردها

(١) لولا أمانه النقل لكان الواجب حذف هذة الأبيات لانها تحريض على ارتكاب أم الكبار ومن القصيدة .

أفبعد ماصروا على أئمانها عابوا القد قلبوا الحديث وجاروا

ومنها فى المديح

قوما انحرا إبلى فقد طابت لنا بجرانهم ورجالها والدار

جاورتهم ضيفاً فحين ألفتهم طابت لنا بلد وقر قرار

ومن غير الغزل قوله فى مطلع قصيدة تخرج فى مدحها إلى الشريف يحيى بن حمزة السليمانى :

يا طاوى الفلوات طى المدرج عج نحو منعرج الكثيب وعرج

وشعره كثير طيب وهو باليمن موجود

ومن الطارئين على اليمن وليس من أهلها مصطنع الدولة مواهيب ابن جديد المغربى ومدح الملك المفضل بن أبى البركات بن العلا الحميرى بالصريحين[1] سنة ثلاث وخمسمائة وكسب منه ومن الحره مالا جسيما وخرج فى الهدية المسيرة من اليمن إلى مصر سنة أربع وخمسمائة ونهبت الهدية بناصع[2] وذهب مال ابن جديد فيما أخذه نمار بن ملك السلى[3] فمما مدح به المفضل قصيدته القافية ووصله عليها بألف دينار وهى :

هذى الخميلة للربيع المونق من وشى ذاك البارق المتألق

فانظر إلى زهر الرياض وضحكها من فيض دمع غمامه المترقرق

سحبت عليها السحب شملة مرعد وطفا مذهبه بقدحة مبرق

فكأنه والماء فيضى الحيسا متبجس من عسجدى محرق

غمر الرياض فكل وشى قراره منه يزر على غدير متأنق

وكأن جدوله المرقرق صفحة سيف تشرب من خلال الغلفق[4]

نشر الربيع عليه مطوى الثرى من سندس خضر ومن استبرق

والطل ينـــد والطل من عذباته والورق تسجع فى الأراك المورق

---

(١) الصريحين ساحة فى ذى جبلة .. انظر طبقات ابن سمرة

(٢) ناصع بلدة فى الحبش على الساحل وهى المسماه مصوع واعلها باضع بالباء الموحدة والضاد المعجمة آخره عين مهملة راجع صفة جزيرة العرب باخراجنا

(٣) فى الأصل هكذا ولم يظهر .

(٤) الغلفق كجمع الطحلب أو هو نبت فى الماء ورقه عراض .

والراح تنفث فى العقول يسحرها ... من راح ساجى المقلتين مقرطق
أبداً يقرطس فى القلوب بلحظه ... سهم الرمية وهو غير مفوق
وإذا تعود فى حيث حيث رمى بها ... جعل السهام فاين أين المتقى
رشأ نهانى الشيب عنه فلو أتى ... زمن الشباب لقال دونك فاعشق
أصبى إلى الود فى زمن الصبا ... ولقد تلون إذ تلون مفرقى
فئوآده شعرات فودى ثم لما ... حلن حال فما بقين ولا بقى
والشعر مثل الشعر يسعد اسودا ... فاذا تبيض عاد بالحظ الشقى
فى كل يوم للقوافى عثرة ... يشقى بها حظى وخجلة يطرق
فاشدد عرى بن العزم فوق مصبر ... فى الخلق موار السواعد أورق
طرحت له كرة السرى فدحا بها ... بالصولجان بمنسم وبمفرق
أو صلته البلد الحرام وللمنـــا ... بالعفو من ذى العرش احسن موثق
فقضيت محتسبا فريضة ناسك ... لافعل مكتسب ولا متسوق
وتلفتت بغداد ترجو مقدمى ... فعل المحب إلى الحبيب الشيق
فرفضتها شوقا إلى ذى جبلة ... وتركت كل ملوك أهل المشرق
وجعلت انتقد الكرام واصطفى ... ملكا يليق به المديح وانتقى
فقصدت افضلها المفضل قادماً ... نحو المقدم زاهداً فيمن بقى
فليعـــلموا أنى تركت ثمادهم ... قصداً الى هذا السحاب المغدق
وظفرت بعدهم باحسن منهم ... بالملك والشرف الرفيع والبق
وحللت بالمتبرع البطل الجواد ... المـــاجد المتخلق
فهمت سحائبه على ولاح لى ... فى وجهه ضوأ الصباح المشرق
ولثمت موطىء رجله فتأرجت ... بالند من طيب الملوك وأعبق
ملك غدا تاجا فاحسن خلقه ... من صاغه وحباه أحسن مفرق
جمعت محاسنه إلى حسنانه ... فتالفت فيــه فلم تتفرق
طبعا بغير تطبع صنعا بغير تصنع خلقـا بغير تخلق
فالفخر ينطق من خلال جلاله ... من قبل مادحه وان لم ينطق

بطل إذا حضر العجاج تمزقت   لحسامه الأعـــداء كل ممزق

فذكا له بنـــواله فى ماله   كنكاله يوم الوغى فى الفيلق

تخشاه ايقاظا إعداه فإن ينم   وتراه فى حلم المضاجع تفرق

الطلق وجها والفوارس تدعى   والليث جاشا والمواكب تلتقى

والخائض الغمرات حيث تجمعت   فتفرقت بطعـــانه المتفرق

عمر المطاعم والسحاب بخيله   فسح المطاعن فى المجـال الضيق

ترك الملوك له الشجاعة والندى   رغما لأدرب فى الأمور واحذق

فسنانه وبنـــانه جعلا معا   اجل العدو ونجعة المسترزق

خضل البنان وما عجيب كيف إذ   لمس القنا بكفه لم يورق

وجنى ثمـار المجد وهى رطيبة   بالضرب من غصن الحسام المورق

فالملك من عزماته وحسامه   من خلف سور لا يرام وخندق

فاحلل به تفضل وسل تقبل   وقل تسمع وصفه على غلوك تصدق

واجلب إذا ترك الملوك محامدا   كسدت إلى سوق المقدم تنفق

وإذا عداك الرزق فاسئل كيف من   أجراه من كف المفضل ترزق

وإذا أراد الحميرى لك الغنا   وأبى الزمان وشاء لم يتعوق

من معشر طالوا بمفرع عزهم   أبدا على الشرف الرفيع ومفرق

دانت لهم صيد الملوك لمغرب   من خوف عزة بأسهم وبمشرق

وترفعوا عن قدر كل ممـــوه   ومهول ومدهثم وممخرق

مثل البحور مكارما ومتى ترد   شرا بهم ياذا الجهالة تغرق

يا ابن الوليد لقد أخذت من العلا   والملك بالسبب المكين الأوثق

فتح الرجا لكل طالب حاجة   من دون بابك كل باب مغلق

وحويت قدرا فى الزمان وقدره   لم تبق فوقك غاية فاسترفق

واعذر على العجز الملوك فلو بغت   وبغت مكانا نلته لم تلحق

وأصغ بسمعك نحو روض سحبه   من راحتيك ودهره من منطق

مدح سرى فى الأرض وهو مقيد   بك وصفه يا للأسير المطلق

دانت لك الدنيا ودامت فى ذرى عز ونيل علا وعزم موفق
فسهام مالك فى المكارم لم تزل ابدا تقرطس فى رجاء المهلق[1]

وقال فى المفضل :

يا مالك الدين والدنيا وأهلهما ومن بعزته الإسلام ممتسك
قدقيل جاور لتحظى البحر أوملكا وقد فعلت وأنت البحر والملك

ومن شعراء اليمن ثم من تهامه بنو أبى عقامه وهؤلاء بنو أبى عقامه أهل[2] رياسة متأثله فى اليمن من أيام ابن زياد ولم يزل الحكم فيهم يتوارثونه إلى أن زال عنهم بزوال دولة الحبشة من زبيد سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، وما زال فى كل عصر منهم عالم مبرز وحبر مصنف ، وخطيب مصقع وشاعر مفلق ، وإمام مدرس . فنهم القاضى أبو محمد الحسن بن أبى عقامة . وهو كبير فى بيتهم ، وكان فقيهاً شاعراً إماماً فى العربية واللغة ، وقتله الملك جياش بن نجاح خلف زبيد ، وقد ولى القضا فى زمانه ، وبسبب قتل جياش له يقول ابن القم الشاعر :

أخطأت يا جياش فى قتل الحسن فقأت والله به عين الزمن

وفيه يقول :

تفز إذا جر المكرم رمحه وتشجع فيمن ليس يحلى ولا يمرى

والعقاميون ينقمون هذا البيت على ابن القم ويقولون قتل صاحبهم أهون عليهم من كونه لا يحلى ولا يمرى .

---

(١) المهلق : المتسرع .
(٢) يقال إن لهم بقية فى مدينة القطيع من تهامة شرقى الحديدة .

ولما سمع هذا القاضى أبو محمد الحسن بن أبى عقامه قول المعرى(١) وكان معاصره :

إذا ما ذكرنا آدماً وفعاله وتزويجه ابنيه بنتيه فى الدنا(٢)
علمنا بأن الخلق من أصل زنية وإن جميع الناس من عنصر الزنا

فأجابه بقوله :

لعمرك أما فيك فالقول صادق وتكذب فى الباقين من شط أودنا
كذلك إقرار الفتى لازم له وفى غيره لغو بذا جاء شرعنا

ثم انتقلت رياسة البيت حكماً وعلماً إلى القاضى الأجل أبى الفتوح ابن على بن محمد بن على بن أبى عقامة واحد عصره قياماً بالعلم، وصنف فى المذهب والخلاف لم يفقه أحد من أهل عصره بعد تصنيفها إلا منها .

ومن شعراء اليمن المجيدين المكثرين فى كل فن ولد لهذا أبى الفتوح ، وولى القضاء فى الأعمال المصاقبه لزبيد مثل حيس وفشال ، وكان جواداً مداحاً ممدحاً يخلع على الشعراء ويغنيهم ، وفيه يقول القاضى الحلس أبو المعالى عبد العزيز بن الحسن بن الحباب حين دخل اليمن فى أيام الراهب (٣) من قصيدة ، وكانت بينهما صداقة ومودة :

---

(١) المعرى أشهر من أن ينوه به فهو أحد فلاسفة العرب المشاهير ورابع الشعراء المجيدين والذين يضرب بهم المثل وكلهم يمانيون وهم أبو تمام حبيب بن أوس الطائى وأبو عبادة الوليد بن عبادة البحترى وأبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفى المشهور بالمتنبى وهذا أبو العلا أحمد عبد الله بن سليمان التنوخى ثم من قضاعة ابن مالك بن حمير المتوفى سنة تسع وأربعين وأربعمائة والمعرى نسبة إلى المعرة بلدة عامرة إلى يومنا هذا من صقع الشام قرب حماة .

(٢) والمحفوظ فى الخنا .

(٣) كذا فى الأصل ولم يظهر .

ابنى عقامة لست مقتصدا   فى وصفكم بالمدح ما عشت
علقت يدى منكم بحبل فتى   ما فى مرائروده أمت

ومن شعره قوله فى رزيق الفاتكى الوزير :

نفسى إليك كثيره الأنفاس   لولا مقاساة الزمان القامى

وله :

تأتى المعالى من كتابك أكلف
وقد لاح طومار من النفس أحلف(١)

ومنها فى الفخر :

أصغ أذناو أنظر بعينك هل ترى   من الناس إلا من عقامة يردف

وضمن فقال :

ترى الناس ما مرنا يسيرون خلفنا   وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا(٢)

ومن مراثيه قوله فى أهله ، وقد زار مقابرهم بالعرق :

يا صاح قف بالعرق وقفة معول   وانزل هناك فثم أكرم منزل
نزلت به الشم البواذخ بعدما   لحظتهم الجوزاء لحظة أسفل
أخواى والولد العزيز ووالدى   يا حطم رمحى عند ذاك ومنصلى
هل كان فى اليمن المبارك قبلنا   أحد يقيم صغا الكلام الأميل
حتى أنار الله سدفة أهله   ببنى عقامة بعد ليل أليل
لاخير فى قول امرئ متمدح   لكن طغى قلبى وأفرط مقول

ومنهم القاضى أبو محمد عبد الله بن على بن أبى عقامة والد محمد الحفايلى ، وكان شاعراً مجيداً ولا أحفظ إلا قوله :

ما لهذا الوفاء فى الناس كلا   أتراهم جفوه حتى استقلا

ومن ترسله قوله فى القاضى أبى حامد بن أبى عقامة ابن عمه ، وقد شجرت

---

(١) الطومار الصحيفة .

بينهما منافسات على الحكم قوله : سل عنى قومك ونفسكُ ، ويومك وأمسك تجدنى معظما فى النفوس ، قاعداً على قمم الرؤوس .

وممن عاصرته وعاشرته وكاثرته من بنى أبى عقامة القاضى الفاضل الكامل أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، وكان يعرف بالحفايلى ، وهو من أسما المكتب ، وكان نبيلا فاضلا ، فقيها متكلما ، شاعراً مترسلا ممدحا ، وانتهت إليه رياسة مذهب الشافعى فى زبيد ، وإلى ابن عمه القاضى الحاكم أبى محمد عبد الله بن محمد بن أبى الفتوح ، فمن شعر هذا القاضى ما كتب به جوابا إلى أبى العزيز قوله :

رفقا فدتك أوائلى وأواخرى　　أين الأضاة [1] من الفرات الزاخر
أنت الذى نوهت بى بين الورى　　ورفعت للسارين ضوء مفاخرى

ومن شعره فى الحداثة قوله :

ونكره ما رأى الرائون مشبهها　　كأنما سرقت شيئا من الزمن
غيم وظل وروض مونق وهوى
تجرى مع الروح مجرى الروح فى البدن
غنت بها الطير ألحانا وساعدها　　رقص الغصون على إيقاعها الحسن
فقد سكرت وما الصهباء دائرة　　فيها ولا نغمات العود فى أذنى

ومن شعره قوله فى قصيدة أخوانيه :

تشتاقكم كل أرض تنزلون بها　　كأنكم لبقاع الأرض أمطار

ومما كتب به جوابا عن كتاب تشوقته فى أبيات منه وهو غائب قوله :

إذا فاخرت سعد العشيرة لم تكن　　لأحلافها إلا بأسلافها الفخر
وبيتك منها يا عمارة شامخ　　هوت تحته الشعرى ودان له الشعر

ومن عتابه :

عذرتك لو كانت طريقا سلكتها　　مع الناس أو لو كان شيئا تقدما

فأما وقد أفردتنى وخصصتنى   فلا عذر إلا أن أعود مكرما

ومن الطارئين على تهامة فلان المشهور بالغرنوق ، ومن جيد ما قاله قصيدة يمدح بها هذا القاضى المعروف بالحفايلى أولها قوله :

عذقت مقاليد الامامة   بالشم ال أبى عقامة

القوم راحة طفلهم   فى المهد تهطل كالغمامة

وإذا العروبة أسفرت   عن وجه مصقعة لثامه

هنى منابره الأذن به   وعزتها الاقامة

وهو القائل فى الوزير مفلح الفاتكى ، وكان حبشيا معلوطا (١) أكرم وجه خطه كف لاعط .

والأشابط بنو الأشبط عرب ريمه (٢) .

وقيل لم يأت فى اللغة لاعاط ، وإنما جاء عالط (٣) .

ودخل هذا الشاعر المدرسة عند الفقيه ابن الأبار بزبيد ، وقد تضايقت المجالس لكثرة الطلبة فارتجل قوله يخاطب الفقيه :

بجلسك الرحب من تزاحمه   لا يسع المرء فيه مقعده

كل على قدره ينال فذا   يلقط منه وذاك يحصده

وممن رأيته شيخا قد ناهز المائة الشاعر المعروف بابن مكرمان ، وهو من أهل جبال برع ، ورأيت أهل تهامه يكرمونه ويعظمونه ، ويحملون عليه ، ولست أحفظ له إلا قصيدة مدح بها الشريف الأمير غانم بن يحيى بن حمزة

---

(١) المعلوط بضم الميم وفتح اللام والواو المشددة وهو الذى يوسم بشر ويذكر بسوء وأما الألعاط فن لعط — وهى خطوط تخطها الحبش فى وجوهها .

(٢) فى الأصل بياض ولم يأت إلا التفسير تماما للبيت وريمه مشهوره وقد تقدم لها ذكر .

(٣) يقال [illegible] عاطا

السليمانى ، فأثابه عنها بألف دينار ، ولست أعرف من شعر أهل اليمن شيئا يسار مسيرها فى أفواه العامة وأولها :

ما عسى أن يريد منى العذول	وفؤادى متيم مبتول
همه الهجر للغوانى وقلبى	سلبته خريدة عطبول
وجهها أبلج ومبسمها در	ولكن الطرف منها كحيل
كيف صبرى وقد بدا لى من السـ	ـجف أثيث جعد وخد اسيل
ولها ناهد وخصر لطيف	وقوام شخت وردف ثقيل
تطلب العاذل المكلف يثنى	من هوى القلب وهو لا يستحيل
يا خليلى من ذؤابة قحطا	ن بن هود الآن جد الرحيل
إن بالساعد الخصيبة ملكا	طالبيا من زاره لا يعيل[1]
علويا متوجا هاشميا	حسنيا نواله مبذول
أنتم يا بنى البطين ليوث	وغيوث وأبحر وقيول
ما رنا طالب إلى مجدكم بالطر	ف إلا ثناه وهو كليل
ومتى هم أن يساويكم أعوزه	السؤدد العريض الطويل
يا سليل البطين والحرة الزاهرا	هى الطهر والحصان البتول
خمسة خصهم بتخصيصه الخالق	ربى وهو اللطيف الجليل
ما لهم سادس عداه الذى مد	عليهم كساؤه جبريل
ما ترى فى الملوك كالغانم الملك	ابن يحيى هيهات أين المثيل
أنت يا ابن الوهاس بدر معال	ماله مذ أضاء علينا أفول
لك خلق كأنه المسك عرفا	دونه فى مذاقه السلسبيل
حيث ما كنت أو حللت من	الأرض حليف العلا وأنت أهيل
لم أجالس إلا الملوك ولم أمد	ح سواهم ولم يجزنى السبيل

---

(١) الساعد بلدة فى مخلاف الحكم بن سعد العشيرة . وهو المخلاف السليمانى وهى الآن خراب لا تعرف .

إن تجوهرت فى المديح فإنى　　　أجد المدح واسعا فأقول

منكم يحسن الصنيع وأنتم　　　خير من يسأل العطا فينيل

ومنهم ولم أدركه الفقيه أبو العباس أحمد بن بحاره الحنفى ، وكان مبرزا فى علم الكلام والأدب واللغة شاعرا يحذو طريق أبى نواس فى الاشتهار بالخلاعة واجتاز ليلة وهو سكران بدار القاضى أبى الفتوح ابن أبى عقامة ، وكان القاضى فظا فى ذات الله عز وجل ، وابن بحارة يخلط فى كلامه ، فصاح عليه وليس عنده أحد من الأعوان . إلى هذا الحد ياحمار ، فوقف ابن بحارة مخاطبا للقاضى .

سكرات تعتادنى وخمار　　　وانتشاً اعتاده ونعار

فلوم من قال : إنى ملوم　　　وحمار من قال إنى حمار

ومن الشعراء المشهورين بالجودة الحكميون أل أبى الحسن وهم : الشيخ أبو الحسين وأخوه محمد الأعرج ، ومنهم على بن أبى الحسين وهو أشعرهم ، بل أشعر عرب تهامة ، وأنا أعرفه ورعاً ديناً جواداً مداحا عند منزله . وأما عمه الأعرج فكان كداحا مداحا لا يصحو حتى يقتنى ، ولم يحضرنى من شعره شىء مع كثرة ذلك باليمن .

ومنهم القاضى أبو بكر اليافعى[1] ، وأدركته جليسا وخصيصا للملكى اليمن المنصور بن المفضل والمتوج المعظم الداعى محمد بن سبا .

ومن شعره قوله يصف شعره :

شعر إذا أنشدته فى مجلس　　　فكأننى جمرته بالعـــود

---

(١) ترجم لليافعى — المؤرخ البهاء الجندى ترجمة ضافية جلها نقلا عن عمارة التى لم نجدها فى ثنا كتاب عمارة التى بين أيدينا مما يدل على اختلاف النسخ أو انه من كتابه الإنموذج نقتطف منها ما يلى : أبو العتيق أبو بكر بن الفقيه أبى عبد الله محمد بن ابراهيم اليافعى نسبا الجندى بلدا مولده سنة سبعين وأربعمائة أثنى عليه عمارة

. . . .

= ثناء مرضياً وكان به عارفا وله محافظاً فقال عند ذكره هو قاضى قضاة اليمن المنوطة به أحكام صنعا وعدن وزر للدولتين الزريعية تفقه بعلامة اليمن زيد بن عبد الله اليفاعى وأخذ الأدب على النعمانى والرشيد بن الزبير ولما عاد الرشيد إلى مصر سئل عن من فى اليمن من الفضلا فقال بها جماعة سيدهم أبوبكر اليافعى وقاه الله ورعاه .

وكان مجيداً له بديهة لا فضل فى الرواية خطيباً مصقعاً يرتجل من ساعته متى أراد مسدداً فى أحكامه سخى النفس حسن الاخلاق عالى الهمة مولفاً لأصحابه باذلا جاهه فى منافع الإسلام استوهب خراج أراضى الفقهاء الاجناد واستمر إلى عصرنا – أى عصر الجندى – نزيهاً من الحسد الذى يبتلى به كثير من مخالطى الملوك والرؤساء كما هو مشاهد وله ديوان شعر يدخل فى مجلدين معتدلين غالبه فى مدح الملك المنصور بن المفضل بن أبى البركات ابن الواليد الحميرى والملك محمد بن سبا الزريعى ويحتوى على الجد والهزل والرقيق والجزل ولما كان معظم شعره فى مدح الملك المنصور قال يخاطبه :

ولو أن للشكر شخص يرى　　　إذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه　　　فتعلم أنى امرؤ شاكر

وبلغه أن جماعة عابوه على قول الشعر وقالوا ليس ذلك لائقاً بزى الفقيه فقال .

كم حاسد لى فى الانام وغابط　　　على منطق إذا كان منطقه رخوى
يعيرنى بالشعر قوم وبعضهم　　　يوبخنى والكل يخبط فى عشوى
أرادوا به عيبى وهل هو ناقصى　　　إذا ماجمعت الشعر والفقه والنحوى
وأصبحت فى علم العروض مجوداً　　　وقدم قولى فى الحكومة والفتوى
وما كنت مداحاً لنفسى وإنما　　　لأجعل اكباد العدى بالغضا تكوى

استودع الله الذى ودعا … ونحن للفرقة نبكى معا
أسبل من أجفانه أدمعاً … لما رآنى مسبلا أدمعا
وقال لى عند فراقى له … ما أعظم البين وما أوجعا(١)

---

(١) قال الجندى : إن القاضى أبابكر قالها لما ودع أصحابه من بلدة يفرس المعروفة بالمعافر فى جبل ذخر التى بها قبر الشيخ العارف أحمد بن علوان الرعينى وبعد الأبيات .

ما أنت بعدى بالنوى صانع … فقلت لا أقدر أن أصنعا
ما يصنع الصب المعنى إذا … فارق إلفا غير أن يجزعا
فارقتكم يا ساكنى يفرس … ورحت والقلب بكم مولعا
ناديت صبرى يوم فارقتكم … أجد للبين وقد أزمعا
ياصبر عد ياصبر عد قال لا … لبيك لالبيك يامن دعا
والله لا أرجع يا غادراً … فى السير بالأحباب أو ترجعا
ولى فؤاد منذ فارقتكم … يمسى كئيبا مؤلما موجعا
ونفس صب شهدت أنه … ما نقض العهد ولا ضيعا
ومقلة مهما تذكرتكم … تذرف دمعاً أربعا أربعا
وليس لى من حيلة كلما … حثت بى الأشواق إلا الدعا
أسئل من ألف ما بيننا … وقدر الفرقة أن يجمعا

ومن أحسن ما أورده فى ديوانه مدحا لمنصور بن المفضل ذاكراً أن والده الملك المفضل هو الجار لغيل خنوة بكسر الخاء المعجمة واد عظيم من أعمال ذى السفال إلى مدينة الجند فقال من قصيدة فى مدحه فيها .

كثرت يا ابن مفضل حسادى … بصنائع أسديتها وأيادى
وانلتنى بنداك أسباب الغنى … فبلغت أوطارى ونلت مرادى
وفعلت لى مالس يفعله الأب … الحانى [illegible]

وشعره كثير مطبوع .

ومنهم نشوان بن سعيد[1] وهو شاعر لحل قوى الحبك ، حسن السبك ، وهو من شعراء أهل الجبل .

= فى كل يوم خلعة مشهورة ... كالروض تسخن أعين الأضداد
ومواهب عدد النجوم فلو درت ... زهر النجوم من حسادى
وأحب عندى من عطائك مابدا ... لى فى ضميرك من صحيح ودادى
فرضاك والود الذى تبديه لى ... خير من الاعطاء والارفاد
حسبى رضاك أعيش فى الدنيا به ... فرضاك عندى من أجل عتادى
فلا شكرن على الذى أو لبتنى ... شكر الرياض لمستهل عهاد
وأصبح شكراً مابدى من شاكر ... فى ربه أثر الصنيعة بادى
فهو الجواد بن الجواد وهل ترى ... ولد الجواد يكون غير جواد
وأبوه شاد المكرمات فاصبحت ... أعلامها فى الناس كالأطواد
وأقل مكرمة له وفضيلة ... اجراؤه للغيل فى الاجناد
شق الجبال الشامخات فاصبحت ... وكأنما كانت ثعاب وهاد
فاليوم أصبح ماء خنوة وهو فى ... الجند العزيزة منهل الوراد
فخر المفضل فى المفاخر كلها ... بمثابة الأرواح فى الأجساد

وأورد له الجندى قصيدة شكراً لله عز وجل تبلغ ثمانين بيتاً أولها .

لك الشكر يامن جل عن غاية الشكر ... ولو أنه أربى على الرمل والقطر

وكان وفاة القاضى أبى بكر اليافعى بمدينة الجند لتسع عشرة خلت من شهر رمضان سنة ٥٥٢ اثنتين وخمسين وخمسماية عن اثنين وثمانين سنة .

(١) هو الأمير الكبير والإمام الضليع أبو سعيد نشوان بن سعيد ابن عبد الرحمن ينتهى نسبه إلى ذى مراند أحد اقيال حمير المشاهير ثم إلى الملكة السيدة بلقيس بنت الملك الهدهاد كما جاء فى قصيدته المشهورة

أوذو مراثد جدنا القيل ابن ذى سحر أبو الأذوا رحب الساح

ثم ساق نسبه فى شرحها :

وأمه من ولد أبى عشن من اقيال همدان أو من ذى رعين على خلاف بين النساب فهو من بيت مملكة عريق كريم الطرفين .

نسب كأن عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا

وله أربعة أولاد كلهم علماء نجباء أدبا فضلا ولهم بقية إلى يومنا هذا منهم آل الحيمى وزرا الدولة القاسمية ومنهم صاحب عطر نسيم الصبا . والمطبوع بصنعا بتحقيق السيد العلامة أحمد بن أحمد المطاع ومنهم صاحب الرحلة الحبشية المطبوع بالقاهرة ومنهم شيخنا العلامة لطف بن محمد الحيمى المتوفى فى السبعينات .

ترجم لنشوان ابن القفطى فى انبائه ج ٣ ص ٣ ، وفى أشارة العين ورقة ٩٦ ، وبغية الوعاة ٤٠٣ وتلخيص ابن مكتوم ٢٦١ ، وكشف الظنون ٢٠٦١ ، ومعجم الأدباء ١٩ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، وأبو مخرمة والخزرجى وغيرهم .

وقد عن لى فى هذه الوريقات أن انتهز هذه الفرصه فالقى دلوى بين الدلآ لأحلى جيد هذا التعليق بتقصار علم من أعلام اليمن ومفخرة من مفاخره التى جادت لنا به تربة اليمن العزيزة الخصبه وأورد شيئاً من أخباره وأشعاره بقدر مايتاح لنا المقام لم تسمح المصادر التى تحت أيدينا على القاء ضوء لتحديد زمن مولد الأمير نشوان وأحسب أنه ولد فى طليعة القرن الخامس الذى به انتهت دولة بنى الصليحى الذين كانوا وعلى رأسهم الملك الكامل أبو الحسن على بن محمد الصليحى قد صهروا اليمن فى بوتقة واحدة وانتظم فى سلك منضد توج به الخضرا متلاليا فترة من الزمن ثم اختفى ذلك النور وعادت إليه تلك الظلمة القاتمة والتفكك والفوضى الشاملة وتمزقت البلاد إلى مقاطعات وإمارات ودالت دولة المنافسة والتناحر .

. . . .

كما لم ترشدنا المصادر أيضاً إلى المكان الذى ولد فيه الأمير نشوان إلا أنه أشار فى مادة « حوث » من كتابه شمس العلوم . بما نصه حوث بلد باليمن سمى بساكنه حوث ابن السبيع من همدان كان مقام نشوان بن سعيد مصنف هذا الكتاب قال نشوان :

بشاطىء حوث من ديار بنى حرب   لقلبى أشجان معذبة قلبى

وحوث بلدة لاتزال عامرة وتقع فى الظاهر الاعلا من بلد حاشد شمال صنعاء بمسافة يومين ونصف واليوم بمسافة ساعتين بالسيارة لتعبيد الطريق إليها .

والأمير نشوان هو أحد أعلام اليمن المشهورين وأحد أئمة العلم الذين تفردوا بالسؤدد وبعلم اللغة الذى كان إليه المرجع واحد الشعراء المجيدين واحد الأئمة المجتهدين الذى نهجوا منهجا خاصا واستقلوا باراء وأفكار لم تخرج عن هدى الكتاب العزيز والسنة الصحيحه واحد احرار اليمن الذى خرجوا عن التقليد ونابذوا المقلدين واحد القائلين بالشورى وصار له اشياع واتباع سموا فى ما بعد بالفرقة النشوانية ظلت ظاهرة مدة بالزمن .

ولقى من جراء ذلك أعصار وعداء سافر استطاع بمنطق الحجة أن يدمغ باطلهم ويبدد شبهاتهم وقد ظهر ذلك فى أشعاره ومقالاته ومقاماته ولم يخف من قول الحق والصدع به لومة لائم . فن ذلك قوله للمتمذهبين المقلدين الجامدين من الزيديه :

إذا جادلت بالقرآن خصمى   أجاب مجادلا بكلام يحيى
فقلت كلام ربك عنه وحى   أتجعل قول يحيى عنه وحيا

وللأسف أن هذه الدعوى العريضة لاتزال إلى يوم الناس هذا فعندما يعرض على المقلد الزيدى وأيضاً على هامش كتبهم حديث النبى الذى لاينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم . أجابك مصدقا بالحديث ولكن يستثنى ويقول والمذهب خلافه :

. . . .

لاتزال المصادر شحيحة جدا ، عن مشايخ الأمير نشوان وغامضة أيضاً إلا أن من الواقع أنه أخذ عن مشايخ عصره المبرزين العامرة بهم الهجر آنئذ فبرز فى شتى العلوم والفنون وفاق أقرانه فى زمن مبكر حتى صار المشار إليه بالبنان والطود الذى أرست على صدره المعارف والعرفان

وفى هذا يقول ابن فند الصعدى شارح البسامة وكان فى عصره جملة من العلماء هم نجوم فى الأرض كنجوم فى السماء من علماء قحطان فلم يزر عليه فى مذهبه زار مع كثرة المناظرة فى ذلك والمذاكرة .

ثم بدأ فى اشهار مذهبه فصاول وجادل فى ميدان النقاش الأدبى والجدل العلمى وألف وصنف وراسل وقال الاشعار وساجل وناظر حتى تغلب على خصومه وكتب له الفوز عليهم وكان فيها المجلى وسواه المصلى واختار لنفسه مذهبا ارتضاه حماه بشباة لسانه وقوة حجته إذ كان يحكم العقل فيما اشتبه عليه من الأمر والتبس شأنه فى ذلك شأن المعتزلة حتى يظن القارى لكتبه أنه معتزلى والحال أنه يوافقهم فى شىء ويخالفهم فى أشياء كما يوجد ذلك فى صفحات كلامه من شرح رسالة الحور العين وغيرها من كتبه فى التوحيد .

وكان مذهبه الاجتهاد ومحاربة التقليد بكل ماأوتى من قوة كما أنه يذهب إلى أن الأمر شورى بين الأمة وليس الحكم أو الخلافة منحصرة فى بطن أو أسرة عالم يأت به سلطان ولاعليه أثارة من علم ولا منطق ولا عقل بل مخالف للسنن الكونية وفى بعض أرائه هذه ألف رسالة أسماها « التبصر فى الدين للمتبصرين فى الرد على الظلمة المنكرين ضمنها أرائه وأفكاره فى ذلك وتعرض فيها للأمام المتوكل أحمد بن سليمان وغيره ومن قوله فيها .

ولقد ذكرنى رجل من علماء الزيديه فى الفضل وحصر الامامة فاخرجت كتاب تثبيت الامامة للقاسم بن إبراهيم فقرأه من أوله إلى آخره فلم يجد فيه حجة فاعاد قرائته مرة أخرى يتبصر ويتفكر فقال : كنا مقلدين بقرائته

ولم ندر ما فيه وخرج عنى وهو يقول : ما أقبح التقليد وقال فى هذه الرسالة من شعر له :

قوله :

أيها السائل عنى أننى مظهر من مذهبي ما أبطن
مذهبي التوحيد وللعدل الذى هو فى الأرض الطريق البين

إلى قوله :

إن أولى الناس بالأمر الذى هو اتقى الناس والموتمن
كائناً من كان لا يجهل ما ورد الفرض به والسنن
أبيض الجلدة أو أسودها أنفه مخرومة والأذن
أيها الشيعة هيا فلقد طال ما استولى عليك الوسن
ما رأيتم لبنى عدنان من ورم فى الدين قلتم سمن

إلى قوله

ودعوا اللعن لمن خالفكم لعنة الله على من يلعن(١)

وفى الأيام الأخيرة اطلعت على مجموع شعر فيه ديوان على بن المتوكل اسماعيل بن القاسم وديوان ابنه الحسين بن على وديوان الحسين المرهبي وفى بيت من قصيدة للمرهبي ذكر فيه الإمام نشوان ابن سعيد الحميرى فحشى عليه بعض المطالعين وسل سخيمته على نشوان متحاملا عليه بدون برهان الى أن قال :

وهو يقول : ان الفضل لا يكون الا جزءا كقول المطرفية وله فى التنديد على حصر الإمامة فى فريق من الأمة قوله :

حصر الامامة فى قريش معشر هم باليهود احق بالالحاق
جهلا كما حصر اليهود ضلالة أمر النبوة فى بنى اسحاق

---

(١) [illegible]

. . . .

= وله

في الذكر سوى الله بين عباده   والرافضى لقوله متنافى

وله

حصر الأمامة ظالم فى ظالم   وكلاهما فى مثله محصور

حصر الهدى والخير فى بعض الورى   والخير ما عن امره مقصور

وله

الناس حكم دمائهم ودياتهم   حكم لجنس ليس فى الأجناس

والله اتقى للبرية كلها   حصر الامامة دون باقى الناس

من بعد ما ساوى وسابق علمه   فيما يطهرهم من الأدناس

ويروى صاحب تاريخ آل الوزير ان نشوان بن سعيد الحميرى قال عن نفسه انها وصلته من العلويين بعد عوده من حضرموت ثلثمائة قصيدة فأجابهم بقوله

أو كلما عوت الكلاب اجبتها   تا الله لا اصبحت كلباً عاويا

وقد اثبتنا رسالته الجوابية على شيخه أبى الغمر مسلم بن محمد اللحجى المطرفى فى آخر الكتاب كملحوظة

وكانت بينه وبين العلامة بدر الدين محمد الذباح محاورة فى مسائل فكان القاضى محمد يحتج باجماع العترة وكان القاضى محمد يقيم بالمخابز محلة فى حوث فقال الإمام نشوان شعراً وهو قوله :

محمد الذباح قاضى المخابز   يجور وفى أحكامه غير جائز

إذا ماروى عن أهل بيت محمد   روى صادقا عن نفسه والعجائز

ولما اكتملت معارفه وكتب له الفوز فى ميدان العلوم بحيث صار بيضة البلد والمرجوع إليه لشهرته الكبيرة سمت نفسه الوثابة التى لا ترتضى بما فوق النجوم منزلا إلى تسنم أريكة الملك الذى ورثه عن أبائه كابرا عن كابر ليعيد

وبلغنى أن أهل بيحان ملكوه عليهم ، فمن شعره قوله فى الفخر باليمن :

منا التبابعة الثمانون الأولى ملكوا البسيطة سل بذلك تخبر

بجد أجداده وأسلافه فامتطى الأخطار وامتشق الحسام وتسمى بالسلطان وكان يسير من نصر إلى نصر وجرت له حوادث وقضايا يطول ذكرها لا تسعها هذه العجالة وملك أصقاعا وبلدانا ثم انطوى بساط ملكه لأسباب كثيرة وانزوى فى جبال خولان الشام حيث احتفظ بمقاطعة هناك حتى أتاه الأجل المحتوم .

ودخل حضرموت وبيحان واتصل بعلمائها وملوكها وكان موضع حفاوتهم واكرامهم وأنزلوه أعلا مقام ورفعوه على الهام وممن اتصل بهم السلطان عبد الله بن راشد بن قحطان الحميرى ومن العلماء العلامة على بن محمد وأبى حامد التريمى وإبراهيم بن يحيى بن حامد وأبى بكر أحمد ومحمد بن أحمد وغيرهم من العلماء وكان نزوله عليهم بمدينة تريم بالتاء المثناه من أعلا ، ولما رجع إلى اليمن راسلهم ودبج بقلمه قصيدة عصماء جاء منها مادحاً للسلطان المذكور ولهم :

رعى الله اخوانى الذين عهدتهم ببطن تريم . كالنجوم العوالم
عليا حليف النجدة ابن محمد وابنا أخيه الغرابنا حاتم
ومن فى تريم من فقيه مهذب وسيد أهل العلم يحيى بن سالم
أولئك أهل الفضل فى ظل فاضل عظيم من الإملاك عالى الدعائم
ألفت بهم فى سالف الدهر برهة وكانت لياليها كاحلام نائم
وفارقتهم كرها ونار فراقهم تاجج ما بين الحشا والجرائم

من كل مرهوب اللقاء معصب　　بالتاج غاز بالجيوش مظفر

تعنو الوجوه لسيفه ولرمحه　　بعد السجود لتاجه والمغفر

يا رب مفتخر ولو لا سعينا　　وقيامنا مع جده لم يفخر

فافخر بقحطان على كل الورى　　فالناس من صدف وهم من جوهر

وخلافة الخلفاء نحن عمادها　　فمتى نهم بعزل وال نقدر

مثل الأمين أو الوليد وفتكنا　　بهما ومثل ابن الزبير القسور

وبكر هنا ماكان من جها لنا　　من قتل عثمان ومصرع حيدر

وإذا غضبنا غضبة يمنية　　قطرت صوارمنا بموت احمر

فغدت وهاد الأرض مترعة دما　　وغدت شباعا جائعات الأنسر

وغدا لنا بالقهر كل قبيلة　　خولا بمعروف تدين ومنكر

وإناخة الضيفان فرض عندنا　　تلقى بها الولدان كل ميسر[1]

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة تسمى الدامغة وقد ظفرت بها كاملة لدى الأخ العلامة المحدث ثابت بن بهران حفظه الله فأحببت أن أثبتها هنا لأنها تشف عن ما وراثها من أراء وتاريخ وغير ذلك وأولها :

ليس المحب عن الحبيب بمقصر　　كلا ولا هو فى الهوى بمقصر

صب تكاثفت الهموم بقلبه　　يطوى الضمير عن اكتئاب مضمر

وملم طيف بعد وهن زارنى　　والصبح فى جلبابه لم يسفر

كيف اهتدى وصلا على بعد النوى　　وركوب اخطار ومرت مقفر

حيا فاحيا موت شوقى والجوى　　وأمات حسن تجلدى وتصبرى

كحلت جفونى بالسهاد وللملا　　حولى عيون فى الدجى لم تسهر

ليس الخلى من الأنام كذى الشجى　　كلا ولا المعنى مثل الموقر

رعيا لايام الوصال فإنها　　زمن الحياة وعمر كل معمر

ولشادن يهوى أغن مهفهف　　يصبى الفؤاد بلحظ طارف أحور

. . . .

يحكى قضيبا فى كثيب قده ... شحب الموشح واغث مافى المئزر
يفتر عن زهر الأقاح بريقه ... فيها المذانب عن حي منظر
أصبا نجـد هل شعرت بكلما ... غادرت فى الأحشا أم لم تشعر
صيرت ما بين الجوانح ملتق ... ملآن من جمر الغضا المتسعر
وأسرت قلبى بالهوى وملكته ... إنى لعمرك لست بالمتأمر
أو ما علمت بأننى من معشر ... شم الأنوف من العديد الأكثر
قومى الذين تملكوا وتمكنوا فى ... الأرض قبل تملك الاسكندر
الخاتمون لسد يا جوج الذى ... لا يستطاع لردمه من مظهر
الفاتحون لكل ثغر مبهم ... غلق على من رامه متعسر
والمالكون الأرض عن اقطارها ... والداخلوا الظلمات بعد النيسر
والمائلون على قباذ بالقنا ... فى الروع والمستأسرون ليعبر
والغالبون لهرمز وقبيله ... والمالكون ملوك آل الأصفر
والطاعنون إذ الرماح تشاجرت ... ثغر الفوارس تحت ظل العثير
والضاربون الهام فى يوم الوغى ... بين الصوارم والقنا المتكسر
والناصبون بكل ريع آية ... فيها اعتبار العاقل المتفكر
والناحتون من الجبال مصانعا ... والباطشون بقدرة وتجبر
والكاتبون بكل ثغر مسندا ... بعد الفتوح تراه عين المبصر
بالسغد منه وباب مرو شاهد ... أيضا ووادى الرمل لم يتغير
كم كم لحميركم وكم من مفخر ... باق إلى ميعاد يوم المحشر
هم دوخوا الافاق حتى ذللوا ... عز العزيز ونخوة المتكبر
واستفتحوا مدن البلاد جميعها ... بالمشرفية والجياد الضمر
وبنو سمرقنداً وافريقية ... أيضا وتبت فى قديم الأعصر
ولهم بأرض الهند ثمة مآثر ... معروفة من عندهم لم تنكر
ولطالما حمل الخراج إليهم ... أجداد كسرى فى القديم وقيصر

. . . .

ولطالما وطئت سنابك خيلهم — بالعين كل ممنع لم يقهر
وأتت اليهم بالأتارة عن يد — سكان غانه والعراق وبربر
وجرت بنافذ حكمهم أقلامهم — فيها على المأمور والمتآمر
واستنفرتهم أم عمرو بعد ما — ظلمت بأرض الترك ان لم تنصر
بسطوا لظالمـــا ولما ينجه — منهم تجاوزه لسبعة أبحر
وغزا أبو كرب له فى عسكر — فلا البسيطة يا له من عسكر
نحن الملوك الأولون جميعنا — ننمى إلى جد كريم العنصر

يارب مفتخر الخ

أفخر على من شئت إلا حميراً — فدع الفخار لأهله من حمير
قوم إذا ما أغضبوا لم يثنهم — عن مدخل الظلمات قوة معشر
وإذا هموا نهضوا الحى أصبحت — أوطانهم قفراً كأن لم تعمر

منا التبابعة الأولى الخ

إلى قوله :

فافخر بقيل قضاعة ابنة حمير — فيها يقوّم كل خد أصعر
بالصيد من خولانها وبنهدها — وبكريها وبهرة والصيعر
وبوائل والشم من بهرائها — وتنوخها وقبيلها المنسور
وقبائل أخرى تزيد على الحصى — منها تملى رق كل مشجر
شهد الرسول لها شهادة صادق — عند التكاثر بالنصيب الأوفر
وافخر بكهلان الحماة ذوى العلا — بملوك غسان بآل المنـــذر
وملوك كندة والذرى من مذحج — وملوك همدان تمام المفخر
وبطيء أهل المكارم والندى — وسراة أنمار ورهط الأشعر
قوم حصونهم السوابق والقنا — ولباسهم نسج الحرير الأخضر
لولا صوارم يعرب ورماحها — لم تسمع الآذان صوتاً مكبر

وله :
من ابن يا
بسيوفنا
ومواقف
وبها نمى
وخلافة الخل
إلى قوله
وكرامة ا
عادانا بذل
شيم لنا فى
كم آمر منا
كم فائق
فافخر بقحط
(١) روى
ابن الحجاج الو
صنع على لس
واتهمها الناس
يعتقدون أن
اما الحسين
فتبصروا
فلما ظهر
ابن قاسم بن ج
اما الصحيح

وله :

من اين ياتينى الفساد وليس لى نسب خبيث فى الأعاجم يوجد[1]

بسيوفنا نصر النبي محمد فى يوم بدر والنضير وخيبر
ومواقف فى غيرها مشهورة للأزد تشهد بالفخار الأكبر
وبها نمى الإسلام بعد خموله وعلى خطيب القوم قرع المنبر
وخلافة الخلفا الخ

إلى قوله وأناخه الضيفان وبعده :

وكرامة الجيران فرض بيننا من لم يقم منها به لم يعذر
عاداتنا بذل العطايا والقرى واغاثة الجانى ورفد المعسر
شيم لنا فى لدهر لم نسبق بها عرفت لأولنـــا وللمتأخر
كم آمر منا مطاع فى الورى ومقامنا فى الناس غير مؤخر
كم فائق منا وكم من رائد كم مورد منا وكم من مصدر
فافخر بقحطان الخ

(١) روى القاضى أحمد بن صالح أبو الرجال فى ترجمة الفقيه الكامل جعيد ابن الحجاج الوادعى وكان بليغا فصيحا وهو صهر الامام نشوان بن سعيد الحميرى صنع على لسان الامام نشوان بيتين من الشعر ونسبهما إليه وطارت كل مطار واتهمها الناس لنشوان بن سعيد لما يعرفون من حال نشوان وذلك أن القاسميين يعتقدون أن الحسين بن القاسم بن على العيانى هو المهدى المنتظر والبيتان هما :

أما الحسين فقـــد حواه الملحد واغتاله الزمن الخؤون الانكد
تبصروا يا غافلين فإنه فى ذى عرار ويحكم مستشهد

فلما ظهر هذا الشعر هاج القاسميون وظنوه لنشوان فقال الأمير عبد الله ابن قاسم بن جعفر .

أما الصحيح فإن أصلك فاسد وجزاك منهـــا ذابل ومهند

. . . .

وأجاب الأمير نشوان يذب عن نفسه بقصيدة طويلة منها ما ذكر عمارة ومنها ما ألحقناه بالتعليق منها .

فدع السفاهة إنها مذمومة — والكف عنها فى العواقب أحمد
والله ما منى نظام جائكم — فيه يقول حوى الحسين الملحد
ولقد أتيت به فقمت مبادراً — عجلا أمزق طرسه وأقدد
فاشاعة من ظن أن ظهوره — فى الناس مكرمة عليها يحسد
أغضبتم أن قيل مات أمامكم — ليس الامام ولا سواه يخلد
لا عار فى قتل الامام عليكم — القتل للكرماء حوض يورد
إن النبوة بالنبي محمد — ختمت وقد مات النبي محمد

إلى أن قال :

فدع التهدد بالحسام جهالة — لحسامك القطاع ليس له يد
من قد تركت به قتيلا انبنى — ممن توعده ومن تتهدد
إن لم أمت إلا بسيفك أننى — لقرير عين بالبقاء مخلد
اسكت فلولا الحلم جاءك منطق — لاءين فيه يذوب منه الجلمد
ينبى بأسرار لديك عجيبة — لكن جميل الصفح منى أعود

هذا ما وجدته من هذه القصيدة وللامام نشوان قصائد كثيرة تضمنها ديوانه الذى لم نعثر عليه بعد وله قصائد أجاب فيها على الامام المتوكل على الله أحمد بن سليمان منها القصيدة التى أولها :

ذكرت ديارا دارسات خواليا — رسوما وأطلالا عفت ومغانيا

وأول قصيدة الامام :

دعينى أطفى عبرتى ما بداليا — وأبكى ذنوبى اليوم إن كنت باكيا

وله يتوجع من أهل زمانه :

مالى وصبحة قوم لا خلاق لهم — يستحسنون أمورا كلها علل
قد حرت فيهم وفى نفسى وعزتها — فصرت أحير من ضب وما عقلوا

. .

إن انبسط
وإن أناقش
وإن أجد
أو أستر الـ
وإن تغاضيـ
وإن تغابيت
وإن تقربت
وإن أسافر بقـ
وحيث أقدم
وإن تبذلت
من اين لى خلـ
وفى تحقيق مـ
آل النبى
لو لم يكن
وقد استدل
عجائب الدهر
ما أحمد بن
وله جواب
وإذا اضطررت
أو كلما عوت
وله فى إثارة ا
ذهب العمر

(١) رسائل الإ

. . . .

إن انبسط فيهم اسقط مهابتهم	إياى أو انقبض قالوا به ثقل
وإن أناقشهم قالوا به لجج	وإن أسامحهم قالوا به خبل
وإن أجد باذلا قالوا به سرف	أو اقتصد منفقا قالوا به بخل
أو أستر الفضل قالوا لى به حسد	أو أنشر العلم قالوا لى به جدل
وإن تغاضيت قالوا العجز أقعده	وإن سطوت لخصم قيل ذا عجل
وإن تغابيت قالوا لى به بله	وحيث دققت قالوا ذابه حيل
وإن تقربت قالوا عنده طمع	وإن تباعدت قالوا عنده ملل
وإن أسافر يقول الحرص أشخصه	وإن أقم بينهم قالوا به كسل
وحيث أقدمت قالوا لى به هوج	وحيث أحجمت قالوا كل ذافشل
وإن تبذلت قالوا جاء مجتديا	وإن تسربلت قالوا قد زهى الرجل
من اين لى خلق أرضى الرجال به	لا بارك الله فيهم إنهم سفل

وفى تحقيق من هم ال النبي « ص » قال .

آل النبى هم اتباع ملته	من الأعاجم والسودان والعرب
لو لم يكن آله إلا قرابته	صلى المصلى على الطاغى ابى لهب

وقد استدل على ذلك بأدله ناصعة ، وله فى الإمام أحمد بن سليمان[1] :

عجائب الدهر أشتات وأعجبها	إمامة نشأت فى ابن الخذيرف
ما أحمد بن سليمان بمؤتمن	على البرية فى خيط من الصوف

وله جواب على القاسميين :

وإذا اضطررت إلى الجواب فلا تجب	إلا نظيراً فى الرجال مساويا
أو كلما عوت الكلاب أجبتها	تا الله لا أصبحت كلبا عاويا

وله فى إثارة الهمم واستنفار العزائم :

ذهب العمر ليلة بعد يوم	كل يوم يطوى به العمر طيا

(١) رسائل الإمام عبد الله بن حمزة

. . . .

وإذا أمكنتك فرصة أمر   فاغتنمها قبل اللتى واللتيا
ليس فى كل ساعة وأوان   لك فى الأمر فرصة تتهيا
لن ينال العلا من الناس إلا   كل ماضى الجنان طلق المحيا
مولع بالمغار فى كل يوم   فهو بين الجنود يقسم فيا
كل من رام بالخمول رشاداً   وجد الرشد فى الذى رام غيا
من أحب الحياة مات ذليلا   واحتسى السم قبل ذلك حيا
ما ترى فى الجبان من قدر الله   الموفى يزيد فى العمر شيا

ومما ينسب إلى الأمير نشوان قوله فيما جرت به العادة فى مطر الخريف

إذا بدأ الخريف بأرض جوف   وبالشرفا فيالك من خريف
وإن بدأ الخريف بأرض بوس   وحدة فالسلام على الخريف

المراد بالخريف الأول المطر لا الحقيقة والثانى وهو الموسم فهو مجاز مرسل أو الثمار فلا إيطأ وله مؤلفات كثيرة كلها مفيدة وفى الدرجة القصوى فى العلوم والانتفاع بها ببراعة أسلوب وحسن اختيار والتى يحضرنى منها كما يلى :

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم وهو غنى عن الوصف إذ هو معجم لغة وعلم وموسوعة علمية لا تستغنى عنه المكتبة العربية وهو أشبه بدائرة المعارف فى العصر الحديث قال ابن القفطى : وهو كتاب جيد فى نوعه رأيته فى ست مجلدات من ثمانية وملكته فلله الحمد ثم ساق خبرا .

ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٣٠ ، ٣٨٥ — لغة ونسخة فى خزانة جامع الروضة من ضواحى صنعاء مبتور منه قليل من الجزء الثالث وطبع الجزء الأول منه فى ابريل سنة ١٢٧١ ، وطبع منه جزءان فى مطبعة عيسى الحلبى بمصر سنة ١٩٥١ م ولكن لم تصحح كما ينبغى وهى على نفقة الإمام يحيى حميد الدين وفى حوزتى جزءان الثالث والرابع بخط قديم ومبتور من =

. . . .

= منه قليل وربما أقوم بتحقيقه كاملا وطبعه أن مد الله بعمرى وطبع منه منتخبات فى أخبار اليمن سنة ١٩١٦م للأعلام «بليدن» تأمل أيها اليمنى كيف يجتهد الغريب فى أحيا تراث أجدادك وكنت حرياً أن تقوم بمثل هذ العمل لك الويل .

ومن مؤلفاته رسالة الحور العين وشرحها وقد طبعت بالقاهرة سنة ١٩٤٨م طبعة رديئه وستعاد من جديد والقصيدة الحميرية المسماه بالنشوانيه وشرحها وهى خلاصة السيرة الجامعة لأخبار التبابعة أخرجها وطبعها السيدان الفاضلان الأخ اسماعيل أحمد الجرافى والأخ على ابن اسماعيل المؤيد وطبعت فى ليسك .

وكتاب « التبيان فى تفسير القرآن » فى جزءين ويوجد منه جزء فى فى مكتبة « ميلانو » إيطاليا وثلاثة أجزاء فى مكتبة ألمانيا ومن مؤلفاته .
أحكام صنعاء وزبيد وتوجد منه نسخة أيضاً فى مكتبة « ميلانو » وكذا وصيته لولده جعفر وهى أرجوزة مختصرة فى الأشهر الرومية ومطالع النجوم وأسمائها وخواصها وما يحسن فيها من المأكول والمشروب والملبوس وعندى منها نسخة وأولها .

يا جعفراه اصغرت الايالك لمطلع العواء والسماك

وكتاب القوافى ويسمى بيان مشكل الروى وصراطه السوى .
ورسالة فى التصريف .
وكتاب النقائض بينه وبين القاسمين أهل عيان والمدقة
وكتاب الاعتقاد فى علم التوحيد .
ورسالة التبصر فى الدين فى الرد على الظلمة المنكرين .
وديوان شعره ويوجد منه نسخة فى مكتبة « ميلانو » إيطاليا .
وله غير هذا مما لم نطلع عليه ومنها الفوائد والقلايد فى الأدب من إنشائه توجد منه نسخة فى [illegible]

لا فى علوج الروم خال ازرق	ابداً ولا فى الحبش جد أسود
انى من النسب[1] الصريح إذا أمرؤ	غلبت عليه العجم فهو مولد
ما عابنى نسب الأماء ولا غدا	باللوم معرقهن لى يتردد
موتى قريش كل حى ميت	للموت منا كل حى يولد
قلتم لكم ارث النبوة دوننا	ازعمتم ان النبوة سر مد
منكم نبى قد مضى لسبيله	قدما فهل منكم نبى يعبد

ومنهم عبد الله بن أبى الفتوح الحرازى واجتمعت به فى زبيد وفى الكدرى عند القائد اسحاق بن مرزوق وهو القائل .

أنالتك أيام الزمان المطالبا	واعلتك ابراج النجوم المناكبا
وصاغت لك الافلاك فى دورانها	لبانات بجدود وساقت ماربا
فكن واهباً للنيرين ردافة	ودع عنك أملاك البريه جانبا

= ومن مؤلفاته صحيح الاعتقاد ، وصريح الانتقاد ومنها العدل والميزان فى موافقة القرآن كما هو منصوص عليه فى كتابه شمس العلوم فى بحث الأئمة .

وفاته

لم أجد فيما بين يدى من المصادر تحديد وفاته الا أن الذى ترجم له فى مقدمة رسالة الحور العين والقاضى العلامة محمد الحجرى فى فهرست مكتبة جامع صنعاء وفى مقدمة شمس العلوم أن وفاته عصر يوم الجمعة رابع وعشرين ذى الحجة سنه ثلاثة وسبعين وخمسمائة هجرية ، ولعلهم أخذوا ذلك من كشف الظنون والله أعلم — وطبقات الزيدية كما أن الأمير نشوان نوه فى ديباجة كتابه شمس العلوم أنه أكمله فى سنه السبعين والخمسمائة بقوله .

وفى سنة السبعين والخمس تم ما	جمعت من التصنيف فى رمضان

وكانت وفاته بمدينة حيدان من مخلاف صعدة وقبره معروف مشهور بموضع يسمى الحجفات بالقرب من حيدان من بلد خولان صعده .

(١) [illegible] ما أطلعت و عليه انى من ال[illegible] الصحيح .

وهو فى نفسه ذو رياسة وحسب فى قومه وبلاده وملوك بنى مهدى تبجله وتعظم صلته اذا وفد عليها .

ومنهم يحيى بن موسى واظنه الأهنومى وله :

سيكشف بعد عشر سنين تمضى غطاء الغيب عن أمر جديد
وسوف نقودها شمث النواصى طهارتها التيمم بالصعيد
ابت ظل المعاقل فاستعاضت به ظل القساطل والبنود
إذا خرجت من الغمرات قالت لها فرسانها الأبطال عودى
تزور على القطيمة من جفاها وتفنى كل جبار عنيد

ومنهم السليف الحكمى ولا احفظ له إلا قوله :

أحمائم الا ثلاث من وادى الحما أنتن هيجتن صبا مغرما
ما لى الغداة وما لكن وللبكا جزعا وما لى لا ارى دمعا هما
إن الحمام اذا تغنى شاقنى — ويزيدنى شوقا إلى ذات اللماء

ومنهم السلطان حاتم بن أحمد بن عمران [1] صاحب صنعاء وكان القاضى الرشيد بن الزبير وقد جاوره بصنعاء يذكر من سؤددة ونبله

---

(١) نسبه كما ذكره المؤلف وزاد فيه الملك الأشرف فى طرفة الاصحاب بعد عمران بن الفضل بن على بن زيد بن العمر بن الصعب بن الفضل بن عبد الله بن سعيد بن الغوث بن الغز بن مذكر بن يام . ثم رفعه إلى همدان ، وأنت ترى قصرا فى عدة الأباء فيما بين عمران بن الفضل والغز بن مذكر بن يام لمن له معرفة بالأنساب .

وبيت عمران بن الفضل اليامى بيت رياسة متأثله اتسمت بكل السمات الرفيعة العالية فمن مجد وسؤدد وشجاعة وجود إلى أدب وعلم وفضل وكل واحد منهم يتحلى بمكارم الاخلاق ومعالى الأمور فعمران أحد مؤسسى دولة الصلحيين واحد أقطابها وأحد فرسانها وأحد الأدباء الشعراء وولده أحمد قائد همدان ورئيسها والمرجوع إليه وأما حاتم وما أدراك ما حاتم فهو =

. . . .

= خاتم الأجواد وحامل راية العلم والأدب والشعر فارس الهيجا وسيمر بك من وصف المؤرخ الخزرجى له ما يعجز البيان عن وصفه ولحاتم أولاد، هم غرة فى جبين الدهر كما له أخوة هم كنجوم السماء ويربو وصفهم على كل وصف.

وكان يسكن آل عمران بن الفضل اليامى فى المنظر التى سميت فيها بعد بالروضة وإلى حاتم بن أحمد بن عمران نسبت الروضة فيقال ؛ روضة حاتم وكان لهم حارة مخصوصة لهم تعرف إلى يوم هذا بدرب السلاطين فى الجانب الغربى من الروضة ومقابرهم فيها معروفة إلى اليوم . وبها قبر السلطان حاتم وهو فى الجانب الشمالى من الكلية الحربية اليوم وينبغى اصلاحه وترميمه.

واليك ترجمته عن طراز أعلام اليمن للمؤرخ الخزرجى هو الملقب حميد الدولة كان أوحد عصره وسلطان أهل بلده فى دهره سيد همدان — وكريمها ومقدمها وزعيمها فلما انقضت أيام بنى الغشم المغلسى وافترقت كلمتهم أجمعت همدان باسرها وحملوه على الأمر بالقيام والاضطلاع به وحلفوا له على الدخول فى طاعته والقيام على ما يريد فلما انتظم له الأمر دخل صنعاء بسبعمائة فارس من همدان ، وكان له من المفاخر ما لم يكن لغيره مع الفصاحة والشجاعة والرجاحة والبراعة وهو القائل .

يقولون لى قد حزت مملكة الدرب	فاد من على اللذات واللهو والشرب
ولا تهجر الصهباء فهى لذيذة	مسهلة ما كان من خلق صعب
فقلت اذهبوا عنى فلست بنازح	على مذهبى حسبى به مذهبا حسبى
صبا القوم فانصبوا إلى أم ذفرهم	ولست بمنصب إليها ولا صبى

وكان قيامه فى سنة ٥٣٣ ثلاث وثلاثين وخمسمائة وفى أيامه ظهر الامام المتوكل أحمد بن سليمان واستدعته العرب لحرب السلطان حاتم بن أحمد =

. . . .

وذلك فى سنة ٥٤٥ خمسة وأربعين وخمسمائة وقدموا به إلى صنعاء لقتال السلطان المذكور وسارت معهم بنو شهاب وجنب ومذحج وخولان وجرت بينه وبين الأمام وقائع كثيرة أشهرها يوم الشرزة من بلاد سنحان فانهزم السلطان حاتم وهمدان وتبعه عسكر الأمام إلى صنعاء ودخل السلطان حاتم الدرب فحوصر هناك وأبلت همدان بلاءاً حسنا ولم تدع ممكناً من الصبر ثم خالفت أهل صنعآء على السلطان وما أشبه الليله بالبارحه (لقصة عبد الله الوزير حيث اشعل اهل صنعاء النيران على السطوح والأماكن المرتفعة اعلانا بدخول الامام أحمد يحيي حمدالدين ولا أصل لذلك وجروا على أنفسهم المحنة والبلا حتى سلبوا ونهبوا وقتلوا تقتيلا وقبضوا على الامام الدستورى الشرعى وهذه من محن الأمامه على اليمن)

ثم سعى الشيخ زيد بن عمرو اليعبرى بالصلح بين الأمام والسلطان المذكور فلما انتظم أمر الصلح وخرج السلطان حاتم من الدرب إلى المنظر (الروضة) وراء اجماع الناس على حربه مع الأمام قال :

غلبنا بنى حواء شرقا ومغربا ... ولكننا لم نستطع غلب الدهر
فلا لوم فيما لا يطاق وإنما ... يلام الفتى فيما يطاق من الأمر

ولما اتفق بالأمام أكرمه وأنصفه وقال قد عفونا عنك يا سلطان العرب ثم أن السلطان حاتم جمع جموعه من همدان وقصد بهم صنعاء فلما علم بهم الأمام خرج من صنعاء إلى موضع يقال له شعب الجن — من ظاهر نقم — لأنه قد تفرقت عنه أعوانه فتحصن فيه واستنجد بقبيلة جنب (التى كانت تسكن هران ذمار) فقصده السلطان حاتم إلى محطته فقتل من عسكر الأمام طائفة وتبع رجل من همدان رجلين قد ركبا ناقة وهربا فى ذلك اليوم فطعنهما طعنة واحدة نظمهما بالرمح فسمى النظام من ذلك اليوم ورجع=

. . . .

= السلطان الى صنعاء واستمر فى حكم البلاد ثم سار الامام إلى جنب القبيلة المذكورة يستنجد بهم وكان بين جنب قتلى كثيرة فيما بينهم فأراد الامام أن يصلح بينهم ويجمع كلمتهم فلما علم السلطان بذلك ركب فى أفراس من همدان لا ثقل معهم ولا رجاله فوصل قريبا من ذمار وجنب مجتمعة بأسرها فلما أقبل السلطان حاتم ومن معه أنكرتهم جنب وقالوا نرى أفراسا وهى لاشك همدانية فعرفوا السلطان حاتم فرحبوا به ودخل منفرداً وسط الحلقة على حصانه معتقلا رمحه فقال حياكم الله يا وجوه العرب لا يعيب على من خلفى فما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ولا وجهين فى رأسه ثم قال وصلناكم يا وجوه العرب لأمر لكم فيه شرف ولنا فيه عز الى حين يعنى ان لكم شرف وصولنا اليكم ولنا فيه عز بكم لسلامة بلادنا من العدو فعرفت جنب مقصرده فقال لما علمت انكم فى طلب صلاح وأخذ ذمم بينكم وهدم قتول من عشائركم رأيت أن ألم شملكم وأقطع ما تحاذرون وأتحمل من مالى ديات قتلاكم فحمدته على ذلك جنب ومن حضره من قبائل العرب ثم افترق ذلك الجمع وسار معهم الى ذمار وكتب الى أهله بصنعاء مملوك بعضهم ووالد بعضهم وشقيق بعضهم وهذا جامع .

يذبهوا حملى ديات عدة   ان المكارم فى الرقاب ودائع
فليسرعوا من فورهم تصديرها   متعمدين نفاذ ما أنا صانع

ونفذ بالكتاب رسول على الفور فما لبث أن عاد الرسول بالمال وكانت ديات جمة تدفع الى جنب وعاد الى صنعاء . وكان السلطان حاتم شاعرا فصيحا لبيبا ومن شعره قوله :

ارقت وطال الليل والعقل نائمه   وقد أفلت اشراطه ونعائمه
وأورى زناد الهم فى القلب جذوة   إذا جاش من تياره متلاطمه
يطفئها نار [illegible]   اذا لم يطفئها من [illegible]

. . . .

= وما ذاك من شوق ولا نأى معهد ... ولا فقد رسم دراسات معالمه
ولكن إذا خان الصديق صديقه ... وصارم بالأوهام من لا يصارمه
ونكب عنا من نريد ودلده ... وسالمنا من لا نريد نسالمه
تعذر غمض العين وانتزح الكرا ... وباح من الأسرار من لا نكاتمه
غدا مايلا عنا خليلا نوده ... على غير جرم بل علينا جرائمه
ولائم قوما غيرنا متكتما ... وجاهرنا باللوم فيمن نلائمه
ونجم فينا بل تنجم عازما ... وسلمنا البادى وضاعت عزائمه
وساعته كى يرعوى فارعوا سوى ... مقالته لا أستطيع أخاصمه
ولو أننى حاكمته لحججته ... ولكننى من حشمة لا أحاكمه
فيا صحبتى لينوا له وارفقوا به ... ليستل منه حقده وسخائمه
اقلوا عليه العتب يصفو وداده ... وما كان فى الحوباء فالله عالمه
ولا تيئسوا منه ولو ان عوده ... عسى[1] فهو لدن العودو الودسالمه
سعى جاهداً فى خدمتى غير هائب ... ملاما ولم يردعه عنها لوائمه
فلما بلغنا غاية ليس بعدها ... مرام رأيت الود مالت دعائمه
وعاد إلى ضد الذى كان فاعلا ... وعاوده وسواسه وهماهمه
ودمت على ودى له حين لم يدم ... وخير وداد المرء ما هو دائمه
وضاعت على قرب العهود عهوده ... وما نفعت ايمانه ولوازمه
أعاتبه حينا وحينا أصونه ... وطورا أناديه وطورا أكاتمه
وأرجو رجوعاً منه وهو مصمم ... على غيه حتى كأنى ظالمه
وما لامنى الا ملوم مفند ... ولا لامه الا على النكث لائمه
وما أنا من اخلاصه الود آيسا ... وان لج فى اغرائه من ينادمه
دليل صفاء الود فى المرأ بشره ... وشر خليل عابس الوجه واجمه

---

(١) عسى هنا يعنى صلب .

. . . .

وللود ما بين الأخلاء شاهد احاديثهم عند المغيب تراجمه
ابا منذر ان كان عندى عتيبة وحب فاعلمنى بما انت ناقمه
ولا تذر قولى كالرياح مبدداً فكيف جماع الشعر اذ أنا لازمه
دع المن أما كنت اسديت صالحاً فمن الفتى ما كان اسدا ولائمه
وتم على ما قد تقدم قبلنا فافضل فعل العالمين خواتمه
ورم صالحا فى كل سعى سعيته ليبلغك الرحمن ما أنت رائمه
واقدر سام مخفر الجنب طامح بعينيه نهر واضح الوجه ساهمه
صبيح محياه طويل عنانه لبان مثانيه حداد مناجمه
قصار شواسيه طوال ضلوعه عراض حواميه لطاف شكائمه
شديد صفاق البطن أعيط شوذب صلاب على طول المغازى قوائمه
سليم الشظا عبل الشوى سنح النسى شديد القصيرى سالمات مقادمه
وفى بما سادرته وعهدته إليه اذا أودت بخل تمائمه
غنيت به عن صاحب متلون كحرباء قيض لوحته سمائمه
فدونكها كالبدر ليلة تمه وكالعنبر الشحرى فضت لطائمه
يهذبها فكر تحضر بعد ما بدا فهو صمام الكلام وصارمه
خبير بأبكار المعانى وعونها وبالشعر اذ نيطت عليه تمائمه

ووصل من الإمام أحمد بن سليمان رسول الى صنعا يشترى له ورقا وحوايج فعلم به السلطان حاتم بن أحمد فطلبه واستخبره عن الامام وكتب معه إليه كتاباً يقول فيه

أبا الورق الطلحى تأخذ ارضنا ولم تشتجر تحت العجاج رماح
وتأخذ صنعاء وهى كرسى ملكنا ونحن بأطراف البلاد شحاح

فلما وصل الكتاب إلى الإمام قال نعم لنأخذها انشاء الله لما يعرف من أحوال اليمن الذين هم كالريشة فى مهب الرياح لا تستقر على حال =

= من القلق وراء الاطماع والسلب والنهب وانه ليحزننى هذا ولكن الحقيقة تنطق عن نفسها والواقع يشهد بذلك ولم يمكث الامام غير شهر واحد حتى أخرجه حاتم من صنعا واستعادها إلى ملكه وكان للسلطان حاتم مهر يسمى الرازقى وكان يصلى الظهر بالمنظر (الروضة) فيركبه فيصلى العصر فى شيام حمير تحت حصن كوكبان وبينهما مسافة ثمان ساعات كان يفعل ذلك عدة مرات وهو القائل فيه .

ليس للرازقى فيما علمنا الآن ذنب نعده فى الذنوب
غير صبر وحدة ووقار ونشاط مع الوقار وطيب

وقال أيضاً

ولى قائد نحو المنايا وسائق يسوق إليها أو إلى يسوقها
وهن المنايا أى واد سلكته طريقى عليها أو على طريقها

وكانت بين السلطان حاتم والأمام أحمد بن سليمان مراسلات ومحاورات حتى أنه لما قال الأمام فى السلطان حاتم بن أحمد عاقل لم يتنفع بعقله وطبيب لم يتنفع بطبه رد علية السلطان حاتم شعراً أوله .

كدعواك كل يدعى كبر العقل ومن الذى يدرى بما فيه من جهل

فأجابه الأمام بشعر ضمنه قول المتنبى

إذا كنت لا تدرى بما فيك من جهل فذاك إذا جهل مضاف إلى جهل

فأجابه السلطان حاتم بقوله

لنا الأمر فيما حرم الله والزجر وليس لكم نهى هناك ولا أمر
ولا زال ذا فينا وذلك فيكم مدى الدهر حتى يأتى الحشر والنشر

= ومن شعر السلطان حاتم يمقت الباطنية ويتبرأ منهم .

برأت من الذوئب ومن على ومن ماذون همدان بريت
مواذين عموا وغووا هداهم فان شايعتهم فلقد عميت

وفواضله وفضله ورياسته وسياسته وزعامته وشهامته ما يقف الوصف عنده ولا يجاوز حده ،

ومن شعره قوله

تركت أناساً فى غضارة عيشهم   وأمنتهم من طارق الحدثان

وكنت لهم حصنا حصينا وموئلا   واصلت سيفى دونهم ولسانى

ظمؤا ورويت من ماء معين   ولو أنى صحبتهموا ظمئت

شقوا بخلافهم للدين حقاً   وخالفت الغواة فما شقيت

ولو انى أشاء شهرت منهم   فضايح لا تواريها البيوت

أأخشى الناس فى دينى وأغضى   كأنى بعد ذلك لا أموت

وقومى مذكر وشبا حسامى   لسانى مثله لولا الصموت

فإن ترنى وإيام جميعاً   فقل كيف التقى ضب وحوت

ولو وردوا الفرات لنجسوه   ولم يك طاهراً حتى يموت

الذوئب المذكور فى الشعر هو الذئب المأذون الوادعى المقبور فى حوث من العلماء الأعلام والمأذون مرتبة من مراتب الباطنية (وللسلطان حاتم اشعار كثيرة تركناها رعاية الاختصار وتوفى رحمه الله يوم الجمعة العاشر من رمضان سنة ٥٥٦ خمسمائة وستة وخمسين هجرية وكان وفاته بدرب صنعاء ولما رأى الشيخ الأديب عبد الله بن على جنازة السلطان حاتم بن أحمد على أعناق الرجال مر همدان وحملوه من درب صنعاء إلى المنظر (الروضة) قال

حقاً أحاتم لم ينفك منصلتا   حياً وميتاً أمام الجحفل اللجب

ما أن رأينا وهذا عادة خرقت   طود ايسير على الأعناق فى خيب

قال القاضى أحمد صالح أبو الرجال فى حق السلطان البليغ الهمام شجاع الدين حاتم بن أحمد ثم ساق نسبة كما فى الطرفة كان عالما باللغة محققا حافظا لأيام العرب وأمثالها وأشعارها متكلما فى كل نوع من أنواع الكلام بعبارات ملوك الكلام .

والفقهاء أصحاب غولة سعوان من ذريته » .

وعلمتهم رمى العدو فكلهم تعمدنى دون العدى فرمانى

ومنهم القاضى يحي بن أحمد بن أبى يحي (١) بصنعاء وإن شهروا باسم القضاه فمنهم تنفذ الأوامر بالأمضاء وعزمهم يصل فى حر الرمضاء وليس فى أهل الجبال الذين عاصرتهم أشعر من هذا يحي بن أحمد ولم أورد له من مختارات شعره شيئاً إذ لم أجده وإنما أوردت منه ما اتفق حضوره فمن ذلك مطلع قصيدة له يمدح بها الداعى محمد بن سبأ صاحب عدن وقد عزم على الخروج إلى ذى جبله ليملك بلاد الأمير منصور ابن مفضل وهو قوله :

النصر من قرناء عزمك فاعزم والدهر من أسرا حكمك فاحكم

وله على لسان الداعى محمد بن سبا

أدركت أو تارى من الأعداء وملكت من عدن إلى صنعاء

وبلغت بالجرد العتاق وبالقنا ما شئت من شرف ومن علياء

منها وعرض بل صرح بمواطاة المنصور بن المفضل أهل تهامة وهم الحبشة على حربه وغزو بلاده ويذكر ما جرى على بنى وائل من أهل وحاظة

وهم باهل تهامة أغروهم جهلا بحربى أيما اغرائى

وهم باهل وحاظة فتكوا وهم دون البرية كلها لزمائى

---

(١) آل أبى يحي من الأبناء منها أحمد بن عبد السلام بن أبى يحي قاضى الأسماعليه وخطيبهم وصاحب رأيهم ووالده ويحي بن أحمد هذا شاعر الاسماعلية وفصيحهم وقتله أصحات ابن مهدى فى حصن الجمعة اعلا مخلاف الشوافى ومنهم القاضى جعفر بن أحمد عبد السلام عالم الزيدية والذى أخرج كتب المعتزلة من العراق إلى اليمن المتوفى سنة ٥٧٣ ثلاث وسبعين وخمسمائة وقبره بقريه سناع جنوب صنعا بمسافة يسيرة ولم اعرف عن المذكورين غير هذا .

أخذوا معاقلهم وهن معاقلى وسبوا نساءهم وهن نسائى

وحدثنى من قال، وهب الداعى محمد بن سبا لابن سليمان وهو من قومه ألف دينار فارتجل ابن أبى يحيى هذا فى ذلك المجلس مخاطباً للداعى :

لا فخر الا إذا اقبلت مستلما كف المكين ظهير الدين مولانا

هى التى تهب الآلاف وافية ان كنت غرا فسل عنها ابن سلمانا

فقال الداعى ياأبا عبد الله (١) أما ابن سلمان فهو ابن عمى ولكن تسأل أنت عنها ثم أمر له بألف دينار فى الحال :

وبلغنى أن أصحاب ابن مهدى ذبحوه فى حصن المجمعة (٢) من مخلاف جعفر .

ومنهم المقرىء أحمد بن مرزوق قال ،

داعيكم فى المكرمات يجاب واليكم القفر القوى تجاب

أنتم لكل فضيلة وصنيعة رتب باعناق الورى أرباب

مادون نائلكم مطال يتقى أبدا ولا دون الوجوه حجاب

آل الزريع زرعتم العز الذى جادته منكم للسماع سحاب

لسنا نبالى بعد طيب أصولكم وفروعكم خبث الورى أم طابوا

ومنهم محمد بن عيسى الريمى منسوب الى أعمال ريمه .

لبس البهاء بسعيك الاسلام وتجملت بفعالك الأيام

فقت الملوك فضائلا وفواضلا وعزائماً عزت وليس ترام

خطبوا العلا وقد بذلت صداقها فنكاحها الا عليك حرام

---

(١) كان فى الأصل « أنا أبو عبد الله والتصحيح منا إذ لم يظهر ما فى الأصل فلم يكن الداعى محمد بن سبأ يكنى أبا عبد الله ولعلها كنية الشاعر أحمد

(٢) حصن المجمعة لايزال يحمل هذا الاسم إلى يوم الناس هذا آهل بالسكان وهو فى حوزة مشايخ آل قاسم من الكلاع وهو اعلا عزلة شعب يافع فى الغرب الشمالى من مدينة اب بمسافة ثلاث ساعات تقريباً

ومنهم على بن محمد بن زياد المارى الذى قدمنا ذكره قال

خلت الرعارع من بنى المسعود   فعهودهم فيها كثير عهود
حلت بها آل الزريع وانما   حلت أسود فى مكان أسود

وله فى انتقال ذى جبله من المنصور بن المفضل الى الداعى محمد ابن سبا

بذى جبلة شوق اليك وانما   لتظهر للشيخ الذى ليس يضمر
عوائد للغيد الغوانى بأنها   من الشيخ نحو ابن الثلاثين تنفر

ومنهم القاضى سليمان المفضل وولى الحكم فى عدن فمن شعره قوله فى الحداثة.

عاط النديم زجاجة بيضاء   ودع العذول وألغه إلغاء
بكر وقد نكحت تفض ختامها   فاشرب بنا منكوحة عذراء
عيسى المسيح أحلها ومحمد   يابى الحسن ذا وذاك أساء

وله

أصبحت لا أرهب الأيام والنوبا   لأننى جار منصور وجار سبأ
فان سطوت على الأيام مقتدرا   أو ارتقيت إلى الشعراء فلا عجبا
فقل لمن رام كيدى أو معاندتى   اقصر فنى تعب من عاند الشهبا

ومن شعراء تهامة ابن الهبيقى[1] وهو شاعر على بن المهدى صاحب زبيد وأولاده من بعده وهو أمتن كلاماً وأقوى نظاما من كثير ممن سمعت بهم من شعرائهم وهو القائل على لسان ابن مهدى

أبلغ قرى تعكر ولا جرما   أن الذى تكرهون قد دهما
وقل لجنانها سأبدلها   سيلا بأيام مارب عرما

---

(١) لم اجد له ترجمة ولا ضبط لكلمة الهيبقى

أأشرب الخمر فى ربى عدن ... والسمر والبيض فى الحصيب[1] ظما
ويلجم الدين فى محافلنا ... والخيل حولى تعلك اللجما
لست من القطب أو أسيرهـا ... شعواء تملا الوهاد والأكما

وله على لسان بن مهدى

مابال خولان لاتوفى بما تعد ... يدنو أبو حسن منها وتبتعد
ومالجنب وسنحان وأختهما ... همدان تلك الأعاريب الذى حشدوا

وقال

العز فى صهوات خيل الأجبه ... وطرادها من مهمه فى مهمه
من كل صهصلق الوغاء متوقد ... وتراه عند قياده كالابله
متنزه ماض عـلى آلاته ... تعدو بشكة فارس متنزه
وبهانس تحت العجاج كأنها ... شعث الرؤوس مكلمات الاوجه
أسد إذا ما أبصرت أسد الشرى ... وردت حياض الموت لم تتجهجه
آجامها زرد الدلاص كانه ... بالصبح رقراق السراب الأمره[1]
تغدو أمام متوج متبلج ... متيقظ متوقد متنبـه
متفقه فى الدين لكن لم تكن ... من عند غير الله بالمتفقه
ملك إذا اشتبه الملوك فما له ... فى ملكه وصلاحه من مشبه
جداه حق من بنى هود سنا ... تساله يصدع بالبيان ويجبه
ومنزه الدين الحنيفى الذى ... لولا الامام القطب[2] لم يتنزه
بصوارم ولهـاذم وضراغم ... وملاحم بلغت به ما يشتهى

---

(١) الحصيب بالتصغير مدينة زبيد نسبت إلى الحصيب بين عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميع ابن حمير بن سبا.

(١) الامره البياض لايخالطه غيره (٢) المراد بالقطب على بن المهدى

ومقانب وكتائب كالعارض المتراكم المتالق المتقهقه
هلا سالت الاعجمين كلاهما من آل حام به وآل منبه
ووقائع بين الحليب وقونص فإلى مصيع أو مقنع أو جرى
ولرب يوم بالحصيب ودربها بالقطب كان على الاعاجم أكره
وعواصف بحصيبه عصفت على حبشانها وعلى الدعى الوهوه (١)
أخبار أيام الامام فواكها فاصخ بسمعك نحوها وتفكه
أشهى من الماء الزلال على الظما والذمن عصر الشباب الاموه (٢)
فاليوم تجنح للخليفة بعده بالقائمين الهادين وزهره
سهطيه قطبيه اللذين إليهما شرف الخلافه والامامة تنتهى
وبقول من كالاجهين مخبرا فيقول سائله ومن كالأجبه
يستثقل الشيء المعاد وذكره تصبى إعادته الحليم وتزدهى
أجشميها كل ليل حندس شعثا تنفس كل مَرْث أجله
عرضت تعارض ابن أعرج فاغتدت عرجا ناظرة بعينى أكمه (٣)
ولوت بمكرشة (٤) فعضت أهلها أنياب نازلة الخطوب العضه
ورمت بسجيل العذاب عبيدها تركتهم عصفا بيوم أتوه
أشبهتما قطب الملوك أباكما قولا وفعلا منه غير مشبه
تا الله أنكما لأكرم معشر جذبت لهم خوص الركاب التيه
وعبيد شعرى شعر رؤبة فيكم وأبوه عجاج وشعر الأفوه (٥)

---

(١) وهوه الكلب فى صوته جزع فردده والمرأة صاحت فى الحزن
(٢) الأموه الحسن يروى والذمن عمر والمرت الفلاة.
(٣) الاعرج رجل من الحبشة والعارضة معقل له كذا فى الأصل والاجله الضخم.
(٤) مكرشة: حصن فى برع
(٥) رؤية بن العجاج والعجاج والده شاعران راجزان مشهوران =

وأنا المفوه لا المفهه فيكم   كم بين قول مفهه ومفووه
صلى عليكم بعد أحمد ربنا   ما طاف ذكركم براكب عيده

ومنهم من جعلت ذكره فارس الأعتاب وجمال ما مضى وما يأتى من الأحقاب وهو الشيخ الأجل الفاضل أبو بكر بن أحمد العندى [1] وزير الدولة الزريعية وصاحب ديوان الأنشا وما من شيمة من شيمه الانسانية وفضائلها المكتسبة والنفسانية الا ويجب أن تفرد فى جميل ذكرها ويجرد فى التأليف فرائدها تاليف ولا أعرف قبله ولا بعده من أصدق فيه إذا قلت أنه ليس مثله من دين حصين وعقل رصين وسودد عريض وكرم مستفيض وتواضع لا يصنع ولا يرحص من رتبته العالية الغالية فاما البلاغه فهو إمامها ونبذة زمامها وأما خاطره فاهدى من النجم السارى وأسلس من العذب الجارى وأما عبارته فلا يعوقها حبس ولا يشونها لبس فسيح فى الأطاله مجالد موف على الروية ارتجاله ، يكاد نظمه أن يبتسم ثغره ونثره أن ينظم دره .

وسمعت الشيخ الأجل الموفق أبا الحجاج فى الأيام الفائزية والقاضى الجليس أبا المعالى عبد العزيز بن الحباب وهما يومئذ صاحبا ديوان الانشاء للدولة العلوية وما منهما إلا من يقول لم تصل إلينا مكاتبة أحد من الآفاق ولا رأينا لكتاب الشام والعراق ما رأيناه من حسن مكاتبات ترد علينا من جزيرة اليمن من إنشاء الشيخ الأديب أبى بكر بن أحمد العندى فإن له بلاغة تشهد عذوبة مطبوعها بكرم ينبوعها وألفاظاً تدل معانيها على فضل مغانيها .

= والافوة هو اسمه صلاة بن عمرو الأودى المذحجى شاعر أنظر ترجمته فى الجزء الأول من الأكليل ص ١٤٧

(١) العندى بالنون بعد العين المهملة نسبة الى الأعنود قبيلة وبلد الأعنود من ضواحى أبين كما ضبط ذلك الجندى . وكان الأنسب فى النسبة ان يقال : الأعنودى فليراجع

فاما مولدة فمن أهل أبين وهو أبين عدن حدثنى الفقيه مقبل الأبينى وغيره قالوا كان والد الشيخ الاديب سيداً صالحاً يهتدى الناس بحسن أفعاله وينتهون إلى حدود أقواله جوادا بما ملك محمود الاثر حيث ما سلك .

وحدثنى أحمد ويكنى أبا سوار وغيره قال سمعت مؤدب أبى بكر العندى وهو بين يديه فى المكتب يدعو له وقال : والله ليخرجن هذا سيداً رئيساً وذلك إنى إذا فسحت للصبيان لم يلعب معهم ولم يفارقنى من المكتب هذا ولم يبلغ عمره عشر سنين وما أحسن قول الشاعر فى هذا المعنى :

بلغت لعشر مضت من سنيك ما يبلغ السيد الأشيب
فهمك فيها جسام الأمور وَهَمّ أولئك أن يلعبوا

ولما ترعرع عنى بنفسه وكان ينزل إلى عدن وهو من موطنه على ليلة فيجتمع بالعلماء الواصلين من الآفاق إلى موسم عدن ولازم الطلب حتى تفقه وتأدب ونظم ونثر وكتب وحسب ولم يزل فى عدن وجم فضله مستور بالرماد ، وغمر معينة مغمور بالناد ، إلى أن مات محمد بن عزى كاتب الشيخ السعيد الموفق بلال بن جرير صاحب عدن فتنبه بلال عليه وأرشده رائد السعاده إليه فجعله كاتبه بل صاحبه .

وأخبرنى الشيخ معمر بن أحمد بن عتاب قال كان محمد بن عزى إذا أراد أن يكتب عن بلال كتابا أو يرد جواباً لم يستقل بنفسه دون الحضور بين يدى بلال حتى يملى عليه مقاصد الكتاب ثم لا يختمه حتى يلحق بلال بين سطور بخطه ما وقع الاخلال به من اللفظ والمعنى فلما كتب له الشيخ الأديب اعتقد الشيخ بلال أن الاديب مثل ابن عزى فى جمود طبعه وخور نبعه وثمد معينة وعدم معينه ونبوة كلامه وكبوة أقلامه وقصر شأيه وفقره من فقر إنشائه وشتان بين عزة فارس القلم وذلة راجل إلجلم فالقى الشيخ بلال على الاديب أبى بكر كتبا وردت من جهات مختلفة وقال : قف عليها وتصفحها حتى نخلوا من مجلس السلام وأملى عليك مقاصدها فكتبها الشيخ الأديب فى ذلك المجلس فى لحظة ودفعها إلى الشيخ السعيد وقد كتب عنوان كل كتاب

منها فلما وقف عليها بلال قال : لم تزد والله على مانقص من الجواب ولم تنقص عنه ، ولعمرى إن كتاب الملوك يكتبون ما يأمرون به وأما هـذه الفطنة الثاقبة فليست فى قوة الكتاب فلم يتماد الحال إلا يسيراً حتى فوض إليه واعتمد عليه فعامله الأديب من المناصحة والوفاء له لما قام عنه بفرض الخدمة وأداء فرض النعمة .

وحدثنى الشيخ معمر بن أحمد بن عتاب قال سمعت الشيخ بلال فى مجلس من مجالس أنسه وقد استأذنه الأديب أبو بكر على مايجيب عنه عن كتب وصلت إليه ويثيب به آخرين وفدوا عليه يقول له يامولاى الاديب الدولة دولتك والمال مالك فاجب وأثب كيف شئت وبما شئت وشكى الأشراف العمريون إلى الأديب جنفا من شريك لهم فى وادى لحج يقال له ابن أبى الغارات فكتب إلى بلال رقعة فيها الناس بسبب إحسان الحضرة إلىّ وإنعامها علىّ يعتقدون إنى عندها أشفع وأنفع فورد الجواب بخط بلال بما مثاله أنت يامولاى المالك والله عندى أجل أن تكون شفيعاً بل مبسوط اللسان واليد وليس على أمرك أمر وغفل الأديب عن الرقعة فوقفت عليها فى دواته فسألنى أن لا أذكر ذلك لاحد لانه كان من التواضع والكتمان بمكان والحراسة لقلوب المكاثرين لبلال من أهل السيف والقلم على عادته من التلطف والسياسة وتم له ما أراد من سياسته نفسها ومنها من التظاهر بوجاهة أو عظيم نباهة حتى لم يكن يعرف ذلك إلا أحاد من الناس ولو لم يكن من واضح الدليل على فضله ونبله الا هذه وحدها لكانت كافية شافية لأن قهر النفس هو الجهاد الاكبر فكيف وأنا أعرف من سؤدده أنه كان إذا سمع بقدوم قافلة إلى البلد خرج إلى الباب واستخبر عمن فيها من الفقهاء والادباء فاذا ظفر بأحد منهم بالغ فى إكرامه واستخلاص بضاعته إن كان تاجراً وإن كان باعه فى الأدب قصيراً عمل له الشعر على لسانه واستنجزله الصلة ثم أنزله مدة مقامه وزوده عند رحيله وهذه القصة جرت لى معه وأنا لا أعرفه وذلك إنى دخلت عدن تاجراً فى سنة ست أو خمس وثلاثين فلقينى وأنزلنى ...

لى ألا تعمل شعراً تهنىء به الداعى محمد بن سبأ بعرسه على ابنه بلال قلت فأنى لست بشاعر فلم يزل يحسن لى ذلك حتى عملت شعراً عاريا فتناول كراسة بيضاء وكتب فيها مالم أعلم وإذا فيها قصيدة من شعره عملها على لسانى ووصف فيها المنازل والمناهل من زبيد إلى عدن ومدح وهنىء بالعروس بألفاظ خاصية كتابية ثم تولى نشيدها عنى فى المنظر وأنا صنم لا أنطق ثم استخلص لى جائزة من الداعى وجائزة من بلال وطيبا واشترى لى بضاعة بالمال الذى كان معى فلما عزمت على السفر قال إنك قد تسميت عند القوم باسم شاعر فانظر لنفسك وطالع فى كتب الادب ولا تجمد على الفقه وحده فإن فضيلة اللسان حلية الانسان ثم قدمت فى العام الثانى وقد عملت شعراً أصلح من الاول ومعى انسان جمال يقال له الزعلى فقال لى الاديب مارأيك أن ننفع هذا الانسان بشىء لايضرنا قلت وما هو قال أعمل أنا وأنت قصيدة على لسانه ففعل واستنجز له صلة من الداعى محمد بن سبأ فلما انفض الجمع دعانى الداعى محمد وقال إذا سألتك عن شىء تنصحنى قلت نعم ، قال أظن أن هذا الانسان الذى أخذ له الاديب الدنانير جمال فقلت هو والله جمال وانما فضل طباع الاديب ومعونتكم على فعل الخير صيرت هذا وأمثاله شاعراً فضحك الداعى وأعاد الجمال فزاده ذهبا .

ومن أخباره أن الداعى محمد بن سبأ كان إذا خلى مع من يثق به قال والله لقد تنكدت على الحياة بسبب الأديب أبى بكر فانى أريد أن يصحبنى وأنا أستحى من الشيخ بلال فيه وهو الذى نسج بينى وبين الشيخ بلال والداعى محمد بن سبأ مانسج من المعرفة التى آلت الى الصحبة لهم والمودة فيهم والمكانة لى عندهم والوجاهة لديهم والخلصة بهم والمعاملة فى الجزيل من مالهم حتى مات الداعى وعندى له مال درج من يدى بحكم ما نالنى من أهل زبيد من العوق على الحركة وصانعت منه العريف كثيراً بمبلغ مثل اسمه الى أن أجازنى من سرور فلما ان وصلت من الديار المصرية الى عدن وبها الرشيد بن الزبير قال لى قد قلت للداعى عمران ولوزيرة الشيخ جوهر ان الفقيه

فلان أقرضنى فى مكة مالا احتجت إليه ، ومبلغه خمسمائة دينار، وقال ألف دينار . فاحتسبوا بذلك عنى قصداً منه فى مساعدتى ، ولا والله ما أقرضته وقبل ذلك ما أخرج محمد بن أعين من عدن إلى زبيد وكيلا على فى قبض ماله ثلاثة آلاف دينار منى ، فقال له الأديب عند سفره والله لئن كامت فلاناً أو تناولت منه درهما لأحرمنّك دخول عدن .

ثم قدم الأديب إلى زبيد حاجا فى تلك السنة ، فترك قافلته على باب المدينة وتنكر ودخل ليلا إلى بلد لم يكن يعرفه ، فلم يزل يستقصى عن دارى حتى أيقظنى بعد ليل ففتحت الباب وأنا لا أعرفه فاعتنقنى وأنشد قول الشاعر .

أبطحاء مكة هذا الذى أراه عيانا وهذا أنا

ثم قال : إنه لم يأت بى هذا الوقت إلا للسؤال عن حالك ، فإن كنت على أمر وخير وإلا فقد وصلت على يدى عدة مكاتبات من صاحب عدن إلى صاحب زبيد فى شفاعات وحوائج ، وهى بخطى كنت لا أدفع الكتب حتى أكتب ما يأمرنى به فى فصل منها ، فدعوت له وشكرته ثم حججنا فى ذلك العام جميعاً وهو عام خمسين وخمسمائة .

ولما نزل بأهل زبيد ما نزل من الحصار وضيق الحال وجهد البلا لم يزل بره وإحسانه بصنوف الأطعمة والكسوة متواتراً إلى الأهل والأولاد الذين خلفتهم فى اليمن حتى كان من سفرهم إلى مكة ما كان . وهذه الأخلاق العلية والمكارم السنية منه تعم ولا تخص وتجمل ولا تحص ، ولقد بلغنى من جماعة من أهل اليمن أن أهل زبيد لما أجلاهم الخوف من ابن مهدى إلى عدن بذل هذا الأديب كرامته وجاهه لأكابرهم وأعيانهم وماله وشفقته لفقرائهم وأصاغرهم وأعانهم ومانهم وصانهم حتى دمل كلمهم وسد ثلمهم .

وحدثنى القاضى الفقيه جمال العلما أبو العباس أحمد بن محمد الأبى قال : أذكر ليلة وأنا أمشى مع الأديب على ساحل عدن ، وقد تشاغلت عن الحديث معه فسألنى فى أى شىء أنت مفكر فأنشدته :

وأنظر إلى البدر مرتاحا لرؤيته   لعل طرفى الذى أهواه ينظره

ثم قال لمن هذا البيت قلت لى فأنشدنى مرتجلا :

يا راقد الليل بالاسكندرية لى   من يسهر الليل وجدا لى وأسهره
ألاحظ النجم تذكاراً لرؤيته   وإن ترى دمع أجفانى تذكره
وأنظر إلى البدر مرتاحاً لرؤيته   لعل عين الذى أهواه تنظره

ثم لم يلبث الأديب أن أنشدنى قصيدة على هذا الوزن طويلة ذكر فيها فضل الديار المصرية على جهة التشوق والثناء وتعديد الفضائل والمناقب لأهل البيوتات بها قال وحملت فى إعذار الشيخ أبى الغنائم ابن أبى الفتوح ولديه وبنت خالهما عمن يحضر من خاصته لديه الحرانى صاحب ديوان النظر والتحقيق بعدن قولى :

عذراً لفرد المجد فى أعذاره   يحلى على حرباً على آثاره

ثم قلت للأديب أبى بكر هذا المعنى الذى حملته يحتاج إلى توطئة تقتضيه وتناسبه فى سياقه إلى ما قبله ، فارتجل قائلا :

أخذ من العضو الشريف جرى له   التأثير بمقتضى إيثاره
كذبالة المصباح يفضى قطنها   عند الخمود له بقوة ناره

ومن أخباره أن إنساناً يقال له أبو طالب بن الطرائفى مدح الداعى محمد بن سبا فى عام بست وثلاثين بقصيدة أبى الصلت بن أمية (١) التى مدح بها الأفضل بن أمير الجيوش التى أولها :

---

(١) أبو الصلت اسمه أمين بن عبد العزيز بن أبى الصلت الأندلسى الدانى ولد فى دانية . مدينة بالأندلس سنة ستين وأربعمائة وتوفى بالمهدية من أفريقية مستهل تسع وعشرين وخمسمائة كان فاضلا فى علوم الأدب عارفا بفن الحكمة فكان يقال له الأديب الحكيم وصنف كتابه الذى سماه الحديقة على أسلوب يتيمة الدهر وذكره القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه الجنان والعماد الكاتب فى الخريدة ومن شعره .

=

نسجت غرائب مجدك التشبيبا وكفى به غزلا لنا ونسيباً

ومنها :

وأنا الغريب مكانة ونيابة فأجعل نوالك فى الغريب غريباً

ثم أهدى القاضى الرشيد بن الزبير ديوان ابن أبى الصلت إلى الداعى محمد بن سبا . فوجد القصيدة فيه فكتب على يدى إلى الأديب أبى بكر بعدن كتابا يأمره فيه بتسيير القصيدة إليه إلى الجبال فنسخها الأديب بخطه ، وزاد فى آخرها أعتذاراً عن ابن الطرائفى ، وكان قد مات بزنجبار [1] قوله :

هذى صفاتك يا مكين وإن غدا فيمن سواك مديحها مخصوبا

فاغفر لمهديها إليك فإنه قد زادها تشريف ذكرك طيبا

ومن محاسن الداعى محمد بن سبا أمر جماعة من الشعراء أن يعملوا مايكتب بالجير فى دائرة قاعة المنظر فارتجل الأديب قصيدة لم تكتب غيرها ومقدارها خمسة عشر بيتاً لا أحفظ له منها إلا قوله .

دار تعظم بالمعظم شأنها وأزداد عزا بالمكين مكانها

ومن شرف همته ونزاهة نفسه أنه لما تزوج ابنة الشريف الجليل أبى الحسن على بن محمد العمرى حمل الناس إليه على أختلاف طبقاتهم ما يسميه أهل اليمن « الطرح [2] » ، وتلك عاداتهم فى أفراحهم ومسراتهم

= وإذا كان أصلى من تراب فكلها بلادى وكل العالمين أقاربى

ولا بد لى أن أسأل العيش حاجة تشق على شم الذرى والغوارب

« الوفيات ، ج ١ ص ٢٢٠ »

(١) زنجبار جزيرة فى الأقيانوس الهندى بالقرب من دار السلام وهى معدوده من قارة إفريقية وغالب أهلها مسلمون شافعية المذهب وفيهم عرب يمانيون لقربها من ساحل العرب وقد أستقلت وخرجت من الاستعمار البريطانى

(٢) الطرح لا يزال معروفا لهذه الغاية لاسيما فى عدن فإنها بالصفة المذكورة التى ذكرها عمارة ، وكذلك فى زبيد وغيرها .

ومبلغه ألف دينار أو أكثر عينا خارجا عن الأصناف : فلما اجتمع المال رده الأديب أبو بكر على أربابه وقال . قبيح بمثلى أن أدخل لأحد تحت هذه المنة ، فلما بلغ الخبر إلى بلال والداعى دفعا له مثل المال الذى تنزه عن أخذه من الناس وشكراه على ذلك .

وحدثنى الشيخ معمر بن أحمد بن غياث قال . لا تعتقد أن منزلة أحد عند الداعى محمد بن سبا تعدل منزلة الأديب ولا تخلو به فى الكرامة ولا تقبل من أحد عند الحقائق والمضائق مثلما تقبل من رأيه ، وذلك أن الداعى محمد بن سبا سمت نفسه إلى أن ينعت بالملك كما نعت المكرم بن على الصليحى ورام أن يسير إليه من تشريف الخلافة أشياء اقترحها وأعد بسببها هدية سنية ، واستشار الداعى أصحابه فيمن يبعثه رسولا إلى مصر : فذكروا له رجالا مثل الشيخ سبا بن قاسم وغيره ، فقال لهم الداعى . بقى فى خاطرى مشورة الأديب أبى بكر ولست أعمل إلا بما قال الأديب . وكان الرشيد بن الزبير قد جاء إلى اليمن هاربا فى فى الأيام الحافظية ، وهو يتحرق على أن يشفع الداعى فى أمره الى الخلافة . فلما لاحت لى الفرصة أشرت على الداعى به فسيره بالهدية فصادف عباسا قد خرج ووزر فى سنة تسع وأربعين .

ثم بلغنى أن بصره قد كف ، فعلمت أن الزمان قد سلب بصيرته حيث سلب بصرها وأن الأيام طمست بذلك منهاج جمالها . وأطفأت سراج كمالها ، فأجناه الله ثمرة الخير الذى كان يغرسه وحرسه ناظر الاحسان الذى كان يرعاه ويحرسه فتضاعفت عند أهل الدولة وجاهته وتزايدت رفعته ونباهته ، وأراد الزمان أن يخفضه فرفعه وأن يضره فنفعه .

وحدثنى جم غفير من سفارة اليمن أن الداعى عمران بن الداعى محمد بن الداعى سبا بن أبى السعود بن زريع اليامى لما وقف الأديب ينشده قصيدة عملها فيه بعد انعكاس نور البصر من ناظره الى بصيرة خاطره حمل إليه ألف دينار واعتذر إليه ، والطف له فى القول لطفاً يسل الحزين ويستخف الرزين ثم لم يرض بذلك حتى أمر منادياً ينادى فى الناس من دخل دار الشيخ الأديب

فهو آمن ولله در الداعى عمران بن محمد ما أغزر ديمة جوده ، وأكرم نبعه عوده ، وأكثر وحشته فى هذا الطريق من النظراء ، وأقل موانسة فيها من الملوك والأمراء ولا يكذب من قال الوفا والجود ملة عمران خاتمها بل خاتمها ولا أعرف ولا سمعت بملك غيره أوسع صاحبه برآ وكرماً وجعل داره مثابة أمنا وحرما .

فأما الشيخ الاديب أبو بكر بن أحمد هذا فالشعر الجيد الرائق الفائق أقل خصاله وأكمل نباله ، ولم يحضرنى من شعره الذى عمله فى باكورة العمر وريعان الشبيبة شىء ، وإنما أوردت منه مالقفته من أفواه المسافرين من ذلك قصيدة يمدح بها الداعى عمران بن محمد بن سبا .

ذكر العذيب ومائلات قبابه ... وقف الفواد على اليم عذابه
ومهب أنفاس الصبا مرجوة ... فيه شفاء الصب من أوصابه
فدع النسيم يبث من اثنائه ... خبراً على الزفرات رجع جوابه
أسرى عليه من العذيب دلائل ... نمت على مسراه عن أسرابه
لدن المعاطف باعتناق غصونه ... عذب المراشف لاغتباق شرابه
أترشف الانداء منه كان من ... أهواه أودعها شهى رضا به
ويشوقنى ان المحب بشوقه ... يلقى القريب العهد من احبابه
امخيم الاشراف حول خيامه ... وتشعب الاهواء بين شعابه
لله ايام العذيب وإن ثبت ... قلب المعنى المستهام لمـا به
وسقى ندى كف المكرم ملتقى ... عقدات اجرعه وشم هضابه
ملك لو استسقى الزمان بجوده ... اغناه عن سقيا ملث سحابه
ملك أفاض على الزمان بهاؤه ... فأعاده فى عنفوان شبابه
ملك يشف عليه نور كماله ... فيكاد يلحظ من وراء حجابه
دانى مثال الجود من زواره ... نأى محل الجود عن طلابه
صعب المقاصد ليس يرضى همة ... أن يرتقى فى المجد غير صعابه
ماعنده أن المآثر غير ما ... يسمو إليـه بحربه وحرابه

غر طوال السمر معربة به ... إن كان يضمر فى صهيل عرابه
كاف بكل أقب يوهم أنه ... فى الجرى يمرق من رقيق إهابه
مرح كأن الراح فيه تحكمت ... وتضرمت باللون فى جلبابه
يرقى ذرى الطود ارتقاء وعوله ... صعدا وينقض انقضاض عقابه
ما يمتطيه إلى تناول غاية ... إلا وكان النصر تحت ركابه
إن المكرم معدن الكرم الذى ... فى بابه تحوى الغنى من بابه
جعل الطريق إليه لجا مهيعا ... جوداً بحار الأرض مد عبابه
ومواهب للمال من سطواتها ... ما للاعادى من أليم عقابه
فى كل أرض من غرائب ذكره ... سفر تقلقل ناجيات ركابه
فإذا تضايقت الشدائد رحبت ... بوفود أنعمه فساح رحابه
تتزاحم الاوصاف عند مديحه ... كتزاحم الآمال فى أبوابه
تجنى المكارم من نداه وتحتلى ... أدب العلى والقطر من آدابه
فكأن مجتمع الفضائل والغنى ... ما بين نايله وبين خطابه
شيم سناها برق كل فضيلة ... من مزنها قبل انسكاب ربابه
وخلائق خلقت من الكرم الذى ... عذقت بعصبه عرى أسبابه
يبدو عليها نور سودده الذى ... ضوء الغزالة دون ضوء شهابه
ما زال تعرب يعرب عن فضله ... وترد رب التاج فى أعقابه
حتى تجاوز غاية الشرف الذى ... أوفى على تأميله وحسابه
فكفى بقحطان بن هود مفخراً ... أن أصبحت تعزى إلى أنسابه
أعلا مآثرها وشيد فخرها ... دون الملوك بطعنه وضرابه
وبنى لنا بيتاً قواضب بيضه ... عمد له والسمر من أطنابه
يزداد حسن المدح فيه وإنما ... يبدو جمال الشىء فى أربابه
ويفوز بالشريف الموثل مائل ... بفنائه أو لائم لترابه
زان الزمان وزاد فى تشريفه ... بأعز نسل من شريف نصابه
فكأن عمران المكرم ملتقى ... لب العلا وابناه لب لبابه

شمساً مطالعه حساماً ملكه ... بدلا مراكبه هزبرا غابه
فمحمد حارى فرند حسامه ... وأبو السعود به مضاء ذبابه
نطقت شهادات المخايل عنهما ... أن يلبسا فى الفضل فضل ثيابه
يتباريان إلى المكارم نزعاً ... فى قوسها بالسودد المتشابه
والله يعضد ملكه بهما كما ... عضد الملكين وملكه السامى به
وليبق محروسا جوانب ملكه ... بالعز مانوسا شريف جنابه
فنهاية المثنى عليه وإن علا ... فى وصفه التقصير مع أطنابه

وقال يمدحه ويعارض الهيلبى شاعر ابن مهدى

النصر قائد جيشك المتوجه ... والسعد رائد عزمك المتنبه
والارض ملك والعباد رعية ... لك من مطيع مذعن أو مكره
ولرأيك التأييد حسن بديهة ... وروية فيه فرو وابده
فإذا عزمت فكل صعب رمته ... سهل عليك وكل أمر مزدهى
يا داعى الدين المقيم ليعرب ... مجدا يرى ركن الزمان ولا يرى
وأعز من خفقت عليه راية ... تحكى إذا خفقت فواد مدله
ما العز إلا عز خيلك شزبا ... شعثا تبارى فى الطراد وتزدهى
متماطرات بالكماة كما هوت ... من رأس شاهقة صخور مدهده
فاستنهض الاقدار فيما تبتغى ... واستخدم الايام فيما تشتهى
واصرف صروف النائبات عن الورى ... وانه الحوادث عن سطاها تنتهى
وابعث به جيشا أجش إذا انتحا ... أرضا فجاها بالنكال الاكره
متلاطم الارجا تحسب أنه ... بحر تلاطم بالرياح الزهزه
تتناكر الاصوات وهى معارف ... للسمع من ضوضائه والاوهوه
كالعارض المتف يختلع النهى ... قصفات رعد فى حساة مقهقه
يخفى وضوح السيل تحت عجاجه ... فكأنما هو مهمه للمهمه
ويكل طرف الشمس عنه إذا غدا ... كحلا لناظرها المضىء الامره

فيه ليوث ا
آل الزريع
متسربلين
متبادرين إلى
من كل صعب
فاكشف لهم
سفه السفوه
كم ذا تنهنه
وتكف من سط
ولأنت أنزه
أو أن تنبه و
شده الأعادى
هم حركوا م
من ذا يقاس
أمن يمد إلي
لا رتبة تس
أنت المكرم م
أنت الذى ما
فاصفح عن الأ
ركضت جياد
لقد استوى فى
ولقد جلا مق
وغدا يجرر
بمصرع ومص
تهدى إذا ما ا

فيه ليوث البأس ليس يردها | إن جهجهت فى الروع زجر مجهجه
آل الزريع سراة همدان الأولى | ورثوا المكارم مدرها عن مدره
متسربلين السابرى كأنما | جمدت عليهم منه أمواه النهى
متبادرين إلى الشهود كأنما | اقتربت لهم عن بادر الظالم السهى
من كل صعب بالطعان موله | فى متن طاو بالطراد موله
فاكشف لهم ضر البلاد وداوها | بالبيض تبر من السقام وتنقه
سفه السفوه دواء كل سفاهة | ما الفضل للصمصام لو لم يسفه
كم ذا تنهنه من عزائمك التى | تفنى الضرائب وهى لم تتنهنه
وتكف من سطوات بأسك والظبا | من فرط حلمك فى أشذناؤه
ولأنت أنزه فى المفاخر همة | من أن تحض على الفعال الأنزه
أو أن تنبه واعتزامك فى العلا | يقظان " منتبه بغير منبه
شده الأعادى من سطاك ومن يرح | ما بين أنياب الغضنفر يشده
هم حركوا منه الهزب بسالة | ولكم دهى من تقلقله دهى
من ذا يقاس به شبيها بعدما | سنحت بك العليا من متشبه
أمن يمد إليك باع مطاول | والنجم دونك غير عز أبله
لا رتبة تسمو بغير مؤهل | فيها ولا جاه لغير الأوجه
أنت المكرم معدن الكرم الذى | يلقى الوفود ببشره لا جبهه
أنت الذى ما أنشدت أوصافه | إلا وهز المجد عطف مزهزه
فاصفح عن الأشعار فى تقصيرها | عن وصف فضلك أن تحيط بكنهه
ركضت جياد الخيل فى ميدانه | حتى تناهت وهو مالا ينتهى
لقد استوى فى العجز عنه مفوه | دان البيان له وغير مفوه
ولقد جلا منى القريض شفاء ذى السمع الأصم ضياء عين الأكمه
وغدا يجرر فى نباهة قدره | ذيل التشرف فى المقام الأنبه
بمصرع ومضرع وموشح | ومسجع ومقرع وموجه
يهدى إذا ما استنكهت أنفاسه | نفس الحدائق فاح للمستنكه

واسعد بعيد أنت تاج فخاره … وكمال بهجته ومنظره البهى

وانحر عداك أضاحياً فى نسكه … أو فاعف عفو القادر المتنزه

وأسلم مطاع الأمر منصور الظبا … فى كل مملكة وعيش أرفه

وله أيضا :

حياك يا عدن الحيا حياك … وجرى رضاب لماه فوق لماك

وافتر ثغر الروض فيك مضاحكا … بالنشر رونق ثغرك الضحاك

ووشت حدائقه عليك مطارفا … تختال فى حبراتها عطفاك

فلقد خصصت بسر فضل أصبحت … فيه القلوب وهن من أسراك

يسرى بها شغف إليك وإنما … للشوق جشمها نسيم صباك

أصبو إلى أنفاس طيبك كلما … أسرى بنفحتها نسيم صباك

وتقر عينى أن أراك أنيقة … لا رمل عرجا وروح أراك

كم من غريب الحسن فيك كأنما … مرآه فى إشراقه مرآك

وفواتر اللحظات يصطاد النهى … ألحاظها فتصاد بالأشراك

ومسارح للعيش تقتطف المنى … منها وتجنى من قطوف جناك

وعلام استسقى الحياء لك بعدما … ضمن المكرم بالندى سقياك

وهمت مكارمه عليك فصافحت … عن كفه مغنى الغنا مغناك

وحباك بالإيثار عنه لجر عن … إيثاره ذيل الثرا ثراك

وتأرجت رياك مسكا عندما … عبقت بريّا ذكره رياك

فليهنك الفخر الذى أحرزته … بعلاه حسبك مفخراً وكفاك

قرت عيون الخلق لاستقراره … بك فلتقر بقربه عيناك

شرفت رباك به فقد ودت لذا … زهر الكواكب أنهن رباك

متبوءاً سامى حصونك طالعاً … فيها طلوع البدر فى الأفلاك

بالتعكر المحروس أو بالمنظر المأ … نوس نجمى فرقد وسماك

وله الحصون الشم إلا أنه … يحلو له بك طالعا حصناك

والمسك نثر تراب أرضك مذ غدا بك قاطناً والدر من حصباك

أو كان بحرك جوده مندفقا لو لم تخضه سوائر الأفلاك
ملك لو أن الغيث جاد كجوده لم يلف فى أرض لفقر شاك
سبط الأنامل بالمكارم لا يرى إمساكه إلا عن الإمساك
لا قـــدر للدنيا لديه كأنه فى بذل زخرفها من النساك
أدنى مواهبه الألوف شريعة متفرداً فيها بلا إشراك
ما اختص فى الدنيا سواه بفضلها ملك من الباقين والهلاك
فالجود مبتسم الثغور ببذله أبداً وبيت المال منه باكى
وسراة قحطان بحيث معاقد التيجان فوق أسرة الأملاك
يرد العدى بالرأى وهو مخيم كم من سكون فيه بطش حراك
سلت يد الأيام منه مهنداً متحكما فى هامة الأتراك
فإذا سمى بالجيش آذن كلهن نهضت إليه جيوشه بهلاك
شيم كوشى الرياض وراءها عزم كحد الصارم البتاك
يتلو مآثرها الزمان بألسن فصح فيعجز عن سنا الادراك
بهرت فضائله العقول فما عسى يأتى الثناء به ويحكى الحاكى
فليهنه الملك الذى قال العلا للدين والدنيا به بشراك
وليبق تخدمه السعود كأنها أسرى لديه لا ترى بفكاك
جذلان ما استدعت بواعث نفسه كاس المنى إلا أجبن بهاك

وقال أيضاً :

لى بالحجاز غرام لست أدفعه ينقاد قلبى له طوعاً ويتبعه
يهزنى البرق مكيا تبسمه إذا ترأى حجازيا تطلعه
وتزدهينى لقاء الوفد ألحظه من جوده وحديث الركب أسمعه
وفائح الريح مسكيا تأرجه من طيب رياه نديا تضوعه
وهاتف الورق فى فرع الأراك به يردد اللحن شجوا أو يرجعه
كل إلى حبيب من أماكنه ممكن الفضل فى صدرى ممتعه
جياده والصفا منه ومرونه ومتكاه وما يحوى مربعه

وأخشباه وواديه وأبطحه   جدّية لا أرى جدبا ومرتعه

ومرفق الحج فى شامى معرفه   وما تجد منآ منه وتجمعه

والبيت فالبيت أعلا إن أحد له   وصفاً وتعظيمه عن ذاك يرفعه

فى حيث حجاجه يعنو وقصده   عزا وسجوده تسمو وركعه

ومنهج الفوز باد القصد واضحه   ومنهل الجود طامى الورد مترعه

وفى ربا يثرب غايات كل هوى   يحل عن موقع الإشراق موقعه

أفق الشريعة والإسلام طالعة   شموسه مستجاس النصر منبعه

حيث النبوة مضروب سرادقها   والفضل شامخ طود الفضل أفرعه

وحيث كان طريق الوحى متضحا   بين السماء وبين الأرض مهيعه

وخاتم الأنبياء المصطفى شرفا   محمد باهر الاشراق مضجعه

صلى الاله عليه ما تكرر بالصلوا   ت فرض مصل أو تطوعه

والمسجد الأشرف السامى لموضعه   معقود تاج العلا منه مرصعه

وللشفاعة أبواب مفتحة   مشفع من بمغناها يشفعه

محل قدس وتشريف يجر به   ذيل الجمال على ذى المال يدفعه

تشب نيران أشواقى عليك هوى   إليه ليس سوى مرآه ينفعه

ويستمد حنينى كل منحنى   منه وعامره الزاكى وبلقعه

عقيقه وقباه والبقيع وما   تحذى أحد لمن فى الله مصرعه

تلك المواقف لا بغداد موقفه   والكرخ مصطافه فيها ومربعه

وهى الهوى لا زبى نجد ورامته   ولا العذيب وواديه وأجرعه

مستنزل الفوز والغفران مهبطه   وملتقى كل رضوان ومجمعه

أحبه وأحب النازلين به   وما تضم نواحيه وأربعه

طبعاً جبلت عليه فى الغرام به   وأين من طبع من تهوى تطبعه

كسانى الحب ثوب الافتتان به   ولست حتى بخلع الروح أخلعه

أستودع الله فيه كل منفرد   بالفضل يودع شجواً من يودعه

تكاد تهزه مجارى النفس جملته   لطفاً ويذهل مرآه ومسمعه

وجيرة لى جوار الله ينزع بى شوق إلى قربهم فى الله منزعه
من كل من بغض الدنيا تورعه عنها وبغض ما يهوى تبرعه
كأنما الروض يجلو ما يفوقه من خلقه ويوشى ما يوشعه
فيا سنا البارق المكى يشهر من إيماضه الأفق غصناً أو تشعشعه
قل للأحبة عنى قول من حنيت على الوفاء لهم والشوق أظلعه
هل حافظ عهد ودى لمن حفظت له على النوى عهد ود لا أضيعه
أم هل تجرعه ما يجرعنى فى البعد كأس الأسى أم لا تجرعه
أم هل يهز إدكارى قلبه طرباً وتستهل كدمعى فيه أدمعه
وإن يكن طال مرمى البين اذ قطعت يداه ما ليس أيدى الوصل تقطعه
فما تغيرت عن محض الصفاء لهم ولا تكدر ورد طاب مشربه
محل كل حبيب حيث يعلمه منى وموضعه فى القلب موضعه
هيهات ما شغفى عما تقسمه سوانح الرأى أو مما توزعه
فلا عدمت هوى منكم يحاولنى فيه النوى بسلوٍّ عزّ مطمعه
وحبذا الركب يبدى من حديثهم ما يخبر القلب تعليلا ويصدعه
وحبذا طيب أنفاس النسيم سرى عنهم كما فاح مسك فض مودعه
فهل أخو دعوة فى الله تنهض بى عناية الذكر منه أو تضرعه
وجاد تلك الربى هام يبجسه يجول من مائه فيها تميمه

وقال أيضاً :

ليت سارى المزن من نجد منى ناب عن عينى فيسقى أينا
واستهلت بالرقيطاء أدمع منه تستضحك تلك الدمنا
فكسى البطحاء وشيا أخضرا وأعاد الجو نوءاً أدكنا
أيمن الرمل وما علقت من أيمن الرمل إلا الأيمنا
وطن اللهو الذى جر الصبا فيه أذيال الهوى مستوطنا
تلك أرض لم أزل صباً بها هائماً فى حبها مرتهنا
هى ألوت بحبيبى فالهوى بربا ها لا اللوى والمنحنى

وقال أيضاً :

يا خليلي ضاق بالوجد ذرعي … واستباح الغرام غاية وسعي
فدعاني أشكو لواعج بيني … إن شكوى العليل ليس ببدع
واصدعا بالحنين والشوق عني … تجبرا في الفؤاد أعظم صدعي
واستهبا طيب النسيم حجازياً … عسى أن يفوح منه بردع(١)
وأسألا الركب ركب مكة ترجى … عن ليالي منى وليـلة جمع
وعن النفر والنزول بوادي مكة … بين كل عضب وقلع
ونواحي مر وعسفان والأبوا … والشعب والعقيق فسلع(٢)
والضريح الشريف صلى عليه … من هدانا به إلى خير شرع
واستجدا الأنباعن ساكني البطحاء … من ربع الهوى منه ربعي
هل قلوب الأحباب فيها كقلبي … ودموع الجميع فيها كدمعي
وهل الورق في ذرى الأيك تملي … شرح شجوي ما بين نوح وسجعي
تلك أقصى المنى فمن لي منها … بوصال يسر من غير منع
أتمنا تفيؤ الظل منهـا … والمقادير دفعها غير دفع
ولئن عز أن أرى نور عيني … فأحاديثهـا تشوق سمعي

وقال أيضاً :

يا محيا نور الصباح البادي … ونسيم الرياض غب الغوادي
حي أحبـابنا بمكة ما بين … نواحي الصفا وبين جياد

وقال أيضاً :

أحبابنا بين الصفا وجياد … وأشرف أرض قدست وبلاد
ألان زاد طول البعد منكم تمادياً … فقد زادت الأشواق طول بعادي

---

(١) الردع : الزعفران .
(٢) هذه أماكن في الحجاز قرب المدينة المنورة مشهورة .

تلذ لكم طعم الصبابة مهجتى ... وينعم فيكم بالغرام فؤادى
فهل لليالى عطفة تشتفى بها ... حشاشة ملتاعٍ وغلة صاد
وهل تسمح الأيام بالقرب إنه ... نهاية سؤلى عندها ومرادى

وله على لسان القاضى على بن عبد الله بن أبى عقامة .

ملكت مواليك الرقاب بأسرها ... وتكفلت بفكاكها من أسرها
وسمت بك الهمم التى طالت بمسراها على قمم النجوم وبشرها
ودعت إليك القاصدين مواهب ... حصر الزمان على القيام بحصرها
سار الثناء بها فعطر ذكرها ... الأفاق بين عراقها أو مصرها
فلذاك لا تنفك تطوى الأرض ... نحو مقامك السامى ركائب سفرها
ياابن السعيد ومن بباهر سعده ... عادت على الأيام بهجة سترها
وأعز من عزت به رتب العلا ... وحما حماها واستقام لنصرها
ومن اعتزى وزراً لأشرف دولة ... شدت وزارته معاقد أزرها
انا ذلك المثنى بأنعمك التى ... قلدتنى قدماً قلائد برها
وقد انتجعت سحاب راحتك التى ... صوب السحائب قطرها من بحرها
ووعدت نفسى عند رؤية ياسر ... أن سوف تظفر من يداه بسرها
ولدى من شكر الفقيه عمارة ... نفس الرياض سرت بفائح نشرها
ومحامد حمّلت نفحة عطرها ... وخصائص أودعت باطن سرها
ولرأيك العالى علو مزيده ... فى الفسح فى إيضاحها أو ذكرها
والأذن فى تقبيل كفك مجزياً ... من بطنها النعماء ترشف ظهرها

وقال يمدح الداعى عمران بن محمد بن سبأ :

عاد الهوى فى فؤادى مثلما بدأ ... لما تعرفت من أهل الحما نبأ
أملى على القلب سارى البرق مبتسما ... عنهم أحاديث شوق تطرب الملأ
فبت أروى ربا خدى من ديم ... تزداد غلة أحشائى بها ظمأ
وفى العواذل مهراق النجيع بها ... لما ترقرق منهلا فما رقأ

لعل لامع ذاك البرق كان لهم ... طليعة طالع الأسرار فارتبأ
لئن برانى هوى أهل الحما فلكم ... داويت من حبهم داءى فما برأ
يدنيهم الشوق منى والحنين وإن ... شط المزار بهم عن ناظرى ونأ
وما تقبضنى منهم سواء رشاء ... أفدى بمهجة نفسى ذلك الرشأ
أغن يغنى عن البدر المنير به ... من جالس الشمس من أزراره ورأ
ملء النواظر حسنا حين يلحظه ... وأمرك الحسن للألحاظ ما ملأ
ما اهتز غصن الصبا من عطف قامته ... إلا وأزرى بغصن البان أو هزأ
نشوان تحسب صرف الراح ريقته ... ومدح داع الهدى عاطاه فانتشأ
عمران أكرم من جاء الزمان به ... فردا وأشرف من فى حجره نشأ
كأن قحطان قدماً كان أودع فى ... ضمائر الفضل سرا منه أو خبأ
من أوطئته على كيوان همته ... لو كان يرضى على كيوان أن يطأ
وازداد فخراً على ما شاد والده ... محمد وسبا فى مجده سبأ
تناول الغرض الأقصى فادركه ... واجتاز غايات أملاك الورى وشأ
أعز أبلج لو يسرى بغرته ... فى فحمة الليل بدر التم ما انطفأ
يزهى به الدست يوم السلم مبتسما ... وفى الوغى ما بح سامى التليل رأى(١)
كالليث ليس بمختار فريسته ... سيان ضبى كبا من عنده ولأى
لو لم يعر غربه العضب المهندما ... جرى الردى فى غراريه ولا اجترأى
روى عطاش الأمانى وهى صادية ... مكارماً وجلى عن بيضها الصدأ
ما زال ملجأ من مدت مذاهبه ... فى حين لا يجد الملهوف ملتجأ
يلقى بسامى ذراه الزائرون به ... والواردون إليه الماء والكلأ
ويفجأ الخطب منه عند رؤيته ... عزم تكشف منه كلما فجأ
فكلما رزء الخطب الورى كفلت ... بيض الصوارم منه جبر ما رزأ
كم حادث غال فاغتالته منه ضبأ ... تعودت كشف مكروه ورأب ثأى(٢)

---

(١) التليل : العنق . والرأى : السريع .
(٢) الرأب : الإصلاح ، والثأى : المثلوم .

وكم ألمت ملمات روايعها ... تظل يدرأ عنها صدر من درأ
مضى لها دون أملاك الورى فكفى ... من هم نازلها ماهم وانكفأ
يبيت يحظى نار الجود موقدها ... لوفده وبعود الهند ما حظأ
خطت يد المجد فى وجه الزمان به ... مآثراً يقتديها كل من قرءاً
فدبر الله فى الكوتين خلقته ... وخلقه من ذميم الفضل إذ برىء
ورد فى كفه الأرزاق يقسمها ... من راحتيه لمن إفى عصره ذرىء
للجود فى ماله يوم النوال حطا ... يفنيه عمداً إذا جاد امرىء خطأ
يسطو على المال إنعاماً كأن به ... غيظاً على المال يوم الجود أو شنأ
يخضر نبت أياديه وأنعمه ... للمعتفين إذا نبت الرياض ذأ
فليهن أعوامه إقبال دولته ... وأنه خير وال للورى كلاء
وبلغ السؤل فى شبلى عرينته ... والمبتدين من العلياء ما ابتدأ
حتى يرى الكل أبا أخا شرف ... سما الزمان بسامي فخره ونسأ
وليهنىء الله للدنيا وساكنها ... فى عمره ضعف ما فى عمرها نشأ

وقال يمدحه

ما البرق من خلل الغمائم أو مضا ... لكنها قضب العزائم تنتضا
أمضى صوارمها المكرم ضاربا ... إن المهند كيف ما استمضا مضا
متقاضياً إيجاد سعد لم تزل ... تجرى مساعدة القضاء بما قضا
ومسامياً زهر الكواكب إنه ... لسوى مجاورة الكواكب ما ارتضى
بينا تراه فى القباب مخيما ... حتى تراه فى الفئام مقوضا
متعوضاً بالدست صهوة سابح ... لولا العلا ما اختار أن يتعوضا
سبق الفعال القول منه فيا له ... سهما أصاب لدارع ما أنتضا
ما كان فى إبرام عقدة رأيه ... بالرشد منتظراً إلى أن ينفضا
لم يستشر فى السير إلا طرفه ... والأسمر الماضى الشبا والأبيضا
نهضت به العزمات علما أنه ... لا يفرس الضرغام حتى ينهضا

(١) الفئام : الجماعة

وأضاء فى الآفاق نور جبينه … كضياء بدر لاح أو صبح أضا
ملأ النواظر والخواطر قاطنا … والبيد لما سار فيها والفضا
عرضت منيرات السعود تحفه … بمواكب التأييد لما عرضا
أبداً يحرض فى المعالى نفسه … حسب العلى بالرأى منه محرضا
وكأنما أعدى السيوف بيأسه … فتعلمت منه التوقد والمضا
فلسيل غايته الجارى لم تدع … ركض السوابق للواحق مركضا
ما كل من طلب الكواكب طامعاً … فى قبضها متمكن أن يقبضا
لم يرض إلا سعيه رتب العلا … إن الشريف من المساعى يرتضا
ثبتت به قدم السعادة وانجلت … حجج أبت آياتها أن تدحضا
رفع الإله على الملوك محله … وقضا لحاسد عزه أن يخفضا
واختصه بسوابغ من لطفه … وأفاض أنعمه عليه وفوضا
ولئن عرى خطب فامرض أرضه … فعلى ظباه شفاء ما قد أمرضا
أو ناب عارض علة فقد انجلى … متكشفا ما ناب منه وانقضا
أو كان أعرض مستجما رأيه … فيها فوجه قيامه ما أعرضا
وعلى عزائمه الشريفة أنها … تجرى بضعفى قرضه ما أقرضا
فالدين ليس بمانع أرجاؤه … من أن يكذبه الغريم ويقبضا
فليحف طيب الغمض جفن بات فى … أسهاره متيقظا ما غمضا
وليرمين الناكبين بجحفل … لجب تصرف فيهم صرف القضا
كالعارض المسود إلا أنه … باللامعات يشف عن ماء الأرضا
يمتد عثيره دخانا كلما … بدت الصوارم فيه ناراً تحتضا
ولتشفين قلب المحب وقائع … منه يبيد بها العدو المبغضا
وليرجعن به الجموح شكيمة … سلس المقادة فى السياسة ريضا
فإلام يا همدان إغماد الظبا … صونا وذا سيف الإمامة منتضا
شنوا بها الغارات ركضا إنما … عز السوابق أن تشن وتركضا
واستخدموا بيض الصفاح وعرضوا … سمر الرماح لمن بغى وتعرضا

وتيقنوا أن الضراغم غيرها | إن تمش فى الآجمات تمشى ربضا
والبيض أشرف ما تكون قواطعا | لا أن تذهب حلية وتفضفضا
واستمسكوا بعرى المكرم وارفضوا | ما أوجبت أوزاره أن ترفضا
فهو العماد ومجد قحطان به | يسمو افتخاراً من يجىء ومن مضى
إن طال أو عرض الثناء بوصفه | فبما أطال الجود منه وأعرضا
يزداد طيباً فى الإعادة مدحه | والمسك أعبقه إذا ما خوضا
لله أى أمران المكرم إنه | أغضى وقد أطلى العدا جمر الغضا
قسم العناية للبلاد مروقا | من ماء رونق حسنها ما غيضا
وسقى العطاش بزاخر من جوده | أغنى به الرواد أن يتبرضا
فكأنه سارى السحائب ما انتحى | أرضا بوفد حباء إلا روضا
طبعت على الشيم الشريفة نفسه | فكفى طهارة ثوبها أن يرحضا
وصفت خلائقه التى لو مازجت | صفو الزلال بطبعها ما عرمضا
متصور ما فى الخواطر عالم | لحوى المخاطب مفصحا ومعرضا
فاق الملوك مكارما وعزائما | وسمت ولياً فى الأنام ومبغضا
فكأنما النعماء والبأساء لا | تنفك بين السخط منه والرضا
فليبق يمحضه الزمان ولاءه | طوعا لحق لمثله أن يمحضا

وقال أيضاً يمدحه :

وافى الربيع يرف فى ألوانه | لما بين وشى رياضه وجنانه
وسرى يجرجر من مطارف زهره | أذيال مخضل الندى رياضه
متوشحا بالخضر من أوراقه | مترنحا بالهيف من أغصانه
مستوطنا بالعصب من خيراته | عدناً وإن جلت عن استيطانه
أيدى الغرائب من بدائع حسنه | غرس تبسم عنه قبل أوانه
غرس تباها فى البها متجاوزا | أقصى مداه ومنتهى إمكانه
مد النعيم عليه فضل ردائه | متكيفاً واليمن ظل أمانه
واختالت الدنيا به فكأنما | عاد الشباب بها إلى ريعانه

فكأنما عدن به عدن جلا رضوان فيها النور من رضوانه
بهرت محاسنه العقول فصيرت أوصافه وقفاً على استحسانه
وتأرجت مسكا لطائم جوده فكأنما دارين[1] فى أردانه
عم البسيطة وصفه فكأنما قام السماع بها مقام عيانه
فكأنما إشراق سلطان الضحى متوقد الاشراق من سلطانه
واهتزت الأعطاف فيه كأنما هز النسيم بها معاطف بانه
من كل مشتاق الفؤاد طروبه أو كل مرتاح الصبا نشوانه
دارت عليه مترعات سروره من مترعات كؤسه ودنانه
وهفا براجحة العقول تمائلا ما تصطفى النغمات من ألحانه
وتجاوب الأصوات من ناياته فى ضجة النغمات من عيدانه
وسمى بمفخره الزمان تعاظما لما استخص به عظيم زمانه
أوقضى تقارن نيريه بأن ذا الفخرين صاحب وقته وقرانه
داعى دعاة هداة سيف إمامه دون الملوك بنصرة عمرانه
ملك تفرع فى المعالى منزلا بنيت قواعده على كيوانه
متجاوزاً أقصى الملا وإن غدا فى دست دار العز من إيوانه
متهلل الإشراق ينهل الندى من سحب راحته وفيض بنانه
ما شأنه إلا المفاخر مكسباً فليكبت الشانى تعاظم شأنه
تملا مآثره المديح فتنظم الأفكار در فريده وجمانه
فإذا تصرف كاتباً أو خاطباً فالدر بين بنانه وبيانه
فكأنما القلم الدقيق مثقف فى كفه والسيف عضب لسانه
إن كان روح روحه فلطالما تعبت بيوم ضرابه وطعانه
أو جال فى فكر السرور فطالما جال المكر به على فرسانه
متورداً قلب القلوب لمن هدى بالماضيين حسامه وسنانه

(١) دارين فرضه فى البحرين كان يحمل إليها المسك من الهند.

فالآن حين قضى لبانات الوغى ... وثنى لطيب العيش فضل عنانه
وأفاض فى العافين راحة جوده ... متدفقاً بالجزل من إحسانه
وهمت على المستمطرين سحائب ... الأموال لا الأمواه من تهتانه
نهج الطريق إلى المكارم والندى ... بشريف غرس شف عن كتمانه
متلطفاً فى أن تفيض هباته ... فى سره أبداً وفى إعلانه
فلتجر فرسان القريض سوابقاً ... فى شاوه وتجول فى ميدانه
ولينظم الفكر الغوايص ما اصطفت
من در أبحره ومن مرجانه
فالمجد سام والفخار مشيد ... والفضل منفتح سنا برهانه
والصبح يخبر عن ضياء نهاره ... ما تجتلى الأبصار من عنوانه
والمدح من شرف المكارم فى العلى ... بمكان نور الطرف من إنسانه
ما زال يجرى وسط باهر فضله ... فى الشعر مجرى الروح من جثمانه
فلتبق ناضرة رياض نعيمه ... فى الملك عامرة ربا أوطانه

وقال أيضا يمدحه :

فلك مقامك والنجوم كؤوس ... بسعوده التثليث والتسديس
والبدر وجهك طالعا فى دسته ... لا البدر أجلا وجهه الحنديس
فأدرتها زهر الدرارى ليس فيـــها دار من كاساتها محبوس
وردية فى كل خد وردها ... عن رشف ريق رضا بها مغروس
حمراء معقول بلطف الفكر معنا ... ها على التحقيق لا محسوس
فى موقف وقف الفخار معرساً ... فيه بحيث أحلك التعريس
يا داعى الدين الذى أنس العلا ... فى حيث معنى الجود منه أنيس
يا واحد العرب الذى يسمو بها ... يوم التفاخر جدك القدموس
يا من تطابق فعله ومقاله ... فسمى به التطبيق والتجنيس
حق الكواكب أن تكون ندامنا ... لك والبروج صحائف وطروس
يا من على أيامه ومقامه ... طيب الثناء موقف محبوس

يا من سمت من صيد همدان به همم وطالت فى العلا رءوس
الفضل عندك مشرق أنواره وبناء مجدك شامخ مأسوس
ابن المكرم فى الملوك مآثراً جد المجد لنيلها مقعوس
بحر ولكن النضار عبابه ليث ولكن الذوابل خيس
صرفت صروف الحادثات عن الورى
منعاً ورضت الخطب وهو شموس
وأقمت للأشعار أسماراً وكم عمرت وشعر بديعنا موكوس
بجوائز يفنى الزمان وذكرها باق على مر الزمان حبيس
ما نالها من جود محمود ولا نصر بن حيوس ولا حيوس(١)
فإذا لجا يوما إليك بحاله ذو حالة فالرحب والتأنيس
يغدو جليسك فى العلا كأنه للبدر فى أفق السما جليس
وتخصه بمكارم أنوائها كفاك والغيث الملث الكيس
الله خصك بالثنا فثوبه لك ملبس لا المعلم الملبوس
واختص خالصة الإمام برتبة لجلالها التعظيم والتقديس
مولاتنا وولية الزمن الذى طالت كما طالت علا بلقيس
هى جملة لله فى تفصيلها سر بعز جلالها محروس
اسم شريف ليس يجرى ذكره إلا أفاض سعوده نرجيس
قد كان لولا صونه فى حجبه قدما يبرهن عنه بطليموس
يرتاح داعى الدين عند سماعه ويجر ذيل سروره ويميس
ويفيض نائله عليه كأنما هو فى اجتذاب نداه مغناطيس
فى حيث يسجد ذو الفخار لعزها وتقبل الأرض الملوك الشوس

---

(١) نصر بن خيوس شاعر مجيد من شعراء الشام وديوان شعره مطبوع راجع الوفيات.

تزداد إعظاما به ومهابة وكذا النفيس مدى الزمان نفيس
والنيران المشرقان محمـــد وأبو السعود وصفوه محروس
أبناؤك الغـــر الذين لعزهم يعنو رئيس القوم والمرؤوس
يبدو عليهم للكمال دلائل لم تلتبس بوضوحها تلبيس
سفروا فأسفر ملكك السامي لهم وأضاء وجه للزمان عبوس
وكذا بدور الأفق ليس يشبهها إلا بدور طالع وشموس
طلعوا عليك والمواكب ملتقى من حولهم للحرب فيه وطيس
قد حفهم من صيد كهلان وداعى حمير الكردوس فالكردوس
هذا خميس أنت تحمى دونه بأسا وهذا يقتفيه خميس
يمشون تحت لواء نصرك كلهم فى الفضل مغبوط به منفوس
والحظ يوم الجود منك موفر للكل لا نزر ولا مبخوس
فافخر فما لك فى الملوك مماثل من ذا يقاس ومن عساه يقيس

وقال أيضا يمدحه :

العز فى صهوات خيل الداعى متماطرات يوم يدعو الداعى
لحق الأياطل بالقساطل قنعت وجه النهار من الدجى بقناع
ترنو فتحوى ما رأته كأنما خلقت لواحظها من الأبواع
من كل مبيض الأديم كأنه من ماء در فى الصفا مماع
أو كل ورد ورد روضة جسمه متفتح فى بائس الأقاع
أو أصفر أبقى على سرباله طفل العشايا منه فضل شعاع
أو أدهم كالليل إلا أربع خاضت صباح جبينه اللماع
تلك التى يقضى لعقد لوائها بالنصر صدق حفائظ ومصاع
ويقودها شعث النواصى شزبا ماضى العزائم صادق الأزماع
ملك الملوك عظيمها عمرانها والداعى ابن الداعى ابن الداعى
نسب كإشراق الصباح يمده إشراق بيض فضائل ومساعى

ملك زريعى النجار مؤيدا الأ … نصار رحب الباب رحب الباع

مشبوبة فوق الكواكب ناره … لا فى ذرى علم وقوز يفاع

ملك غرائب مدحه وحديثه … نزه العقول وتحفة الأسماع

ملأ الزمان جلالة ومهابة … ملأ النواظر ملأ سمع الواعى

ما أجمعت إلا على تفضيله … بين البرية ألسن الاجماع

تجلو فضائله العيان وإنما … حكم العيان نزيل كل سماع

ملك ولايات البلاد وعزها … ما بين قطع منـة أو اقطاع

متكفل دفع الخطوب عن الورى … فى حين أعيا الخطب كل دفاع

يسع النوازل ضاقت الدنيا بها … تركيب صدر لا يضيق وساع

فكأنما هى فى القضاء ضميره … سر من الأسرار غير مذاع

يحمى بهيبته الجيوش اذا هفت … أبطالها بالمعرك الجعجاع

ويلوذ يوم الروع من سطواته … بالامن قلب الخائف المرتاع

لا تحجب الأمات عن ألفانه … فى الطعن ما فى الحجب والأظلاع

فى حيث عقبان الحمام حوائم … فى النقع واقعة بـلا ايقاع

والخيل تعثر بالرؤس من العدى … وتخوض فى علق بهن متاع

يتقدم الانذار وعد مغاره … لا عن ترقب غرة وخداع

ومواكب سالت بها عزماته … كعباب موج أو سيول تلاع

خفقت بها أعلامه فكأنها … فى الروع خافقة قلوب رعاع

وأزارها أرض الأعادى صائلا … لا كائلا صاع الطعام بصاع

ما بين أسرته الأولى ما منهم … إلا مدبر دولة أو راع

آل الزريع الزارعين من العلا … والمجد ما يسمو عن الزراع

أسد يسير من القنا فى غابة … ويجرها للطعن سود أفاع

كم عفروا يوم المغافر من فتى … ومقنع أردوا بقيعة قاع

لما تبادر غلب همدان وقد … هم العداة هناك باسترجاع

واستبطنوا الأوجاع فرط مخافة … فاتى الردى منهم على الأوجاع

وتصدع الشمل المؤلف منهم   طعناً تزيل محل كل صداع
والنصر فى نصر المكرم رائع   فى انفس من عصاه شعاع
وبنو زريع منه قد لجأوا إلى   سـام بعز لوائهم منازع
ما أن تخط يد العلى أوصافه   الابسمر الخط لا ببراع
لوان تبع كان أدرك عصرة   أضحى له من جمله الاتباع
خضعت له غلب الملوك وإنما   خضعت لضرار لها نفاع
وعنت لعالى القدر منه مؤيد   ماضى الاوامر فى الزمان مطاع
متجاوز غايات كل فضيلة   لم تختلج بخواطر الاطماع
مازال ينزع فى المواهب أيما   أنزاع طيب الذكر من إنزاع
متدفق كرما وبأسا ما له   عن ذا ولا عن ذاك من اقلاع
أن صال أوجبت الوصال تبا   ين الاوصال بعد تألف الاوضاع
أو جاد آذن ماله وخزانه   لا عن قلى بتشتت ووداع
فالمال مقتسم مشاع عنده   بيد الندى والمجد غير مشاع
فكأنما هو للعفاة ودائع   فى كفه مضمونة الايدع
يحظى مجالسه بأشرف رتبة   ما بين عز علا وخصب مراعى
فكأنما يمسى جليسا عنده   يمسى جليس البدر لا القعقاع
لا يرتضى سمع الفضائل منذ أن   يصغى لساع فى الورى لساع
ويسره الساعى إلى أبوابه   مستمطراً سحب الندى لاالساعى
وله من الامراء أقمار حكوا   منه شريف خلائق وطباع
ولدوا على دين العلى واسترضعوا   در المكارم عنه خير رضاع
فمحمد للحمد ينعته على الا   طناب فيه بواعث ود واعى
وأبو السعود له حليف مسعد   فى الفضل يحفظ فضله ويراعى
وشواهد المنصور تشهدانه   ما اظن فى عليائه يمصاع
أمراء ملك زينوه وأوطنوا   منه أعز مواطن وبقاع
فبقيت يا داعى الدعاة ممتعا   بالكل منهم أفضل الامتاع

أبدعت فى كرم الفعال مبرزا … فارشف ثغور مدايح الأبداع
مدح بها غنى الرواة ورجعت … أصوات ورق الأيك بالاسجاع

وقال يمدح الأميرين .

هو مفخر فوق السماك مخيم … ومآثر من دونهن الأنجم
وعلى علا وجه الزمان نضارة … منها وفى ثغر الزمان تبسم
ومكارم شرع المكرم دينها … وحكاه فيما سن منها الأكرم
وملا مآثره الأثير وهكذا … الأشبال تقرى مايراه الضيغم
ملكان للملك الخطير تطاولا … بهما ولزمن الأخير تقدم
قمران فى أفق البهاء وفى الندى … بحران ذاطام وهذا مفعم
يتباريان فضائلا وفواضلا … وكلاهما فيما أحب محكم
فاذا جرى ذكر الملوك فعنهما … بالفضل السنة الزمان تترجم
وإذا الكرام تطاولت لمداهما … قصرت واين من السنام المنسم
وإذا تفاصحا فى البيان وأعربا … نطقاً فسحبان الفصاحة مفحم
فكأن السنة البلاغة عنهما … تملى بديع القول أو تتكلم
فتكاد تنظم در مافاها به … لو كان در القول مما ينظم
سبقا إلى العليا فى سن الصبا … وتناولا أقصى الذى يتوهم
وتسنما رتب الفخار وجاوزا … فى العز من يسمو ومن يتبسم
وتقاسما كرماً وسادا فى العلا … ماكان ساد معظم ومكرم
فالمجد موقوف عليهم والندى … واليهما دون الانام مسلم
والوفد منتجع الى مغناهما … إذ فى أكفهما السحاب المثجم
والركب إما مستقل بالغنى … أو قاطن أو قاصد وميمم
لايسأم الوفد الورود اليهما … ونداهما متدفق لايسأم
جعلا بقاعهما الشريفة ملتقى … إذ للندى علم هناك ومعلم
فلهم ببابهما الكريم تزاحم … وكذا التزاحم حيث يلقى المغنم
ولكل أرض موسم ولديهما … فى كل يوم بالمواهب موسم

ولو أن هامى السحب دام حكاهما لكن جودهما أعم وأدوم

نشآ على دين المكارم والندى واستابطا بالعلم ما لا يعلم

واستعبدا السادات بالنعم التى أضحى لها فى كل جيد ميسم

فهى القلائد فى الرقاب وإنما أسنا القلائد فى الرقاب الأنعم

وأمد سعدهما الاله بسعد من تسدى العوارف فى الاله وتنعم

مولاتنا السامى فحل فخارها فى حيث لا يسمو السها والمرزم

وولية الفضل الذى أفضا لها يحيا بها العافى ويغنى المعدم

وعزائم الشيخ السعيد فإنه مذ كان ماضى العزم فيما يعزم

متيقضاً فى صون ملكهما الذى عزماته جيش لديه عرمرم

شهراه واعتمدا عليه لأنه مقدام بأس فى الوغاء ومقدم

يرمى فيصمى من رماه كأنما آرائه فى كل ثغر أسهم

وحما البلاد وضم من أطرافها بالحزم يعقد من قواه ويبرم

فلذاك جل لديهما فى رتبة بعدت على إدراك من يتوسم

نعم مجددة أقر قرارها فيمن تليق به الكريم المنعم

فليسلما فى ظل ملك عزمه من دونه فيمن عصاه مخذم

وهنا هما العيد الذى إشراقه بهما وروض الحسن فيه متمم

تمضى الليالى والزمان عليهما وكلاهما عالى المرتب أعظم

فى دولة إقبالها لا ينقضى أبداً وعروة عزها لاتفصم

وقال أيضا يمدحها ويخاطب فى آخرها ياسر .

ملأ النواظر بهجة وبهاء أفق جلا فى دسته الامراء

ومقام إعظام قضت لسعوده الأفلاك أن تستخدم العظماء

طلعا طلوع النيرين وجاوزا فى المجد مطلعها سنا وسناء

ملكان فى السبع السنين وقد علا مرماهما الشيب الكهول علاء

يتباريان مناقبا وضرائبا بلغا بها من مفخر ما شاءوا

فمحمد كمحمد فى جوده وأبو السعود أبو السخا سخاء

وكلاهما يحكى المكرم سؤدداً ومكارما أنسابها الكرماء
ومآثراً ومفاخراً وشمائلا وفضائلا وفواضلا وإباء
والجد أرفعه بناء ماغدا الابناء فيه تقتفى الآباء
ولقد سعى سعى المكرم فى العلا فجلاه تشييداً لها وبناء
وتقبلا الاثار منه كأنما أملاهما آياتها إملاء
وتجاريا طلق الرهان فبرزا سبقا وجاآ فى الرهان سواء
كرما ثنى زمر الوفود اليهما وسرى بانفاس الرياض ثناء
ومواهباً موصولة بمواهب أنوارها تستغرق الأنواء
إن ظن هامى المزن جادا أودجى ليل الحوادث والخطوب أضاء
من يعرب العرباء فى الأصل الذى جازت ذوائب فضله الجوزاء
وسراة ابنا الزريع أجل من رفعت به أيدى الخميس لواء
وملوك همدان الذين تبوؤا رتب الممالك عنوة وعناء
سلكوا إليها المسلك الصعب الذى ينسى الحياة سلوكه الأحياء
وتحملوا أعباءها إذ لم يطق من رامها أن يحمل الأعباء
وتجشموا فيها الصلاح وجرعوا كاس المنية دونها الأعداء
حتى دعوا دون الملوك رياضها وتفيئوا من ظلها الأفياء
واستخدموا فيها الاسنة والظبا والناس ترجى الغارة الشعواء
واستوطنت ما بينهم إذ انشات عزماتهم أرواحها إنشاء
ومضوا وأبقوا للمالك بعدهم من فاق بيض المرهفات مضاء
الاكرم المحبى الظهير وصنوه السامى الاثير المشرقين ذكاء
والاشرفين خلائقاً والاكرمين طرائقا والغامرين عطاء
فتشرفت رتب المعالى منهما باعز من بهر الزمان ضياء
واستنجدا ترب الرياسة ياسرا فكفاهما الاغضاب والإرضاء
وغدا السعيدين السعيد مقسما يديهما السراء والضراء
ومدبراً أمر البرية عنهما فيما دنى من أرضهم وتناء

أصفاهما منه
فليقيا فى ظا
وهناهما شهر
وقال أيضا يمدح
ذاك يبرين
هى غزلان
هزت الاعطا
وبدت ، مفتا
آه من وجدى
ورياض للم
أمرعت بالبا
ياالقومى ه
أسهرتنى و
رب ليل
كان نجم
وحمام البـ
كيف حال
ما هدى للور
غير أن النو
ياحمام الأيك
رجع التغر
وترنم تستا
ماترى الايام

(١) هنا سقط

أصفاهما منه الولاء فأصفيا فيه الوداد وأصفيا الآلاء
فليبقيا فى ظل ملك دائم الاقبال ما دام الزمان بقاء
وهناهما شهر الصيام ومليا فيه التهانى ما استجد هناء

وقال أيضا يمدح ياسر بن بلال :

ذاك يبرين ونعمان قضب هيف وكثبان
هى غزلان النقا سحبت أم جوارى الحى غزلان
هزت الاعطاف فانعطفت فحواها بالحب أدهان
وبدت مفتنة فبدت فتن والحسن فتان
آه من وجدى بما احتملت كثب منها وأغصان
ورياض للجمال بها زهر غصن وأفنان
أمرعت بالبان من ثمر فيه تفاح ورمان
يالقومى هل لمفتقد منه يوم الجزع جمدان
أسهرتنى وهى هائجة مقل شانى بها شان
رب ليل نام سامره واشتياقى فيه يقظان
كان نجم الأفق يونسى وكلانا فيه حيران
وحمام البان ينشدنى بنوى الأحباب إذ بانوا
كيف حال المستهام إذا ما تخلى عنه خلان
ما هدى للورق فيه ولا إلى[1] ترجيع وتحنان
غير أن النوح منه ولى ادمع تترى وأحزان
ياحمام الأيك غن لنا إننا بالشوق ندمان
رجع التغريد مقترحاً فلك التغريد ميدان
وترنم تستفد طربا منك أوتار وعيدان
ماترى الايام كيف غدت وهى بالاقبال بستان

---

(١) هنا سقط

ونسيم الجد قد عبقت   منـــه للافاق أردان
ورياض العشق مونقة   ورياض الامن فينان
بالسعيد ابن السعيد ومن   بعلاه المدح يزدان
ياسر التيسير أكرم من   يممت مغناه ركبان
أوحد الجود الذى افتخرت   بالمساعى منه همدان
وجمال الملك فارسه   ولدست الملك فرسان
وربيع القاصدين إذا   ضن هام المزن هتان
من عليه من مكارمه   شاهد باد وعنوان
والذى قد فاض منه على   يمن يمن وإيمان
ثابت الجاش الوقور إذا   ما هفا للرعب ثهلان
والشجاع المستعد إذا   أحجمت فى الناس شجعان
ما له إلا عزائمـــه   فى اعتنان الخطب أعوان
والقنى من حـوله شجر   والمواضى البيض غدران
وعجيب من تالفها   وهى امـواه ونـيران
وله الاراء يعجز عـن   فتـكها قضب وخرصان
والمسـاعى المشرقات له   كلهـا حسن واحسان
والجفان الغـر يعضدها   ما اصطف سمر واجفان
فهـو مطعام الشتا وفى   حومة الهيجاء مطعان
سافر فى الخطب مصطبر   باسم فى الجود جذلان
ملء أبصار الأنام ولا   افق إلا منـــه ملآن
تسمح الدنيـا مواهبه   وهى أموال وبلدان
والغنى أدنى نداه ولا   عدد فيه وحسبـان
ما خلا من بيض أنعمه   من جميع الناس إنسان
دينه حب العـــلا   وللصيد فى العليا أديان
وهواء الصافنات لها   من سبيل التبر ألوان

تتبارى في الفلا كما ... حلقت في الجو عقبان
شد أزر الملك مذ عرفت ... بعراه منه أشطان
وسمت فوق النجوم له ... عمد شم وأركان
وغدا يصفي الولا لمن ... ما به إلاه سلطان
للاميرين اللذين زهى ... بهما قصر وإيوان
ملكي قحطان أشرف من ... شاهدت في الدست قحطان
الزريعيين منتسبا ... منه للانسان تيجان
مخلصا في نصحه لهما ... إن هفا في النصح خلصان
يتساوى في ولائهما ... عنده سر وإعلان
حافظا ما كان قلده ... ملك الأملاك عمران
فنظام الملك متسق ... ومقام العز مزدان
والليالي من نضالهما ... في حدود العصر حيدان
حسدت هذا الزمان به ... أعصر مرت وأزمان
فهناه الصوم تصحبه ... أنعم ترضى ورضوان
وليدم في العز عامرة ... منه أوطار وأوطان

وقال أيضاً يمدحه

سفر الزمان بواضح من نشره ... وافتر باسم ثغره عن ثغره
واضاء حتى خلت لحمة ليله ... طارت شرارا في توقد فجره
وتمايلت أعطافه فكأنما ... عاطاه ساقي الراح ريقة خمره
وتفاوحت انفاسه فكانما ... فض اللطائم فيه جالب عطره
وازداد باهر حسنه فكانما ... نثر الربيع عليه مونق زهره
واختال في حلل الجمال تطاولا ... بجمال أيام السعيد وعصره
بالياسر المغني بأيسر جوده ... والمقتني عز الزمان بأسره
من طاول اليمن العراق بفضله ... وسمت على أرض الشآم ومصره
فاضا بدرا في سما فخاره ... وصفاته الحسنى ثواقب زهره

أو ماترى الأيام كيف تبلجت   من سعيه وتعطرت من ذكره
سبق الكرام بها وأبدى عجز من   لم يحوها وأبان واضح عذره
فكأنما اختصرت له طرق العلا   منها وضل عداتها فى إثره
احيا معارف كل معروف بها   ومحا معالم منكريه ونكره
وأفاض منها فى البرية أنعماً   نطق الزمان بشكرها وبشكره
فالمدح موقوف على حسبانه   ما بين بارع نظمه أو نثره
والعيش رطب تحت وارف ظله   والورد عذب من مناهل ورده
والسعد منقاد له متصرف   ما بين عالى نهيه أو أمره
والملك مبتسم الثغور مُوَرَّد الو   جنات نشوان يميل بسكره
لما غداً تاجاً لمفرق عزه السـ   امى وعقداً فى ترائب نحره
متفرداً دون الأنام يصونه   متكفلا دون الملوك بنصره
وهو الذى شهدت بباهر فضله   شم سمت قدراً بسامى قدره
ثبت المواقف فى لقاء عداته   ماضى العزائم فى مجالى فكره
متصرف فى طاعة الملكين فيما   رامه من نفعه أو ضره
متباهياً بالنصح مجبولا على   إخلاصه فى سره أو جهره
حفظ الاله له النظام لدسته   وقضى بستر بلاده فى ستره
فكأنه الليث الهصور معفراً   لجبين من مدت يداه لهصره
من لابدات الذعر عنه وقد نشا   فى حجره وعداه فائض بره
متقحما فيه العجاج مضرما   نار الهياج ببيضه وبسمره
يستنبط المعنى الخفى بلطفه   ويرى الغيب من مرآة فكره
ما كانت الدنيا تضيق بطالب   لو أن واسع صدرها من صدره
وكأن راحة كفه لعفاته   بحر تدفق من تدفق بحره
وكأنما برق السحائب لامع   من نشره وقطارها من قطره
لله أنعام السعيد فإنه   أغنى العديم وسد فاقة فقره
فالوفد ينعم فى رياض نعيمه   وعدوه يشقى بشدة أسره
والركب يطوى البيد نحو فنا   ئه السامى وينشر فاتحاً من نشره

عم البرية فالمقل كأنه فيه أخو المال الكثير لكثره
وغدا بوصل الجود فيها مغرماً لهجاً إذا لهج البخيل بهجره
يا من يحاول حصر أيسر وصفه اين البلاغة من تعاطى حصره
إن السعيد بن السعيد أجل أن يحصى مآثره البليغ بشعره
ومدائح المداح فيه نتائج من سعيه، وقلائد من نثره
فليبق معمور الفنا مخلد النعماء ممدوداً له من عمره
فليهن عيد الفطر رؤيته التى إشراقها إشراق غرة فطره
ما عاد شوال ببهجة عبده وسمى الصيام بفضل ليلة قدره

وقال أيضاً :

حن والمشتاق حنان مستهام القلب ولهان
مسترق فى فنون هوى والهوى والحب أفنان
يتمنى بالحجاز له سكن ما عنه سلوان
ومعنى بالخليط ومن دونه للبين إمعان
أين ممن داره عدن جيرة بالخيف سكان
ويح من يهوى فليس له غير سُحْبِ العين أعوان
يهتدى كل بمقصده وهو ساهى القلب حيران
كلما ناح الحمام هما مستهل منه تهتان
أو بكى فى الناس ذو شجن شجوه أبكته أشجان
ولئن فاضت مدامعه فهو بالأشواق ملآن
يا حمام البان هل علقت بك من بلواه أشطان
أم هل استملت لرغبته فهى فى شكواك ألحان
لا تساجله الغرام فما فى تعاطى ذاك إمكان
خل ميدان الحنين لمن قلبه للشوق ميدان
أنت تبكى معجبا وله ببكاء الألف تبيان
وعليه لا عليك من الحب آثار وعنوان
ولك الآلات تجمعها بك أوراق وأغصان

وهو فرد الوجد قد بعدت عنه   أحباب وجيران
وغريب فى مواطنه والهوى   لا الدار أوطان
ما شجاه البان منتسيا   بل هوا من داره البان
أيها العذال حسبكم   إن بعض العذل عدوان
ساعدوا المشتاق أو فدعوا   من له عن شأنكم شان
لا تلوموه على حرق   فى الحشا منهن نيران
واعذروه فى تساؤله   كلما هزته أحزان
إن كاس الشوق مترعة   ساورته فهو نشوان
وحيا الحب فيه سرت   ولها سر وإعلان
فاعينوه ولو بعسى   بالجوى فالحر معوان
وسلوا ركب الحجاز له   إن أمان منه ركبان
هل هما دمع الغمام به   واستهلت عنه أجفان
أم عهود الود عامرة   وسكون الخيف سكان
وهل البطحاء معشبة   منه والريان ريان
أم هل الأحباب فيه على   العهد والخلان خلان

انتهى بمنه وتوفيقه ما عثرنا عليه من تاريخ عمارة رحمه الله ، المسمى بالمفيد فى أخبار صنعاء وزبيد، ولقد أبقى لنا ذخراً وخلد له ذكرا ، وبانتهائه انتهى تصحيحه والتعليق عليه . وذلك فى نهار الجمعه الموافق سبع عشر خلت من شهر شوال أحد شهور سنة (١٩٨٤) أربع وثمانين وثلثمائة وألف هجرية .

قال فى الأصل وكان الفراغ من نساخته يوم السبت وقت غروب الشمس لثمان بقين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة من الهجرة على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم .

وانتهت طبعته الثانية فى شهر جمادى الآخرى سنة١٣٩٦ من الهجرة النبوية على صاحبها الصلوات والتسليم .

(تمت بحمد الله)

وهذه ملحوظة :

لضيق المقام فى ترجمة الإمام نشوان بن سعيد الحميرى . أثبتناها هنا خوفا من الضياع — رسالته الجوابية على شيخه أبى الغمر المؤرخ الكبير « مسلم بن محمد اللحجى » التى عثرنا عليها عند شيخنا العلامة المعمر على بن محمد بن إبراهيم رحمه الله والذى توفى هذه الأيام وهو من عمره فى أربع وتسعين سنة ، والرسالة المذكورة فى قصاصة عتيقة خلقة قديمة منفردة مكتوبة ظهر البطن وتكاد تتمزق لطول رحلتها فى دياجير القرون جاء بها شيخنا فى ضمن أوراق كثيرة ملؤ غرائر من خزائن ومكتبات جامع الإمام عبد الله بن حمزة فى ظفار بلد حاشد وإليك نصها كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

وجدت ما لفظه

هذه رسالة القاضى نشوان بن سعيد إلى الشيخ مسلم بن محمد اللحجى رضى الله عنهما مجيبا له عن رسالة وصلت منه

وصلنى كتاب الشيخ الأجل مولاى وصله الله بالمواهب الهنية والرغائب السنية مضمنا جزل الكلام وحى السلام سلمه الله من صروف الزمان والبسه من ذلك ثوب الأمان . وعصمه بعصمة الإيمان مثنيا على عبد حضرته بما هو أولى به من الثناء . وفى المثل « يرشح بما فيه كل إناء » مهديا إلى ما أعارنى من محاسنه ، وليس عذب الماء كآسنه ، واصلا بذلك رحماً أمر الله بوصلها ، وثمر الدوحة تنبيك عن أصلها والناس أصناف كأصناف الأشجار ، ومعادن كمعادن الحجار منها الدوا ومنها السم ، ومنها الطيب ومنها الخبيث فى الذوق ، والشم ، ويطيب رائحة العود المندلى على العيدان ، ولذلك حمل إلى جميع البلدان ، ولولا خبث عرق النحاس لكان فى النحاس والفلاسفة تقول : هو منه إلا أنه لم تنضجه الحرارة ، وكذلك الثمار المفرطة فى المرارة ، وكلام المرء ثمره الذى تجنى منه ، وبذره المأخوذ عنه ، والمرء مخبؤ تحت لسانه ومنسوب إلى اسانه

واحسانه ، والفرع على المنابت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، وكتاب الشيخ الأجل مولاى دليل على كرم فرع واصل وحكمة وحكم فى الخطاب وفصل ، ومعبر عن رجاحة وحلم ومعرفة بالأمور وعلم ، وهو ادام الله عزه مجلى حلبة الكرام وامام الأدب وكعبة بيته الحرام ولم يزل مرابطا على ثغر الحفاظ ناطقا بأحسن الألفاظ مصيبا بالرمية معروفا بالحمية حمية الحق لا حمية الجاهلية وله فى الأصل محل سام يشهده الفضلا من أولاد سام .

ذكر ادام الله عزه حال ذلك الفقيه وما يخشى من رد الجواب ويتقيه بما ينسب إليه من قبح الهجاء وإخلاف ، الظن فيه والرجاء والهجاء خلق ذميم من أخلاق السفهاء مجانب للفضلا والفقهاء ينفث به الشر عن خبث الضمائر وفساد السرائر ينطق بالبذا كما تفوح الحشوش بالأذا ، والفقيه السيد دام الله عزه أشرف من أن يقاس بهذه الطبقة الدنية وأعلا ، وأحق بالذكر الجيل واولى ، وله أصل شريف طاهر ودين قويم ظاهر وهو بموضع من السؤدد منظور ، ومثله لا يقع فى محظور .

ومالى من ذنب عليه علمته سوى انه لى صاحب ونسيب
فمذهبه فى سنة الدين مذهبى واسرته قومى فكيف أجيب

وقد كان بلغنى ذلك فامسكت ، وكففت النفس العاصية وملكت ، واستجيت بكتاب يشمل على العتاب فكيف بكلام قبيح ، وشتام للشرف والدين مبيح ثم صدر منه بعد ذلك اعتذار تمحو الذنب العظيم ويسلى المحزون الكظيم ، وثناء يعود جزيله عليه ويرجع عمله إليه وحامل العطر يعبق ريحه ، وله بادرة وصريحه ، ولو تعمدنى بما ينسب إليه لكان لى فى الصمت مجال ، ومن جوابه ارتجال ، ولجبت بجواب من الصواب وقابلت التعمد بالتغمد والهفو بالعفو وواريت النظم بالكظم وعثر اللسان نصيح[1] الانسان وفى الكتاب العزيز والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فأما أكثر الشعر فقد تركته وقطعته ونهانى الدين عنه فاطعته ، وفى الكتاب العزيز ذم

(١) كذا فى الأصل

إلا الذين من البغى سلموا . وانتصروا من بعد ما ظلموا وانا عائذ بالله من الطعن فى أعراض الغافلين ، والتشبه بالسفهاء الجاهلين وكان جرير بن الخطفى لا يزال بمسجد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله معتكفا ثم يخرج ويقذف المحصنات ويرميهن بالهنات فروجع فى ذلك فقال : لست أبتدى ولكنى اعتدى ، وكان الفرزدق قد قيد نفسه وأطال فى تعليم القرآن حبسه ، وهو يؤذى المسلمين ، ويمدح الظالمين ثم جرت بينهما نقائض عنها الحياء والدين غائض ، وفى الكتاب العزيز وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ، وقد اقدر الله الادمى على النطق بما شاء إن أراد البر وإن أراد الفحشاء ، بعد أن هداه النجدين ، ونهاه عن الضدين ، وعن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وكلام البر دليل الأبرار وكلام الشر دليل الأشرار ، وفى الكتاب العزيز ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، وقيل لنصيب مالك لا تهجو قال : لقبح الهجو تركته ولو أن السفيه يحسن لشاركته قيل له : لو أحسنت الهجاء لقلته ، كما انك قلت المديح وانتحلته فقال : سبحان الله كيف لا أحسن قول اخزاك ربك مكان عافاك ربك ووزنهما فى الشعر واحد ما لذاك فى الناس من جاحد لقد بان فضل العبد على اخوى تميم ، وما أنبياه من الفعل الذميم ، وفى الكتاب العزيز قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الغيبة أشد من زنا الزانين ويكتب فى جنايات الجانيين وفى الكتاب لا يغتب بعضكم بعضا فقرض الغيبة من المسلمين قرضا ، ولذلك كان بعض الصالحين يحرس لسانه بحصاة لا تزال فى فيه خوف ذلك اللسان ومآثمه قال رجل لعمرو بن عبيد : انى لأ رحمك مما يقول الناس فيك قال : اياهم فارحم وقال بعض اللغى لحكيم المعى : لأسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال : قبرك لا قبرى فابك على اللافظين إن عليكم لحافظين كراما كاتبين تعلمون ما تفعلون ، وما ربك بغافل عما تعملون اللهم انى أعوذ بك من اغتياب الغائبين وشفاة العائبين فاكتبنى مع الشاهدين ولا تجعلنى مع الخائنين .

وكلما ذكرت الشيخ ولا تجعلنى من الخائبين الأجل مولاى فهو تاديب لنفسى لا اغيرها لتقصد فى سيرها ولتشتغل بعيبها عن عيوب الناس ويذكر ذلك على انى القائل فى حداثة السن وعنفوان الشباب تورعا وتكرما عن السباب إذا مسه كل بأس.

هذا ما عثرت عليه فى القصاصة القديمة الخلقة ويبدو أن الجواب لم يتم كما عرفنا أن أبا الغمر بن مسلم بن محمد اللحجى شيخ نشوان وأستاذى

ويروى أن الإمام عز الدين بن الحسن مر بقبر الأمام نشوان بن سعيد الحميرى فقال بيتين وامر بكتابتهما على القبر وهما :

يا قبر نشوان ماضميت من حكم	ومن علوم به تربى على الديم
ياقبر نشوان لولا النصب فقت على	من كان من علماء العُرب والعجم

قال أبو عبد الرحمن الحوالى

لم يكن الامام نشوان فى شيء مما قيل فيه افتراء بل كان قوالا بالحق لا يخاف لومة لائم دامغا للباطل ومن الأئمة المجتهدين الكبار وعلم من أعلام الإسلام ولكن مع الأسف الشديد أن هذه الفيئة ضيقة الأفق ترمى كل من على شاكلة الإمام نشوان كمثل الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وصالح بن المهدى المقبلى ومحمد بن إسماعيل الأمير والحافظ الشوكانى واضرابهم بهذه الفرية ليضلوا به الذين لا يعلمون . واستغفر الله من مهاوى الذلل وقبح الخطل .

فهارس الكتاب

فهرس الموضوعات

ص الموضوع

ص الموضوع

ص

فهرس الأعلام

(ا)

(ب)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ش)

(ص)

(ط)

(غ)

(و)

(هـ)

(ى)

فهرس القبائل

(ت)

(ث)

(ج)

فهرس الفرق والطوائف

فهرس البلدان والبقاع

(غ)

(ن)

(و)

مراجع الكتاب

أحسن التقاسيم للبشارى المتوفى حدود منتصف القرن الرابع

الإصابة لابن حجر العسقلانى : أحمد بن على المتوفى سنة ٨٥٢

الأكليل بأجزائه الأربعة للحسن بن أحمد الهمدانى المتوفى حوالى سنة ٦٣٠

إنباه الرواة فى أنباه النحاة للوزير القفطى الحسن بن يوسف الشيبانى

تاريخ ابن أبى الرجال : أحمد بن صالح المتوفى سنة ١٠٦٣ ﻫ

تاريخ ابن الأثير على بن محمد الشيبانى المتوفى سنة ٦٣٠ ﻫ

تاريخ ابن خلكان أحمد بن محمد المتوفى سنة ٦٨١ ﻫ

تاريخ ابن جرير الصنعانى

تاريخ الجندى : محمد بن يعقوب المتوفى سنة ٧٣٢ مخطوط

تاريخ الخزرجى : على بن الحسن المتوفى سنة ٨١٢ سنة واسم تاريخه المسجد المسبوك

تاريخ حضرموت وعدن لصلاح البكرى اليافعى مطبوع

تاريخ الفاسى محمد بن أحمد المتوفى سنة ٨٣٢

تاريخ وصاب لعبد الرحمن الحبيشى المتوفى سنة فى القرن الثامن مخطوط

التاريخ المجهول مؤلفه مصور

التحف والذخائر للقاضى الرشيد المتوفى سنة ٥٥٦ مطبعة الكويت

ثغر عدن لبامخرمة المتوفى فى أواسط القرن العاشر

جواهر الأدب للهاشمى مطبوع

خطط المقريزى عبد الرحمن بن علاء الدين المتوفى سنة ٨٤٥

ديوان على بن المتوكل مخطوط

رحلة ابن بطوطة محمد بن عبد الله الطبنجى

رسائل الإمام عبد الله بن حمزة المتوفى سنة ٦١٤ مخطوط

رسالة الحور العين وشرحها لنشوان بن سعيد الحميرى المتوفى سنة ٥٧٣ مطبوع

روضة الحجورى : يحي بن يوسف الحجورى من أعيان القرن السابع

سرائر الباطنية لحمد بن حماد المعافرى من أعيان القرن الخامس الهجرى مطبوع

السيرة الجامعة لنشوان بن سعيد الحميرى مطبوع

سيرة ذى الشرفين مخطوط

سيرة الهادى يحيى بن الحسين العلوى مخطوط ومطبوع

شمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميرى المطبوع

صفة جزيرة العرب للهمدانى مطبوع بإخراجنا

طبقات ابن سمرة عمر بن على الجندى الجعدى المتوفى سنة ٥٨٦ مطبوع

طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين المتوفى نصف القرن الحادى عشر مخطوط

القاموس لمحي الدين محمد المتوفى سنة ٨١٧ هـ

قرة العيون بأخبار اليمن الميمون لعبد الرحمن الديبع المتوفى سنة ٩٤٢ مخطوط مطبوع بإخراجنا .

كتاب الصليحيون لحسين بن فيض الله الهمدانى معاصر و المتوفى سنة ١٣٨٤ هـ

اللواحق الندية شرح البسامة لمحمد بن على بن فند المعروف بالزحيف والمتوفى فى القرن العاشر

المسالك والممالك لابن خرداذبه المتوفى سنة ٣٠٠ مطبوع ليدن

معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ مطبوع

معجم ما استعجم للبكرى عبد الله بن عبد العزيز المتوفى سنة ٤٨٧

هدية الزمن فى أخبار لحج وعدن لأحمد بن فضل العبدلى المتوفى سنة ١٣٥٣ مطبوع

رقم الإيداع ٤١٣٥ / ١٩٧٦

هفوات مطبعية

ص	س	صواب	خطأ
٦	٣	الشراحيين	الشرحين
٨	٢٢	وامسانا	ووامسانا
١٠	٩	العهد	المهدد
١٢	٥	المقدرين	المقررين
٢٥	١٥	والجبوب	الحبواب
٢٧	١	يدعى	ندعى
٣٠	٣	قاسم	تامم
٣٢	١٢	الفق	الفف
٤٠	١	من ولده	من ولد
٤٤	٢٢	الإيمان يمان	الإيمان والحكمة
٤٦	١٠	بغزة	لمرة
٥١	١	فى الجهاد	فى الجهات
٥٥	٢٤	الحاويج	الحاو ع
٦٤	١٣	فدبر	فدمر
٦٤	١٣	إسماعيل بن إبراهيم	مكرر
٧١	١١	بامخرمة	باعحرمة
٨٠	٦	البيضاء	البيصا
٩١	٨	باسقاط	باسفاط
١٠٠	٧	فتم	فتم
١٠٧	١٨	سيره	سبره
١١٣	١٧	حاسمة	حاسمية
١٢٥	٢٢	الطاحنة	الطاحن
١٢٩	٢	رعيه	رعية
١٣٩	١٢	[illegible]	[illegible]

ص	س	صواب	خطأ
١٣٥	١١	إذ عمارة	إذا عماره
١٣٧	٩	كنست	كنت
١٣٧	١١	كاتبه	كابته
١٦٠	٤	حصن	حسن
١٦٠	١٢	عمران	عمرا
١٦٢	٨	ابن نجيب	ابن تجيب
١٦٣	٨	عبيد	عبد
١٦٥	١	حق	حين
١٨٧	٢١	حصن	خصن
١٨٨	١٢	خولان	حولا ن
٢٠١	١٦	أحوالها	أحولها
٢٠٦	١	يتمبى	يتعى
٢٠٩	١٠	وهو ولد الحرة	وهو والحره
٢٠٩	٢٠	الظاهر	الطاهر
٢٢٤	١٩	ونقتله بالطمان	وتقتاد بالطمان
٢٣٧	١١	زيارة قبر	زيادة قبر
٢٤٠	٢٣	مهج	نهج
٢٤٤	٧	قوارص	قوارض
٢٤٨	٢	فماذا	فماذا
٢٤٨	٨	وطعم الموت	وطعم المول
٢٥٠	٨	نداك	ندرك
١٥٠	٢٣	وجميع	جمع
٢٥٢	٤	الغاية	الغابة
٢٥٢	١٨	مقولا	مقالا
٢٥٧	١٨	حبيبها	حبيها
٢٥٨	٩	القبائل	القابل
٢:٩	١١	الأنور	الأنوف

ص
٢٦٢
٢٧٢
٢٧٥
٢٧٦
٣٤١
٤٤٥
٤٤٥
٤٤٥
٤٤٦
٤٤٦
٤٤٦

ص	س	صواب	خطأ
٢٦٢	١٤	فإذا ناحوا	فإذا اناحو
٢٧٢	٣	للشكيل	للتشكل
٢٧٥	٢٢	ضف	صف
٢٧٦	٨	حلم المرء	المرء حلم
٣٤١	١٩	وادى منى	من نجد منى
٤٤٥	٤	سنة ٣٦٠	سنة ٦٣٠
٤٤٥	١٧	ثغر عدن	تمز عدن
٤٤٥	٢١	الطنجى	الطنبحى
٤٤٦	٦	لمجد الدين	لحيى الدين
٤٤٦	٦	سنة ٩٤٤	سنة ٩٤٢
٤٤٦	١٦	سنة ١٣٥٩	سنة ١٣٥٣